
ذَٰلِكُمُ
اللَّهُ رَبُّكُمْ
فَٱعْبُدُوهُ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م

اسم الكتاب: ذلكم الله ربكم فاعبدوه
اسم المؤلف: مصطفى العدوي
القطع: ١٧×٢٤سم
عدد الصفحات: ٦٧٢ صفحة
سنة الطبع: ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م

رقم الإيداع: ١٣٢٨٠/ ٢٠١٦

ترقيم دولي: ٤-٢٢١-٣٩٠-٩٧٧-٩٧٨

دار ابن رجب طبع . نشر . توزيع دار الفوائد

الـمركز الرئيسي: فارسكور– تليفاكس: ٠٠٢٠٥٧٣٤٥٤٤٥٥ – جوال: ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢
فرع القاهرة: ١٣ شارع البيطار– خلف الجامع الأزهر– هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥١٤١٠١٥
فرع المنصورة: ٣٣ عزبة عقل – هاتف: ٠١٠٢٥٣٦٠٣٣٥
Web site: www.daribnragb.com
Email: ibnragb@gmail.com

ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ

تأليف

أبي عبد الله مصطفى العدوي

دار ابن رجب
دار الفوائد


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، **أما بعد:**

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وبعد:

فإن الغاية التي خلقنا الله عَزَّوَجَلَّ من أجلها هي عبادتُهُ وحده لا شريك له.

* قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

* ولهذا أرسل الله الرسل، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وإلىٰ هذا دعت الرسلُ عليهم السلام؛ فدومًا نقرأ في الكتاب العزيز قولَ المرسلين لأممهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾، قالها نوحٌ عليه السلام لقومه، وقالها هودٌ عليه السلام لقومه، وقالها صالحٌ عليه السلام لقومه.

* وقال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٦﴾ [العنكبوت: ١٦].

وكان من أول ما كلَّم الله عز وجل به نبيَّه موسىٰ عليه السلام إذ ناداه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه: ١٤].

* وقال عيسىٰ عليه السلام: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ﴾ [المائدة: ١١٧].

* وقال تعالىٰ لرسوله محمد ﷺ: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ٤٥﴾ [الزخرف: ٤٥].

* وقال تعالىٰ ذِكرُه لرسوله محمدٍ ﷺ: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٢﴾ [الزمر: ١١ – ١٢]، ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤﴾ [الزمر: ١٤].

* وتتوالىٰ وتتتابعُ النصوص في هذا الصدد.

وكيف لا وهي الغاية التي خلقنا من أجلها، وهذا حقٌّ لله عز وجل علينا، أعظم حقٍّ.

* أخرج البخاري ومسلم من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينا أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا أَخِرةُ الرحل فقال: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**» قلت: لبيك رسولَ الله وسعديك. ثم سار ساعة ثم قال: «**يَا مُعَاذُ**» قلت: لبيك رسولَ الله وسعديك. ثم سار ساعة ثم قال: «**يَا مُعَاذُ**»، قلت: لبيك رسولَ الله وسعديك. قال: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**حَقُّ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**». ثم سار ساعة ثم قال: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**». قلت: لبيك رسولَ الله وسعديك. فقال: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللهِ إِذَا فَعَلُوهُ؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**حَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ**»(١).

فمع عبادتنا لله عَزَّوَجَلَّ تلزمنا البراءةُ من كل معبود يُعبد من دون الله.

يلزمنا أن ننفي الشريكَ عن الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإلهنا واحد لا شريك له، لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا، ولم يلد ربنا، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

* هذا، ولا تتأتَّىٰ عبادتنا لله عَزَّوَجَلَّ ولا تكاد تصح إلا بمعرفته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومعرفة أسمائه الحسنىٰ وصفاته العُلىٰ.

معرفة أين الله؟ وماذا يفعل؟ وماذا يريد؟ ما الذي أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ به؟ وما الذي نهانا عنه؟ وما الذي يحبه؟! وما الذي يكرهه؟! وما الذي أحله؟! وما الذي حرمه؟!

كيف نتوسل إليه وكيف ندعوه؟!

ما سبيل التقرب إليه ونيل رضاه؟!

---

(١) البخاري (٥٩٦٧) ومسلم (حديث ٣٠).

فإذا كان ربُّنا هو الذي يملك كل شيء له ملك السموات والأرض وما بينهما، وخزائن كل شيء بيديه، ومنتهىٰ الأمور كلها إليه، فلماذا إذن نسأل غيره؟! ولماذا نخشىٰ أحدًا سواه؟!

فلماذا نخشىٰ السحرة ولماذا نرهبهم؟!!

فإذا كنا موقنين بأن الذي يعلم الغيب هو الله وحده لا شريك له، كما قال ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]: فلماذا إذن نُصدِّق الكهان؟!!

إذا كنا نعلم أنه لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا فلماذا نخشىٰ الناس إذن؟!!

فأعود قائلًا: علينا أن نعرف الله وأسماءه وصفاتِه وأوامره ونوهيَه، وما يحب وما يرضىٰ وما يكره وما يسخط!

علينا في الجملة أن نعرف كيف نعبد الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ بصيرة وعلىٰ الوجه الذي يحبه الله ويرضاه.

ولا يتأتَّىٰ هذا إلا من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ؛ ففيه تبيانٌ لكل شيء، وكذا من سنة رسول الله ﷺ؛ فقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤]، وقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾ [النحل: ٤٤].

* فلهذا جَمعتُ هذه الأبوابَ التي أسوقها في هذا الكتاب مستعينًا بالله عَزَّوَجَلَّ.

وقد راعيت في جمع هذه الأبواب ما يلي:

أولًا: تحرِّي المادة العلمية الصحيحة في كل باب، فالاستدلال بالنصوص من كتاب الله ﷻ ومن الصحيح من سنة رسول الله ﷺ، وما كان فيه ضعف فقد بينته والحمد لله.

ثانيًا: الاقتصار في كل باب علىٰ ما يَفي بالغرض؛ فقد تكون في الباب الواحد عشراتُ الأدلة، فأقتصر منها علىٰ دليلين أو ثلاثة تفي بالغرض إن شاء الله.

ثالثًا: الحرص علىٰ النقل عن العلماء الأولين من الصحابة والتابعين فمن بعدهم بإحسان، مع تحري صحة الآثار عنهم وتخريجها بما يفي بالغرض.

رابعًا: تخريج الأحاديث المستدَل بها، مع عدم التوسع في التخريج، وإنما تخريجًا يؤدي الغرض ويفي بالمقصود، مع الحكم علىٰ الأحاديث بما تستحقه صحةً أو حُسنًا أو ضعفًا.

خامسًا: دفع الشبهات الواردةِ في بعض الأبواب، والتي قد يلتبس الأمرُ فيها علىٰ بعض الناس.

سادسًا: قد تكون هناك علةٌ في بعض الأسانيد فأبيِّنها، وكذا قد تكون هناك لفظةٌ في متن الحديث، وهي المستدَل بها في الباب وبها بعض الشذوذ فأبينها، وأحيانًا أسترسل في هذا البيان، وإن لم يكن هذا بصورة منتشرة، إنما هي زيادات قليلة.

فقد يرىٰ القارئ أحيانًا اختلافًا مع بعض أهل العلم والفضل في صحة حديث أو ضعفه فأُضطر للبيان، ولهذا سلكت هذا المسلك.

سابعًا: قد راعيت في ترتيب الكتاب أمورًا متعددةً، فأحيانًا – وهذا الغالب – يُقدَّم الباب لأهميته، وأحيانًا تراعىٰ اعتباراتٌ أُخر.

هذا، وما كان في هذا الكتاب من صواب فمن الله عَزَّوَجَلَّ وحده، فله النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن.

وما كان من زلل أو خطأ أو شطط فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه منه ومن كل ذنب.

هذا، وإن كانت قد سقطت بعضُ الأبواب أو نُسِّيت فالنسيان شأن البشر، فإن شاء الله نستدرك في طبعة لاحقة.

هذا، وأطلب من إخواني أهل العلم والفضل، وكذا من إخواني من طلبة العلم الشرعي، ومن سائر إخواني وأخواتي المسلمين والمسلمات إذا وجدوا خطأ أن يوافوني به، سائلًا الله أن يثيبهم وأن يحفظهم، وأن يتقبل منا ومنهم صالح الأعمال.

هذا، وأسأل الله أن يثبتنا علىٰ الإسلام والإيمان والإحسان حتىٰ نلقاه، وصل اللهم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبو عبد الله/ مصطفى بن العدوي

شلبايه – منية سمنود – أجا – دقهلية



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الله عَزَّوَجَلَّ
رَبُّ النَّاس، مَلِكُ النَّاس، إِلَهُ النَّاس

رَبُّ النَّاس: سيدهم ومالكهم ومربيهم ومصلحهم وخالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم و... [١].

مَلِكُ النَّاس: يقوم بأمرهم ويأمرهم وينهاهم ويشرع لهم، ويُثيب ويعاقب، ويفعل ما يريد [٢].

إِلَهُ النَّاس: معبودهم الحق، المعبود الذي يُعبد بحق، ولا يُعبد بحقٍّ سواه [٣].

لقد عرَّفنا الله عَزَّوَجَلَّ بنفسه فهو:

* رب كل شيء!
* رب العالمين!
* رب السموات والأرض وما بينهما!
* رب السموات السبع ورب العرش العظيم!
* رب المشرق والمغرب [٤]!

---

(١) إلىٰ غير ذلك من معاني الربوبية.

(٢) إلىٰ غير ذلك من معاني الملك.

(٣) إلىٰ غير ذلك من معاني الألوهية.

(٤) مشرق الشمس ومغربها.

* رب المشرقين ورب المغربين[(١)]!

* رب المشارق والمغارب[(٢)]!

* رب الفلق، ورب الشعرىٰ! إلىٰ غير ذلك من الوارد في الكتاب العزيز وصحيح السنة المباركة.

* لقد قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢، ١٠٣].

* لقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٥٤ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ٥٥ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٥٦ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٥٧﴾ [الأعراف: ٥٤- ٥٧].

* إنه الذي خلقنا فسوانا فعدلنا فصورنا كيف يشاء[(٣)] قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) مشرق الشمس والقمر ومغربهما.

(٢) مشارق الشمس والقمر والنجوم ومغاربها وعموم المشارق والمغارب.

(٣) فهذا أبيض وهذا أسود، وهذا وسطٌ بين هذا وذاك وهذا أحمر وهذا أصفر، وهذا وسط بين هذا وذلك وهذا طويل وهذا قصير، وهذا ذكي وهذا غبي وهذا مجنون وهذا عاقل، وهذا خفيف الدم وذاك ثقيل بغيض.. وهذه حسناء وتلك دميمة، وهذه خرقاء طائشة إلىٰ غير ذلك من صور الاختلافات والتنوعات وسيأتي لذلك فصلٌ إن شاء الله.

ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [التكوير: ٦، ٧].

لقد قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٦].

* إنه ربنا عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ[1] ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: ٢-٥].

* إنه ربنا: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١، ٢].

* إنه ربنا: ﴿ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٣، ٥].

* ربنا الذي يخلق ما يشاء ويختار.

كما قال عن نفسه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾[2] [القصص: ٦٨].

* إنه ربنا عَزَّوَجَلَّ، خزائن كل شيءٍ بيديه ومنتهىٰ الأمور كلها إليه.

* قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧].

---

(١) قدَّر المقادير وهدىٰ الخلائق إلىٰ ما قدَّره لهم.

(٢) خلق الملائكة وخلق الإنسان وخلق الجان، وخلق الدواب كلها وخلق الشمس والقمر والنجوم والجبال والسموات والأرض وكلَّ من فيها من بحار وجبال وأنهار وأشجار ونباتات وحيوانات وغير ذلك علىٰ الوجه الذي يريد والصور التي يشاء.

* وقال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

* لقد قال ربنا عَزَّوَجَلَّ عن نفسه: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٤٢-٥٤].

* إنه ربنا: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ١- ٢٧].

* إنه الله عَزَّوَجَلَّ إلهنا:

الذي نصلي له ونسجد!!

ونسعىٰ إليه ونحفد!!

نسأله -ندعوه- نعبده- نرجوه- نبتغي بأعمالنا وجهه، نستعيذ به، ونجأر إليه، ونتحاكم إلىٰ شرعه الذي شرع، وحياتنا ومماتنا له.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

*** إنه عَزَّوَجَلَّ إلهنا:**

الذي وسع كل شيءٍ رحمةً وعلمًا، وأحاط بكل شيءٍ علمًا، وهو علىٰ كل شيء قدير.

* قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨].

* وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ۖ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

* ويقول حملة العرش: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

*** لقد عرَّف به أنبياؤه عليهم الصلاة والسلام:**

فمما قاله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح: ١٣-٢٠].

وقال هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

وقال أيضًا: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: ٥٧].

وقال صالح عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

وعرف به الخليل عليه السلام: فقال: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ وقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

* وقال الخليل عليه السلام لقومه: ﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٦].

وقال أيضًا: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٢].

وقال يوسف عليه السلام: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

وقال شعيب عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].

وقال: ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [هود: ٩٢].

* **وعرَّف به موسىٰ عليه السلام: إذ قال له فرعون وما رب العالمين؟**

﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٢٤﴾ [الشعراء: ٢٤].

وقال أيضًا: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢٨﴾ [الشعراء: ٢٨].

* ولما سأله أيضًا: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ

خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ * مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٤٩-٥٥].

* وعرَّف به عيسىٰ عليه السلام فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ [الزخرف: ٦٤].

* وعرَّفنا به رسولنا محمد ﷺ:

ففي الكتاب المنزل عليه آيات عديدة شاهدة بذلك، منها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف: ١].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ ...﴾ [فاطر: ١].

ففي الكتاب العزيز: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورىٰ: ١٠- ١٢].

في آيات لا يكاد الحصر يأتي عليها.

وهكذا فسائر الأنبياء عليهم السلام عرَّفوا أممهم بربهم عز وجل وبأسمائه وصفاته وأفعاله وشرائعه وأحكامه وسننه في خلقه وقضائه وقدره وغير ذلك مما ينتفع الخلق بمعرفته عن الله عز وجل في دنياهم وآخرتهم.

والله ﷻ إلهٌ واحدٌ
لا شريك له، ولم يتخذ صاحبة ولا ولدًا

* قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧١].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

* وقال تعالىٰ: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ [الحج: ٣٤].

* وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النحل: ٥١].

* وقال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

* وقال تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

* وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾﴾ [الصافات: ٤].

* وكما سلف، فليس مع الله آلهة أخرىٰ:

* قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه: ٩٨].

* وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

* وقال سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ ٱللَّهُ﴾ [ص: ٦٥].

* وقال سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

* وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه: ٨].

* وقال تعالىٰ لموسىٰ عليه السلام: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ [طه: ١٤].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [التوبة: ٣١].

* وقال تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

* والنصوص في هذا الباب كثيرةٌ جدًّا.

ولقد نفىٰ الله عن نفسه الشريك في عدة آيات، ونزَّه نفسه عن ذلك:

فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَعَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وقال في عدة آيات: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَعَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وقال: ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

* وقال سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ۝٤١﴾ [القلم: ٤١].

* وقال: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: ٣٤].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].

شهادة الله عَزَّوَجَلَّ لنفسه بالوحدانية

ولقد شهد الله عَزَّوَجَلَّ لنفسه بالوحدانية، وبذلك شهدت له الملائكة وأهل العلم الأتقياء الأبرار، قال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

إن العقل السليم والقلب السليم والفطرة السليمة كلها تأبى أن تجعل لله شريكًا في الملك وتأبى أن يكون لله ولد

* قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الإسراء: ٤٢].

* وقال تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢٢].

* وقال تعالىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الأنبياء: ٩١].

نفي الولد والصاحبة[1] عن الله عَزَّوَجَلَّ

* ولم يتخذ ربنا صاحبةً ولا ولدًا، ولم يكن له أب ولا أم، تعالىٰ الله عن كل ذلك علوًّا كبيرًا.

---

(١) المراد الزوجة.

❋ قال تعالىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤].

❋ وقال سبحانه: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

❋ وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [مريم: ٣٥].

❋ قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٦].

❋ قال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

❋ وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الكهف: ٢٦، ٢٧].

❋ وقال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ [الفرقان: ١، ٢].

❋ وقال تعالىٰ: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٤﴾ [الزمر: ٤].

❋ وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٠٠﴾ [الأنعام: ١٠٠].

❋ لقد كذَّب الله الزاعمين أن له ولدًا، إذ قال: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الصافات: ١٥١، ١٥٢].

لقد حكم الله على القائلين بأن له ولدًا بالكفر

قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢].

* **وقال تعالىٰ:** ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: ٣٠].

* **لقد كذَّب الله اليهود والنصارىٰ الزاعمين أنهم أبناء الله وأحباؤه.**

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ١٨].

* **لقد أقرَّ فريقُ الجن المؤمنين بأن الله لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا، فقالوا:** ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣].

أي أن مَنزلة ربنا وقَدْرَ ربنا العزيز لا يتناسب مع أن يكون له ولدٌ، أو تكون له زوجة، تعالت عظمة ربنا، وتعالىٰ قدر ربنا عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وإن من مقاصد إرسال الرسل، وإنزال الكتب، تحذير القائلين بأن الله له ولد وإنذارهم:

قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف: ١-٥].

إن هؤلاء المفترين الذين يفترون علىٰ الله الكذب، ويدَّعون له الولد يُكذِّبون ربهم ويشتُمونه:

ففي الحديث القدسي أن الله تعالىٰ قال: «كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَزَعَمَ أَنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا»[(١)].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَىٰ أَذًىٰ يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا، وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ»[(٢)].

وانظر إلىٰ هذا المصير السيئ الذي سوف يلقاه من قال: إن عزيرًا ابن الله، ومن قال: إن المسيح ابن الله:

أخرج البخاري في «صحيحه»[(٣)] من حديث أبي سعيد الخدري قال: قلنا: يا رسول الله، هل نَرَىٰ ربنا يوم القيامة؟ قال: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟»... فذكر الحديث، وفيه: قال: «يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَىٰ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّىٰ يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرًا ابْنَ اللهِ. فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ

---

(١) البخاري حديث (٤٤٨٢).

(٢) أخرجه مسلم حديث (٢٨٠٤).

(٣) البخاري حديث رقم (٧٤٣٩).

يَكُنْ لِلهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا. فَيُقَالُ: اشْرَبُوا. فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ. ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَىٰ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا فَيُقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ...».

فهذه عاقبة مَنْ زَعَم أنَّ الله قد اتخذ ولدًا.

الدعوة إلى التوحيد، وعبادة الله وحده أولًا

فقد أرسلت الرسل بذلك، وأنزلت الكتب لذلك.

* **قال تعالىٰ:** ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

* **وقال تعالىٰ:** ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

* **وهاهو نوحٌ عليه السلام يقول لقومه:** ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الأعراف: ٥٩].

* **وهود عليه السلام:** ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥﴾ [الأعراف: ٦٥].

* **وصالح عليه السلام يقول لقومه:** ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣].

* **وشعيب عليه السلام يقول:** ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥].

* ولقد أرسل رسول الله ﷺ معاذًا إلىٰ اليمن(١) فقال له: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ».

* وفي روايةٍ: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ»(٢).

* وفي رواية: «ادْعُهُمْ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ»(٣).

لقد خلق الله عَزَّوَجَلَّ الخلق لعبادته، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

وأُخذت العهود والمواثيق علىٰ الأمم بذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۝١٧٢ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣].

وأخرج البخاريُّ ومسلمٌ(٤) من طريق سعيد بن المسيِّب عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ: «يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ». فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ،

---

(١) البخاري (٧٣٧٢)، ومسلم حديث (١٩).

(٢) البخاري (١٤٥٨).

(٣) البخاري (١٣٩٥).

(٤) البخاري (حديث ١٣٦٠)، ومسلم (حديث ٢٤).

وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ المَقَالَةِ حَتَّىٰ قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَبَىٰ أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ الآيَةَ [التوبة: ١١٣].

*** وبهذا التوحيد والبعد عن الشرك أُمرنا أن نتعبد الله، وندعو أهل الكتاب إلىٰ ذلك:** قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

فضل كلمة التوحيد
(لا إله إلا الله)

وأقول: إنها الكلمة التي يدخل بها الشخص في الإسلام أفضل الكلمات علىٰ الإطلاق، إنها كلمة طيبة كشجرة طيبة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

إن قائلها قد اتخذ عند الله عهدًا أن يدخله الجنة، وأن يباعده عن النار، ويخرجه منها إن كان قد دخلها.

* إنها العروة الوثقىٰ.

* من ختمت حياته بها كان من أهل الجنة.

* قائلها مخلصًا من أسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ يوم القيامة.

* إن كل تهليلة يكتب للعبد بها صدقة.

* إنها خير ما قال النبيون.

* إنها المدخل إلىٰ الإسلام، فلا إسلام بدونها، وانظر إلىٰ فضلها في حديث البطاقة.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: بَلَىٰ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ: احْضَرْ وَزْنَكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ. قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ**»[(١)].

فنشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة نلقىٰ بها ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نقرُّ بها في دنيانا، ونقرُّ بها -بإذن الله- عند مماتنا، ونجيب بها، إن شاء الله، عند السؤال في قبورنا.

نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمدًا رسول الله.

إن العقل والمنطق والشعور والحسَّ والوجدان كل ذلك شاهدٌ علىٰ وحدانية الله عَزَّوَجَلَّ، وإنه ليس معه آلهة أخرىٰ.

(١) الترمذي (٢٦٣٩).

فضل سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وأن بها صفة الرحمن

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

لهذه السورة شأن عظيم، وقد كان النبي ﷺ يقرأ بها في عدة مواطن.

* الركعة الثانية: من ركعتي سنة الفجر وسنة المغرب، وذلك بعد قراءة الفاتحة.

* الركعة الأخيرة من الوتر بعد قراءة الفاتحة.

* الركعة الثانية: من ركعتي الطواف (بعد قراءة الفاتحة).

* دبر الصلوات، وعند النوم وعند المرض، وفي عموم الصلوات.

وقد جاء في فضل هذه السورة الكريمة ما يلي:

* ما أخرجه البخاري ومسلم[(١)]، من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلًا علىٰ سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته، فيختم بـ (قل هو الله أحد)، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «**سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟**»، فسألوه. فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**».

* وأخرج البخاري[(٢)]، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلًا سمع رجلًا يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يرددها، فلما أصبح جاء إلىٰ النبي ﷺ فذكر له

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٧٣٧٥)، ومسلم حديث (٨١٣).

(٢) أخرجه البخاري حديث (٧٣٧٤).

ذلك فكأن الرجل يتقالُّها، فقال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**».

* وأخرج مسلم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟**»، قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: «**(قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»(١).

* وفي رواية لمسلم: «**إِنَّ اللهَ جَزَّأَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، فَجَعَلَ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ**».

* وأخرج مسلم(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) قال النووي في «شرح مسلم»: قال القاضي: قال المازري: قيل: معناه أن القرآن علىٰ ثلاثة أنحاء: قصص وأحكام وصفات لله تعالىٰ، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ متمحضة للصفات فهي ثلث، وجزء من ثلاثة أجزاء.

قلت: والحديث أخرجه مسلم حديث (٨١١).

(٢) الحديث عند مسلم (٨١٢).

قال القاسمي في «محاسن التأويل» (ص ٦٣٠١):

وقد ذكروا في ذلك وجوهًا -منها ما قاله أبو العباس بن سريج: أن القرآن أنزل علىٰ ثلاثة أقسام، ثلث منها الأحكام، وثلث منها وعد ووعيد، وثلث منها الأسماء والصفات، وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات.

وقال الغزالي في «جواهر القرآن»: مهمات القرآن هي معرفة الله ومعرفة الآخرة، ومعرفة الصراط المستقيم، فهذه المعارف الثلاث هي المهمة، والباقي توابع، وسورة الإخلاص تشتمل علىٰ واحدة من الثلاث: وهي معرفة الله وتقديسه وتوحيده عن مشارك في الجنس والنوع، وهو المراد بنفي الأصل والفرع والكفؤ.

قال: والوصف بالصمد يشعر بأنه السيد الذي لا يقصد في الوجود للحوائج سواه، نعم، ليس =

«**احْشُدُوا فَإِنِّي سأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**». فحشد من حشد ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ (قل هو الله أحد)، ثم دخل، فقال بعضنا لبعض: إني أرىٰ هذا خبرًا جاءه من السماء، فذاك الذي أدخله، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال: «**إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ: سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**».

مزيدٌ من الوصايا بالتوحيد والنهي عن الشرك

قال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦].

لقد عهد الله إلىٰ إبراهيم ألا يشرك به شيئًا:

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا﴾ [الحج: ٢٦].

= فيها حديث الآخرة والصراط المستقيم، فلذلك تعدل ثلث القرآن، أي: ثلث الأصول من القرآن كما قيل: «**الْحَجُّ عَرَفَةُ**». أي: هو الأصل والباقي تبع.

وقال ابن القيم في «زاد المعاد»: كان النبي ﷺ يقرأ في سنة الفجر والوتر (الإخلاص) و(الكافرون)، وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل، وتوحيد المعرفة والإرادة، وتوحيد الاعتقاد والقصد. فسورة الإخلاص متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة، وما يجب إثباته للرب تعالىٰ من الأحدية المنافية لمطلق الشركة بوجه من الوجوه، والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص بوجه من الوجوه، ونفي الولد والوالد الذي هو من لازم الصمدية، وغناه، وأحديته، ونفي الكفؤ المتضمن لنفي التنبيه والتمثيل والتنظير، فتضمنت هذه السورة إثبات كل كمال له، ونفي كل نقص عنه، ونفي إثبات شبيه أو مثل له في كماله، ونفي مطلق الشريك عنه، وهذه الأصول هي مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي الذي يُباين صاحبه جميع فرق الضلال والشرك، ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن.

لقد قال الصديق يوسف عليه السلام: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [يوسف: ٣٨].

لقد قال الله تعالىٰ لرسوله محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾ [الرعد: ٣٦].

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

* **لقد قال تعالىٰ لرسوله ﷺ:** ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾﴾ [الزمر: ١٤].

خطر الشرك وتحريمه والتحذير منه

لقد وصىٰ لقمان ولده بذلك فقال في أولىٰ وصاياه: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

فحقًّا إنَّ المشرك قد ظلم نفسه أشد الظلم، فمن حق النفس أن تطمئن في الدنيا والآخرة، ولكن المشرك لم يدعها تطمئن وذلك لأنه سبب لها قلقًا في الدنيا وحيرةً واضطرابًا.

وتسبب لها في أن تنزل أسوأ المنازل يوم القيامة وفضلًا عن ذلك فإنه ظالم، فقد ادعىٰ زورًا وكذبًا، أن له شريكًا، تعالىٰ الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا.

* **قال تعالىٰ:** ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

*** ولقد حذَّر الله أشد التحذير من اتخاذ إلهٍ مع الله ومن عبادة إله مع الله:**

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء: ٢١٣].

إن المشرك ضال ومُفتر يفتري الكذب على الله عَزَّوَجَلَّ

***** فقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

*** إن الجنةَ حرامٌ علىٰ المشرك، والنار مثواه:**

***** فقد قال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

***** وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١].

***** وقال سبحانه: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٥١].

إن الشرك هو الذنب الذي لا يُغفر(١):

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ .

---

(١) أي: لا يغفر لمن مات مشركًا؛ أما إذا تاب منه في الحياة فإن الله يغفر الذنوب جميعًا، وقد قال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

إنه الذنب الذي يُحبط جميع الأعمال ويذهب بثوابها:

لقد قال تعالىٰ لرسوله محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

وقال تعالىٰ في شأن رسله الكرام: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

ولقد قال تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [إبراهيم: ١٨].

إن الشرك ودعوىٰ الولد لله سبحانه سبب في خراب العالم:

إن هذه المقولة الخبيثة التي يدعيها فريق من أهل الكفر وهي دعواهم أن الله له ولدٌ، مقولةٌ تكاد أن يخرب العالم بسببها.

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ [مريم: ٨٨-٩٢].

لقد أعلن مؤمنو الجن بصراحةٍ ووضوح عن وجهتهم إذ قالوا: ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢].

ولذا، فإن الشرك أعظم ذنب يرتكب:

قال رسول الله ﷺ وقد سُئل: أي الذنب أعظم يا رسول الله؟ قال: «أَنْ

تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»[١].

ولقد جاء الشرك علىٰ رأس الموبقات التي حذر منها رسول الله ﷺ، إذ قال ﷺ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**»، قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: «**الشِّرْكُ بِاللهِ وَالسِّحْرُ...**» فذكر الحديث[٢].

ولقد كان رسول الله ﷺ يأخذ البيعة علىٰ أصحابه ألَّا يشركوا.

ففي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بَايِعُونِي عَلَىٰ أَلَّا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا...**»[٣]. فذكر الحديث.

أما عن المشركين فإنهم رجسٌ ونجسٌ إذ الله -تبارك وتعالىٰ- قد قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

وقد قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [التوبة: ١٧].

واستمع إلىٰ هذه العقوبة العظيمة والمثل الخطير المضروب للمشرك!!

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

إن الطير تتخطفه قبل أن يصل إلىٰ الأرض فتمزقه إربًا إربًا وهو في جو السماء.

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٤٧٧)، ومسلم حديث (٨٦).

(٢) أخرجه البخاري حديث (٢٧٦٦)، ومسلم حديث (٨٩).

(٣) أخرجه البخاري حديث (١٨)، ومسلم (١٧٠٩).

وإن قدِّر ولم تصل إليه الطير فتهوي به الريح في مكان سحيق عميق وأي عميق، عميق غاية العمق، فهذا مثله وما يفعل به.

إن الرعب يُقذف في القلوب بسبب الشرك:

قال تعالىٰ: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [آل عمران: ١٥١].

فالمشرك دائمًا خائف، خائفٌ من كل شيءٍ خائفٌ من ساحرٍ، خائف من كاهنٍ، خائف من جن، خائف من إنس، بل خائف من الشجر والحجر.

إن الرعب يعتريه، والكرب يحتويه، والشياطين تستهويه، تجعله في الأرض حيرانَ، تؤزه إلىٰ المعاصي أزًّا، وتدفعه إلىٰ المعاصي دفعًا!

تتسلط عليه تسلطًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١٠٠].

البراءة من الشرك وأهله

لقد تبرأ الله عَزَّوَجَلَّ، وتبرأت رسله الكرام من الشرك وأهله.

* قال تعالىٰ: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٣].

* لقد قال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨].

وقال عليه السلام: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧].

* وأُمر رسولنا محمد ﷺ بالتبرؤ من الشرك، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩].

لقد توعد الله عز وجل أهل الشرك بالويل: فقال تعالىٰ: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت: ٦].

وأمر الله بقتالهم، فقال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦].

لقد حرم الله نكاحهم وإنكاحهم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣].

ولو قدر وأسلم رجل وعنده مشركة فلا يحل له البقاء معها، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠].

إن أهل الشرك لا يرثون ولا يورَّثون، ولا يُصلَّىٰ عليهم، ولا يدفنون في مقابر المسلمين، ولا تؤكل ذبائحهم ولا يكونون أولياء في النكاح.

وعن أقسام الشرك على وجه الإجمال(١)

فإنه ينقسم إلىٰ شرك أكبر وشرك أصغر.

* **أما الشرك الأكبر:** فمنه شرك في الربوبية، وشرك في الألوهية، وشرك في الأسماء والصفات.

* **أما شرك الربوبية:** فمنه اعتقاد أن مدبرًا يدبر أمر الخلق مع الله عَزَّوَجَلَّ، وكذا يسيره ويحركه، وكمن يتخذ أربابًا يحلون به الحرام، ويحرمون عليه الحلال فيتبعهم في ذلك وأيضًا كمن يتخذ المسيح ربًّا، وكذا بعض الأحبار والرهبان.

قال تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

* **وأما شرك الألوهية:** فمنه دعاء غير الله عَزَّوَجَلَّ، وذلك نوع من الضلال البعيد، إذ الدعاء عبادة، والعبادة لا تصرف لغير الله تعالىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ۝٨١ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدّٗا ۝٨٢﴾ [مريم: ٨١، ٨٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٦﴾ [يونس: ١٠٦].

---

(١) وسيأتي -إن شاء الله- تفصيل موسع لذلك.

فالذي يجعل لله ندًّا في العبادة يتضرع إليه ويرجوه من شمس أو قمر أو نجم أو كوكب، أو ملك، أو شجر، أو حجر، أو ميت، أو غائب، ويتقرب إليه بقربة من القربات، كصلاة وذبح واستغاثة في أوقات الشدائد؛ لجلب المصالح ودفع المضار وتحقيق مطلبه، أو نحو ذلك مما لا يطلب إلا من الله تبارك وتعالىٰ، فكل هذا عبادة لغير الله عَزَّوَجَلَّ، واتخاذٌ للشريك إلهًا مع الله.

فالذين يستغيثون بالأموات وغيرهم، أو الغائبين من الملائكة والجن وغيرهم، أو الأشجار والأحجار ونحوها مرتكبون شركًا أكبر، وواقعون فيه.

وكذا عموم الذين يتوجهون بالعبادات لغير الله، فيذبحون لغير الله، وعلىٰ اسم غير الله، ويطوفون بغير بيته الحرام متعبدين بذلك، وكذا ينذرون لغير الله؛ لتفريغ كربة ودفع غربة، وكذا الذين يسجدون لغير الله، ويطلبون المدد والعون من الأموات والجمادات.

وكذلك الذين يذهبون إلىٰ السحرة، ويعتقدون فيهم القدرة علىٰ كشف الضر وتحويله.

* **أما ما يتعلق بالشرك في الأسماء والصفات،** فقد قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ومن الإلحاد في أسماء الله تعالىٰ: تسمية غير الله باسم من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ التي اختص الله نفسه بها كاسم الرحمن وغيره، كما سمىٰ أهل الشرك أصنامهم بنحو ذلك، فسموا اللات من الإله، والعُزىٰ من العزيز، ومن ذلك وصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بصفة ليست هي صفته[(١)].

---

(١) وسيأتي القول في ذلك مفصلًا إن شاء الله..

ثم هناك صور من الشرك كالرقىٰ والشعوذات التي لا تستند إلىٰ دليل، ولا يُرد الأمر فيها إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ، وكذا التِّولة وهي ما تصنعه السحرة للنساء، ويزعمون أنه يحبب المرأة إلىٰ زوجها، والزوج إلىٰ امرأته.

وكذلك التمائم التي تُعلَّق علىٰ الأولاد لحفظهم من العين، وتحمل بين طياتها شعوذات وكلمات مكتوبة لا معنىٰ لها، ولا مدلول صحيحًا، بل تحمل إن حملت مدلولات باطلة، ومعاني شركية وبدعية.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**»(١).

ومن البدع والضلالات والخرافات: التبرك بالأحجار والأشجار ونحوها، وإن صحب ذلك اعتقاد فيها أنها تنفع وتضر فهذا شرك بالله عَزَّوَجَلَّ، وقد قال رسول الله ﷺ: «**لَا يُذْهِبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ حَتَّىٰ تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ**»(٢).

ومن الشرك السجود لغير الله، والذبح لغير الله، وقد قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وكذا التطير فإنه شرك:

وللتطير صور ذكرها بعض العلماء، ومنها: أن أهل الشرك كانوا إذا أرادوا سفرًا، أو عملًا أخذ أحدهم طائرًا فطيَّرهُ، فإن طار يمينًا سافر أو عمل العمل

---

(١) **حسن بمجموع طرقه،** وقد أخرجه أحمد (١/ ٣٨١)، وأبو داود (٣٨٨٣) وغيرهما، أما إذا كان المعلق من كالقرآن فلا يدخل في الشرك، وإن كان غير وارد عن رسول الله ﷺ، وقد ورد عن بعض السلف، والأولىٰ تركه.

(٢) رواه مسلم، حديث (٢٩٠٧).

الذي يريد عمله، وإذا طار شمالًا لم يسافر ولم يعمل العمل.

وكذلك من صنوف التطير، ما كان من أهل الشرك يقولونه لرسلهم: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [يس: ١٨].

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٣١]. أي: يتشاءمون بموسىٰ ومن معه، ويقولون: ما حلَّ بنا البلاء إلا بسببك، وسبب تواجدك معنا وبالذي جئت به.

وكذلك ضروب التنجيم، والاعتماد علىٰ حركة النجوم؛ لبيان معرفة ما سيكون من أمر الناس، وأن هذه ستلد، وأن هذا سيموت، كل هذا باطل، فهذا من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله.

وكل ذلك سيأتي بتفصيل وتوسعٍ إن شاء الله.

أما عن الشرك الأصغر فمنه الرياء[1]:

ويدخل في الرياء مَن يُطيل الصلاة كي يراه الناس، ويحمدوه عليها.

ومَن يرفع الصوت بالذكر؛ ليُقال عنه: ذاكر.

ومَنْ يحج ليُقال عنه: حاج، ومَن يتصدق أمام الملأ؛ كي يثنوا عليه خيرًا.

والشرك الأصغر عمومًا، قال فيه بعض العلماء: إنه كل ما نهىٰ عنه الشرع مما هو ذريعة إلىٰ الشرك الأكبر، ووسيلة للوقوع فيه.

وذكر من ذلك الحلف بغير الله، وكذا قول القائل: ما شاء الله وشئت، وقول

---

(١) وسيأتي القول فيه بتفصيل في باب قريب مستقل إن شاء الله.

الآخر: لولا الله وأنت، وقول الآخر: لولا البط لسُرِقَ البيت، ولولا الكلب لأتانا اللصوص.

وهذا الشرك لا يُخرج صاحبه من دائرة المسلمين، ولكنه كبيرة من الكبائر، وقد قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لئن أحلف بالله كاذبًا، أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقًا».

وختامًا بارك الله فيكم: نسأل الله أن يعصمنا وإياكم من الشرك صغيره وكبيره، وأن يخلص أعمالنا وأعمالكم لوجهه الكريم.

الإخلاص وفضله وبيان شرطي قبول الأعمال

أعمال العباد المقبولة التي يرجىٰ من ورائها الثواب يجب أن تكون خالصةً لله عَزَّوَجَلَّ، صوابًا كذلك، خالصة يُبْتغىٰ بها وجه الله تبارك وتعالىٰ، صوابًا موافقة للكتاب والسُّنَّة.

قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وهذا الذي تضمنته الآية الكريمة تضمنته آيات أُخر كقوله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥].

وكقوله تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١١٢].

وكقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]، فكلها آيات دالة علىٰ أن العمل المتقبل يجب أن يكون خالصًا صوابًا يبتغىٰ به وجه الله، ويوافق الكتاب والسنة، ولذا فقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ بإخلاص العمل له، وكذا إخلاص العبادة والدعاء، وحثَّ علىٰ ذلك في عدة آيات من آي الكتاب العزيز.

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾﴾ [الزمر: ١٤].

وقال سبحانه: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر: ١٤].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾ [الزمر: ٢].

كما أنه عَزَّوَجَلَّ قد قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء: ١٤٦].

لقد جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: أرأيت رجلًا غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لَا شَيْءَ لَهُ**»، فأعادها ثلاث مرات يقول رسول الله ﷺ: «**لَا شَيْءَ لَهُ**»، ثم قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا وَابْتُغِي بِهِ وَجْهُهُ**»(١).

إن إخلاص العمل لله عَزَّوَجَلَّ يرفع صاحبه يوم القيامة درجات.

---

(١) النسائي (٦/ ٢٥)، **بإسناد حسن**.

إن الأجر والثواب يثبت لأقوام لا لكبير عمل يعملونه، ولكن لحسن نواياهم، وإن تقاصرت بهم السُّبل، وانقطعت بهم الحبال، وحبستهم الأعذار عن أعمال البر.

وقال ﷺ: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا شَارَكُوكُمُ الْأَجْرَ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»(١).

لقد فرَّج الله عَزَّوَجَلَّ هموم الثلاثة أصحاب الغار الذين انطبقت علىٰ فم غارهم صخرة، فأظلم عليهم الغار، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، ثم توسلوا بصالح الأعمال التي عملوها يبتغون بها وجه ربهم ففرج الله عنهم.

إن الله عَزَّوَجَلَّ لا ينظر إلىٰ الصور والأموال، ولكن ينظر إلىٰ القلوب والأعمال(٢) إن قومًا يبلغهم الله منازل الشهداء، وإن ماتوا علىٰ فرشهم، وذلك لحسن نواياهم وصدق دعائهم.

كما قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ؛ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ**»(٣).

وفي الحديث: «**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَىٰ شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ**»(٤).

وإن قومًا آخرين يحشرون مع نبيهم محمد ﷺ لا لكبير عمل عملوه، ولا

---

(١) انظر البخاري (٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٢) ذكر نحوه رسولنا محمد ﷺ. انظر «صحيح مسلم»، حديث (٢٥٦٤).

(٣) أخرجه مسلم، حديث (١٩٠٩) وفي رواية أخرىٰ عنده: «مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيهَا وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ».

(٤) مسلم (١٩١٠).

لكثير صلاة، ولا صدقة، ولكن لمحبتهم الله ورسوله، كما في الحديث الذي أخرجه البخاري[١] ومسلم من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما أنا ورسول الله ﷺ خارجين من المسجد، فلقينا رجلًا عند سدة المسجد، فقال: يا رسول الله، متىٰ الساعة؟ قال رسول الله ﷺ: «**مَا أَعْدَدْتَ لها؟**»، قال: فكأن الرجل استكان، ثم قال: يا رسول الله، ما أعددت لها كبيرَ صلاةٍ ولا صيام ولا صدقةٍ ولكني أحبُّ الله ورسوله. قال: «**فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**».

إن أسعد الناس بشفاعة رسول الله ﷺ من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه[٢].

إن الناس يوم القيامة يُبعثون علىٰ نياتهم، كما قد صح ذلك عن رسول الله ﷺ من وجوه عدة[٣].

وأيضًا فقد قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ**»[٤].

وقد قال عدد من أهل العلم في هذا الحديث الشريف المبارك: إنه ثلث العلم، وأحد القواعد التي تردُّ إليها الأحكام. ووجه قولهم: إنه ثلث العلم، وبعضهم قال: ثلث الإسلام؛ لأن الإسلام قول وعمل ونية، فلابد لقبول العلم من سلامة النية وحسنها واتقاء الرياء المحبط للأعمال.

فعلىٰ كل مسلم يبتغي مرضات الله، ويرجو لقاءه، ويرغب في ثوابه أن يخلص في جميع أعماله وأقواله لله عَزَّوَجَلَّ، يطلب بذلك رضاه ويرجو لقاءه في فسيح جناته.

---

(١) البخاري حديث (٦١٧١)، ومسلم حديث (٢٦٣٩) (ص٢٠٣٣).

(٢) انظر البخاري، حديث (٩٩).

(٣) انظر البخاري حديث (٢١١٨)، ومسلم حديث (٢٨٨٢)، وغير ذلك.

(٤) البخاري في عدة مواطن من «صحيحه»، ومنها حديث (١، ٥٤)، ومسلم (١٩٠٧).

فإذا أعطيت أحدًا عطاءً فليكن عطاؤك لله، وإذا منعت فليكن منعُك أيضًا لله.

وإذا أحببت أيها المسلم أحبب لله، وإذا أبغضت أبغض في الله.

وإذا خاصمت تخاصم لله، وإذا حاكمت تحاكم لله!

وإذا صبرت تصبر لله، وإذا غضبت تغضب لله!

وهكذا في شئونك كلها معهم، وبهذا جاءت الأدلة من كتاب الله تبارك وتعالىٰ، ومن سُنَّة رسول الله ﷺ، فضلًا عَنْ كون ذلك من البديهيات التي يعرفها كل مؤمنٍ.

ففي الإنفاق والطعام والعطاء:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان: ٨، ٩].

وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل: ١٨-٢١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ۝٣٩﴾ [الروم: ٣٩].

وفي الإصلاح كذلك بين الناس:

لا تصلح بينهم؛ ليقال عنك: مصلح، بل أصلح بينهم ابتغاء رضوان الله، وابتغاء ما عند الله.

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ

أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ [النساء: ١١٤].

* فعليك أن تتناجىٰ بالخير ابتغاء مرضات الله.

* وعليك أن تأمر بالصدقة والمعروف ابتغاء مرضات الله.

* وعليك أن تصلح بين الناس ابتغاء مرضات الله، ذلك كله حتىٰ تؤتىٰ الأجر العظيم.

وكذلك في الصبر علىٰ أذىٰ الناس:

* إذا صبرت فلا تصبر ليُقَال عنك: صابر!

* لا تصبر خوفًا علىٰ صحتك!

* لا تصبر لكون الطرق مغلقة إلا طريق الصبر!

* ولكن اصبر ابتغاء وجه ربك، وابتغاء ثواب ربك!

* إذا تكلمت فأخلص فيها لله، وإذا سكت فليكن سكوتك ابتغاء مرضات الله.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد: ٢٢].

* وإذا شهدت فاشهد لله، قال تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢].

فلا تشهد ليُقال عنك: قوالٌ بالحق.

ولكن اجعل شهادتك وكلمتك لله سبحانه: طلبًا لثوابه، وابتغاء رضوانه.

* إذا تعلمت فتعلم لله، وإذا جاهدت فجاهد لله، وإذا أنفقت فأنفق لله.

* اجعل صلاتك لله، ونسكك لله، وحياتك لله، ومماتك لله:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وجاءت نصوص السنة بذلك أيضًا:

قال النبي ﷺ في بيان السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «**رَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ**»(١).

وقال النبي ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»(٢).

وقال ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، وَأَعْطَىٰ للهِ، وَمَنَعَ للهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ**»(٣).

وكما قال ﷺ: «**إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّىٰ مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ**»(٤).

وفي الحديث كذلك: «**إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَىٰ أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً**»(٥).

---

(١) البخاري حديث (٦٦٠)، ومسلم حديث (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) البخاري حديث (١٦)، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا، ومسلم حديث (٤٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٨١) **بإسناد حسن** من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا، وله شاهد عند أحمد (٣/ ٤٤٠) من حديث معاذ الجهني رضي الله عنه، مرفوعًا بزيادة: «وَأَنْكَحَ للهِ».

(٤) البخاري حديث (٥٦)، ومسلم (ص ١٢٥١) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥) البخاري حديث (٥٣٥١)، ومسلم حديث (١٠٠٢).

وفي «صحيح مسلم»(١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**».

وفيه أيضًا(٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «**أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَىٰ، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَىٰ مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَىٰ عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ**».

وفي «مسند الإمام أحمد»(٣) من طريق أبي مسلم الخولاني رَحِمَهُ اللَّهُ قال: أتيتُ مسجدَ أهل دمشق، فإذا حلقةٌ فيها كهولٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، وإذا شابٌّ فيهم أكحلُ العين، براق الثنايا، كلما اختلفوا في شيءٍ ردوه إلىٰ الفتىٰ، فتًى شابٌّ، قال: قلتُ لجليس لي: مَنْ هذا؟ قال: هذا، معاذ بن جبل، قال: فجئتُ من العشيِّ فلم يحضروا، قال: فغدوت من الغد، قال: فلم يجيئوا، فرحت فإذا أنا بالشابِّ يصلي إلىٰ ساريةٍ فركعت، ثم تحولت إليه، قال: فسلَّم فدنوتُ منه، فقلت: إني لأحبُّك في الله، قال: فمدني إليه، قال: كيف قلتَ؟ قلتُ: إني لأحبُّك في الله. قال سمعتُ رسول الله ﷺ يَحكي عن ربه يقولُ: «**الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**». قال: فخرجتُ حتىٰ لقيتُ عبادةَ بن الصامتِ فذكرت له حديث مُعاذ بن جبل، فقال: سمعت رسول الله

---

(١) مسلم حديث (٢٥٦٦).

(٢) مسلم حديث (٢٥٦٧).

(٣) أحمد (٥/ ٢٣٦)، وهو صحيح بمجموع طرقه.

ﷺ يحكي عن ربه عَزَّوَجَلَّ يقول: «**حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**».

وفي رواية للترمذي(١) لهذا الحديث مختصرة: «**قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ**».

وإذا أحببت القوم لله، وفي الله، حُشرت معهم يوم القيامة.

ففي «الصحيحين»(٢) من حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قيل للنبي ﷺ: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم. قال: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**».

راقب الله في تصرفاتك مع الناس، فأعمالك يراها الله:

قال النبي ﷺ: «**الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه: ٧].

وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩].

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٦﴾ [المجادلة: ٦].

---

(١) الترمذي (٢٣٩٠) من حديث معاذ، **وإسنادها حسن**.

(٢) البخاري (٦١٧٠)، ومسلم (ص٢٠٣٤) وقد وقع لأبي وائل شيخان في هذا الحديث، فرواه أبو وائل عن أبي موسىٰ، ومرة عن ابن مسعود، وكلا الطريقين صحيح، وانظر «علل ابن أبي حاتم» (٢/ ٣٧٢).

(٣) أخرجه مسلم حديث (١) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

أخرج البخاري[١] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَىٰ سَارِقٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ. لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَىٰ زَانِيَةٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَىٰ زَانِيَةٍ؟ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَىٰ غَنِيٍّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَىٰ سَارِقٍ، وَعَلَىٰ زَانِيَةٍ، وَعَلَىٰ غَنِيٍّ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَىٰ سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَّا الغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ».

ونحوه ما أخرجه البخاري[٢] من حديث معن بن يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بايعتُ رسولَ الله ﷺ أنا وأبي وجدِّي، وخطب عليَّ فأنكحني، وخاصمتُ إليه. وكان أبي يزيد أخرجَ دنانير يتصدقُ بها، فوضعها عند رجل في المسجد، فجئتُ فأخذتها فأتيته بها، فقال: والله ما إياك أردتُ، فخاصمتُهُ إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: «لَكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ، وَلَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ».

فاحرص علىٰ أن يرضىٰ عنك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا ترضِ الناس بسخط الله عليك؛ بل أطع الله فيهم، واتق الله فيهم، فإن النبي ﷺ قد قال: «مَنْ أَرْضَىٰ اللهَ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ النَّاسَ، وَمَنْ أَسْخَطَ اللهَ بِرِضَا النَّاسِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَىٰ النَّاسِ»[٣].

---

(١) البخاري حديث (١٤٢١).

(٢) البخاري (١٤٢٤).

(٣) أخرجه عبد بن حميد في المنتخب حديث (١٥٢٢ بتحقيقي) من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وإسناده صحيح، وقد أشار بعض العلماء إلىٰ علة فيه، ولكن المعنىٰ صحيح، والله أعلم.

وإذا تركت شيئًا فاتركه لله:

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتِّقَاءَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ إِلَّا أَعْطَاكَ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ»(١).

خطرُ الرياء (وهو الشرك الأصغر)

قال الله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢]، فأفادت الآية الكريمة أن الرياء من صفات المنافقين.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: ٤٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، فنهىٰ الله فيها عن الشرك بعمومه، ويدخل فيه الرياء.

قوله تعالىٰ في الحديث القدسي: «أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٧٩٧٨)، من حديث رجلٍ بدوي عن رسول الله، وإسناده صحيح.

(٢) أخرج مسلم حديث (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالىٰ: «أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ». الحديث.

=

وأخرج الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث محمود بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**». قالوا: وما الشرك الأصغرُ يا رسول الله؟ قال: «**الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَىٰ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**»(١).

وفي «الصَّحيحين»(٢)، من حديث جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ؛ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي، يُرَائِي اللهُ بِهِ**»(٣).

= **قال النووي** رَحِمَهُ اللَّهُ: هكذا وقع في بعض الأصول: «**وشركه**»، وفي بعضها: «**وشريكه**»، وفي بعضها: «**وشركته**»، ومعناه: أنا غني عن المشاركة وغيرها، فمن يعمل شيئًا لي ولغيري لم أقبله، بل أتركه لذلك الغير، والمراد أن عمل المرائي باطلٌ لا ثواب فيه، ويأثم به.

قلت: وفي معنىٰ هذا الحديث ما أخرجه الترمذي (٣١٥٤)، وحَسَّنه من طريق زياد بن ميناء، عن أبي سعد بن أبي فضالة الأنصاري، وكان من الصحابة قال: سَمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا جَمَعَ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، نَادَىٰ مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ للهِ فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ غَيْرِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ**»، وزياد بن ميناء قال فيه ابن المديني: مجهول، إلا أنه (أعني: ابن المديني) قال عن إسناد الحديث: إسناد صالح يقبله القلب. هذا وقد وردت آيات كثيرة في الكتاب العزيز تحذر من الشرك، وتبين أنه يحبط الأعمال.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

وقال تعالىٰ بعد ذكر جملة من الأنبياء في سورة الأنعام: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨].

(١) أحمد في المسند (٥/ ٤٢٨) وإسناده صحيح.

(٢) البخاري حديث (٦٤٩٩)، ومسلم حديث (٢٩٨٧).

(٣) **قال النووي**: قال العلماء: معناه: مَنْ راءىٰ بعلمه، وسمعه الناس ليكرموه ويعظموه ويعتقدوا خيره، سمع الله به يوم القيامة الناس وفضحه، وقيل: معناه: من سمع بعيوب الناس وأذاعها، أظهر الله عيوبه، وقيل: أسمعه المكروه، وقيل: أراه الله ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه؛ =

ومن ذلك ما أخرجه مسلم[١] في «صحيحه» من طريق سليمان بن يسار قال:

= ليكون حسرةً عليه، وقيل: مَنْ أراد بعلمه الناسَ، أسمعه الله الناس وكان ذلك حظه منه.
والحديث أخرجه البخاري تحت باب «الرياء والسمعة» وقال الحافظ ابن حجر في شرحه (مع الفتح ١١/ ٣٣٦): الرياء: بكسر الراء وتخفيف التحتانية والمد، وهو مشتق الرؤية، والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها، والسُّمْعة بضم المهملة، وسكون الميم مشتقة من سمع، والمراد بها نحو ما في الرياء، لكنها تتعلق بحاسة السمع، والرياء بحاسة البصر.
وقال الغزالي: المعنىٰ: طلب المنزلة في قلوب الناس بأن يريهم الخصال المحمودة، والمرائي هو العامل. وقال ابن عبد السلام: الرياء أن يعمل لغير الله، والسُّمعة أن يخفي عمله لله ثم يحدث به الناس، ثم نقل الحافظ ابن حجر عن الخطابي قوله في شرح الحديث: معناه: من عمل عملًا علىٰ غير إخلاص، وإنما يريد أن يراه الناس، ويسمعوه، جُوزي علىٰ ذلك بأن يشهره الله ويفضحه، ويُظهر ما كان يبطنه. وقيل: مَنْ قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس، ولم يُرِدْ به وجه الله، فإن الله يجعله حديثًا عند الناس الذين أراد نيلَ المنزلة عندهم، ولا ثواب له في الآخرة، ومعنىٰ «يُرائي»: يطلعهم علىٰ أنه فعل ذلك لهم لا لوجهه، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ [هود: ١٥]. إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٦].
وقيل: المراد من قصد بعمله أن يسمعه الناس ويروه ليعظموه، وتعلو منزلته عندهم، حصل له ما قصد، وكان ذلك جزاؤه علىٰ عمله، ولا يُثَاب عليه في الآخرة، وقيل: المعنىٰ: مَنْ سمَّع بعيوب الناس، وأذاعها، أظهر الله عيوبه، وسمعه المكروه، وقيل: المعنىٰ: مَنْ نسب إلىٰ نفسه عملًا صالحًا لم يفعله، وادعىٰ خيرًا لم يصنعه، فإن الله سبحانه يفضحه، ويظهر كذبه، وقيل: المعنىٰ: مَنْ يُرائي الناس بعمله، أراه الله ثواب ذلك العمل، وحرمه إياه، وقيل: معنىٰ: «**سَمَّعَ اللهُ بِهِ**»: شهره، أو ملأ أسماع الناس بسوء الثناء عليه في الدنيا، أو في القيامة بما ينطوي عليه من خبث السريرة.
(قلت) «الحافظ»: ورد في عدة أحاديث التصريح بوقوع ذلك في الآخرة، فهو المعتد.
* **وقال عطية سالم في «تتمة لأضواء البيان»**: والتسميع هو العمل؛ ليسمع الناس به كما في حديث «الوليمة في اليوم الأول، والثاني، والثالث سمعة، ومن سمَّع سُمِّع به»، فالرياء مرجعه إلىٰ الرؤية، والتسميع مرجعه إلىٰ السماع.

(١) أخرجه مسلم حديث (١٩٠٥).

تفرق الناسُ عن أبي هريرةَ فقال له ناتلُ أهل الشام: أيُّها الشيخُ، حدثنا حديثًا سمعتهُ من رسول الله ﷺ. قال: نعم، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ؛ حَتَّىٰ اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ؛ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ؛ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ؛ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ**»[(١)].

---

(١) وقوله ﷺ في الغازي والعالم والجواد وعقابهم علىٰ فعلهم ذلك لغير الله، وإدخالهم النار دليل علىٰ تغليظ تحريم الرياء، وشدة عقوبته، وعلىٰ الحثِّ علىٰ وجوب الإخلاص في الأعمال، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]. وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالىٰ بذلك مخلصًا، وكذلك الثناء علىٰ العلماء وعلىٰ المنفقين في وجوه الخيرات، كله محمول علىٰ من فعل ذلك لله تعالىٰ مخلصًا.

قلت: وقد أخرج البخاري (٢٨٤٩) تحت باب: لا يقول فلان شهيد، في كتاب الجهاد، ومسلم (١١٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ التقىٰ هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله ﷺ إلىٰ عسكره، ومال الآخرون إلىٰ عَسْكرهم، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجلٌ لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقالوا: ما أجزأ اليوم منا أحد كما أجزأ فلانٌ، فقال رسول الله ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فقال رجلٌ من القوم: أنا صاحبه قال: فخرج معه، وكلما =

وعن تعريف الرياء:

قال بعض العلماء: الرياء: إظهار العبادة؛ لقصد رؤية الناس لها، فيَحْمَدوا صاحبها، وفرَّق بعض أهل العلم بين الرِّياء والسُّمعة، فقال: الرياء يكون في الفعل، والسُّمعة تكون في القول، وقَالَ بعض أهل العلم: الرياء العمل لغير الله، والسُّمعة: أن يخفي العمل ثم يحدث به الناس.

إنَّ المرائي يظن أن الناس يحمدونه، ويشكرون له صنائع المعروف؛ ولكنه لا يدري أَنَّ القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وأنَّ الذي يورث المحبة في قلوب العباد هو الله عَزَّوَجَلَّ.

إن قومًا خرجوا من ديارهم يوم بدر بطرًا ورئاء الناس كي يصدوا عن سبيل الله، فسامَهم الله سوء العذاب، وأحلهم دار البوار.

إن الذي يقوم مقام رياء وسمعة، ويطعن في الأعراض؛ كي يشتهر في الناس، ويرقىٰ علىٰ حساب غيره، وعلىٰ أعراض الآخرين، له الويل في الدنيا قبل الآخرة.

أخرج البخاري[1]، من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «شَكَا أهلُ الكوفةِ

= وقف، وقف معه، وإذا أسرع، أسرع معه قال: فجُرِحَ الرجل جرحًا شديدًا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل علىٰ سيفه فقتل نفسه فخرج الرجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله. قال: «**وَمَا ذَاكَ؟**». قال: الرجل الذي ذكرت آنفًا إنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه، ثم جرح جرحًا شديدًا فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض، وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**».

(١) البخاري حديث (٧٥٥).

سعدًا إلىٰ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فعزله، واستعمل عليهم عمَّارًا، فذكر الحديث، وفيه أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرسل يسأل أهل الكوفة عن سعد، فقام رجلٌ منهم، يُقال له: أُسامة بن قتادة يُكنىٰ أبا سعدةَ قال: أما إذ نشدتنا، فإن سعدًا كان لا يسيرُ بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدلُ في القضية. قال سعدٌ: أما والله، لأدعونَّ بثلاثٍ: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رياءً وسُمعةً، فأطل عُمُره، وأطل فقره، وعرضهُ بالفتن، وكان بعدُ إذا سُئل يقولُ: شيخٌ كبيرٌ مفتونٌ أصابتني دعوةُ سعدٍ. قال عبد الملك[1]: فأنا رأيتُهُ بعدُ قد سقط حاجباهُ علىٰ عينه من الكِبر، وإنه ليتعرَّضُ للجواري في الطرق يغمزهنَّ».

وقد أحسن مَنْ قال:

وما شرفٌ أن يمدحَ المرءُ نفسه ... ولكنَّ أعمالًا تذمُّ وتمدحُ

وما كلُّ حين يصدقُ المرءَ ظنه ... ولا كل أصحابِ التجارة يربح

ولا كلُّ من ترجُو لغيبتك حافظًا ... ولا كلُّ من ضم الوديعةَ يصلحُ

لقد توعد الله عَزَّوَجَلَّ المرائين بالويل.

فقال سبحانه: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون: ٤-٧].

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾ يقول: الذين هم يراءون الناس بصلاتهم إذا صلوا؛ لأنهم لا يصلون رغبة في ثواب، ولا رهبة من عقاب، وإنما يصلونها ليراهم المؤمنون فيظنونهم منهم فيكفون عن سفك دمائهم، وسبي ذراريهم، وهم المنافقون الذين كانوا علىٰ عهد رسول الله ﷺ يستبطنون الكفر، ويظهرون الإسلام.

---

(١) هو راوي الحديث، عن جابر بن سمرة.

وقال القرطبي -رحمه الله تعالىٰ- في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾. أي: يُرِي الناسَ أنَّه يصلي طاعةً، وهو يصلي تقيةً؛ كالفاسق يُرَىٰ أنه يصلي عبادةً، وهو يصلي ليُقال إنه يصلي.

أمورٌ ليست من الرِّياء

وهذه أمور يجدرُ التنبيه عليها لدفع الاشتباه:

* دخول الوساوس علىٰ العاملين المُصلين والصائمين والدعاة إلىٰ الخير والمصلحين بين الناس.

فأحيانًا يهمُّ الشخصُ بعمل البر، والسعي في الخير، وتبليغ الناس أمر الله ورسوله ﷺ، فيأتيه الشيطان، ويثنيه عن ذلك، ويثبطه، ويدخل عليه من بابٍ ألا وهو: أن ما تصنعه يُعدُّ رياءً، فيتقاعس عن الخير، ويركن إلىٰ السكون والدَّعة والكسل، فليحذر ذلك المسلم، وليقبل علىٰ فعل الخير، وصنائع المعروف.

* **وهذه مسألة أخرىٰ:** إذا بدأ الشخص عملًا لله ﷻ، فرآه الناس علىٰ هذا العمل، ففرح برؤيتهم له علىٰ هذه الحال، فهل يدخل هذا في باب الرياء؟

* **وجواب ذلك:** أن هذا لا يدخل في الرياء، فهل هو من عاجل بشرىٰ المؤمن، ذلك لما أخرجه مسلم من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: «**تِلْكَ**

عَاجِلُ بُشْرَىٰ الْمُؤْمِنِ»[(١)].

وهذه صورٌ من العمل الصالح جائز إظهارها، وليس فقط مجرد إظهارها وإعلانها بل تعمد الإظهار والإعلان لمصلحة شرعية تُرجىٰ، فمن ذلك صدقة العلن؛ لحث الناس علىٰ التصدق، وترغيبهم في ذلك[(٢)].

ومن ذلك التبختر في الحرب، وأمام الأعداء، لقذف الرعب في قلوب أعداء الله عَزَّوَجَلَّ.

ومن ذلك الحرص علىٰ صلاة الجماعة، وتكثير سواد المسلمين في الخير.

---

(١) مسلم (٢٦٤٢).

(٢) وقد ورد في ذلك حديث أخرجه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار قال فجاءه قومٌ حُفاةٌ عُراةٌ مُجتابي النمار (أي: لابسي ثياب مخططة تشبه جلود النمور) أو العباء (جمع عباءة) متقلدي السيوف، عامتهم من مضر؛ بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأىٰ بهم من الفاقة، فدخل، ثم خرج، فأمر بلالًا فأذَّن وأقام، فصلىٰ ثم خطب، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾. إلىٰ آخر الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. والآية التي في الحشر: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨]. تصدق رجلٌ من دينارِه، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتىٰ قال: ولو بشق تمرة. قال: فجاء رجلٌ من الأنصار بصُرَّة كادت كفُّهُ تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس حتىٰ رأيتُ كومين من طعام وثياب، حتىٰ رأيتُ وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبةٌ (أي: كأنه فضة مذهبة) فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**».

وقَدْ قال عددٌ كبيرٌ من أهل العلم بوجوب الصلاة في جماعة، ومن ذلك اتقاء مقالات الناس والتُّهم التي قد يقذفون بها، وقد قال النبي ﷺ: «**إِنَّهَا صَفِيَّةُ**»(١) لما رآه رجلان من الأنصار مع زوجته أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها فأسرعا المسير.

ومن ذلك امتناع النبي ﷺ من قتل عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، وكذا سائر المنافقين، وتعليل النبي ﷺ ذلك بقوله: «**لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**»(٢).

ومن ذلك أمر النبي ﷺ أصحابه بالرمل(٣) في الحج، لما قال المشركون: إن محمدًا وأصحابه قد وهنتهم حُمىٰ يثرب.

وظلم الظالمين وإنكار المنكرين كما فعل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه مع الذين حاصروه، فقد ذكَّرهم ببعض مآثره كحفر بئر رومة، وتجهيز جيش العسرة.

ومن ذلك تزكية النفس لغرض شرعي محمود، كما قال يوسف الصديق عليه السلام: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٥٥].

فهذه وغيرها صور من الأعمال والأقوال يجوز إظهارها لغرض شرعي، ولمصلحة دينية، ولدفع خبثها، أو دفع شر عن المسلمين، ومحل التجويز عند سلامة القلوب، وأمن الفتنة، وبالله التوفيق.

قال القرطبي رحمه الله: ولا يكون الرجل مُرائيًا بإظهار العمل الصالح إن كان

---

(١) أخرج ذلك البخاري (مع الفتح ٤/ ٢٧٨)، ومسلم (١٤/ ١٥٦).

(٢) البخاري (٨/ ٣٥).

(٣) وهو المشي السريع أثناء الطواف في الأشواط الثلاثة الأولىٰ.

فريضةً، فمن حق الفرائض الإعلان بها وتشهيرها، كذا قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هذا، وإذا أُظهر العمل الصالح بقصد التأسي بالعامل، فلا بأس بذلك، قد قال تعالىٰ: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [البقرة: ٢٧١].

وهذه بعض الفوارق التي ذكرها العلماء بين الشرك الأصغر والأكبر، فمنها:

* أن الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، والأصغر يحبط العمل الذي صاحبه الرياء فحسب، وكذا أن الشرك الأكبر إذا مات صاحبه لم يتب منه فإنه يخلَّد في النار، أمَّا الأصغر فكغيره من الذنوب.

* وكذا فالشرك الأكبر مخرجٌ عن ملة الإسلام، أما الأصغر فلا، وأيضًا فالرياء قد يُغفر، أما الشرك الأكبر فلا.

هذا، وكتقوية للنفس للبعد عن الرياء وهجران مسالكه يلزمنا أن نعوذ بالله منه، وفي الحديث، وإن كان في إسناده ضعف: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ**».

وأيضًا فليعمد أحدنا إلىٰ الصلاة بالليل، والناس نيام، كما كان رسول الله ﷺ يفعل.

وليعمد أيضًا إلىٰ إخفاء الصدقة، وكذا فليذكر الله خاليًا حتىٰ يفضي منه الدمع.

قوله ﷺ: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ»

أخرج البخاري[(١)]، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: إني عند النبي ﷺ إذ جاءه قومٌ من بني تميمٍ فقال: «**اقْبَلُوا الْبُشْرَىٰ يَا بَنِي تَمِيم**». قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناسٌ من أهل اليمن فقال: «**اقْبَلُوا الْبُشْرَىٰ يَا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ**»، قالوا: قبلنا، جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال: «**كَانَ اللهُ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ**[(٢)]، **وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ**».

* وقد قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧].

* وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

* وفي الحديث[(٣)]، عن رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ، فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**».

قال الطبري رحمه الله: يقول تعالىٰ ذكره: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾: قبل كل شيء بغير حد، ﴿وَٱلْءَاخِرُ﴾ يقول: والآخر بعد كل شيء بغير نهاية، وإنما قيل ذلك كذلك؛ لأنه كان ولا شيء موجود سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال جل ثناؤه: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

وماذا يفعل من وسوس له الشيطان، وقال له: من خلق الله؟

---

(١) البخاري (٧٤١٨).

(٢) وفي رواية عند البخاري (٣١٩١): «**ولم يكن شيء غيره**».

(٣) مسلم (٣/ ٢٧).

أقول وبالله التوفيق: جواب ذلك أن يتعوذ بالله، وأن ينته عن الاسترسال في التفكير في هذا، فإننا لم نحط علمًا بالله عَزَّوَجَلَّ.

* وقد قال رسول الله ﷺ: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّىٰ يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ**»(١).

وفي رواية: «**فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ**»(٢).

تحريم الجدال في الله بغير علم

ولا يجوز لأحد أن يجادل في الله بغير علم.

* قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ [الحج: ٣، ٤].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج: ٨].

* وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾... إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

---

(١) البخاري (مع الفتح ٦/ ٣٣٦)، ومسلم (مع النووي ٢/ ١٥١).

(٢) أخرجها مسلم في «صحيحه».

قوله ﷺ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ»

هذا الحديث له عن رسول الله ﷺ عدة طرق يصح بمجموعها، من هذه الطرق: ما أخرجه الطبري[١]، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ، خَلَقَ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ، قَالَ: فَجَرَىٰ الْقَلَمُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ الْأَبَدِ**».

وما أخرجه الطبري[٢] أيضًا بإسناده، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ، قال: «**أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ الْقَلَمُ، وَأَمَرَهُ فَكَتَبَ كُلَّ شَيْءٍ**».

أين الله؟

الله سبحانه وتعالى في السماء مستوٍ علىٰ العرش، أما الأدلة علىٰ ذلك ففي غاية الكثرة، منها أدلة من كتاب الله، وأدلة من سنة رسول الله ﷺ، أما الأدلة من الكتاب العزيز، فمنها ما يلي:

* قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦، ١٧].

---

(١) الطبري، حديث (٣٤٥٤٣)، ونحوه بإسناد آخر عن عبادة مرفوعًا، كذلك عند الطبري (٣٤٥٤٨)، والطيالسي حديث (٥٧٧)، والترمذي حديث (٣٣١٩)، وقال: حسن غريب، وأبو داود، حديث (٤٧٣).

(٢) الطبري (٣٤٥٤٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٠٣)، وقد ورد نحو هذا الخبر عند الطبري (٣٤٥٤٦)، من طريق آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا، وهو مما لا يُقال من قبيل الرأي، ولهذا الحديث عدة طرق أورد كمًّا كبيرًا منها ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٠٢) فما بعده.

* قوله تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

* قوله تعالىٰ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨].

* قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

* قوله تعالىٰ: ﴿..ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩].

* قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

* قوله تعالىٰ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥].

* قوله تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

* قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

* وقال تعالىٰ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

* قوله تعالىٰ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢].

* قوله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

* قوله تعالىٰ: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦].

أما الأدلة من السنة، ففي غاية الكثرة أيضًا، نورد منها:

* قول النبي ﷺ: «**أَلَا تَأْمَنُونِي، وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً**..». الحديث[(١)].

* ما أخرجه البخاري -رحمه الله تعالىٰ-[(٢)]، من حديث أنس -رضي الله تعالىٰ عنه- قال: جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبي ﷺ يقول: «**اتَّقِ اللهَ، وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ**». قال أنسٌ: لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا لكتم هذه، قال: فكانت زينب تفخر علىٰ أزواج النبي ﷺ تقول: «زَوَّجَكُنَّ أَهْلِيكُنَّ وَزَوَّجَنِيَ اللهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ».

* حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ لَمَا قَضَىٰ الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**»، أخرجه البخاري ومسلم[(٣)].

* وحديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري -رحمه الله تعالىٰ- عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا**». قالوا: يا رسول الله، أفلا ننبئ الناس بذلك؟ قال: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بَعَث عليٌّ بن أبي طالب إلىٰ رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ، لم تحصل من ترابها. قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن حصنٍ، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة بن علاثة، وإما عامر بن الطفيل، فقال رجلٌ من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء. قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «**أَلَا تَأْمَنُونِي، وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً**».

(٢) البخاري (٧٤٢٠).

(٣) البخاري (٧٤٢٢)، ومسلم (٢٧٥١).

اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَىٰ الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشِ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»[(١)].

* قول النبي ﷺ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ -وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ- كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»، أخرجه البخاري ومسلم[(٢)].

* قول النبي ﷺ للجارية: «أَيْنَ اللهُ؟». قالت: في السماء. قال: «مَنْ أَنَا؟». قالت: أنت رسول الله. فقال النبي ﷺ: «أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»، أخرجه من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه به.

* أخرج مسلم[(٤)] حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في حَجَّة النَّبيِّ ﷺ، وفيه أن النبيَّ ﷺ قال: «...وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟». قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلىٰ السماء، وينكتها إلىٰ الناس: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ»، (ثلاث مرات...) الحديث.

* وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لعائشة رضي الله عنها: وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات جاء به الروح الأمين[(٥)]... الحديث.

---

(١) البخاري (٧٤٢٣).

(٢) البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

(٣) مسلم (٥٣٧).

(٤) مسلم (١٢١٨).

(٥) أخرجه أحمد (١/ ٢٧٦).

* وأخرج البخاري[١] رحمه الله تعالىٰ، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعِدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَصْعَدُ[٢] إِلَىٰ إِلَّا الطَّيِّبُ، فَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّىٰ تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ**».

* وأخرج مسلم في «صحيحه»[٣]، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]».

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢].

* ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلىٰ السماء يا رب يا رب! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِّي بالحرام، فأنىٰ يستجاب لذلك».

* وأخرج مسلم[٤] -رحمه الله تعالىٰ- في «صحيحه»، من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ**». -وفي رواية:

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٠).

(٢) هكذا في هذه الرواية للبخاري، وفي رواية البخاري الأخرىٰ، ورواية مسلم (١٠١٤): «**وَلَا يَقْبَلُ**».

(٣) حديث (١٠١٥) وفي سنده فضيل بن مرزوق، وفيه بعض الكلام.

(٤) أخرجه مسلم حديث (١٧٩).

«لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».

* ومنها حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «... وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ»(١).

* ومنها حديث مالك بن صعصعة(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن نبي الله ﷺ حدثه عن ليلة أُسري به، قال: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ -وذكر يعني رجلًا بين الرجلين- فَأُتِيتُ بِطِسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ ملآنٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَشُقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَىٰ مَرَاقِّ الْبَطْنِ، ثُمَّ غُسِلَ الْبَطْنُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، وَأُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ: الْبُرَاقُ، فَانْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ، حَتَّىٰ أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ؛ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَأَتَيْتُ عَلَىٰ آدَمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنَ ابْنٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ. قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَأَتَيْتُ عَلَىٰ عِيسَىٰ وَيَحْيَىٰ، فَقَالَا: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ. قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَأَتَيْتُ عَلَىٰ يُوسُفَ فَسَلَّمْتُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ. فَأَتَيْنا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قيل: مُحَمَّدٌ ﷺ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَأَتَيْتُ عَلَىٰ إِدْرِيسَ

(١) مسلم (٢٧١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم حديث (١٦٤).

فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ. فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الخَامِسَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قيلَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَأَتَيْنا عَلَىٰ هَارُونَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا عَلَىٰ السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قيلَ: مُحَمَّدٌ ﷺ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ مَرْحَبًا بِهِ، نِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَأَتَيْتُ عَلَىٰ مُوسَىٰ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَلَمَّا جَاوَزْتُ بَكَىٰ، فَقِيلَ: مَا أَبْكَاكَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، هَذَا الْغُلَامُ الَّذِي بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي. فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قيلَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَأَتَيْتُ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنَ ابْنٍ وَنَبِيٍّ، فَرُفِعَ لِيَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ، وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَىٰ، فَإِذَا نَبقُهَا كَأَنَّهُ قِلَالُ هَجَرَ، وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الْفُيُولِ، فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَفِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ النِّيلُ وَالْفُرَاتُ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً، فَأَقْبَلْتُ حَتَّىٰ جِئْتُ مُوسَىٰ فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً. قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ بِالنَّاسِ مِنْكَ، عَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، وَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَطِيقُ، فَارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَلْهُ، فَرَجَعْتُ فَسَأَلْتُهُ فَجَعَلَهَا أَرْبَعِينَ، ثُمَّ مِثْلَهُ ثُمَّ ثَلَاثِينَ، ثُمَّ مِثْلَهُ فَجَعَلَ عِشْرِينَ، ثُمَّ مِثْلَهُ فَجَعَلَ عَشْرًا، فَأَتَيْتُ مُوسَىٰ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَجَعَلَهَا خَمْسًا، فَأَتَيْتُ مُوسَىٰ فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: جَعَلَهَا خَمْسًا، فَقَالَ

مِثْلَهُ. قُلْتُ: فَسَلَّمْتُ فَنُودِيَ إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي، وَأَجْزِي الْحَسَنَةَ عَشْرًا».

* وأخرج البخاري ومسلم(١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ، تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَىٰ حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّوَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالَ: تَقُولُ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللهِ، مَا رَأَوْكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي، قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا. قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟! قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللهِ، يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: فَيَقُولُون: لَا وَاللهِ، يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَىٰ جَلِيسُهُمْ».

وأخرج البخاري(٢) -رحمه الله تعالىٰ- حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إِذَا قَضَىٰ اللهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا

(١) البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).

(٢) البخاري (٤٨٠٠).

لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَىٰ صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: لِلَّذِي قَالَ: الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ -ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه- فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَىٰ مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَىٰ مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّىٰ يُلْقِيَهَا عَلَىٰ لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ».

وأخرج البخاري(١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟».

وأخرج الإمام أحمد(٢)، بسند صحيح، عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال البراء بن عازب قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلىٰ القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ، وجلسنا حوله، وكأن علىٰ رءوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه فقال: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ -مرتين أو ثلاثًا، ثم قال-: إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّىٰ يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ

---

(١) البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٢) أحمد (٤/ ٢٨٧)، وأبو داود ببعضه (٤٧٥٣)، وابن خزيمة (٢٣٨)، وغيرهم.

فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِيِّ السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّىٰ يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ -يعني: بها- عَلَىٰ مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَنْتَهُوا بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّىٰ ينْتَهي بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ».

دفع اشتباه

وترد هنا آيتان يلزم بيانهما:

الأولىٰ: قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

الثانية: قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤].

فقد يستدل بهما علىٰ خلاف ما سبق.

فأقول وبالله التوفيق:

أما قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾. فمعناه والله تعالىٰ أعلم: أنه معنا يسمعنا، ويرانا كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]. وكذا يدبر

أمورنا، ويعلم متقلبنا ومثوانا.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، يقول: وهو شاهد لكم أيها الناس أينما كنتم يعلمكم، ويعلم أعمالكم، ومتقلبكم ومثواكم، وهو علىٰ عرشه فوق سمواته السبع ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٨]، يقول: والله بأعمالكم التي تعملونها من حسن وسيئ، وطاعة ومعصية، ذو بصر، وهو لها مُحْصٍ، ليجازي المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته يوم تُجزىٰ ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٢].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، أي: رقيب عليكم، شهيد علىٰ أعمالكم حيث أنتم، وأين كنتم، من بر أو بحر في ليل أو نهار، في البيوت أو القفار، الجميع في علمه علىٰ السواء، وتحت بصره وسمعه، فيسمع كلامكم ويرىٰ مكانكم، ويعلم سركم ونجواكم.

كما قال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود: ٥]، وقال: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]، فلا إله غيره، ولا رب سواه.

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجبريل لما سأله عن الإحسان: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١).

---

(١) مسلم حديث (٨).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالىٰ:

وكان الإمام أحمد ينشد هذين البيتين:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل: خلوت، ولكن قل: عليَّ رقيبُ

ولا تحسبن الله يغفل ساعةً ولا أن ما يخفىٰ عليه يغيبُ

هذا، والمعية -كما ذكر أهل العلم- معيتان: معية علم واطلاع، ومنه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧].

ومعية نصر وتأييد وحفظ ونحو ذلك، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقوله ﷺ لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهما في الغار: «**لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**»، وكذا قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤].

فمعناه والله تعالىٰ أعلم: وهو الذي في السماء معبودٌ، وكذا فهو معبودٌ يعبدونه أهل الأرض كما أن أهل السماء يعبدونه.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]. يقول تعالىٰ ذكره: والله الذي له الألوهية، في السماء معبود، وفي الأرض معبود كما هو في السماء معبود، لا شيء سواه تصلح عبادته؛ يقول تعالىٰ ذكره: فأفردوا لمن هذه صفته العبادة، ولا تشركوا به شيئًا غيره.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٨٤]. يقول: وهو الحكيم في تدبير خلقه، وتسخيرهم لما يشاء، العليم بمصالحهم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ أي: هو إله من في السماء، وإله من في الأرض، يعبده أهلهما، وكلهم خاضعون له، أذلاء بين يديه، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

وهذه الآية كقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾ [الأنعام: ٣]. أي: هو المدعو الله في السموات والأرض.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: هو المستحق للعبادة في السماء والأرض.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ يخبر تعالىٰ، أنه وحده المألوه المعبود في السموات والأرض فأهل السموات كلهم، والمؤمنون من أهل الأرض؛ يعبدونه، ويعظِّمونه، ويخضعون لجلاله، ويفتقرون لكماله.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥].

فهو تعالىٰ المألوه المعبود، الذي يألهه الخلائق كلهم، طائعين مختارين، وكارهين. وهذه كقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، أي: ألوهيته ومحبته فيهما. وأما هو فإنه فوق عرشه، بائن من خلقه، متوحد بجلاله، متمجد بكماله.

قوله ﷺ: «فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ»

وأخرج البخاري[(١)]، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: رأىٰ النبي ﷺ نخامةً في قبلة المسجد، وهو يصلي بين يدي الناس، فحتها، ثم قال حين انصرف: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ، إِذَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَلَا يَتَنَخَّمَنَّ أَحَدٌ قِبَلَ وَجْهِهِ فِي الصَّلَاةِ**». ولا تعارض بين هذا، وبين كون الله عز وجل في السماء، فنحن في دنيانا نقف والقمر أمامنا، وهو في السماء، ولله المثل الأعلىٰ.

(١) البخاري (٧٥٣)، ومن العلماء من عدَّ هذا الحديث من المتشابه الذي يُردُّ إلىٰ المحكمات، والله أعلم.

فصلٌ في رؤيةِ العباد ربهم عَزَّوَجَلَّ

لماذا لا يرىٰ الناس ربهم في الدنيا؟

فأقول -وبالله التوفيق-: إن الله قضىٰ ذلك وقدره.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَىٰ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ حَتَّىٰ يَمُوتَ**»(١).

ثم إن بني آدم لا يتحملون ذلك.

فالجبل الذي هو أقوىٰ بكثير من بني آدم لما تجلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ له جعله دكًّا، وخر موسىٰ صعقًا، قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وكذلك قوم موسىٰ، قال الله في شأنهم: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥].

وقد قال رسول الله ﷺ في شأن ربه -تبارك وتعالىٰ-: «**حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٩٣١).

(٢) الحديث صحيح، وقد أخرجه مسلم في صحيحه، وسيأتي -إن شاء الله-.

وهل يُرى الله عَزَّوَجَلَّ في المنام

أقول -وبالله التوفيق-:

الخبر الوارد في ذلك عن رسول الله ﷺ، وفيه: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صَورَةٍ»(١). يعني في المنام؛ في ثبوته نزاع كما أسلفت، وأرجح عدم صحته، وأنه معلول، وقد نقل عن بعض السلف أنهم رأوا الله في المنام، وليُعلم أن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

أما في الآخرة فالمؤمنون يرون ربهم يوم القيامة:

* قال الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. وقد فسَّر الجمهور الزيادة بأنها النظر إلىٰ وجه الله يوم القيامة، وورد بذلك حديث عن رسول الله ﷺ(٢).

---

(١) وهو ما أخرجه أحمد وغيره من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد اختلف في صحابيه، وفيه: أن رسول الله ﷺ قال: «أَتَانِي رَبِّيَ اللَّيْلَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ -أَحْسَبُهُ يَعْنِي فِي النَّوْمِ- فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَىٰ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا. فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّىٰ وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ -أو قال: نَحْرِي- فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَىٰ؟».. الحديث وسيأتي مطولًا -إن شاء الله- في باب الصورة، في كتاب الصفات.

(٢) أخرج مسلم (١٨١) من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، عن صهيب، عن النبي ﷺ، قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ عَزَّوَجَلَّ».

وفي زيادة عن مسلم:... ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. وقد =

* وصح عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»(١).

* وأخرج البخاري ومسلم(٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟**». قالوا: لا يا رسول الله. قال: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**». قالوا: لا، يا رسول الله. قال: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كذلك...**».

* وأخرج البخاري ومسلم(٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسًا في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «**نَعَمْ**». قال: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟**». قالوا: لا، يا رسول الله. قال: «**مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا...**». وذكر النبي ﷺ الحديث مطولًا وفيه: «**حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَىٰ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﷻ فِي أَدْنَىٰ صُورَةٍ مِنَ الصُّورَةِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ.**

= انتقد الدارقطني هذا الحديث علىٰ الإمام مسلم رحمه الله.

وحاصل الانتقاد: أن حماد بن زيد، ومعمر بن راشد، وحماد بن واقد، وسليمان بن المغيرة؛ رووه عن ثابت، عن ابن أبي ليلىٰ قوله لم يبلغ به صهيبًا، ولا النبي ﷺ. انظر: «التتبعات» للدارقطني.

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٤)، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ إذ نظر إلىٰ القمر ليلة البدر، قال: «**إِنَّكُمْ...**». فذكر الحديث.

(٢) البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

(٣) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

قَالُوا: يَا رَبَّنَا فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا (مرتين أو ثلاثًا) حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا. فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً[1] كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَىٰ قَفَاهُ ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا...». الحديث.

* أما الكفار فلا يرون ربهم يوم القيامة؛ قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

* وبها استدل أهل العلم علىٰ رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة؛ أعني من المفهوم المخالف، والله أعلم.

دفع اشتباه

وترد هنا آيتان يلزم بيانهما؛ لدفع ما قد يبدو متعارضًا:

الأولىٰ: قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

والثانية: قوله تعالىٰ لموسىٰ عليه السلام: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

* أما قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فإن الإدراك شيءٌ، والرؤية شيءٌ آخر.

فقد تحصل الرؤية، ولا يحصل الإدراك؛ قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ

(١) وفيه دليلٌ علىٰ أن المنافق يرىٰ ربه يوم القيامة.

قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢].

فرأىٰ قوم فرعون موسىٰ ومن معه، ورأىٰ موسىٰ ومن معه فرعون ومن معه، ولكن لم يحصل الإدراك.

أما قوله تعالىٰ لموسىٰ عليه السلام: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾. فهذا في الدنيا، كما هو واضحٌ، والله أعلم.

وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة المعراج

لم أقف علىٰ نص صريح عن رسول الله ﷺ يُفيد ذلك، ولكنه -صلوات الله وسلامه عليه- سئل عن ذلك فقال: «**رَأَيْتُ نُورًا**». وفي رواية أخرىٰ: «**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ**»(١).

وقد صح عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ..**». فذكر الحديث، وفيه: «**حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»(٢).

أما الصحابة رضي الله عنهم فقد اختلفت أقوالهم في ذلك؛ فنفت عائشة ذلك أشدَّ النفي، فقد أخرج مسلمٌ من طريق مسروق(٣)، قال: كنت متكئًا عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة! ثلاثٌ من تكلم بواحدة منهنَّ فقد أعظم علىٰ الله الفرية. قلت: ما هن؟ قالت: مَن زعم أن محمدًا ﷺ رأىٰ ربه، فقد أعظم علىٰ الله الفرية.

---

(١) مسلم (١٧٨).

(٢) مسلم (١٧٩).

(٣) مسلم حديث (١٧٧) واللفظ له، والبخاري (٤٨٥٥).

قال: وكنت متكئًا فجلست. فقلت: يا أم المؤمنين! أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]. ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]. فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَىٰ صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ**».

فقالت: أولم تسمع أن الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؟ أولم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورىٰ: ٥١]؟ قالت: ومَنْ زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئًا من كتاب الله؛ فقد أعظم علىٰ الله الفرية، والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]. قالت: ومَنْ زعمَ أنه يخبر بما يكون في غدٍ؛ فقد أعظم علىٰ الله الفرية، والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

أما ابن عباس[(١)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقد أثبت ذلك، فقد صح عنه أنه قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسىٰ، والرؤية لمحمد ﷺ.

وأخرج مسلم[(٢)] عن ابن عباس، قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]. قال: رآه بفؤاده مرتين.

فالذي يبدو لي - والله تعالىٰ أعلم -: أن النبي ﷺ لم ير ربه بعينيه؛ وذلك لعدم وجود دليل مرفوع صحيح بذلك، بل ولأن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَمَا كَانَ

---

(١) ابن أبي عاصم في السنة (٤٤٢)، والنسائي في الكبرىٰ (١١٥٣٩).

(٢) مسلم حديث (١٧٦).

لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١]. ولقوله ﷺ: «**حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ؛ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**». والله أعلم.

بعض ما جاء في العرش[1] وحملته

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦].

وقال تعالىٰ: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۖ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧- ٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٧٥]. وقال تعالىٰ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

---

(١) الحديث الذي فيه: «مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ». كل طرقه ضعيفة.

فحملة العرش يوم القيامة ثمانية من الملائكة الكرام، كما تقدَّم في الآية الكريمة.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلىٰ أن حملة العرش في الدنيا أربعة، وذكروا أن أحدهم رأسه رأس ثورٍ، والثاني رأسه رأس أسد، والثالث رأسه رأس نسر، والرابع رأسه رأس إنسان، واستدل بعضهم لذلك بما ورد من أشعار فيها:

رَجُلٌ وَثَوْرٌ تحتَ رِجْلِ يَمِينِهِ والنَّسْرُ لِلأُخْرَىٰ وَلَيْثٌ مرْصَدُ

ولا يصح هذا عن رسول الله ﷺ، والله تعالىٰ أعلم.

وقد صح في العرش من الأحاديث ما يلي:

* قول رسول الله ﷺ في دعاء الكرب، الذي أخرجه البخاري ومسلم: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ، وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمُ**»(١).

* وفي الصحيحين(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنه قال: «**لَمَّا قَضَىٰ اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**».

* وفي الحديث أيضًا، أن النبي ﷺ قال: «**فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي، أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ**»(٣).

* وقد أخرج أبو داود في سننه، بسندٍ صحيح، عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «**أُذِنَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٣٠).

(٢) البخاري (٣١٩٤) في عدة مواطن، ومسلم (٢٧٥١).

(٣) البخاري، ومسلم.

لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ إِلَىٰ عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ»[(١)]. ومتنه غريب.

والعرش سرير الملك[(٢)]، وربنا الرحمن مستوٍ علىٰ العرش؛ قال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾. والجنة في السماء السابعة، والفردوس أعلىٰ مكان في الجنة، والعرش عرش الرحمن فوق الفردوس.

دلَّ علىٰ ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه[(٣)] بسنده إلىٰ رسول الله ﷺ أنه قال: «... **فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَعْلَىٰ الْجَنَّةِ، وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ**...».

قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

أقول -وبالله التوفيق-: لم أقف علىٰ أي خبر صحيح عن رسول الله ﷺ في شأن الكرسي ووصفه، والأخبار التي وقفت عليها عن رسول الله ﷺ في هذا الصدد؛ كلها ضعيفة[(٤)].

---

(١) أبو داود، بسندٍ صحيح (٤٧٢٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات، حديث (٨٤٦) وغيرهما، وللحديث شواهد أيضًا عند الحاكم (٤/ ١٩٧)، ومسند أبي يعلىٰ (٦٦١٩)، وغير ذلك.

(٢) وقد قال الهدهد لسليمان عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣]. وقال سليمان عليه السلام: ﴿نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا...﴾ [النمل: ٤١].

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦/ ١١).

(٤) كحديث: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ»، وحديث: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ»، وحديث: «إِنَّ كُرْسِيَّهُ وَسِعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَإِنَّهُ لَيَقْعُدُ مِنْهُ مِقْدَارَ أَرْبَعَ أَصَابِعَ». وكلها ضعيفة، لا تصح عن رسول الله ﷺ.
=

أما عن أقوال أهل العلم في هذا الصدد؛ فأكثر أقوال أهل العلم علىٰ أن **المراد بالكرسي موضع القدمين**.

ومن أهل العلم من قال: إن الكرسي هو العلم، فقال: ﴿كُرۡسِيُّهُ﴾: علمه.

وقال آخرون: إن الكرسي هو العرش نفسه.

إقرار أهل الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ ربًّا وخالقًا ورازقًا، ومالكًا (توحيد الربوبية)

أقول -وبالله التوفيق-:

إن أهل الشرك الذين أرسل إليهم رسول الله ﷺ لم يكونوا يجحدون الله عَزَّوَجَلَّ، بل كانوا يقرون به -تبارك وتعالىٰ-؛ بل ويسألونه ويحجون إلىٰ بيته الحرام.

= **تنبيه**: الوارد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير الكرسي بالعلم ضعيف الإسناد؛ فقد أخرجه غير واحد من أهل العلم؛ منهم عبد الله بن أحمد في السنة (١٠٥٢)، من طريق يعقوب بن عبد الله القمي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾. قال: «علمه وسع السموات والأرض»، ويعقوب القمي لم يدرك سعيد بن جبير؛ فهو منقطع، وقد ورد من طريق يعقوب القمي نا جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أي بإدخال جعفر بين يعقوب وسعيد بن جبير، إلا أن جعفرًا وهو ابن أبي المغيرة ضعيف في سعيد بن جبير.

فالأثر لا يثبت من هذه الوجوه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. والله أعلم.

وورد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بإسنادٍ يُحسَّن، عند عبد الله بن أحمد في السنة (٤٤٠، ٤٤٤) قال -أي ابن عباس-: «إن الكرسي الذي وسع السموات والأرض لموضع قدميه».

والأدلة علىٰ ذلك كثيرة جدًّا، أُذكِّر ببعضها، فمن ذلك:

* قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥].

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧].

* وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

* وقال تعالىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ [النحل: ٣٥].

والنصوص في هذا كثيرةٌ جدًّا كما أسلفت.

* وكانوا يحلفون بالله عَزَّوَجَلَّ:

قال تعالىٰ: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨]. ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦].

بل وقد كان يدعونه ويسألونه في الملمات والمُهمات، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٢، ٣٣].

لقد كانوا يعبدون الأصنام ظانين أنهم تقربهم من الله عَزَّوَجَلَّ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وقد كانوا يحجون ويتصدقون...

والنصوص في هذا الباب كثيرة جدًّا.

فالحاصل: أنهم كانوا يقرون بالله عَزَّوَجَلَّ ربًّا، وخالقًا؛ ولكنهم كانوا يشركون

بالله عَزَّوَجَلَّ، يجعلون معه آلهة أخرىٰ، ويتوجهون بالعبادة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وإلىٰ غيره من الشركاء الذين زعموهم شركاء لله واتخذوهم آلهة مع الله، فأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، وعبدوا مع الله آلهة أخرىٰ.

أما أهل الإيمان، أهل التوحيد، أهل الإسلام؛ فقد أفردوا الله عَزَّوَجَلَّ فلم يجعلوا معه إلهًا آخر، ولم يعبدوا معه إلهًا غيره، ولم يتوكلوا إلا عليه ولم يسألوا أحدًا سواه، علموا أنه إله واحد، وأنه الخالق الرازق، الحي القيوم له الأسماء الحسنىٰ.

فأفردوه بكل صور العبادة، وأقروا له بالربوبية والألوهية والملك، فهو ربهم وملكهم وإلههم، ولم يجعلوا له شريكًا ولم يتخذوا من دونه وكيلًا ولا وليًّا ولا نصيرًا.

فلذا لزم أن نتعرف علىٰ العبادة وصورها، وكيف أنها لا تُصرف إلا لله عَزَّوَجَلَّ، فما دمنا قد أقررنا بالله ربًّا وخالقًا، وأقررنا له بالوحدانية؛ فمن ثَمَّ لزمنا أن نتجه بعبادتنا جميعها إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده لا شريك له، وهذا الذي يسميه بعض العلماء (توحيد الإلهية)، وهذا تفصيله.

فصل في توحيد الألوهية
وبيان حق الله على العباد وحق العباد على الله
وبيان صور العبادة وأنها لا تصرف لغير الله عز وجل

أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «**يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ؟!!**» قلت: الله

(١) البخاري (٢٨٥٦) ومسلم (٣٠).

ورسوله أعلم. قال: «**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**».

أما عن تعريف العبادة فهي اسم جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من النوايا والأقوال والأعمال، وهي أعظم حق لله علينا كما تقدم.

أما وقد علمنا أن الله واحد لا شريك له، وأنه ربنا وخالقنا ورازقنا ومحيينا ومميتنا، وأنه المعز والمذل القابض الباسط، وأن له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، وأن له الخلق والأمر، فالخلق خلقه والملك ملكه، فلا يسعنا إذن أن نتجه بالعبادة لغيره، فهو رب الناس وملكهم وإلههم يتوجهون بعبادتهم له، ولا يرجون أحدًا سواه.

وها هي طائفة من أمور العبادة وكونها لا تصرف إلا لله عَزَّوَجَلَّ، ها هي أبواب في توحيد الإلهية.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

أما عن معنىٰ الأنداد؛ فالمراد الأمثال، والأكفاء، والنظراء، والعدلاء.

وأعظم ذنب يرتكبه الناس؛ أن يجعلوا لله عَزَّوَجَلَّ ندًّا، وقد سئل النبي ﷺ عن ذلك، فأجاب، فسأله عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في الصحيحين[(١)]: أي الذنب

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٤٧٧)، ومسلم حديث (٨٦)، وفي بعض الطرق في الصحيحين أيضًا: فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ تصديقها: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ =

أعظم يا رسول الله؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**». قال: قلت له: إن ذلك لعظيم. قال: قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**». قال: قلت: ثم أي؟ قال: «**أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**».

وقد أخرج البخاري ومسلم، من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «**يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ؟**». قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟**». قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**أَلَّا يُعَذِّبَهُمْ**»(١).

بعض صور جعل الأنداد لله عَزَّوَجَلَّ

من هذه الصور: قول القائل: ما شاء الله وشاء فلان. وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ. وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ ما شَاءَ فُلَانٌ**»(٢).

* ومنها قول القائل: مطرنا بنوء كذا ونوء كذا(٣).

* ومنها الحلف بغير الله عَزَّوَجَلَّ.

= إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٨].

(١) أخرجه البخاري حديث (٧٣٧٣)، ومسلم (ص ٥٩)، وفي بعض الطرق: «**أَلَّا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**».

(٢) أخرجه أبو داود (٥/ ٢٥٩)، وابن ماجه (٢١١٨)، وأحمد (٥/ ٧٢ و٣٨٤ و٣٩٨) من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٣) وسيأتي الحديث بذلك بتمامه في باب: الأنواء -إن شاء الله-.

* ومنها ما درج عليه العامة: لولا الكلب لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لما قبضنا علىٰ اللصوص[(١)].

وقول الأطفال في بعض الدول: (علي يا أبو مخ خلِّي الدنيا تُرخ، علي يا أبو مركب خلِّي الدنيا تكركب). وكأن هذا مأخوذ من إحدىٰ فرق الضلال الذين يزعمون أن عليًّا في السحاب يسيرها ويُجريها.

* ومنها السجود لغير الله عَزَّوَجَلَّ.

* ومنها تشريع شرعة غير شرعة الله عَزَّوَجَلَّ، يُحكم بها العباد، ويقضي عليهم بها؛ قال تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورىٰ: ٢١]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

* ومن أعظمها دعاء غير الله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم في «التفسير» (أثر ٢٣٠) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾. قال: الأنداد هو الشرك أخفىٰ من دبيب النمل علىٰ صفاة سوداء، في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلانة وحياتي. ويقول: لولا كلبه هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتىٰ اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت. وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها (فلان)؛ فإن هذا كله به شرك. وفي إسناده شبيب ابن بشر، وثقه قومٌ، وضعفه آخرون.

❋ **ومنها محبة غير الله وطاعته كمحبة الله وطاعته، قال تعالىٰ:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فصلٌ في الدعاء(١)
وبيان أنه عبادة لا تصرف لغير الله عَزَّوَجَلَّ،
وأن مَنْ يدعو غير الله تعالى فقد أشرك

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

* وقد قال النبي ﷺ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»(٢). ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ ...﴾.

ومما يدل علىٰ أن الدعاء عبادة أيضًا:

قول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٤٨، ٤٩].

ففي صدر الآية: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾. ثم جاء بعد ذلك: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾. فدل ذلك علىٰ أن الدعاء عبادة.

* وكذلك في أحد أقوال المفسرين لقول الفتية أصحاب الكهف: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾ [الكهف: ١٤]. أي: لن نعبد غيره.

* وفي الحديث، عن رسول الله ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»(٣).

---

(١) ولي كتاب مفصلٌ في هذا الباب وهو: (فقه الدعاء).

(٢) الحديث أخرجه الترمذي (٥/ ٣٧٤)، وأبو داود (٣٥٩)، وأحمد (٤/ ٢٧١)، وغيرهم، وسنده صحيح.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٢٧٦٣)، والترمذي (٢٥١٦)، وعبد بن حميد في المنتخب (٢٣٦) وغيرهم.

ومن الوارد في الحث علىٰ الدعاء أيضًا:

قول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥، ٥٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥].

* أخرج الإمام مسلم[1] في صحيحه، من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ فيما روىٰ عن الله -تبارك وتعالىٰ- أنه قال: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَىٰ أَتْقَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَىٰ أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي**

---

(١) مسلم حديث (٢٥٧٧).

فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يُنْقِصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ».

ومن الدليل علىٰ ضلال من دعا غير الله، وبيان أنه قد أشرك:

* قول الله جل ذكْرُهُ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

* وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٦ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٦، ١٠٧].

* وقوله تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤].

* وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

* وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

* وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٠].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

* وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف: ١٩٤، ١٩٦].

والآيات في هذا الصدد كثيرة جدًّا.

* **فالدعاء مفتاحٌ لكل خير، ومغلاق لكل شر،** ويُستجلب به كلُّ نفعٍ، ويُدفعُ به كل ضُرٍّ.

ولذا فإن الدعاء كان ولا يزالُ شعارًا للأنبياء والصالحين(١)، يدعون الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يدعون أحدًا سواه.

* فهل اجتبىٰ الله آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتاب عليه وهداه، إلا بعد أن تلقىٰ آدم من ربه كلمات فدعاه بها؟!!

* وهل فُتحت أبواب السماء بماء منهمر، وفُجِّرت الأرض عيونًا، فالتقىٰ الماء علىٰ أمر قد قُدِرَ، وحمل نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ ذات ألواح ودُسر، إلا بعد أن دعا ربه: ﴿أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠]. وكذلك بعد أن دعا فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

---

(١) بل وغير الصالحين كذلك، فإنهم كانوا إذا مسهم الضر في البحر ضل من يدعون إلا إياه.

* وخليل الله إبراهيم عليه السلام هل أنجاه الله من النار إلا بعد قوله: حسبنا الله ونعم الوكيل؟!

وهل بُشِّر بغلام حليم إلا بعد دعائه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠].

وهل أنعم الله عليه وأنجاه وزوجته سارَّة عليها السلام من الجبار، وكف الله يد الكافر الجبار عنها إلا بعد دعاء إبراهيم وسارَّة عليهما السلام[(١)]؟!

* وكذلك هاجر عليها السلام التي هي أم نبي الله إسماعيل ﷺ، ومن ذريته نبينا محمد ﷺ، هل ساقها الله لسارة[(٢)]، إلا بعد دعاء سارَّة: اللهم كف يد الكافر؟!

* وهل نال إبراهيم عليه السلام هذه المراتب العليَّة، والثناء الحسن -ومنه أننا نصلي عليه في كل صلاة- إلا بعد دعائه: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

* ولوط عليه السلام هل أنجاه الله، وأهلك أعداءه إلا بعد دعائه: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٩].

* ويونس ﷺ هل أنجاه الله من الغم إلا بعد أن نادىٰ في الظلمات: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

* وأيوب عليه السلام هل كشف الله ما به من ضرٍّ[(٣)] إلا بعد دعائه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ

---

(١) ولعل الحديث بذلك يأتي -إن شاء الله-.

(٢) ولعل الحديث بذلك يأتي -إن شاء الله-.

(٣) وليس معنىٰ ذلك أن الله لا يكشف الضر إلا بعد دعاء العبد، فقد يكشف الله الضر بلا دعاء، وقد ينصر بلا دعاء، وقد يرزق بلا دعاء، ولكن الدعاء من باب الأسباب والمسببات كما هو معلوم، والله تعالىٰ أعلم.

ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

* وداود عليه السلام هل قتل جالوت، وأتاه الله المُلك والحكمة، وعلمه مما يشاء إلا بعد أن دعا هو ومن معه من المؤمنين: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

* وسليمان عليه السلام هل سخرت له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بنَّاء وغوَّاص وآخرين مقرنين في الأصفاد؟! وهل أسَالَ الله له عين القِطر، وأفهمه لغة الطير والنمل، إلىٰ غير ذلك مما مَنَّ الله به عليه وأنعم إلا بعد أن دعا فقال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [ص: ٣٥]؟!

* وزكريا عليه السلام هل وهب الله له يحيىٰ، وأصلح له زوجه إلا بعد أن دعا فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩]؟!

وبعد أن دعاه، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وقال: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]؟!

* وهل حفظ الله مريم وابنها، وذهب الشيطان يطعن فطعن في الحجاب، ولم يُصبها بأذىٰ وهل جعلها الله وابنها آية للعالمين إلا بعد أن دعت أمها فقالت: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]؟!

* ونبينا محمد ﷺ يدعو الله، فيقول: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَوْ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ**». فيهدي الله عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه، ويبلغ من المكانة ما بلغ.

* ويدعو لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»[(١)]، فيبلغ من العلم مبلغًا لا يُبارىٰ، ولا يُدرك، حتىٰ إن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: (لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجل)[(٢)]، ويقول ابن مسعود أيضًا: (نعم ترجمان القرآن ابن عباس)[(٣)].

* وأنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لما دعا له رسولُ الله ﷺ بقوله: «**اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالًا وَوَلَدًا وَبَارِكْ لَهُ**». قال: فإني لمن أكثر الأنصار مالًا، وحدثتني ابنتي أُمينة أنه دفن لصلبي مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة[(٤)].



(١) بهذا اللفظ عند أحمد (١/ ٣٢٨)، **وسنده حسن**، وانظر تخريجه في كتابنا: «الصحيح المسند من فضائل الصحابة».

(٢) **موقوف صحيح**: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٢٦٨).

(٣) **موقوف صحيح**: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٢٦٩).

(٤) البخاري حديث (١٩٨٢).

باب: في اللعن

ابتداء فلا يجوز لأحدٍ أن يقطع بأن الله لعن شخصًا ما بعينه، أي: طرده من رحمته، إلا الذين سماهم الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، فمن ثَمَّ فلا يجوز لأحد أن يقول: (لعن الله فلانًا) علىٰ سبيل الإخبار، إلا الذين سماهم الله ورسوله.

أما عن الدعاء باللعن:

فابتداء فينبغي أن يُتقىٰ لعن الأشخاص المعينين، وينبغي أن يحفظ اللسان، ولا يستطرد في اللعن، فإن الإكثار من اللعن سبب لدخول النار.

* ففي «الصحيح»[(١)]، من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**». فقالت امرأة منهن جزلةٌ: وما لنا، يا رسول الله أكثر أهل النار؟! قال: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ..**». الحديث.

فبين النبي ﷺ أول ما بين من أسباب دخولهن النار، كونهن يكثرن اللعن.

* وفي «صحيح مسلم»[(٢)]، من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

---

(١) مسلم حديث (٧٩).

(٢) مسلم حديث (٢٥٩٨) من طريق زيد بن أسلم، أن عبد الملك بن مروان بعث إلىٰ أم الدرداء بأنجاد -الأنجاد، هو: متاع البيت الذي يزينه من فرش ونمارق وستور- من عنده، فلما أن كانت ذات ليلة، قام عبد الملك من الليل، فدعا خادمه، فكأنه أبطأ عليه فلعنه، فلما أصبح قالت له أم الدرداء: سمعتُك الليلة لعنت خادمك حين دعوته، فقالت: سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

* وفي «صحيح مسلم»[١]، كذلك من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار علىٰ ناقةٍ، فضجرت فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ**». قال عمران: فكأنِّي أراها الآن تمشي في الناس ما يعرضُ لها أحد.

* وعند مسلم[٢] أيضًا من حديث أبي برزة الأسلمي، قال: بينما جارية علىٰ ناقة، عليها بعض متاع القوم إذ بصرت بالنبي ﷺ، وتضايق بهم الجبل، فقالت: حَلْ[٣] اللهم العنها. قال: فقال النبي ﷺ: «**لَا تُصَاحِبُنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ**».

* وفي رواية لمسلم: «**لَا ايْمُ اللهِ، لَا تُصَاحِبُنَا رَاحِلَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ مِنَ اللهِ**».

* وفي «صحيح مسلم»[٤] كذلك من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا**».

* وفي «صحيح مسلم»[٥] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قيل: يا رسول الله، ادع علىٰ المشركين[٦] قال: «**إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً**».

* وقد أخرج البخاري[٧]، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الآخرة من الفجر يقول: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ**

---

(١) مسلم حديث (٢٥٩٥).

(٢) مسلم حديث (٢٥٩٦).

(٣) حل: كلمة زجر للإبل.

(٤) مسلم حديث (٢٥٩٧).

(٥) مسلم حديث (٢٥٩٩).

(٦) سيأتي بحث في الدعاء علىٰ المشركين -إن شاء الله-.

(٧) البخاري حديث (٤٠٦٩).

فُلَانًا، وَفُلَانًا، وَفُلَانًا بَعْدَمَا يَقُولُ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾. إلىٰ قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]».

* وعند البخاري(١)، أيضًا، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ: ﷺ: كان إذا أراد أن يدعو علىٰ أحد، أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع، فربما قال إذا قال: سمع الله لمن حمده: «**رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ، وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَىٰ مُضَرَ، وَاجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِنِيِّ يُوسُفَ**». يجهر بذلك. وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر: اللهم العن فلانًا وفلانًا -لأحياء من العرب- حتىٰ أنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية [آل عمران: ١٢٨].

وهذا مزيد تفصيل في مسألة اللعن:

فنورد ما يتعلق بلعن الكفار جملة، ثم ما ورد في لعن الكافر المعين، ثم ما ورد في لعن العصاة مطلقًا، ثم ما ورد في لعن العاصي المُعين.

فنقول -وبالله التوفيق-:

*** أما الكفار جملة فيجوز لعنهم، وقد دلَّت علىٰ ذلك عدة أدلة، فمنها:**

قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

---

(١) البخاري حديث (٤٥٦٠) وانظر ما ذكره الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالىٰ- (الفتح ٨/ ٢٢٧ ط. دار المعرفة)، ومسلم حديث (٦٧٥) وعند مسلم: ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. قلت: وهذا بلاغٌ في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله تعالىٰ -في شأن قوم فرعون-: ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً﴾ [هود: ٩٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٨]. والآيات في هذا الباب كثيرة جدًّا.

* **أما الكافر المعين، ففي لعنه خلاف،** فمن العلماء من منع من لعنه محتجًّا بالعمومات التي ذكرناها من قبل في كراهية اللعن، واحتجوا أيضًا بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١]. فقال هذا الفريق: إننا لا ندري بم يُختم لهذا الكافر، واللعنة إنما تكون للكافر الذي مات علىٰ الكفر -والعياذ بالله-.

واحتج لهم أيضًا بأن النبي لما لعن أقوامًا بأعيانهم نزل قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

* **ومن العلماء من جوَّز لعن الكافر المعين** محتجًّا بأن النبي ﷺ لعن الحكم وما ولد[(١)]، واحتج أيضًا بما أخرجه مسلم[(٢)]، في «صحيحه» من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علىٰ رسول الله ﷺ رجلان فكلماه بشيء لا أدري ما هو فأغضباه، فلعنهما وسبهما.

* **قال القاضي ابن العربي رحمه الله (أحكام القرآن) (٥٠/ ١):**

والصحيح عندي: جواز لعنه؛ لظاهر حاله، كجواز قتاله وقتله.

قال: وقد رُوي أنه ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ إِنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ هَجَانِي، قَدْ عَلِمَ**

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٥) بسند صحيح، وله طرق أوردها شيخنا مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله في كتابه «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٥/ ٢٥٧).

(٢) مسلم حديث (٢٦٠٠).

أَنِّي لَسْتُ بِشَاعِرٍ فَالْعَنْهُ، اللَّهُمَّ وَاهْجُهُ عَدَدَ مَا هَجَانِي»[(١)]. فلعنه، وقد كان إلىٰ الإسلام والدين والإيمان مآله، وانتصف بقوله: «**عَدَدَ مَا هَجَانِي**». ولم يزد؛ ليعلم العدل والإنصاف والانتصاف، وأضاف الهجو إلىٰ الباري ﷻ في باب الجزاء دون الابتداء بالوصف له بذلك، كما يضاف إليه الاستهزاء والمكر والكيد، سبحانه وتعالىٰ عمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

قلت: واستدل بعض أهل العلم علىٰ جواز لعن الكافر، بأن النبي ﷺ لما أُتي بشارب خمر؛ ليحده قال بعض الصحابة في شأن هذا الشارب: (لعنك الله، ما أكثر ما يؤتىٰ بك!) فقال رسول الله ﷺ: «**لَا تَلْعَنُوهُ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**»[(٢)]. قالوا: فدل علىٰ أن من لا يحب الله ورسوله يُلعن، والله تعالىٰ أعلم.

*** أما العصاة جملة فيجوز لعنهم؛ لقوله -عليه الصلاة والسلام-:**

«**لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ، فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ**»[(٣)].

---

(١) أشار الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ- إلىٰ ضعف هذا الحديث بقوله: وقالت طائفة أخرىٰ: بل يجوز لعن الكافر المعين، واختاره الفقيه أبو بكر بن العربي المالكي؛ ولكنه احتج فيه بحديث فيه ضعف.

قلت: وفي إسناده عيسىٰ بن عبد الرحمن بن فروة، وهو ضعيفٌ جدًّا، انظر: «الميزان» حديث (٦٥٨٣) وقد حكم عليه الذهبي هناك بإنكاره.

(٢) أخرج البخاري حديث (٦٧٨٠)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رجلًا كان علىٰ عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يُلقب حمارًا، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب -يعني: شراب الخمر-فأتىٰ به يومًا فأمر به فجلد فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتىٰ به. فقال النبي ﷺ: «**لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ** -ما علمت معناها: لقد علمت، أو ما علمت عليه إلا أنه يحب الله ورسوله، وثمَّ أقوال آخر تدور حول هذا المعنىٰ، والله تعالىٰ أعلم- **أَنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**».

(٣) أخرجه البخاري حديث (٦٧٨٣)، ومسلم حديث (١٦٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

وقوله ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ**»(١). إلىٰ غير ذلك من الأحاديث في هذا الباب.

وقد قال القاضي أبو بكر ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ «أحكام القرآن»: وأما لعن العاصي مطلقًا؛ فيجوز إجماعًا.

* **وأما العاصي المعين:** فقد قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: فأما العاصي المعين؛ فلا يجوز لعنه اتفاقًا؛ لما روي أن النبي ﷺ جيء عنده بشارب خمر مرارًا، فقال بعض من حضره: ما له لعنه الله، ما أكثر ما يؤتىٰ به! فقال النبي ﷺ: «**لَا تَكُونُوا أَعْوَانًا لِلشَّيْطَانِ عَلَىٰ أَخِيكُمْ**»(٢)، فجعل له حرمة الأخوة، وهذا يوجب الشفقة، وهذا حديث صحيح.

قلت: واستدل بعض أهل العلم علىٰ المنع كذلك بحديث: «**لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ**»(٣).

وقد يستدلُّ البعض علىٰ جواز لعن العاصي المعين بحديث: «**أَيُّمَا رَجُلٍ**

---

(١) أخرج البخاري من حديث أبي جحيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث (٥٩٦٢)، أن النبي ﷺ لعن آكل الربا وموكله، وأخرج مسلم حديث (١٥٩٨) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله، وكاتبه وشاهديه، وقال: «**هم سواء**».

(٢) أخرج البخاري حديث (٦٧٨١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أُتي النبي ﷺ بسكران فأمر بضربه، فمنَّا من يضربه بيده، ومنا من يضربه بنعله، ومنا من يضربه بثوبه، فلما انصرف قال رجل: ما له -أخزاه الله تعالىٰ-؟ ! فقال رسول الله ﷺ: «**لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَىٰ أَخِيكُمْ**».

(٣) أخرج البخاري (٦٠٤٧)، ومسلم (حديث ١١٠، ص ١٠٤) من حديث ثابت بن الضحاك -وكان أصحاب الشجرة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ مِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَلَيْسَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ».

دَعَا امْرَأَتَهُ إِلَىٰ فِرَاشِهِ فَأَبَتْ لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّىٰ تُصْبِحَ»[(١)]. ولكن هذا عندي في غير المعين أيضًا، وعلىٰ كل حال فينبغي للمسلم أن يحترز من الإكثار من اللعن، وخاصة ما يتعلَّق بلعن المسلمين؛ وذلك لقول النبي ﷺ: «لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا»[(٢)]. ولحديث: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٣)]. ولحديث: «لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ».

بابٌ في الاستعاذة
وبيان أنها لا تكون إلا بالله عَزَّوَجَلَّ

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ١، ٢]. وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ١- ٤].

* وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

* وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

---

(١) أخرج البخاري حديث (٥١٩٤)، ومسلم حديث (١٤٣٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّىٰ تُصْبِحَ».

(٢) مسلم (٢٥٩٧).

(٣) مسلم (٢٥٩٨).

* وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَزَل مَنْزِلًا، فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»(١).

وعن معنى الاستعاذة

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ(٢):

والاستعاذة هي: الالتجاء إلىٰ الله تعالىٰ، والالتصاق بجنابه؛ من شر كل ذي شرٍّ، والعياذة تكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب جلب الخير كما قال المتنبي:

يـا مـن ألـوذ بـه فيمـا أؤملـه ... ومـن أعـوذ بـه ممـن أحـاذره

لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره ... ولا يهيضـون عظمًـا أنـت جـابره

وقال قبل هذا الكلام -أي ابن كثير-:

ومن لطائف الاستعاذة؛ أنها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث، وتطييب له، وهو لتلاوة كلام الله.

وهي استعانة بالله عَزَّوَجَلَّ، واعتراف له بالقدرة، وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطن، الذي لا يقدر علىٰ منعه ودفعه إلا الله الذي خلقه، ولا يقبل مصانعة، ولا يدارىٰ بالإحسان، بخلاف العدو من نوع الإنسان، كما دلت علىٰ ذلك آيات من القرآن.

ومعنىٰ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: أي: أستجير بجناب الله من الشيطان

---

(١) صحيح: مسلم (٢٧٠٨).

(٢) في تفسيره (١/ ١٥).

الرجيم؛ أن يضرني في ديني ودنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني علىٰ فعل ما نهيت عنه، فإن الشيطان لا يكفُّه عن الإنسان إلا الله ﷻ؛ ولهذا أمر الله تعالىٰ بمصانعة شيطان الإنس ومداراته؛ بإسداء الجميل إليه؛ ليرده طبعه عمَّا هو فيه من الأذىٰ، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن؛ لأنه لا يقبل رشوة، ولا يؤثر فيه جميل؛ لأنه شرير بالطبع، ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه.

وهذا المعنىٰ في ثلاث آيات من القرآن الكريم لا أعلم لهن رابعًا:

قوله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وهذا فيما يتعلق بمعاملة الأعداء من البشر، ثم قال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقال تعالىٰ في سورة «قد أفلح المؤمنون»: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٦-٩٨].

وقال تعالىٰ في سورة «حم» السجدة: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٦]. ثم شرع رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير معنىٰ الشيطان.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التفسير القيم (تفسير المعوذتين):

في المستعاذ، وهو الله وحده، رب الفلق، ورب الناس، ملك الناس، إله الناس، الذي لا ينبغي الاستعاذة إلا به، ولا يُستعاذ بأحد من خلقه، بل هو الذي

يعيذ المستعيذين، ويعصمهم، ويمنعهم من شر ما استعاذوا من شره، وقد أخبر تعالىٰ في كتابه عمن استعاذ بخلقه: أن استعاذته زادته طغيانًا ورهقًا، فقال حكاية عن مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]. جاء في التفسير: أنه «كان الرجل من العرب في الجاهلية إذا سافر فأمسىٰ في أرض قفر، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه. فيبيت في أمن وجوار منهم، حتىٰ يصبح» أي: فزاد الإنس الجن باستعاذتهم بسادتهم رهقًا؛ أي: طغيانًا، وإثمًا وشرًّا، يقولون: سُدنا الإنس والجن.

و«الرهق» في كلام العرب: الإثم، وغشيان المحارم، فزادوهم بهذه الاستعاذة غشيانًا لما كان محظورًا من الكبر والتعاظم؛ فظنوا أنهم سادوا الإنس والجن.

واحتج أهل السنة علىٰ المعتزلة، في أن كلمات الله غير مخلوقة: بأن النبي ﷺ استعاذ بقوله: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ**»(١). وهو ﷺ لا يستعيذ بمخلوق أبدًا.

ونظير ذلك: قوله: «**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ**»(٢). فدل علىٰ أن رضاه وعفوه من صفاته، وأنه غير مخلوق، وكذلك

---

(١) تقدم تخريجه، وهو صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (ص ٣٥٢)، وأبو داود (٨٧٩)، والنسائي (٢/ ٢١٠)، وابن ماجه (٣٨٤٠) من حديث أبي هريرة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي علىٰ بطن قدميه، وهو في المسجد، وهما منصوبتان، وهو يقول: «**اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**».
وأخرج النسائي (٣/ ٢٤٩) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول في آخر وتره: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ».

قوله: «**أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ**»(١). وقوله: «**أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ**»(٢). وما استعاذ به النبي ﷺ غير مخلوق، فإنه لا يستعيذ إلا بالله، أو بصفة من صفاته.

وجاءت الاستعاذة في هاتين السورتين باسم الرب، والملك، والإله.

والاستعاذة -كما تقدم- تكون بالله عَزَّوَجَلَّ وحده:

وتقدَّم قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

وكذا تقدمت بعض الأقوال في تفسيره، وهذا مزيد.

فأقول -المعنىٰ الإجمالي للآية الكريمة، والله أعلم-:

أن رجالًا من الإنس كانوا يلجئون إلىٰ الجن يطلبون منهم حمايتهم وحفظهم، ومنعهم ممن أرادهم بسوء، فلما رأت الجن منهم هذا الصنيع، ظهر للجن أن لهم فضلًا علىٰ هؤلاء الإنس فزادوهم إرعابًا، وإخافةً وذعرًا؛ حتىٰ يستمروا في اللجوء إليهم، والعوذ بهم.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «**أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ**». هذا اللفظ مذكور في قصة رجوع النبي ﷺ من الطائف بعد أن رده أهل الطائف، ولقي منهم ما لقي، عمد النبي ﷺ إلىٰ ظل حبلة من عنب، ثم قال: «**اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَهَوَانِي عَلَىٰ النَّاسِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ...**» الحديث، وفيه: «**أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ**».
وهذا الأثر عند ابن إسحاق في السيرة (ص ٤٤٤)، من طريق يزيد بن أبي زياد، عن محمد بن كعب القرظي.. الحديث، وهذا مرسل، محمد بن كعب تابعي لم يدرك النبي ﷺ.

فقوله: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾. أي: زادت الجنُّ الإنس ﴿رَهَقًا﴾. أي: خوفًا وذعرًا ورعبًا، وكذا زادتهم آثامًا بلجوئهم إليهم.

ويحتمل أيضًا أن يكون قوله: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.أي: زادوهم إثمًا وطغيانًا، أي: أن الجن ازدادت طغيانًا وارتكبت آثامًا بسبب استعاذة الإنس بهم، وكذا زادوهم استحلالًا لمحارم الله عَزَّوَجَلَّ.

أما الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد قال:

وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾. أي: كنا نرىٰ أن لنا فضلًا علىٰ الإنس؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا، أي: إذا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشًا من البراري وغيرها، كما كان عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾. أي: خوفًا وإرهابًا وذعرًا، حتىٰ يبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذًا بهم، كما قال قتادة: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾. أي: إثمًا، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة.

وقال الثوري: عن منصور، عن إبراهيم: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾. أي: ازدادت الجن عليهم جرأة، وقال السُّدي: كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضر أنا فيه، أو مالي، أو ولدي، أو ماشيتي، قال: فإذا عاذ بهم من دون الله رهقته الجنُّ الأذىٰ عند ذلك.

وقال ابن أبي حاتم(١): حدثنا أبو سعيد يحيىٰ بن سعيد القطان: حدثنا

(١) **هذا سند صحيح إلىٰ عكرمة**، لكني في ريب من سماع ابن أبي حاتم من يحيىٰ بن سعيد القطان =

وهب بن جرير: حدثنا أبي: حدثنا الزبير بن الخرِّيت، عن عكرمة قال: كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد، وكان الإنس إذا نزلوا واديًا هرب الجن، فيقول سيد القوم: نعوذ بسيد أهل هذا الوادي. فقال الجن: نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم، فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخبل والجنون، فذلك قول الله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

أما قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ [الأنعام: ١٢٨]. الآية.

فمعناه، -والله أعلم-: واذكر يوم يجمع الله تعالىٰ شياطين الإنس والجن الذين كانوا في الدنيا أولياء لبعضهم وظهراء لبعضهم، يوحي بعضهم إلىٰ بعض القول المزخرف المُزين لمجادلة المرسلين ولخداع المؤمنين، يوم يجمع الله هؤلاء كلهم فيقول للجن: يا معشر الجن، يا جماعة الجن قد أغويتم كثيرًا من الإنس فاتبعوكم علىٰ ضلالكم، ويا معشر الجن قد أضللتم عن طريق الله كثيرًا من الإنس، وهذه الآية الكريمة في معناها قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ [الأنعام: ١٢٨].

= رَحِمَهُ اللَّهُ، وفي بعض النسخ: أبو سعيد بن يحيىٰ، عن سعيد، ولا أعرف ليحيىٰ بن سعيد ولدًا كنيته أبو سعيد، إنما «أبو سعيد» كنية يحيىٰ ابن سعيد.

والذي يبدو لي -والله أعلم-: حدثنا أبو سعيد، عن يحيىٰ بن سعيد، وأبو سعيد هو الأشج، وهو: عبد الله بن الأشج، شيخ ابن أبي حاتم، وهو ثقة.

حاصل معناه -والله تعالىٰ أعلم-: أن البشر المتبعين للشياطين، الذين والوهم وأوحىٰ بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غرورًا، هؤلاء البشر يجيبون ربهم يوم القيامة قائلين: يا ربنا، استمتع بعضنا ببعض في دنيانا، وبلغنا آجالنا وأعمارنا التي قدَّرت لنا أن نعيشها في دنيانا.

أما صور استمتاع الجن بالإنس: فهي ما يلقاه من الإنس من تعظيم له، وإجلاله وتقديره، والاستعاذة به، واعتقاد أنه يعلم الغيب، ويخبر بما هو كائن ونحو ذلك.

أما استمتاع الإنس بالجن فمنها إخباره بما يسترقه من السمع، وما يعاونه به من التفريق بين المرء وزوجه، وبما يعاونه به من أمور السحر والشعوذات، وبما يصدر من الإنس من تعوذات بالجن إذا نزل بفلاةٍ من الأرض ونحو ذلك.

وكذا تشرع الاستعاذة بأسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته:

قالت مريم عليها السلام: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ [مريم: ١٨].

وأخرج البخاري[(١)]، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾. قال النبي ﷺ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**». فقال: ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ فقال النبي ﷺ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**»، قال: ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا﴾ [الأنعام: ٦٥]. فقال النبي ﷺ: «**هَذَا أَيْسَرُ**».

* وفي الباب أيضًا: ما ورد من تعليم النبي ﷺ أن يقول: «**أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**»[(٢)].

---

(١) البخاري (مع الفتح ١٣/ ٣٨٨) حديث (٧٤٠٦).

(٢) أصل الحديث عند مسلم (مع النووي ١٤/ ١٨٩) من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي أنه شكا إلىٰ رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده يجده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «ضَعْ

وتقدم قول النبي ﷺ: «**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ**»(١).

﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].

وأعود فأقول -وبالله التوفيق-:

مدار الأدعية التي يدعو بها العبد علىٰ أربعة أمور:

أولًا: تحصيل خيرٍ ليس معنا، فنسأل الله أن يعطيناه (من خيري الدنيا والآخرة).

ثانيًا: خيرٌ نحن فيه، نسأل الله أن يحفظه ولا يزول.

ثالثًا: شرٌّ نحن فيه، نسأل الله زواله.

رابعًا: شرٌّ نخشاه، نسأل الله ألا يأتي، ونسأله أن لا يحدث.

فالأول والثاني يدخلان في باب الدعاء.

والثالث والرابع دعاء أيضًا لكن يندرجان تحت باب الاستعاذة، وهذا في غالب الأحوال.

وكإيضاح لما ذكر، نقول في أدعيتنا: اللهم ارزقنا، ونتعوذ بالله من الفقر، ونسأل الله الجنة، ونعوذ به من النار، ونسأل الله أن يحفظ علينا نعمه، ونعوذ به من زوالها، ونسأل الله العافية، ونتعوذ به من العجز، والكسل، والهم والحزن، و...

= **يَدَكَ عَلَىٰ الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِاسْمِ اللهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**».

وعند ابن ماجه (٣٥٢٢) بلفظ: «أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ...».

(١) أخرجه مسلم (ص٣٥٢).

وكما أن الدعوات تشرع في الأماكن المباركة، والأوقات الطيبة، وعند حضور الملائكة، فكذلك تشرع التعوذات في أماكن الشر والفساد، وأوقات الفتن، وعند مظنة حضور الشياطين، ومن كل ما يُخشىٰ من الضرر في الدنيا أو الدِّين:

فقد كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ**»(١).

وقال ﷺ: «**وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ؛ فَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَىٰ شَيْطَانًا**»(٢).

* وأخرج أبو داود(٣)، بإسنادٍ صحيح، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: رسول الله ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكِلَابِ، وَنَهِيقَ الْحِمَارِ بِاللَّيْلِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللهِ، فَإِنَّهُنَّ يَرَيْنَ مَا لَا تَرَوْنَ**».

* وكذلك، فلما كان الشيطان يحضر عند الغضب، فقد شرع لنا التعوذ عند الغضب، قال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

* وفي الصحيحين(٤)، من حديث سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: استبَّ رجلان عند النبي ﷺ فغضب أحدهما، فاشتد غضبه حتىٰ انتفخ وجهه وتغيَّر، فقال النبي ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا، لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ**». فانطلق إليه

---

(١) البخاري (مع الفتح ١/ ٢٤٢)، ومسلم حديث (٣٧٥) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا، والمراد بالخبث: ذكران الشياطين، والخبائث: إناثهم.

(٢) البخاري (مع الفتح ٦/ ٣٥٠).

(٣) أبو داود (٥/ ٣٣٢).

(٤) البخاري (مع الفتح ١٠/ ٤٦٥)، ومسلم (مع النووي ١٦/ ١٦٣).

الرجل فأخبره بقول النبي ﷺ وقال: تعوذ بالله من الشيطان. فقال: أترىٰ بي بأس، أمجنون أنا؟! اذهب.

* ولما كان الشيطان يحضر عند الولادة، فيطعن المولود في خاصرته **شرع تعويذ الصبيان**، ففي الصحيحين[(١)]، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ إِلَّا ابْنَ مَرْيَمَ، وَأُمَّهُ**».

ثم قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

* وقد كان النبي ﷺ يعوِّذ الصبيان؛ ففي «صحيح البخاري»[(٢)] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين، ويقول: «**إِنَّ أَبَاكُمَا إِبْرَاهِيمَ كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ**».

* ولما كان الشيطان، يحاول إفساد القراءة علىٰ قارئ القرآن **شرع لقارئ القرآن التعوذ بالله من الشيطان بين يدي القراءة**.

قال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

* وأخرج مسلم[(٣)]، من حديث عثمان بن أبي العاص أنه أتىٰ النبي ﷺ

---

(١) البخاري حديث (٣٤٣١)، ومسلم حديث (٢٣٦٦) واللفظ لمسلم.

(٢) البخاري (مع الفتح ٦/ ٤٠٨).

(٣) مسلم (مع النووي ١٤/ ١٨٩).

فقال: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بين صلاتي وقراءتي يلبسها عليَّ، فقال رسول الله ﷺ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ: خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْهُ، وَاتْفُلْ عَنْ يَسَارِكَ ثَلَاثًا**». قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عنِّي.

ويتعوذ بالله عند وسوسة الشياطين:

* لما أخرجه البخاري ومسلم(١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّىٰ يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ**».

* وكان النبي ﷺ يتعوذ فيقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي وَالْهَدْمِ، وَالْغَرَقِ وَالْحَرِيقِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِيَ الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا**»(٢).

* وكان النبي ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ، مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ وَشَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ**»(٣).

وهذا بابٌ واسعٌ جدًّا(٤)، ومن أراد المزيد منه، فليرجع إلىٰ كتب الاستعاذة.

---

(١) البخاري (مع الفتح ٦/ ٣٣٦)، ومسلم مع النووي (٢/ ١٥٤).

(٢) أخرجه النسائي (٨/ ٢٤٩) بسند صحيح من حديث أبي اليسر رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه مسلم مع النووي (١٧/ ٣٨).

(٤) اقتصرنا منه علىٰ القدر الكافي المؤدي للغرض، وبالله التوفيق.

توجيه بعض الوارد في الاستعاذة بغير الله

وقد وردت في أبواب الاستعاذة بعض الأحاديث التي ينبغي أن تُفهم في ضوء ما ذكر، وتوجَّه إذا احتاج الأمر إلىٰ توجيهها، بما يتفق مع الأصول والقواعد العامة من هذه الأحاديث ما يلي:

ما أخرجه مسلم[(١)]، في صحيحه إذ قال: حدثنا محمد بن المثنىٰ، وابن بشار (واللفظ لابن المثنىٰ) قالا: حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن سليمان، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي مسعود: أنه كان يضرب غلامه فجعل يقول: أعوذ بالله، قال: فجعل يضربه فقال: أعوذ برسول الله فتركه، فقال رسول الله ﷺ: «**وَاللهِ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ**»، قَالَ: فأعتقه.

فالشاهد منه قوله: «أعوذ برسول الله ﷺ».

فأقول -وبالله التوفيق-: إن هذه الزيادة شاذةٌ، والله أعلم، فالحديث رواه الأعمش (وهو سليمان بن مِهران)، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، قال: قال أبو مسعود البدري: كنت أضرب غلامًا لي بالسوط، فسمعتُ صوتًا من خلفي (اعلم أبا مسعود!) فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: لما دنا مني، إذا هو رسول الله ﷺ، فإذا هو يقول: «**اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ**». قال: فألقيت السوط من يدي، فقال: «**اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، أَنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَىٰ هَذَا الْغُلَامِ**»[(٢)]. قال: فقلت: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا.

وفي بعض الروايات، فقلت: يا رسول الله، هو حرٌّ لوجه الله. وليس فيه ذكر

---

(١) مسلم في طرق، حديث (١٦٥٩).

(٢) مسلم (١٦٥٩).

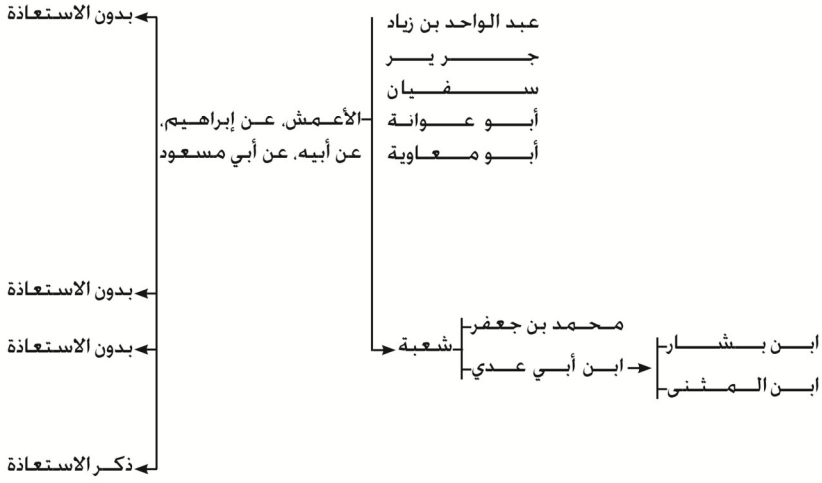
الاستعاذة برسول الله ﷺ، وهذا هو الصحيح عن الأعمش بدون ذكر الاستعاذة.

وذلك لأن جماعة رووا الحديث[1]، عن الأعمش منهم: عبد الواحد بن زياد، وجرير، وسفيان، وأبو عوانة، وأبو معاوية، لم يذكروا استعاذة الغلام برسول الله ﷺ.

وكذا فإن محمد بن جعفر راوية شعبة، لم يذكر هذ اللفظ: (أعوذ بالله أعوذ برسول الله ﷺ). وكذا فقد اختلف علىٰ ابن أبي عدي نفسه، فأثبت اللفظة، ابن المثنىٰ، ولم يثبتها ابن بشار.

فالظاهر شذوذها، والله أعلم.

ويمكن تصوير الخلاف علىٰ النحو التالي:



فالناظر يرىٰ بوضوح تفرد ابن المثنىٰ بالزيادة ويرىٰ شذوذها جليًّا. والله أعلم. وعلىٰ فرض ثبوتها، فرسول الله ﷺ كان موجودًا لم يكن غائبًا.

---

(١) انظر صحيح مسلم، طرق حديث (١٦٥٩).



والاستعاذة كالسؤال، ولكنها وكما سلف سؤال بصرف الشر، فكما أنه يجوز لك أن تسأل شخصًا حيًّا، يسمعك شيئًا يقدر عليه، فكذلك يجوز لك أن تسأل شخصًا حيًّا يسمعك أن يمنعك ممن يظلمك، فتقول: يا زيد، وزيد يسمعك، هذا يضربني، امنعني منه، أو اضربه فإنه يضربني ونحو ذلك والله أعلم.

والحديث الثاني:

أخرجه مسلم(١)، من طريق سلمة بن شبيب: حدثنا الحسن بن أعين: حدثنا معقل، عن أبي الزبير، عن جابر أن امرأةً من بني مخزوم، سرقت، فأُتي بها النبي ﷺ، فعاذت بأم سلمة، زوج النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «**وَاللهِ لَوْ كَانَتْ فَاطِمَةَ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**».

فالشاهد من قوله: (فعاذت بأم سلمة).

وعلىٰ فرض ثبوت هذا الحديث، فمعنىٰ فعاذت بأم سلمة أي: لجأت إلىٰ أم سلمة، كي تشفع لها عند رسول الله ﷺ، وهذا، وكما سلف سؤال الشخص الشفاعة فيما يقدر عليه في الدنيا.

أما عن سند الحديث، ففيه ما يلي:

أولًا: أبو الزبير مدلس(٢)، وقد عنعنه.

ثانيًا: رواية معقل، عن أبي الزبير، ضعيفة، ضعفها الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٨٩).

(٢) وكثيرًا ما تقبل عنعنة أبي الزبير، عن جابر، لكن انفراده بهذا اللفظ يحملنا علىٰ طلب صريح السماع، والله أعلم.



ثالثًا: الحسن بن أعين، تكلم فيه بعض العلماء، وإن كان قد نُقل توثيقه عن بعضهم، فقد قال فيه أبو حاتم الرازي: أدركته ولم أكتب عنه.

هذا، وقد ضعف بعض أهل العلم عددًا من الأحاديث التي رويت من هذا الطريق: طريق الحسن، عن معقل، عن أبي الزبير، والله تعالىٰ أعلم.

الحديث الثالث ما أخرجه البخاري ومسلم[(١)]، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سَتَكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُذْ بِهِ**».

وفي بعض الروايات: «**فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً، أَوْ مَعَاذًا فَلْيَسْتَعِذْ**».

فأقول -وبالله التوفيق-: إنه معنىٰ معاذًا فليستعذ، أي: مكانًا يعتزل فيه، فليعتزل فيه، أو مكانًا يتحصن فيه، فليتحصن فيه بعيدًا عن الفتن، دلَّ علىٰ ذلك ما ورد في بعض الطرق[(٢)]، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ...**». فذكر الحديث، وفيه: «**فَإِذَا نَزَلَتْ، أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ، فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ**».

قلت: فحديث رسول الله ﷺ يُفسر بعضه بعضًا، ولا يمتنع أيضًا أن تذهب إلىٰ شخص حيٍّ تقول له: أريد أن أختفي في بيتك، كي تنقضي هذه الفتنة. فهذا راجع أيضًا إلىٰ طلب شيءٍ من الشخص الحي فيما يقدر عليه هذا الشخص، وليس بغائبٍ عنك.

---

(١) البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦).

(٢) عند مسلم (٢٨٨٧) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحديث الرابع: أخرجه مسلم[١]، في صحيحه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ**»... فذكر الحديث.

والشاهد منه: يعوذ عائذ بالبيت.

والجواب عليه أنه ليس معنىٰ قوله ﷺ: «**يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ**». أن هذا العائذ يقول: أعوذ بالبيت أن يحفظني.

وإنما المعنىٰ أنه يلجأ شخصٌ إلىٰ البيت ظنًّا منه، أن أعداءه سيوقرون الكعبة البيت الحرام ولن يعتدوا عليه فيها، وأن الله سيحميه من شرهم إذا ذهب ودعا الله عند الكعبة، وقد وردت رواية عند مسلم[٢] فيها: العجب أن ناسًا من أمتي يؤمون بالبيت، برجل من قريش قد لجأ بالبيت هذا، والله تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

والناظر إلىٰ تعوذات رسول الله ﷺ يجد أنه -صلوات الله وسلامه عليه- لم يستعذ بغير الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) مسلم (٢٨٨٢).

(٢) عند مسلم (٢٨٨٤).

بابٌ: في التوكل على الله(١)

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

وقال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: ٨١].

وقال سبحانه: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ [المزمل: ٩].

وأخرج البخاري من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. قالها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣](٢).

وفي رواية عند البخاري من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (كان آخر قول إبراهيم حين أُلقي في النار: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾)(٣).

---

(١) من أشهر معاني التوكل علىٰ الله: الاعتماد علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، نعتمد علىٰ الله كي يرزقنا، وكي ينصرنا، وكي يحفظنا، نعتمد عليه في كل شئوننا.

(٢) البخاري (٤٥٦٣).

(٣) البخاري (٤٥٦٤).

ونوح عليه السلام يقول لقومه لما تهددوه، وتوعدوه: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١].

فيالها من شجاعة!!، ويالله من ثبات!! ويالله من حسن اعتصام بالله عز وجل.

وها هو الكليم موسىٰ عليه السلام: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢]. فيالله من حسن ظن بالله عز وجل، وحسن توكل عليه!!

وها هو رسولنا ﷺ يقول لصاحبه في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. ويقول: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**». وأبو بكر يقول له قبل: لو أن أحدهم نظر إلىٰ قدميه لأبصرنا.

فيالله من حسن توكل علىٰ الله!!

وانظر إلىٰ توكل هؤلاء علىٰ الله عز وجل.

فها هو الرجل الذي استسلف من رجلٍ مالًا، وحرص علىٰ السداد وصدقت نيته، وكيف وأن الله أدَّىٰ عنه.

أخرج البخاري معلقًا، ووصله الإمام أحمد في مسنده من طريق الليث: حدثني جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «**أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ. فَقَالَ: كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا. قَالَ: فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ. قَالَ: كَفَىٰ بِاللهِ كَفِيلًا. قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ، فَخَرَجَ فِي البَحْرِ فَقَضَىٰ حَاجَتَهُ، ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ**

يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَىٰ صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَىٰ بِهَا إِلَىٰ البَحْرِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلًا، فَقُلْتُ: كَفَىٰ بِاللهِ كَفِيلًا. فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا. فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا. فَرَمَىٰ بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّىٰ وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَىٰ بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا المَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ المَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَأَتَىٰ بِالأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ. قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ. قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّىٰ عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا»[(١)].

وانظر إلىٰ هذا اليقين؛ أخرج مسلم[(٢)] في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ. فَتَنَحَّىٰ ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ

(١) البخاري معلقًا (٢٢٩١)، وأحمد موصولًا في المسند (٨٥٨٧)، وأخرجه البخاري موصولًا مختصرًا مُشيرًا إلىٰ تمامه (٢٠٦٣)، لكن من طريق عبد الله بن صالح، فقال البخاري: وقال الليث:... وساق الحديث، ثم قال: حدثني عبد الله بن صالح، حدثني الليث به، ولكنَّ عبدَ الله بن صالح، وهو كاتب الليث؛ متكلمٌ فيه، ولكنه متابع كما في رواية أحمد وغيره، وقد تابعه عند أحمد (٨٥٨٧) يونس بن محمد: حدثنا ليث...

فالخبر ثابت صحيح، والله أعلم.

(٢) مسلم (حديث ٢٩٨٤).

تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ - لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ -. فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ. لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ».

وأخرج البخاري ومسلم من طريق عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلىٰ. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشَّف، فادع الله لي. قال: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكَ». فقالت: أصبر. فقالت: إني أتكشف، فادع الله لي ألا أتكشف. فدعا لها.

حدثنا محمد أخبرنا مخلد عن ابن جريج أخبرني عطاء أنه رأىٰ أم زفر، تلك المرأة الطويلة السوداء، علىٰ ستر الكعبة[1].

والأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ:

* أما وقد علمنا أن الأمور مقدرةٌ لكن قد قال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٥].

علمنا أن النصر مقدرٌ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]. لكن أمرنا الله بقوله: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

---

(١) البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

وقال النبي ﷺ: «لَا عَدْوَىٰ»(١). إلا أنه قال أيضًا: «فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ»(٢).

ومع أن الأمور تجري بمقادير إلا أن النبي حث علىٰ الشفاعة بقوله: «اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللهُ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ»(٣). وقد قال تعالىٰ: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

وها هو عمر رضي الله عنه المحدث الملهم يمتنع من دخول الشام؛ لنزول الوباء بها، وينحاز بالجيش، كما في الصحيحين، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما(٤)، أن عمر بن الخطاب خرج إلىٰ الشام حتىٰ إذا كان بسرغ(٥)، لقيه أهل الأجناد(٦)، أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء(٧) قد وقع بالشام.

قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين، فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم، أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر ولا نرىٰ أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ، ولا نرىٰ أن تقدمهم علىٰ هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني. ثم

---

(١) البخاري (٥٧٧٣)، ومسلم (٢٢٢٠).

(٢) البخاري (٥٧٠٧).

(٣) البخاري (١٤٣٢)، ومسلم (٢٦٢٧).

(٤) أخرجه البخاري حديث (٥٧٢٩)، ومسلم (٢٢١٩) واللفظ لمسلم.

(٥) سرغ: هي قرية في طرف الشام مما يلي الحجاز.

(٦) الأجناد: هي مدن الشام الخمس، وهي: فلسطين، والأردن، ودمشق، وحمص، وقنسرين. قاله النووي.

(٧) المراد بالوباء: الطاعون.

قال: ادع لي الأنصار. فدعوتهم له فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح[(١)]. فدعوتهم فلم يختلف عليه رجلان، فقالوا: نرىٰ أن ترجع بالناس ولا تقدمهم علىٰ هذا الوباء، فنادىٰ عمر في الناس إني مُصبحٌ[(٢)] علىٰ ظهر، فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفرارًا من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها[(٣)]. يا أبا عبيدة! (وكان عمر يكره خلافه) نعم، نفر من قدر الله إلىٰ قدر الله، أرأيت لو كانت لك إبل فهبطت واديًا له عدوتان[(٤)]، إحداهما خصبة والأخرىٰ جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف، وكان متغيبًا في بعض حاجته، فقال: إني عندي من هذا علمًا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**».

قال: فحمد الله عمر بن الخطاب، ثم انصرف.

---

(١) المراد بمهاجرة الفتح هنا: أحد وجهين، أحدهما: المهاجرين الذين هاجروا قبل فتح مكة، (إذ لا هجرة بعد الفتح).

وقيل: هم مسلمة الفتح الذين هاجروا بعده فحصل لهم اسم دون الفضيلة.

(٢) أي: مسافر راكب علىٰ ظهر الراحلة راجع إلىٰ وطني، فأصبحوا عليه، وتأهبوا له.

(٣) قوله: لو غيرك قالها. تحمل علىٰ أحد معنيين: أحدهما: معنىٰ التعجب، من كون مثل هذه الكلمة تخرج من أبي عبيدة بن الجراح مع ما اشتهر عليه من العقل والفضل والعلم، وكونه أمين هذه الأمة.

الثاني: أن غيرك لو قالها لأدبته، والله تعالىٰ أعلم.

(٤) عدوتان: أي: جانبان.

* **والذرية مقدرة:** ومع ذلك لابد من الأخذ بالأسباب الموصلة إليها، فإذا تزوج رجل امرأة، وبقي شهورًا لم يجامعها، وقال لها ذات يوم: قومي ندعو الله أن يرزقنا الولد في الثلث الأخير من الليل، ترىٰ كيف تجيبه زوجته، وبما تجيبه؟! وهو لم يجامعها، ويسأل الله الولد من غير جماع أظنه سيكون أضحوكة عندها!!!

* ونحن نعلم ونؤمن أن الرزق مقدر، ومع ذلك أمرنا ربنا أن نمشي في مناكبها، ونأكل من رزقه، قال تعالىٰ: ﴿فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨].

* ونحن نعلم أن إنبات الثمر مقدر، ومع ذلك لابد من رعاية الزرع والاهتمام به، وفعل ما يُصلحه حتىٰ يثمر، وقصة تأبير النخيل المشهورة، فقد أخرج مسلم[(١)]، من طريق موسىٰ بن طلحة، عن أبيه، قال: مررت مع رسول الله ﷺ بقوم علىٰ رءوس النخل، فقال: «**مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟**». فقالوا: يلقحونه، يجعلون الذكر في الأنثىٰ، فتلقح. فقال رسول الله ﷺ: «**مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا**». قال: فأخبروا بذلك فتركوه، فأخبر رسول الله بذلك فقال: «**إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ، فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا، فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللهِ شَيْئًا، فَخُذُوا بِهِ، فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ**».

* وعند مسلم[(٢)] أيضًا، من حديث رافع بن خديج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قدم نبي الله

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٦١).

(٢) مسلم حديث (٢٣٦٢).

ﷺ المدينة وهم يؤبرون[١] النخل يقولون: يلقحون النخل، فقال: «**مَا تَصْنَعُونَ؟**» قالوا: كنا نصنعه. قال: «**لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا**». فتركوه فنفضت أو فنقصت. قال: فذكروا ذلك له، فقال: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيِي فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ**». قال عكرمة: أو نحو هذا.

* وفي «صحيح مسلم»[٢] أيضًا، من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ مر بقوم يلقحون، فقال: «**لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ**». قال: فخرج شيصًا[٣]، فمر بهم، فقال: «**مَا لِنَخْلِكُمْ؟**». قالوا: كذا وكذا، قال: «**أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ**».

* وقد أخرج مسلم، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال: يا رسول الله! بيِّن لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيم العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: قال: «**لَا، بَلْ فِيمَا جَفَّتِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ**».

قال: ففيم العمل[٤]، فقال: «**اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**».

فمع اعتقاد أن الأمور مقدرة لابد من العمل أيضًا.

---

(١) يؤبرون النخيل: يدخلون شيئًا من طلع الذكر في طلع الأنثىٰ، فتعلق -بإذن الله-.

(٢) حديث (٢٣٦٣).

(٣) الشيص، هو: البسر الرديء الذي إذا يبس صار حشفًا.

(٤) الحديث عند مسلم (ص ٢٠٤٠)، من طريق زهير: حدثنا أبو الزبير، وفي آخره، قال زهير: ثم تكلم بشيء لم أفهمه فسألت: ما قال؟ فقال: «**اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**».

بعض الوارد في الكيِّ

أخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّىٰ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ. قِيلَ: انْظُرْ إِلَىٰ الأُفُقِ. فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ. فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الأُفُقَ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ**». ثم دخل ولم يبين لهم، فأفاض القوم وقالوا: نحن الذين آمنا بالله واتبعنا رسوله فنحن هم، أو أولادنا الذين ولدوا في الإسلام، فإنا ولدنا في الجاهلية. فبلغ النبي ﷺ فخرج فقال: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**». فقال عكاشة بن محصن: أمنهم أنا يا رسول الله؟ قال: «نعم». فقام آخر فقال: أمنهم أنا؟ قال: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**».

وقد ورد في النهي عن الكيِّ؛ حديثٌ أخرجه الإمام أحمد وغيره من طريق العقَّار بن المغيرة بن شعبة عن أبيه عن النبي ﷺ، أنه قال: «**مَنِ اكْتَوَىٰ أَوِ اسْتَرْقَىٰ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ التَّوَكُّلِ**»[(٢)].

وله طرق عن العقَّار، وذكر بعض العلماء أن العقَّار لم يرو إلَّا هذا الحديث الواحد.

وقد كنت صححت هذا الخبر في كتابي «المنتخب» لعبد بن حميد، إلا

---

(١) البخاري (حديث ٥٧٠٥) ومسلم (حديث ٢٢٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٨١٨٠)، و(١٨٢٠٠) و(١٨٢٢١)، وعبد بن حميد في المنتخب (٢٩٣) بتحقيقي، وابن ماجه (٣٤٨٩)، والترمذي (مع تحفة الأحوذي ٦/ ٢١٤) وغيرهم، بألفاظ متقاربة.

أنني في ريب من صحة هذا الخبر؛ لتفرد العقَّار بهذا اللفظ، ولكون العقار ليس من المشهورين بالرواية، وكذا فإن العقار لم يوثقه معتبر، والله أعلم.

هذا وقد اكتوىٰ عددٌ من أصحاب رسول الله ﷺ؛ ففي «صحيح مسلم» من حديث جابر رضي الله عنه، قال: بعث رسول الله ﷺ إلىٰ أُبي بن كعب طبيبًا، فقطع منه عِرقًا ثم كواه عليه(١).

وفي رواية عند مسلم: رُمي أُبي يوم الأحزاب علىٰ أكحله فكواه رسول الله(٢).

وعند مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: رُمي سعد بن معاذ في أكحله. قال: فحسمه النبي ﷺ بيده بمشقص، ثم ورمت، فحسمه الثانية(٣).

وفي «صحيح مسلم» من حديث عمران بن حصين، قال:... وقد كان يُسلَّم عليَّ حتىٰ اكتويت، فَتُرِكْتُ، ثم تركت الكي فعاد.

يعني - والله أعلم - أن الملائكة كانت تُسلم عليه.

وأخرج مسلم(٤) من طريق عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، قَالَ: جَاءَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ فِي أَهْلِنَا، وَرَجُلٌ يَشْتَكِي خُرَاجًا بِهِ أَوْ جِرَاحًا، فَقَالَ: مَا تَشْتَكِي؟ قَالَ: خُرَاجٌ بِي قَدْ شَقَّ عَلَيَّ. فَقَالَ: يَا غُلَامُ ائْتِنِي بِحَجَّامٍ. فَقَالَ لَهُ: مَا تَصْنَعُ بِالْحَجَّامِ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أُعَلِّقَ فِيهِ مِحْجَمًا. قَالَ: وَاللهِ إِنَّ الذُّبَابَ لَيُصِيبُنِي، أَوْ

---

(١) مسلم (٢٢٠٧).

(٢) مسلم (٢٢٠٨).

(٣) مسلم في طرق حديث (١٤٢٦).

(٤) مسلم في طرق حديث (٢٢٠٥)، والبخاري (٥٧٠٢) مختصرًا.

يُصِيبُنِي الثَّوْبُ، فَيُؤْذِينِي وَيَشُقُّ عَلَيَّ. فَلَمَّا رَأَىٰ تَبَرُّمَهُ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ خَيْرٌ، فَفِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةٍ مِنْ عَسَلٍ، أَوْ لَذْعَةٍ بِنَارٍ**». قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ**» قَالَ: فَجَاءَ بِحَجَّامٍ فَشَرَطَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ.

وأخرج البخاري ومسلم[(١)] من طريق قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَىٰ خَبَّابٍ، نَعُودُهُ، وَقَدِ اكْتَوَىٰ سَبْعَ كَيَّاتٍ، فَقَالَ: إِنَّ أَصْحَابَنَا الَّذِينَ سَلَفُوا مَضَوْا وَلَمْ تَنْقُصْهُمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّا أَصَبْنَا مَا لَا نَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا إِلَّا التُّرَابَ، وَلَوْلَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالْمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ. ثُمَّ أَتَيْنَاهُ مَرَّةً أُخْرَىٰ، وَهُوَ يَبْنِي حَائِطًا لَهُ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ، إِلَّا فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ فِي هَذَا التُّرَابِ.

وقال ابن عبد البر في «التمهيد»[(٢)]: «فمن ترك الكيَّ ثقةً بالله وتوكلًا عليه؛ كان أفضل لأن هذه منزلة يقين صحيح، وتلك منزلة رخصة وإباحة».

بابٌ في الخشية من الله عَزَّوَجَلَّ ومراقبته

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

وقال سبحانه: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق: ٣١ - ٣٣].

---

(١) البخاري (٥٦٧٢)، ومسلم (٢٦٨١).

(٢) التمهيد (٢٤/ ٦٥).

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [يس: ١١].

ولقوله تعالىٰ: ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ﴾ معنيان:

أحدهما: وخشي الرحمن وهو لا يرىٰ الرحمن.

الثاني: وخشي الرحمن في حال غيابه عن الناس.

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦].

وقال تعالىٰ ذكره: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠،٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وذكر النبي ﷺ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «... **وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**».

وقد جاءت نصوصٌ في الحث علىٰ مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ والتذكير بذلك.

قال تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٧ – ٢٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العلق: ١٤].

وقال تعالىٰ لموسىٰ وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥﴾ [هود: ٥].

وقال لقمان لولده: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝١٦﴾ [لقمان: ١٦].

وقد قال رسول الله ﷺ: «**الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

وقد أحسن الشاعر القائل:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل ... خلوت ولكن قُل عليَّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

ألم تر أن اليوم أسرعُ ذاهبٍ ... وأن غدًا للناظرين قريب

فالخشية من الله ومراقبته؛ هي التي حملت يوسف عليه السلام علىٰ الامتناع عن الفاحشة، وقال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٣﴾ [يوسف: ٢٣].

وهي التي تحمل الشخص علىٰ الإسرار بالصدقة وإخفائها بإذن الله.

وتحمله علىٰ قيام الليل والناس نيام.

لقد كانت مخافة الله سببًا في نجاة الرجل الذي لم يعمل خيرًا قط، وأوصىٰ أهله إذا مات أن يحرقوه ويطحنوه ويذروه في اليم في يوم عاصف، فجمعه الله بكلمته (كن رجلًا) فكان رجلًا قائمًا بين يدي الله عز وجل، فسأله ربه: «**مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ يَا رَبُّ. فَغفرَ لَهُ**».

وانظر إلىٰ أثر الخشية وكيف أن أهلها يتورعون عن الحرام.

أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ، قال: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَاشَوْنَ أَخَذَهُمُ المَطَرُ، فَمَالُوا إِلَىٰ غَارٍ فِي الجَبَلِ، فَانْحَطَّتْ عَلَىٰ فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا لِلَّهِ صَالِحَةً، فَادْعُوا اللهَ بِهَا لَعَلَّهُ يَفْرُجُهَا. فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ، كُنْتُ أَرْعَىٰ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ فَحَلَبْتُ بَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ وَلَدِي، وَإِنَّهُ نَاءَ بِيَ الشَّجَرُ، فَمَا أَتَيْتُ حَتَّىٰ أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا، أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصِّبْيَةِ قَبْلَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبُهُمْ حَتَّىٰ طَلَعَ الفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَىٰ مِنْهَا السَّمَاءَ. فَفَرَجَ اللهُ لَهُمْ فُرْجَةً حَتَّىٰ يَرَوْنَ مِنْهَا السَّمَاءَ. وَقَالَ الثَّانِي: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ أُحِبُّهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا، فَأَبَتْ حَتَّىٰ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ حَتَّىٰ جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَلَقِيتُهَا بِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللهِ، اتَّقِ اللهَ، وَلَا تَفْتَحِ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ. فَقُمْتُ عَنْهَا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا. فَفَرَجَ لَهُمْ فُرْجَةً. وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَىٰ عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَقَّهُ فَتَرَكَهُ وَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّىٰ جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَظْلِمْنِي وَأَعْطِنِي حَقِّي. فَقُلْتُ: اذْهَبْ إِلَىٰ ذَلِكَ البَقَرِ وَرَاعِيهَا، فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَهْزَأْ بِي. فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَهْزَأُ بِكَ، فَخُذْ ذَلِكَ البَقَرَ وَرَاعِيَهَا. فَأَخَذَهُ فَانْطَلَقَ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ مَا بَقِيَ. فَفَرَجَ اللهُ عَنْهُمْ».

---

(١) البخاري (٥٩٧٤)، ومسلم (٢٧٤٣).

بابٌ: في التوسل
وبيان معنى الوسيلة

وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وصُورٌ من التوسل المشروع بين يدي الدعاء.

*** أما عن معنىٰ الوسيلة:**

فالوسيلة: هي التي يتوصل بها إلىٰ تحصيل أمر من الأمور، والمراد بالوسيلة في الآية الكريمة: القربة، فقوله تعالىٰ: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾. أي: اطلبوا القرب من الله بالأعمال الصالحة، أو تقرَّبوا إليه بطاعته، والعمل بما يرضيه، والتمسوا ما يقربكم من الله.

والوسيلة أيضًا علمٌ علىٰ أعلىٰ منزلة في الجنة، يرجوها رسول الله ﷺ لنفسه، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري[(١)]، من حديث جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

أخرج البخاري[(٢)]، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾.

---

(١) البخاري (٦١٤).

(٢) البخاري (٤٧١٤ و٤٧١٥).

قال: كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن، وتمسك هؤلاء بدينهم، وفي رواية: ناسٌ من الجن كانوا يُعبدون فأَسلموا.

قلتُ: وعن معنىٰ الآية الكريمة، فمعناها –والله أعلم–: قل يا رسول الله لهؤلاء الذين عبدوا مع الله آلهة أخرىٰ، قل لهم: ادعوا الذين زعمتم أنهم أولياؤكم من دون الله، ورجوتموهم كما يُرجىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، قل لهؤلاء الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا ادعوا من عبدتموهم من دون الله من أصنام وغيرها لكشف المكروه عنكم أو تحويله إلىٰ غيركم، فلن يجيبوكم بشيء فإنهم لا يملكون إزالة المكروه عنكم، ولا تحويله منكم إلىٰ غيركم، لا يملكون تغيير أحوالكم من مرض إلىٰ صحة ولا من صحة إلىٰ مرض، ولا غير ذلك، فالقادر علىٰ ذلك هو الله عَزَّوَجَلَّ وحده لا شريك له.

أما قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾. فمعناه هذه المعبودات التي تدعونها من دون الله كالجن وغيرها قد آمنوا، وأصبحوا مسلمين يبحثون عن عمل يقربهم إلىٰ الله، ويتوصلون به إلىٰ جنته ومرضاته فهلا كنتم مثلهم؟!!

فقوله تعالىٰ: ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾. أي: يطلبون التقرب إلىٰ الله بصالح العمل، ويلتمسون الأعمال الصالحة التي توصلهم إلىٰ جنة الله ومرضاته.

فإذا كانت الجن التي تعبدونها، قد أسلمت، وتبحث عما يقرب من مرضاة الله، فهلا كنتم مثلها.

فإنها ترجو رحمة الله، وتخشىٰ عذابه: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ [الإسراء: ٥٧]. أي: كان ينبغي أن يُحذر ويخشىٰ فإنه عذاب شديد.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالىٰ ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله من خلقه، ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم أرباب وآلهة من دونه عند ضر ينزل بكم، فانظروا هل يقدرون علىٰ دفع ذلك عنكم، أو تحويله عنكم إلىٰ غيركم، فتدعوهم آلهة، فإنهم لا يقدرون علىٰ ذلك، ولا يملكونه، وإنما يملكه ويقدر عليه خالقكم وخالقهم، وقيل: إن الذين أمر النبي ﷺ أن يقول لهم هذا القول، كانوا يعبدون الملائكة، وعزيرًا، والمسيح، وبعضهم كانوا يعبدون نفرًا من الجن.

يقول تعالىٰ ذكره: هؤلاء الذين يدعوهم هؤلاء المشركون أربابًا ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾. يقول: يبتغي المدعوّون أربابًا إلىٰ ربهم القُربة والزُّلفة؛ لأنهم أهل الإيمان به، والمشركون بالله يعبدونهم من دون الله ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾. أيهم بصالح عمله واجتهاده في عبادته أقرب عنده زلفة ﴿وَيَرْجُونَ﴾. بأفعالهم تلك ﴿رَحْمَتَهُۥ﴾...

وأورد القاسمي -رحمه الله تعالىٰ- قول شيخ الإسلام ابن تيمية في التوسل والوسيلة مقرًّا له ومعتمدًا، فقال -يعني شيخ الإسلام-.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعد مقدَّمات:

إن لفظ الوسيلة والتوسل، فيه إجمال، واشتباهٌ، يجب أن تعرف معانيه، ويعطي كل ذي حقٍّ حقه، فيعرف ما ورد به الكتاب والسنة من ذلك ومعناه، وما كان يتكلم به الصحابة، ويفعلون ومعنىٰ ذلك، ويعرف ما أحدثه المحدثون في هذا اللفظ ومعناه، فإن كثيرًا من اضطراب الناس في هذا الباب هو بسبب ما وقع

من الإجمال والاشتراك في الألفاظ ومعانيها، حتىٰ تجد أكثرهم لا يعرف في هذا الباب فصل الخطاب، فلفظ الوسيلة مذكور في القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]. وفي قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ۝٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧].

فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغىٰ إليه، وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه، هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات، فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تتناول كل واجب ومستحب، وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك، سواء كان محرمًا أو مكروهًا أو مباحًا، فالواجب والمستحب هو ما شرعه الرسول فأمر به أمر إيجاب واستحباب، وأصل ذلك الإيمان بما جاء به الرسول، فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها، هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول، لا وسيلة لأحد إلىٰ الله إلَّا ذلك.

والثاني: لفظ الوسيلة في الأحاديث الصحيحة كقوله ﷺ[1]: «**سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا دَرَجَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْعَبْدَ، فَمَنْ سَأَلَ اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». وقوله: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ[2]: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

---

(١) أخرجه مسلم في ٤-كتاب الصلاة، (١١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٢) أخرجه البخاري في ١٠ كتاب الأذان، ٨ باب: الدعاء عند النداء، (٣٩٢) عن جابر بن عبد الله.

فهذه الوسيلة للنبي ﷺ خاصة، وقد أمرنا أن نسأل الله له هذه الوسيلة، وأخبرنا أنها لا تكون إلا لعبد من عباد الله، وهو يرجو أن يكون ذلك العبد.

وهذه الوسيلة أمرنا أن نسألها للرسول ﷺ، وأخبرنا أن من سأل له الوسيلة فقد حلَّت عليه الشفاعة يوم القيامة؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فلما دعوا للنبي ﷺ استحقوا أن يدعو هو لهم فإن الشفاعة نوع من الدعاء، كما قال: «**إِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ مَرَّةً، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا**».

وأما التوسل بالنبي ﷺ والتوجه به في كلام الصحابة، فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته، والتوسل به في عرف كثير من المتأخرين، يراد به الإقسام به، والسؤال به، كما يقسمون بغيره من الأنبياء والصالحين، ومن يعتقدون فيه الصلاح، وحينئذٍ، فلفظ التوسل به، يراد به معنيان صحيحان، باتفاق المسلمين، ويراد به معنًىٰ ثالث لم ترد به سنة، فأما المعنيان الأولان الصحيحان باتفاق العلماء:

* **فأحدهما هو:** أصل الإيمان والإسلام، وهو التوسل بالإيمان به وبطاعته.

* **والثاني:** دعاؤهُ وشفاعته[1]، كما تقدم، فهذان جائزان بإجماع المسلمين، ومن هذا قول عمر بن الخطاب: «اللهم، إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا، وأنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا». أي: بدعائه وشفاعته، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾.أي: القربة إليه بطاعته، وطاعة رسوله طاعته، قال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. فهذا التوسل الأول من أصل الدين، وهذا لا ينكره أحدٌ من المسلمين، وأما التوسل بدعائه وشفاعته –

(١) يعني طلب الدعاء منه، وهو حيٌّ، فإن دعاء غير الله شرك كما قدمنا.

كما قال عمر- فإنه توسل بدعائه لا بذاته، ولهذا عدلوا عن التوسل به إلىٰ التوسل بعمه العباس.

ولو كان التوسل هو بذاته؛ لكان هذا أولىٰ من التوسل بالعباس، فلما عدلوا عن التوسل به إلىٰ التوسل بالعباس، علم أن ما يفعل في حياته قد تعذر بموته، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة له، فإنه مشروع دائمًا، فلفظ التوسل يراد به ثلاثة معان:

أحدها: التوسل بطاعته، فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به.

* **والثاني:** التوسل بدعائه وشفاعته[1]، وهذا كان في حياته، ويكون يوم القيامة، يتوسلون بشفاعته.

* **والثالث:** التوسل به، بمعنىٰ الإقسام علىٰ الله بذاته، والسؤال بذاته، فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه، في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته، ولا بعد مماته، لا عند قبره، ولا غير قبره، ولا يُعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيءٌ من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة، أو عمن ليس قوله حجة.

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾. أي: القرب منه، والحظوة لديه، والحب له.

وذلك بأداء فرائضه القلبية: كالحب له، وفيه، والخوف، والرجاء، والإنابة، والتوكل. والبدنية: كالزكاة، والحج، والمركبة من ذلك: كالصلاة ونحوها، من أنواع القراءة والذكر، ومن أنواع الإحسان إلىٰ الخلق، بالمال، والعلم، والجاه، والبدن،

(١) أي: بسؤاله إذ كان حيًّا، أن يدعو الله عن طلب ذلك منه، أو دعائه لمن لم يطلب ذلك منه.

والنصح لعباد الله، فكل هذه الأعمال، تقرب إلىٰ الله، ولا يزال العبد يتقرب بها إلىٰ الله، حتىٰ يحبه، فإذا أحبه، كان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ويستجيب الله له الدعاء.

ثم خص -تبارك وتعالىٰ- من العبادات المقربة إليه، الجهاد في سبيله، وهو بذل الجهد في قتال الكافرين، بالمال، والنفس، والرأي، واللسان، والسعي في نصر دين الله، بكل ما يقدر عليه العبد؛ لأن هذا النوع من أجل الطاعات، وأفضل القربات؛ ولأن مَنْ قام به، فهو علىٰ القيام بغيره أحرىٰ وأولىٰ، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ إذا اتقيتم الله، بترك المعاصي، وابتغيتم الوسيلة إلىٰ الله، بفعل الطاعات، وجاهدتم في سبيله، ابتغاء مرضاته.

*** وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ الآية.

اعلم أن جمهور العلماء علىٰ أن المراد بالوسيلة هنا هو القربة إلىٰ الله تعالىٰ بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه علىٰ وِفق ما جاء به محمد ﷺ بإخلاص في ذلك لله تعالىٰ؛ لأن هذا وحده هو الطريق الموصلة إلىٰ رضا الله تعالىٰ، ونيل ما عنده من خير الدنيا والآخرة.

وأصل الوسيلة: الطريق التي تقرب إلىٰ الشيء، وتوصل إليه، وهي العمل الصالح بإجماع العلماء؛ لأنه لا وسيلة إلىٰ الله تعالىٰ إلا باتباع رسوله ﷺ، وعلىٰ هذا فالآيات المبينة للمراد من الوسيلة كثيرة جدًّا؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]. وقوله: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، إلىٰ غير ذلك من الآيات.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالوسيلة الحاجة، ولما سأله نافع الأزرق: هل تعرف العرب ذلك؟ أنشد له بيت عنترة:

إن الرجال لهم إليك وسيلة ... إن يأخذوك تكحلي وتخضبي

قال: يعني: لهم إليك حاجة، وعلىٰ هذا القول الذي روي عن ابن عباس؛ فالمعنىٰ: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، واطلبوا حاجتكم من الله؛ لأنه وحده هو الذي يقدر علىٰ إعطائها، ومما يبين معنىٰ هذا الوجه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧] الآية، وقوله: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢] الآية، وفي الحديث: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ**»(١).

* **قال -مقيده عفا الله عنه-:** التحقيق في معنىٰ الوسيلة؛ هو ما ذهب إليه عامة العلماء من أنها التقرب إلىٰ الله تعالىٰ بالإخلاص له في العبادة، علىٰ وفق ما جاء به الرسول ﷺ، وتفسير ابن عباس داخل في هذا؛ لأن دعاء الله والابتهال إليه في طلب الحوائج من أعظم أنواع عبادته التي هي الوسيلة إلىٰ نيل رضاه ورحمته.

وبهذا التحقيق تعلم أن ما يزعمه كثير من الملاحدة أتباع الجهال، المدعين للتصوف، من أن المراد بالوسيلة في الآية الشيخ، الذي يكون له واسطة بينه وبين ربه، أنه تخبطٌ في الجهل والعمىٰ وضلالٌ مبين، وتلاعب بكتاب الله تعالىٰ، واتخاذ الوسائط من دون الله من أصول كفر الكفار، كما صرح به تعالىٰ في قوله عنه: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. إلىٰ قوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]. فيجب علىٰ كل مكلفٍ أن يعلم أن الطريق

(١) **صحيح**، وقد تقدم، وسيأتي أيضًا - إن شاء الله -.

الموصلة إلىٰ رضا الله وجنته ورحمته؛ هي اتباع رسوله ﷺ، ومَنْ حاد عن ذلك فقد ضل سواء السبيل، ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] الآية.

والظاهر أن الوسيلة في بيت عنترة معناها التقرب أيضًا إلىٰ المحبوب؛ لأنه وسيلة لنيل المقصود منه، ولذا أنشد بيت عنترة المذكور ابن جرير، والقرطبي وغيرهما، لهذا المعنىٰ الذي ذكرنا، وجمع الوسيلة: الوسائل، ومنه قول الشاعر:

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا ... وعاد التصافي بيننا والوسائل

وهذا الذي فسرنا به الوسيلة هنا؛ هو معناها أيضًا في قوله تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]. الآية، وليس المراد بالوسيلة أيضًا المنزلة التي في الجنة، التي أمرنا ﷺ أن نسأل له الله أن يعطيه إياها، نرجو الله أن يعطيه إياها.

مقدمات وأنواع من التوسلات بين يدي الدعاء

يستحب للسائلين والداعين عمومًا أن يقدموا بين يدي دعواتهم ومسائلهم مقدمات، وها هي بعض المقدمات الحسنة التي ينبغي أن يتقدم بها الدعاء[(١)].

*** حمد الله وتمجيده، والثناء عليه والصلاة علىٰ النبي ﷺ بين يدي الدعاء:**

فينبغي أن يحمد الداعي ربه ﷻ، ويثني عليه بما هو له أهلٌ ويمجده كذلك، ويصلي علىٰ النبي ﷺ، ثم يدعو الله بما شاء، وذلك لما أخرجه أحمد،

(١) وإن كان الدعاء بلا مقدمات جائزًا أيضًا، لكن الأفضل ما ذُكر.

وأبو داود، والترمذي، والنسائي[(١)]، بسندٍ حسنٍ من حديث فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمع رسول الله رجلًا يدعو في صلاته لم يُمجِّد الله تعالىٰ، ولم يُصلِّ علىٰ النبي ﷺ فقال رسولُ الله ﷺ: «**عَجِلَ هَذَا**». ثم دعاه، فقال له أو لغيره: «**إِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ، فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ**».

* ويتأيد هذا أيضًا بما في سورة الفاتحة؛ ففي «صحيح مسلم»[(٢)]، من حديث أبي هريرة: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: حَمِدَنِي عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي (وقال مرةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي). فَإِذَا قَالَ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ. قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**».

فانظر كيف أن قول: «**اهدنا الصراط المستقيم**»، وهو دعاء جاء بعد حمد الله، والثناء عليه وتمجيده، فمَنْ ثَمَّ إذا قال العبد: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]. قال الله عَزَّوَجَلَّ: «**هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**».

* وذكر أنس حديث الشفاعة[(٣)]، وفيه: قال رسول الله ﷺ: «... **فَأَسْتَأْذِنُ**

---

(١) أحمد في المسند (٦/ ١٨)، وأبو داود (٢/ ١٦٢)، والنسائي (٣/ ٤٤)، والترمذي (٩/ ٤٤٩)، **بسند حسن**.

(٢) مسلم، حديث (٣٩٥).

(٣) أخرجه البخاري حديث (٧٤٤)، ومسلم حديث (١٩٣).

عَلَىٰ رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهُ». قال: «فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُثْنِي عَلَىٰ رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ». قال: «ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ». قال قتادة: وسمعته يقول: «فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ». قال: «فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُثْنِي عَلَىٰ رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ». قال: «ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ، فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ».

فجاءت شفاعة رسول الله ﷺ ودعاؤه، بعد سجوده لله وحمده، والثناء عليه.

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما[(١)] قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجَّد قال: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ – أَوْ: لَا إِلَهَ غَيْرُكَ –».

فجاء الدعاء بالمغفرة بعد الثناء على الله عز وجل، والإقرار التام له بالعبودية.

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»[(٢)].

---

(١) البخاري حديث (٦٣١٧)، ومسلم حديث (٧٦٩).

(٢) البخاري (مع الفتح ٢/ ٢٨١)، ومسلم (مع النووي ٤/ ٢٠١).

فجاء قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**». بعد قوله: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ**».

* وعنها أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت - وقد سئلت بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»[(١)].

فجاء الدعاء بالهداية بعد الإقرار بالربوبية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده.

*** ومن هذا الباب دعاء الاستخارة[(٢)] أيضًا:**

فيأتي الدعاء بعد صلاة الركعتين، والثناء علىٰ الله، والإقرار له بالعلم والقدرة، وتجرد العبد من قدرته (أي: عن قدرة نفسه بقوله: «**فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**».

ثم يأتي بعد ذلك الدعاء: «**اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي...**».

فيأتي الدعاء بعد الصلاة لله، والثناء علىٰ الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٦/ ٥٦)، وهذا الحديث قد حكم عليه أبو الفضل بن عمار الشهيد بالاضطراب، في كتاب «علل الأحاديث في كتاب الصحيح لمسلم بن الحجاج» (ص ٨٢، ط: دار الهجرة، تحقيق علي بن حسن)، ووجه إعلاله بالاضطراب أنه من رواية عكرمة بن عمار، عن يحيىٰ بن أبي كثير، وروايته عنه ضعيفة، والله أعلم.

(٢) حديث الاستخارة في البخاري (٦٣٨٢).

* **ومن هذا الباب أيضًا:** قول النبي ﷺ: «**فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؛ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ**»(١).

فانظر كيف جاء الدعاء في السجود بعد تعظيم الرب في الركوع.

* **ومن المقدمات:**

سؤال الله عَزَّوَجَلَّ
والتوسل إليه بأسمائه الحسنى

* وتارة يكون الدعاء مشفوعًا بأسماء الله الحسنىٰ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

هكذا قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وبهذا أمر، وهذه الآية تحمل معنيين:

المعنىٰ الأول: ولله الأسماء الحسنىٰ، فسموه بها، فهو الله الملك القدوس السلام المؤمن المُهيمن العزيز الجبار المتكبر... إلىٰ آخر الأسماء التي سمَّىٰ الله بها نفسه، أو سماهُ بها نبيُّه ﷺ.

فقد كان أهل الشرك يلحدون في أسماء الله، فاشتقوا العُزَّىٰ من اسم العزيز، واشتقوا اللات من الله.

أما أنتم يا أهل الإيمان فسموا الله بما سمىٰ به نفسه، وبما سماهُ نبيُّه ﷺ، وهذا المعنىٰ الأول.

أما المعنىٰ الثاني: ولله الأسماء الحسنىٰ، فاسألوه بها.

---

(١) مسلم (مع النووي ٤/ ١٩٦).

وعلىٰ هذا المعنىٰ الثاني، فنسأله سبحانه قائلين: يا رحمن، يا وهَّاب، يا رزاق، يا سميع، يا مجيب... وهكذا مع باقي الأسماء.

ولكن هنا أمرٌ ينبغي التفطن له، وهو اختيار اسم من أسماء الله موافقٍ للمسألة التي نريدها ونسألها.

فإذا سألنا الله الرزق؛ فلنسأله باسمه الرزاق، وإذا سألناه الرحمة؛ فلنسأله بالرحيم والرحمن، وإذا سألناه المغفرة؛ فلنسأله باسمه الغفور.. وهكذا باقي المسائل، وسيأتي لذلك مزيد في أبواب الأسماء الحسنىٰ إن شاء الله.

وهذا مثالٌ من أمثلة التوسلات بالأسماء الحسنىٰ والصفات العُليا، بين يدي الدعاء والمسألة إذا سألت ربك المغفرة:

فلا مانع من أن تقول: يا غافر الذنب، ويا قابل التوب، يا عزيز، يا غفار، يا حليم، يا غفور، يا غفور، يا رحيم، يا غفور، يا تواب.

قلت -وقولك الحق-: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

قلت: في كتابك الكريم: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

علمنا من كتابك الكريم أنك تقبل التوبة من عبادك وتعفو عن السيئات.

فقد قلت -وقولك الحق-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورىٰ: ٢٥].

وقلت: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ

ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].

علمنا أنك تحب التوابين، علمنا أنك ذو رحمة واسعة.

دعوتنا لتغفر لنا، فقلت: ﴿يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وقلت: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١١٠].

علمنا أنك تريد أن تتوب علينا، إذ قلت في كتابك الكريم: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٢٧].

أنت يا رب أهل للتقوىٰ، وأهل للمغفرة، لا يغفر الذنوب إلا أنت.

تفرح بتوبة عبادك التائبين، وأوبة أوليائك المذنبين.

يا رب فاغفر لي ما قدمتُ وما أخرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، وما أسرفتُ، وما أنت أعلم به مني.

وتسأل المغفرة لذنوبك التي ارتكبت، ولآثامك التي اقترفت.

*** وفي مسألة الرزق، لا بأس أن تقول:**

وارزقنا وأنت خير الرازقين.

وتقول: يا رب، علمنا أن خزائن كل شيء بيديك، كما قلتَ في كتابك الكريم: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: ٢١]. وكما قلت: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [المنافقون: ٧].

يا رب أنت الغني، وأنت الرزاق ذو القوَّة المتين، لك ما في السموات وما

في الأرض، يا رب، أنت تبسط الرزق لمن تشاء وتقدر، يا رب، يداك ملأىٰ سحَّاء الليل والنهار، أنت ربٌّ كريم، وأنت واسعٌ عليم.

إلىٰ غير ذلك من الوارد في هذا الباب، ثم تطلب الرزق، وتسأله ربَّك ﷻ.

ويلحق بهذا الباب قول النبي ﷺ: «**أَلِظُّوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**»(١).

وقوله: «**أَلِظُّوا**». أي: الزموا هذا، واثبتوا عليه، وأكثروا من قوله والتلفظ به في دعائكم(٢).

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٧٧) وغيره من حديث ربيعة بن عامر رضي الله عنه سمعتُ النبي ﷺ فذكره، وهو صحيح، وله شاهد الصواب فيه الإرسال، أخرجه الترمذي (٣٥٢٥)، وغيره، وشاهد آخر ضعيف عند الترمذي (٣٥٢٤).

(٢) نقلًا عن «لسان العرب».

* ومن المقدمات:

التوسل إلى الله بفضله
وسابق إحسانه ورحمته

* فمن هذا القبيل، قول زكريا عليه السلام: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٤-٦].

قلتُ: فكأن زكريا -عليه الصلاة والسلام- يقول لربه عز وجل: يا رب، يا دائم العطاء، يا مَن تكرَّمت عليَّ ولم ترد دعواتي، ولم تجعلني من قبل محرومًا، ولم تجعلني من قبل شقيًّا بالرد والحرمان، استجب دعوتي فهب لي من لدنك وليًّا، يرثني ويرث من آل يعقوب، واجعله رب رضيًّا.

* ومن هذا أيضًا قول أولي الألباب الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]. فتوسلوا إلىٰ الله بسابق إحسانه إليهم، وهو هدايته إياهم، فكأنهم يقولون: يا ربنا يا من مننت علينا بالهداية، وتفضلت علينا بها، لا تزغ قلوبنا بعد هذه الهداية، ففي هذا اعتراف بسابق الجميل، وعدم كفران للنعيم والإحسان.

وكتقريب لهذا نوضح بعض ما ذكره ابن القيم، فنقول -وبالله التوفيق-: لو أن رجلًا جاء يطلب منك أن تتصدق إليه، وتعطيه مائة جنيه مثلًا، فأعطيته ثم جاءك من العام المقبل، وقال لك -متوسلًا إليك بسابق إحسانك-: أنا الذي أعطيتني في العام الماضي مائة جنيه، فحينئذٍ تعلم من حاله أنه ليس من النوع الذي يكفر الإحسان وينسىٰ المعروف، فحينئذٍ تعطيه وأنت منشرح الصدر

راض عنه وعن شكره للمعروف، ولله المثل الأعلىٰ.

ومن ذلك:

* قول الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

* وقول يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

* وقول الخليل عليه السلام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٣٩-٤١].

فقدمت الملائكة ثناءً علىٰ ربها عز وجل.

وقدم يوسف عليه السلام اعترافًا بالفضل، وثناءً علىٰ الله.

وقدم إبراهيم حمدًا لله وشكرًا.

كل ذلك بين يدي الدعاء.

*** الاعتراف بالذنب بين يدي الدعاء:**

* قال موسىٰ عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦].

وقال أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، علمني دعاءً أدعو به في صلاتي،

قال: «قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»(١).

* وكذلك ففي سيد الاستغفار:

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»(٢).

تنزيه الرب عَزَّوَجَلَّ بين يدي الدعاء:

فمن ذلك، قول أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

فنزهوا الرب عَزَّوَجَلَّ عن الخلق بالباطل، ثم سألوه النجاة والوقاية من النار.

الاستسلام، وإظهار الضعف والعجز بين يدي الدعاء:

قال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فينبغي أن يظهر الداعي ضعفه وانكساره بين يدي ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قبل دعائه، وها هو زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ يظهر ضعفه وانكساره، فيقول: ﴿رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]. فها هي يا رب حالي من الضعف بين يديك.

---

(١) البخاري (مع الفتح ٢/ ٣١٧)، ومسلم (مع النووي ١٧/ ٢٨).

(٢) البخاري (مع الفتح ١١/ ٩٧).

وكذلك يتبرأ يوسف عليه السلام من الحول والقوَّة إلا بالله، فيقول: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

وكذلك إظهار التوكل على الله بين يدي الدعاء:

* فمن ذلك قول أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾ [الممتحنة: ٥].

* وكذلك قول قوم موسى: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٥ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [يونس: ٨٥، ٨٦].

توَسَّلْ إلى الله بصالح الأعمال:

* وأحيانًا يكون الدعاء مسبوقًا بالتوسل إلى الله تعالى بصالح الأعمال:

ومن ذلك قول المؤمنين: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]. فتوسلوا إلى الله سبحانه بما سلف من إيمانهم به، واتباعهم لرسوله ﷺ.

* ومن هذا القبيل أيضًا قول المؤمنين: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]. فتوسلوا إلى الله سبحانه بإجابتهم لمنادي الإيمان.

* وقولهم كذلك: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

* وأخرج البخاري ومسلم[1]، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله

(١) البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

ﷺ قال: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَىٰ غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللهِ يَا هَؤُلَاءِ لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّه قَدْ صَدَقَ فِيهِ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَىٰ فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ، فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَىٰ ذَلِكَ الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَىٰ تِلْكَ البَقَرِ فَسُقْهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَىٰ تِلْكَ البَقَرِ، فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الفَرَقِ فَسَاقَهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاخَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ.

فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا، وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الْجُوعِ، وَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ حَتَّىٰ يَشْرَبَ أَبَوَايَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّىٰ طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا. فَانْسَاخَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ حَتَّىٰ نَظَرُوا إِلَىٰ السَّمَاءِ.

فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّىٰ قَدِرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا فَقَالَتِ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ. فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ الدِّينَارِ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا».

وعمومًا، فإنه ينبغي أيضًا أن يصاحب الدعاء بالأعمال الصالحة، من صدقات، وصلوات وتلاوة وذكر وغير ذلك، فإن الأعمال الصالحة سببٌ في إجابة الدعوة.

* قال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. فمع دعائهم كانوا يسارعون في الخيرات.

* وكذلك فعباد الرحمن يبيتون لربهم سُجدًّا وقيامًا، ويقولون: ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]. فدعاؤهم مع سجودهم وقيامهم.

* وكذلك إبراهيم الخليل، وولده إسماعيل عليهما السلام يرفعان القواعد من البيت، ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. فمع بنائهم المسجد، ورفعهم القواعد يدعوان ويسألان القبول، ويسألان الإسلام لهما، ولذريتهما بقولهما: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨].

* وفي صحيح مسلم(١)، من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي، قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: «**سَلْ**». فقلتُ: أسألك مرافقتك في الجنة. قال: «**أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟!**». قلتُ: هو ذاك، قال: «**فَأَعِنِّي عَلَىٰ نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**».

الاستنصار بدعاء الصالحين والضعفاء:

* أخرج البخاري ومسلم(٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن

(١) مسلم حديث (٤٨٩).
(٢) البخاري حديث (٣٦٤٩)، ومسلم (٢٥٣٢).

النبي ﷺ قال: «يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ، يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَىٰ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَىٰ مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ».

* وقال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، لما رأىٰ سعدٌ أن له فضلًا علىٰ من سواه: «يَا سَعْدُ، وَهَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ»(١).

* وقال النبي ﷺ: «أَبْغُونِي ضُعَفَاءَكُمْ، فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ»(٢).

* وعند النسائي(٣)، رواية بلفظ: «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ».

فإذا خرج الخارج، يقول: يا رب، إني أقوم علىٰ أطفالٍ صغار، وأنفق علىٰ عجزةٍ ضعفاء، وأكفل أرامل وأيتام - كل ذلك مع إظهار الضعف لله، والحاجة إليه- فيا رب ارزقني برزق هؤلاء. فبمشيئة الله سيُجاب إلىٰ طلبه، وستقضىٰ له حاجته.

الاستسقاء بدعاء الصالحين

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا

(١) أخرجه البخاري حديث (٢٨٩٦).

(٢) أخرجه الترمذي (١٧٠٢)، بسند صحيح، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعًا، وأخرجه أيضًا أبو داود (٢٥٩٤)، والنسائي (٦/ ٤٥، ٤٦) وغيرهم.

(٣) النسائي (٦/ ٤٥).

تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة: ٦٠].

وأخرج البخاري ومسلم(١)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاهَ المنبر، ورسول الله ﷺ قائمٌ يخطبُ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائمًا، فقال: يا رسول الله، هلكتِ المواشي، وانقطعت السبل، فادعُ الله يغيثنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، فقال: «**اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا**». قال أنسٌ: ولا والله ما نرىٰ في السماء من سحاب، ولا قزعةً ولا شيئًا، وما بيننا وبين سلع من بيتٍ ولا دارٍ، قال: فطلعت من ورائه سحابةٌ مثلُ الترس، فلما توسطت السماء، انتشرت ثم أمطرت، قال: والله ما رأينا الشمس ستًّا، ثم دخل رجلٌ من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله ﷺ قائمٌ يخطبُ، فاستقبله قائمًا، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموالُ، وانقطعت السبل، فادع الله أن يمسكها، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَىٰ الْآكَامِ وَالْجِبَالِ، وَالْآجَامِ، وَالظِّرَابِ، وَالْأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ**». قال: فانقطعت، وخرجنا نمشي في الشمس.

* وكان ابن عمر يتمثل بقول أبي طالب في رسول الله ﷺ:

وأبـيضٌ يستسـقىٰ الغمـام بوجهـه ثمـال اليتـامىٰ عصـمة للأرامـل(٢)

(١) البخاري (مع الفتح ٢/ ٥٠١)، ومسلم (٢٦١).

(٢) البخاري (١٠٠٨).

بيان سبب الدعوة التي يدعى بها

* وهناك في بعض الأحيان يستحب أن تبين سبب الدعوة التي تدعو بها، وفي هذا خيرٌ من وجوه:

أحدها: أن فيه اتباعًا وتأسيًا بمن قبلنا من أهل الصلاح.

الثاني: أن في ذكر سبب الدعوة نوعًا من أنواع التوسل بهذا السبب.

الثالث: أن بيان سبب الدعوة يجعل الشخص يراجع نفسه في الدعوة، وهل سببها مشروع أم غير مشروع، ومن ثَمَّ هل الدعوة مشروعة أم غير مشروعة.

وثَمَّ فوائد أُخر في بيان سبب الدعوة، وهذه بعض الأدلة الواردة في هذا الصدد:

* يدعو نبي الله نوح عليه السلام على قومه، فيقول: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾، ثم يعلل ذلك ببيان خوفه على المؤمنين الذين معه، فيقول: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا ٢٧﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧].

* وكذلك نبي الله إبراهيم عليه السلام، يدعو لأهله الذين تركهم عند بيت الله الحرام، فيقول: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. فسأل الله لهم الرزق لعلهم يشكرون.

* ونبي الله موسى عليه السلام، يقول: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

فيعلل دعوته بالطمس على أموالهم، بأن هذه الأموال تحملهم على إضلال العباد عن طريق الله سبحانه وتعالى.

* ويقول أيضًا: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۝٢٧ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾ [طه: ٢٧، ٢٨]، ويقول كذلك: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِى ۝٣٠ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ۝٣٢ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٢٩-٣٤].

* ونبي الله عيسىٰ عليه السلام، يقول: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ﴾ [المائدة: ١١٤].

فسأل المائدة للدلالة علىٰ صدقه فيما يخبر به عن الله عز وجل، وسأل المائدة؛ لتكون عيدًا يُشكر فيه الربُّ سبحانه وتعالى، ويُعظم فيه الرب عز وجل.

* وزكريا عليه السلام، يقول: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٥، ٦]. فسأل الولد؛ كي يرث العلم والنبوة، وقد كان يخشىٰ من بني عمومته ألا يقيموا الدِّين، كما قال: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى﴾ [مريم: ٥].

* ونبينا محمد ﷺ، يدعو يوم بدر، فيقول: «**اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ**».

* وكذلك فقد جاء الصحابي، يقول لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هلكت المواشي، وانقطعت السُّبل فادع الله أن يغثنا... الحديث، وقد تقدَّم.

فذكر سبب الدعاء سائغٌ ومستحبٌّ في كثير من الأحيان!

وعليه، فإذا دعوت، وقلت: اللهم ارزقني فإني أرغب في حج بيتك المحرم، وأرغب في إنشاء المساجد، وأحب كفالة الأيتام، وأحب أن أتصدق. فهذه وجوه.

وأيضًا، فيجوز الدعاء بلا مقدمات:

وقد ورد كمٌّ هائل من الدعوات عن رسول الله ﷺ فيه أن النبي ﷺ دعا بلا

مقدمات، وسنذكر كثيرًا منها في ثنايا كتابنا هذا -إن شاء الله تعالىٰ-، ونجتزئ من ذلك في هذا المقام بما:

أخرجه مسلم[1] في صحيحه، من حديث عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَىٰ وَالتُّقَىٰ، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَىٰ**».

وعمومًا فيستحب الدعاء بين يدي الأعمال الصالحة وفي ثناياها وعقبها:

* **فعباد الرحمن:** ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤، ٦٥]. **فانظر كيف جاء دعاؤهم مع صلاتهم.**

* **وكذلك فالخليل إبراهيم يرفع القواعد من البيت، ومعه ولده إسماعيل، ويقولان:** ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

* **وكذلك ذكر الله أنبياءه -عليهم صلوات الله وسلامه-، فقال:** ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]. **فدعاؤهم مع مسارعتهم في الخيرات.**

وبين يدي الجهاد دعاء:

قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

وكذلك قال تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٦ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ

---

(١) مسلم حديث (٢٠٨٧).

أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا[١] ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦، ١٤٧].

وعند الخروج للصلاة دعاء:

* أخرج البخاري ومسلم[٢]، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما -واللفظ لمسلم-، عن عبد الله بن عباس، أنه رقد عند رسول الله ﷺ، فاستيقظ فتسوَّك وتوضَّأ، وهو يقول: «﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠]. فقرأ هؤلاء الآيات حتىٰ ختم السورة، ثم قام فصلىٰ ركعتين، فأطال فيهما القيام والركوع والسجود، ثم انصرف فنام حتىٰ نفخَ ثم فعل ذلك ثلاث مرات، ست ركعات، كل ذلك يستاك ويتوضأ ويقرأ هؤلاء الآيات، ثم أوتر بثلاثٍ، فأذن المؤذن، فخرج إلىٰ الصلاة، وهو يقول: **«اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُورًا»**.

وعند دخول المسجد دعاء، وعند الخروج منه دعاء:

* أخرج مسلم[٣] في صحيحه، من حديث أبي حُميد، أو أبي أُسيد، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ**

---

(١) لما علموا أن عدوهم قد يتسلط عليهم بسبب ذنوبهم، وكذلك فذنوبهم قد توهنهم وتضعف قوتهم، سألوا ربهم المغفرة لذنوبهم، بل واعترفوا بإسرافهم في أمرهم، وسألوا ربهم المغفرة أيضًا، ثم سألوه الثبات والنصر.

(٢) مسلم (ص ٥٣٠)، وانظر البخاري (١١/ ١١٦).

(٣) مسلم (مع النووي ٥/ ٢٢٤).

رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ».

وعقب الأذان دعاء:

* وأخرج أبو داود[(١)]، بإسناد حسن لغيره من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رجلًا قال: يا رسول الله، إن المؤذنين يفضلوننا. فقال رسول الله ﷺ: «قُلْ كَمَا يَقُولُونَ، فَإِذَا انْتَهَيْتَ فَسَلْ تُعْطَهْ».

وبعد تكبيرة الإحرام دعاء الاستفتاح[(٢)]:

والفاتحة أيضًا متضمِّنة للدعاء:

فإذا قال العبد: اهدنا الصراط المستقيم. قال الله -تبارك وتعالىٰ-: «هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ». كما ورد في الحديث القدسي عند مسلم وغيره.

بل وفي ثنايا القراءة أيضًا كان النبي ﷺ إذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوُّذٍ تعوذ[(٣)].

---

(١) أبو داود (١/ ٣٦٠).

(٢) **وله صيغ متعددة صحيحة**، عن رسول الله ﷺ، والتنويع مستحب، بمعنىٰ أن المصلي يستحب له أن يذكر هذا مرة، وهذا مرة، وإن كان الذي يغلب حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لصحته، واتفاق البخاري ومسلم علىٰ إخراجه، ولفظه: «اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّىٰ الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ». أخرجه البخاري (٢/ ٢٢٧)، ومسلم (مع النووي ٥/ ٩٦).

(٣) وفي رواية لأبي داود (١/ ٥٤٣) من حديث حذيفة: وما مر بآية رحمة إلا وقف عندها فسأل، ولا بآية عذاب إلا وقف عندها، فتعوذ. أما اللفظ الذي ذكرناه فهو عند مسلم، حديث (٧٧٢)، من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد أخرج مسلم الحديث، وفيه: صليت مع النبي ﷺ، ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت: يركع عند المائة. ثم مضىٰ. فقلت: يصلي بها في ركعة فمضىٰ. فقلت: يركع بها. ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها يقرأ مترسلًا، إذا مر بآية فيها تسبيحٌ سبَّح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذٍ تعوَّذ.

وفي السجود دعاء، وبين السجدتين دعاء، وعقب التشهد دعاء، وفي النوازل يشرع القنوت في الصلوات، وللصائم دعوة مستجابة.

وكذلك فيستحب الدعاء في الليالي المباركة والأيام الطيبة، وكذلك الأماكن الطيبة المباركة:

فيستحب الدعاء في ليلة القدر.

ويستحب الدعاء يوم عرفة، وخاصة بعرفات(١).

وكذلك عند المشعر الحرام يستحب الدعاء.

وكذلك بعد رمي الجمرة الصغرىٰ، وبعد رمي الجمرة الوسطىٰ، في أيام التشريق الثلاثة.

كما يستحب الدعاء أثناء الطواف، وعلىٰ الصفا والمروة، بل وفي الكعبة أيضًا:

وكذلك فالمواطن التي يُظن حضور الملائكة فيها يستحب فيها الدعاء:

* فقد قال النبي ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ، فَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا**»(٢).

وقال النبي ﷺ: «**لَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَىٰ مَا تَقُولُونَ**»(٣). وذلك لما دخل النبي ﷺ علىٰ أبي سلمة، وقد شُقَّ بصره،

---

(١) انظر ذلك فما بعده في أبواب الحج، وخاصة في حديث جابر الطويل، في وصف حجة النبي ﷺ، وذلك عند مسلم (ص٨٨٦، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي).

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦/ ٣٥٠)، ومسلم (مع النووي ١٧/ ٤٦).

(٣) مسلم (مع النووي ٦/ ٢٢٢).

فأغمضه ثم قال: «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ**». فضجَّ ناس من أهله، فقال: «**لَا تَدْعُوا...**». الحديث.

وكذلك الدعاء في مكة:

* فحتىٰ أهل الشرك كانوا يرون أن الدعاء مستجابٌ فيها، ولما دعا عليهم رسول الله ﷺ فيها استجاب الله دعاءه؛ ففي البخاري، من حديث عبد الله بن مسعودٍ أن النبي ﷺ كان يُصلِّي عند البيت، وأبو جهل وأصحابٌ له جلوسٌ إذ قال بعضهم لبعض: أيُّكم يجيءُ بسَلَىٰ جزور بني فلان، فيضعه علىٰ ظهر محمدٍ إذا سجد.

فانبعث أشقىٰ القوم فجاء به فنظر حتىٰ إذا سجد النبيُّ ﷺ وضعه علىٰ ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أُغني شيئًا، لو كانت لي منعةٌ.

قال: فجعلوا يضحكون، ويحيل بعضهم علىٰ بعض، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتىٰ جاءته فاطمة فطرحت عن ظهره، فرفع رأسه ثم قال: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**». ثلاث مرات، فشق عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة.

ثم سمَّىٰ: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ**». وعد السابع، فلم نحفظه، قال: فوالذي نفسي بيده، لقد رأيتُ الذين عدَّ رسول الله ﷺ صَرعىٰ في القليب؛ قليب بدر[(١)].

(١) البخاري، حديث (٢٤٠)، وأصله عند مسلم (١٧٩٤).

النهي عن الاستعجال في الدعاء

* وأخرج البخاري ومسلم[١] (واللفظ لمسلم)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي، فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي**».

* وفي لفظ لمسلم: «**لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ**». قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: «**يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي. فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَيَدَعُ الدُّعَاءَ**».

كلمة جامعة لابن القيم في صفة الدعاء المستجاب

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الجواب الكافي»:

وإذا اجتمع مع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته علىٰ المطلوب، وصادف وقتًا من أوقات الإجابة الستة، وهي: الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وإدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة علىٰ المنبر حتىٰ تقضىٰ الصلاة، وآخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم، وصادف خشوعًا في القلب، وانكسارًا بين يدي الرب، وذلًّا له وتضرُّعًا ورقة، واستقبل الداعي القبلة، وكان علىٰ طهارة، ورفع يديه إلىٰ الله، وبدأ بحمد الله، والثناء عليه، ثم ثنىٰ بالصلاة علىٰ محمد عبده ورسوله ﷺ.

ثم قدم بين يدي حاجته إلىٰ التوبة والاستغفار، ثم دخل علىٰ الله، وألح عليه في

---

(١) البخاري حديث (٦٣٤٠)، ومسلم (مع النووي ١٧/ ٥١).

المسألة، وتملقه ودعاه رغبة ورهبة، وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدم بين يدي دعائه صدقة؛ فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدًا، ولا سيما إن صادف الأدعية التي أخبر النبي ﷺ أنها مظنة الإجابة، أو أنها متضمنة للاسم الأعظم.

حديث الأعمى وتوجهه إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالنبي محمد ﷺ

قال الإمام أحمد[(١)]، وفي مسنده: حدثنا عثمان بن عمر: أخبرنا شعبة، عن أبي جعفر، قال: سمعتُ عمارة بن خزيمة، يُحدث عن عثمان بن حنيف، أن رجلًا ضرير البصر أتىٰ النبي ﷺ، فقال: ادع الله أن يعافيني. قال: «**إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ، وَإِنْ شِئْتَ أَخَّرْتَ ذَاكَ، فَهُوَ خَيْرٌ**». فقال: ادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَىٰ رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتَقْضِي لِي، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ**».

* وعند أحمد[(٢)]، أيضًا من طريق روح، عن شعبة، بنفس السند والمتن؛ لكن في المتن زيادات، وهي:... وتشفعني فيه، قال: فكان يقول هذا مرارًا، ثم قال بعد: أحسب أن فيها أن تشفعني فيه[(٣)]، قال: ففعل الرجل، فبرأ.

وأقول -مستعينًا بالله، وبالله التوفيق-:

إن قوله: «**وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ**» تحتمل أمورًا، منها:

---

(١) المسند (١٧٢٤٠)، **وإسناده صحيح**، وأخرجه أيضًا من هذا الوجه الترمذي (٣٩٢٧)، وابن ماجه (١٣٨٥)، وعبد بن حميد في المنتخب (٣٧٩)، والحاكم في المستدرك (١١٨١)، وابن خزيمة (١٢١٩)، والطبراني في الدعاء (١٠٥١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١٦٦-١٦٨).

(٢) أحمد (١٧٢٤١).

(٣) يعني: أنه متشككٌ في لفظة: وأن تشفعني فيه.

الأول: وأتوجه إليك بدعاء نبيك لي.

ودلت علىٰ ذلك أحاديث كثيرة كدعاء الاستسقاء وغيره[(١)].

الثاني: وأتوجه إليك، بإيماني بنبيك.

وقد دل علىٰ التوسل بمثل هذا قول أهل الإيمان: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ...﴾ [آل عمران: ١٩٣].

الثالث: أتوجه إليك بحبي لنبيك، واتباعي لنبيك، ودلَّ عليه قول أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]. وأيضًا فالمرء مع من أحب.

الرابع: أتوجه إليك بجاه نبيك.

ولا شك أن رسولنا ﷺ قدره عظيم، فهو سيد ولد آدم عليه السلام؛ ولكني لم أر لهذا الرابع شاهدًا لمعناه، وخاصة بعد وفاة رسول الله ﷺ، والله أعلم.

وثَمَّ وجه خامس: وهو أن التوسل بالجاه، لو كان مشروعًا بعد وفاة رسول الله ﷺ؛ لنقل ذلك عن صحابته الكرام، وعن التابعين لهم بإحسان.

هذا، وقد ورد في هذا الباب ما أخرجه البخاري[(٢)]، من طريق أبي عبد الله بن المثنىٰ، عن ثمامة بن عبد الله بن أنس، عن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقىٰ بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون.

---

(١) وستأتي لذلك عدة أدلة في باب التبرك -إن شاء الله-.

(٢) أخرجه البخاري (١٠١٠) وفي سنده أبو عبد الله بن المثنىٰ، وقد ضعفه غير واحد من أهل العلم، وانظر «هدي الساري».

ذِكر بعض الزيادات الواردة
في متن هذا الحديث وبيان حالها وحال بعض رواتها

أخرج الطبراني[(١)]، في «المعجم الكبير»، عن وهب.

عن أبي سعيد المكي، عن روح بن القاسم، عن أبي جعفر الخطمي المدني، عن

---

(١) أخرجه الطبراني (٨٣١١) ونحوه في الصغير (٥٠٨)، وفي الدعاء (١٠٥٠) وسبب ضعفه أنه من طريق عبد الله بن وهب، عن أبي سعيد المكي، وهو شبيب بن سعيد، وروايته عنه ضعيفة، وفي شبيب أيضًا بعض الكلام.

وقد حدث أيضًا إبدال في السند، فجعل شيخ أبي جعفر، هو أبو أمامة بن سهل بن حنيف، وثَمَّ اختلاف أقوىٰ، وهو أن الحديث.... ثمَّ أنه قد توبع ابن وهب، عن شبيب، من أحمد بن شبيب، وقد تكلم بعض العلماء في رواية أحمد بن شبيب، عن أبيه، إذا لم يكن أبوه روىٰ عن يونس، وأيضًا فقد حصل اختلاف في المتن، فروىٰ بدون هذه القصة أيضًا، وهو الأصح.

فقد أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٠٧)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١٦٧)، من طريق أحمد بن شبيب، عن أبيه، عن روح بن القاسم: بدون ذكر القصة، أعني بدون قوله: فانطلق الرجل فصنع مثل ما قال له ثم أتىٰ باب عثمان... إلىٰ آخره.

هذا، وأخرجه الحاكم أيضًا (١/ ٧٠٧) من طريق عون بن عمارة، عن روح بن القاسم، عن أبي جعفر... بدون ذكر القصة.

وأخرجه أيضًا النسائي من طريق هشام الدستوائي، عن أبي جعفر بدون ذِكر القصة (النسائي في الكبرىٰ ١٠٤٩٦).

فعليه يكون، قد رواه عن أبي جعفر ثلاثة نفر (بغض النظر عن الاختلاف في شيخ أبي جعفر، فقد ذَكر مرة أنه عمارة بن خزيمة، وأخرىٰ أنه أبو أمامة بن سهل بن حنيف).

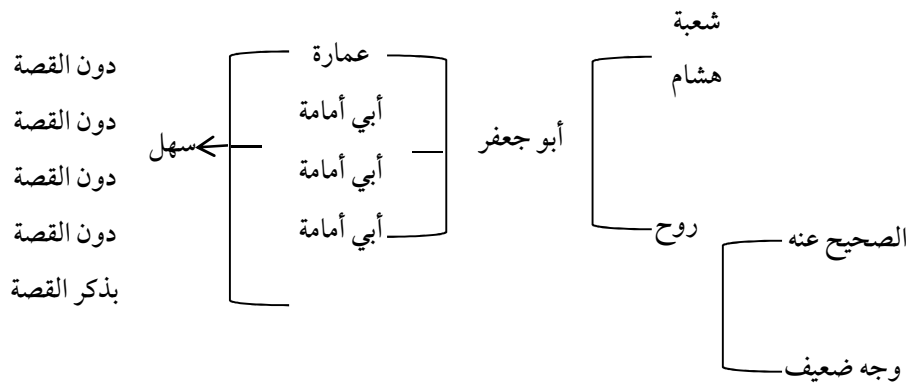
وهؤلاء الثلاثة نفر، هم: شعبة، وروح بن القاسم، وهشام الدستوائي:

أما شعبة، وهشام، فليست عندهم القصة، أما روح بن القاسم، فالصحيح عنه عدم ذكرها أيضًا، فعليه، لا تصح هذه القصة، قصة ذهاب الرجل إلىٰ عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ... والله أعلم. =

أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف: أن رجلًا كان يختلف إلىٰ عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حاجة له، فكان عثمان: لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ، نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلىٰ ربي فتقضي لي حاجتي. وتذكر حاجتك، وروح حتىٰ أروح معك. فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتىٰ باب عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فجاء البواب حتىٰ أخذ بيده، فأدخله علىٰ عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأجلسه معه علىٰ الطنفسة، فقال: حاجتك.. فذكر حاجته، وقضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتىٰ كان الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة، فأذكرها.

ثم إن الرجل خرج من عنده، فلقي عثمان بن حنيف فقال له: جزاك الله خيرًا ما كان ينظر في حاجتي، ولا يلتفت إلي حتىٰ كلمته في. فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته ولكني شهدت رسول الله ﷺ، وأتاه ضرير، فشكىٰ إليه ذهاب بصره،

= وأصور الخلاف علىٰ النحو التالي:



فقال له النبي ﷺ: «**فتبصر**»، فقال: يا رسول الله، ليس لي قائد، وقد شق علي. فقال النبي ﷺ: ائت الميضاة فتوضأ ثم صل ركعتين، ثم ادع بهذه الدعوات، قال ابن حنيف: فوالله ما تفرقنا، وطال بنا الحديث حتىٰ دخل علينا الرجل، كأن لم يكن به ضر قط.

وهذا ضعيف الإسناد.

وقد ورد الحديث من طريق، حماد بن سلمة، عن أبي جعفر بزيادات أُخر أراها شاذة، فقد أخرج النسائي في الكبرىٰ، وغيره، من طريق حماد بن سلمة، قال: أخبرنا أبو جعفر، عن عمارة بن خزيمة، عن عثمان بن حنيف: أن رجلًا أعمىٰ أتىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني رجل أعمىٰ، فادع الله أن يشفيني، قال: «**بَلْ أَدَعُكَ**». قال: ادع الله لي، مرتين أو ثلاثًا، قال: «**تَوَضَّأْ ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قُلِ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّي مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَىٰ اللهِ أَنْ يَقْضِيَ حَاجَتِي، أَوْ حَاجَتِي إِلَىٰ فُلَانٍ، أَوْ حَاجَتِي فِي كَذَا وَكَذَا، اللهُمَّ شَفِّعْ فِيَّ نَبِيِّي، وَشَفِّعْنِي فِي نَفْسِي**»[(١)].

وفي بعض الروايات زيادة: (وإن كانت له حاجة فافعل مثل ذلك...)[(٢)].

وهاتان الزيادتان في رواية حماد، وهما: وشفعني في نفسي.

والأخرىٰ: (وإن كانت له حاجة، فاصنع مثل ذلك). أراهما شاذتين، ولا يتحملهما حماد بن سلمة رَحِمَهُ اللَّهُ، وفي بعض الروايات عنه إثباتها، وفي بعضها عنه حذفها، والله أعلم.

---

(١) النسائي في «الكبرىٰ» (١٠٤١٩)، وأحمد في «المسند» (١٧٢٤٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٥٨)، وغيرهم.

(٢) عزاها ابن تيمية في كتابه «التوسل والوسيلة» (١/ ٢١٣) إلىٰ ابن أبي خيثمة في تاريخه.

أثرٌ عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
في باب التوسل وفي سنده مقالٌ وفي متنه غرابة

أخرجه الدارمي في سننه(١)، فقال: أخبرنا أبو النعمان: حدثنا سعيد بن زيد: حدثنا عمرو بن مالك النكري: حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله قال: قحط أهل المدينة قحطًا شديدًا، فشكوا إلىٰ عائشة، فقالت: انظروا قبر النبي ﷺ، فاجعلوا منه كوىٰ إلىٰ السماء، حتىٰ لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال: ففعلوا، فمطرنا مطرًا حتىٰ نبت العشب، وسمنت الإبل، حتىٰ تفتقت من الشحم، فسمىٰ عام الفتق(٢).

(١) الدرامي (١٠٠).

(٢) وفي سنده ضعفٌ، وذلك للآتي:

أولًا: قول عددٍ من أهل العلم بعدم سماع أبي الجوزاء من عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ثانيًا: كلام ابن عدي في رواية عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء.

ثالثًا: في سعيد بن زيد مقال، ولا يتحمل التفرد في مثل هذا الموطن.

رابعًا: اختلاط أبي النعمان محمد بن الفضل السدوسي، وهذا يحتاج إلىٰ نظرٍ في رواية الدارمي عنه، وهل هي قبل الاختلاط أم بعده.

خامسًا: غرابة المتن، والله أعلم.

فصلٌ في الشفاعة

تعريف الشفاعة:

الشفاعة مأخوذة من الشفع، وهما الاثنان، والشفع ضد الوتر، فالوتر واحد والشفع اثنان، تقول: كان وترًا فشفعته. فالشفاعة هي ضم غيرك إلىٰ جاهك ووسيلتك، فهي علىٰ التحقيق إظهار لمنزلة الشفيع عند المشفع وإيصال منفعة للمشفوع.

قال الطبري -رحمه الله تعالىٰ-: و(الشفاعة) مصدرٌ مِنْ قول الرجل: (شفع لي فلان إلىٰ فلان شفاعة). وهو طلبه إليه في قضاء حاجته، وإنما قيل للشفيع: شفيعٌ وشافع؛ لأنه ثَنَّىٰ المستشفع به، فصار به شفعًا، فكان ذو الحاجة قبل استشفاعه به في حاجته فردًا، فصار صاحبه له فيها شافعًا، وطلبه فيه، وفي حاجته؛ شفاعة، ولذلك سمي الشفيع في الدار وفي الأرض (شفيعًا) لمصير البائع به شفعًا.

قلت: والمشفِّع هو الذي يقبل الشفعة، والمشفَّع هو الذي تُقبل شفاعته، والشفاعة كذلك التوسط للتجاوز عن الذنوب والجرائم، وأيضًا التوسط لجلب خيرٍ أو لدفع ضرٍّ عن أحدٍ من الناس.

أما معنىٰ استشفعه إلىٰ فلان؛ أي: سأله أن يشفع له إليه، ومنه القول المنقول عن الأعشىٰ:

تقـول بنتـي وقـد قربـت مـرتحلًا ... يا رب جنِّب أبي الأوصاب والوجعا

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي ... نومًـا فـإن لجنـب المـرء مضـطجعا

واستشفعت من سَرَاةِ الحي ذا ثقةٍ ... فقـد عصـاها أبوهـا والـذي شـفعا

ومنه أيضًا:

مضىٰ زمن والناس يستشفعون بي فهل لي إلىٰ ليلىٰ الغداة شفيع

وأقول -وبالله التوفيق-:

قد وردت آيات تنفي الشفاعة مطلقًا، وآيات تثبت الشفاعة مقيدةً، وثَمَّ وجوه للجمع بين هذه وتلك:

أولًا: الآيات التي نفت الشفاعة مطلقًا:

* قول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨].

* قول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١].

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٠].

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

* وقول أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١].

* وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤].

* وقول بعض الصالحين: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس: ٢٣].

* وقوله تعالىٰ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٣، ٤٤].

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝١٨﴾ [غافر: ١٨].

ثانيًا: بعض الآيات التي أثبتت الشفاعة والشفيع:

من هذه الآيات ما يلي:

* قوله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

* وقوله تعالىٰ: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٨].

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ۝١٠٧ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ

ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١٠٥-١١٠].

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٨٦]. وكل هذه الآيات أثبتت الشفاعة بقيود.

ثالثًا: وجوه الجمع بين الآيات التي نفت الشفاعات والآيات التي أثبتتها:

يجمع بين الآيات التي نفت الشفاعة الأخروية والآيات التي أثبتتها بالآتي:

أولًا: لا بد أن يُعلم أن أمر الشفاعة كله موكولٌ إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ- لقوله ﷻ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

ثانيًا: لا شفاعة في كافر(١)؛ لقول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ

---

(١) ويستثنىٰ من هذا، أبو طالب، عم رسول الله ﷺ، فقد أخرج البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ-وذكر عنده عمه أبو طالب- فقال: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ**». وقد جاء هذا مجزومًا به في حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك، ويغضب لك. قال: «**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**». أخرجه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩)، فأبو طالب مستثنًى، ثم إن الشفاعة لم تخرجه من النار، وقد يُقال: إن الكافر الداعي إلىٰ كفره ليس كالكافر الذي لا يدعو إلىٰ الكفر، وهذا صحيح، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢، ١٣].

=

حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

ولقول الكافرين: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١]، وفي الصحيح(١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**يَلْقَىٰ إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لاَ تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ. فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَىٰ الكَافِرِينَ**».

ثالثًا: أن الشافع لا يشفع إلا -بإذن الله-؛ وذلك لقوله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

رابعًا: أن الشافع لا يشفع إلا فيمن ارتضاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

خامسًا: أن الأصنام والشمس والقمر وسائر المعبودات لا تشفع لعابديها، قال تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

= وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٤ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٤، ٢٥].

فأبو طالب كان كافرًا لكنه لم يكن داعيًّا إلىٰ الكفر؛ بل كان منافحًا عن رسول الله ﷺ فمن ثَم خُفف عنه.

لكن صراحة حديث رسول الله ﷺ، حيث قال: «**وَلَوْلَا أَنَا...**» أقوىٰ من هذا المفهوم، والله تعالىٰ أعلم.

(١) البخاري (٤٧٦٩).

* وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ [١] وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

* وقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ...﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣]. والله أعلم.

أما عن أنواع الشفاعات وبيانها

فأقول -وبالله التوفيق-: الذي تحصل لي أنها تنقسم إلىٰ ثلاثة أنواع، وهي:

*** شفاعات في الآخرة.**

*** شفاعات يشفعها أقوام أحياء لقوم قد ماتوا.**

*** شفاعات بين أهل الدنيا في دنياهم.**

أما علىٰ وجه التفصيل فبالنسبة لشفاعات الآخرة، فنذكر منها الآتي:

١- أما الشفاعة العظمىٰ (والشافع فيها هو رسول الله ﷺ[٢] بإذن ربه)

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا استثناء منقطع أي: لكن من شهد بالحق علىٰ بصيرة وعلم فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له، وسيأتي لهذا مزيد في تفسير الآية المذكورة، -إن شاء الله-.

(٢) وهي التي ذكرها النبي ﷺ في حديث: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدًا قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ

وهي لأمور ثلاثة:

أ- للتفريج عن الناس مما هم فيه من الغم والكربات التي لا يطيقونها، ولا يحتملونها، لما يجمعهم الله عَزَّوَجَلَّ في صعيدٍ واحدٍ، فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس من رءوسهم.

ب- لإدخال أقوامٍ الجنة.

جـ- لإخراج أقوام من النار.

= مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ؛ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ، وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً». أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم حديث (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

* وهي التي أخرَّها النبي ﷺ لأمته، فقد أخرج مسلم رحمه الله تعالىٰ- في صحيحه حديث (٨٢٠) من حديث أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت في المسجد، فدخل رجلٌ يُصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوىٰ قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعًا علىٰ رسول الله ﷺ، فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ودخل آخر فقرأ قراءة سوىٰ قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله ﷺ فقرآ، فحسَّن النبي ﷺ شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأىٰ رسول الله ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقًا، وكأنما أنظر إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فرقًا، فقال لي: «**يَا أُبَيُّ أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنِ اقْرَأْ الْقُرْآنَ عَلَىٰ حَرْفٍ. فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَىٰ أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةِ: اقْرَأْهُ عَلَىٰ حَرْفَيْنِ. فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَىٰ أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ: اقْرَأْهُ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا. فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي. وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّىٰ إِبْرَاهِيمُ** ﷺ».

* وأخرج البخاري (٧٤٧٤)، ومسلم حديث (١٩٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ، فَأُرِيدُ -إِنْ شَاءَ اللهُ- أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وها هي بعض الأحاديث الواردة في بيان هذه الشفاعة العظمىٰ:

* حديث أبي هريرة -رضي الله تعالىٰ عنه- أخرجه البخاري، ومسلم(١)، واللفظ له، وفيه أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أتي رسول الله ﷺ يومًا بلحمٍ، فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، فقال: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ، فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، إِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ نُوحٍ. فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَىٰ قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﷺ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذِبَاتِهِ،

(١) البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ. فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ ﷺ فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَىٰ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَىٰ النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَىٰ ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ عِيسَىٰ ﷺ. فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَىٰ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لِنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَىٰ ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبْ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ. فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ، مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ، مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَىٰ».

* حديث أنس -رضي الله تعالىٰ عنه-[1]، وفيه أن أنسًا رضي الله عنه قال أن النبي ﷺ قال: «يَجْمَعُ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَذَلِكَ فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا

(١) أخرجه البخاري حديث (٧٤١٠)، ومسلم حديث (١٩٣).

إِلَىٰ رَبِّنَا، حَتَّىٰ يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَمَا تَرَىٰ النَّاسَ؟ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، عَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، حَتَّىٰ يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا. فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكَ -وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ - وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ. فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكَ - وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ-، وَلَكِنْ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ - وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطَايَاهُ الَّتِي أَصَابَهَا - وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَىٰ عَبْدًا آتَاهُ اللهُ التَّوْرَاةَ وَكَلَّمَهُ تَكْلِيمًا. فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ - وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَهَا- وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَىٰ عَبْدَ اللهِ وَرَسُولَهُ، وَكَلِمَتَهُ وَرُوحَهُ. فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. فَيَأْتُونَنِي، فَأَنْطَلِقُ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ لِي: ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، قُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ القُرْآنُ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ الخُلُودُ». فقال النبي ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا

اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الخَيْرِ ذَرَّةً».

* وثَمَّ سياق آخر لحديث أنس -رضي الله تعالىٰ عنه- مع حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري ومسلم[(١)] -رحمهما الله-، فانظره هناك إن شئت.

* ومنها حديث حذيفة -رضي الله تعالىٰ عنه-، ومعه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالا[(٢)]: قال رسول الله ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ تُزْلَفَ[(٣)] لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، وَاذْهَبُوا إِلَىٰ ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ. قَالَ: فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ[(٤)]. اعْمَدُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ الَّذِي كَلَّمَه اللهُ تَكْلِيمًا. فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ ﷺ، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ اذْهَبُوا إِلَىٰ عِيسَىٰ كَلِمَةِ اللهِ وَرُوحِهِ. فَيَقُولُ عِيسَىٰ ﷺ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ. فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ[(٥)]، فَتَقُومَانِ جَنَبَتِي الصِّرَاطِ[(٦)] يَمِينًا وَشِمَالًا،

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٧٥١٠)، ومسلم حديث (١/ ١٨٢- ترتيب محمد فؤاد).

(٢) أخرجه مسلم حديث (١٩٥).

(٣) «تزلف»: أي تقرب. كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [ق: ٣١]؛ أي: قربت.

(٤) «من وراء وراء»: قال الإمام النووي: قد أفادني هذا الحرف الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أمية -أدام الله نعمه عليه-، وقال: الفتح صحيح، وتكون الكلمة مؤكدة كـ: شذر مذر، وشغر بغر، وسقطوا بين بين. فركبهما وبناهما علىٰ الفتح.

(٥) «وترسل الأمانة والرحم»: إرسال الأمانة والرحم لعظم أمرهما، وكثير موقعهما، فتصوران مشخصتين علىٰ الصفة التي يريدها الله تعالىٰ.

(٦) «جنبتي الصراط»: معناهما: جانباه، وناحيتاه اليمنىٰ واليسرىٰ.

فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ». قال: قلتُ: بأبي أنت وأمي! أي شيء كمر البرق؟ قال: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَىٰ الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ(١). تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ(٢) وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَىٰ الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ، سَلِّمْ سَلِّمْ. حَتَّىٰ تَعْجَزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّىٰ يَجِيءَ الرَّجُلُ، فَلَا يَسْتَطِيعَ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا». قال: «وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ(٣) كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ، مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ(٤) فِي النَّارِ». والذي نفس أبي هريرة بيده، إن قعر جهنم لسبعون خريفًا.

٢- **الشفاعة لأهل الكبائر(٥)**: وعليها أدلة كثيرة منها ما هو خاص، ومنها ما هو عام.

أما الخاص: فحديث رسول الله ﷺ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»(٦).

---

(١) «**وشد الرجال**»: الشد هو: العدو البالغ والجري.

(٢) «تجري بهم أعمالهم»: هو تفسير بقوله ﷺ: «فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ،... إلىٰ آخره».

(٣) «**حافتي الصراط**»: هما جانباه.

(٤) (ومكدوس): قال في «النهاية»: أي: مدفوع. وتكدس الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط.

(٥) ليس المقصود قصر الشفاعة علىٰ أهل الكبائر، وحصرها منهم، بل المراد -والله أعلم- أن الشفاعة تنفع أكثر ما تنفع أهل الكبائر؛ وذلك لأن الكبيرة يعذب عليها صاحبها -إلا أن يشاء الله أن تغفر له-، فإذا أذن الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه ﷺ في الشفاعة في صاحب الكبيرة؛ فقد ارتفع عن صاحب الكبيرة العذاب، ومن ثَمَّ حصل له الانتفاع، والحامل علىٰ هذا القول أن هناك أنواعًا من الشفاعات لرسول الله ﷺ، كما بيناه، ونبينه -إن شاء الله- والله أعلم.

(٦) **وهو حديث صحيح بمجموع طرقه**، فله عن رسول الله ﷺ طرق منها حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه أحمد (٣/ ٢١٣)، وأبو داود (في كتاب السنة من سننه، أبواب الشفاعة، حديث ٤٧٣٩)، من طريق سليمان بن حرب: ثنا بسطام بن حريث، عن أشعث الحداني، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي».

وله طرق أخرىٰ عن أنس بن مالك -رضي الله تعالىٰ عنه- مرفوعًا، وله أيضًا طرق أخرىٰ عن =

أما الأدلة العامة فمنها ما يلي:

* حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه أنه قال لرسول الله ﷺ: «مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟». فقال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَلَّا يَسْأَلَنِي عَنْ ذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَىٰ الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ مِنْ نَفْسِهِ»(١).

* الأحاديث التي قدمناها عند ذكر الشفاعة العظمىٰ، وفيها: «فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا بَقِي فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ». وقول النبي ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الْخَيْرِ ذَرَّةً».

وانظر ما تقدم من الأحاديث.

٣- الشفاعة لإدخال قومٍ الجنة بغير حساب:

* تقدم في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيما ذكرناه من أحاديث في أبواب الشفاعة العظمىٰ، أن النبي ﷺ، قال: «فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ! أُمَّتِي يَا رَبِّ! فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! أَدْخِلِ مِنْ أُمَّتِكَ، مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ، مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ».

= غير أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ؛ كجابر بن عبد الله وغيره من الصحابة، انظر هذا كله بتفصيل في كتاب الشفاعة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، (حديث رقم ٩٩، ٦٥٧٠).

* وعن رفاعة[١] الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ، حتىٰ إذا كنا بالكديد -أو قال: بقديد-، فجعل رجال منا يستأذنون إلىٰ أهليهم، فيأذن لهم فقام رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: «**مَا بَالُ رِجَالٍ يَكُونُ شِقُّ الشَّجَرَةِ الَّتِي تَلِي رَسُولَ اللهِ ﷺ أَبْغَضَ إِلَيْهِمْ مِنَ الشِّقِّ الْآخَرِ**». فلم نر عند ذلك من القوم إلا باكيًا، فقال رجل: إن الذي يستأذنك بعد هذا السفيه، فحمد الله، وقال حينئذ: «**أَشْهَدُ عِنْدَ اللهِ، لَا يَمُوتُ عَبْدٌ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، ثُمَّ يُسَدِّدُ إِلَّا سُلِكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: وَقَدْ وَعَدَنِي رَبِّي عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ، وَلَا عَذَابَ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا يَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ تَبَوَّءُوا أَنْتُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِكُمْ وَأَزْوَاجِكُمْ، وَذُرِّيَاتِكُمْ، مَسَاكِنَ فِي الْجَنَّةِ، وَقَالَ: إِذَا مَضَىٰ نِصْفُ اللَّيْلِ -أَوْ قَالَ: ثُلُثَا اللَّيْلِ- يَنْزِلُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي مَنْ ذَا يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، مَنِ الَّذِي يَدْعُونِي، أَسْتَجِيبُ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي أُعْطِيهِ حَتَّىٰ يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ**».

٤- الشفاعة في خروج الموحدين من النار:

* عن أبي هريرة[٢] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟**». قالوا: لا، يا رسول الله، قال: «**فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**» قالوا: لا. قال: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ،**

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٦).

(٢) أخرجه البخاري حديث (٨٠٦)، ومسلم (١/ ١٦٣-١٦٤).

فَيَقُولُونَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَدْعُوهُمْ فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلاَمُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟». قالوا: نعم. قال: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو، حَتَّىٰ إِذَا أَرَادَ اللهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللهُ المَلاَئِكَةَ: أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، قَدْ امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ...» فذكر الحديث.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال[1]: قلنا: يا رسول الله، هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ قال: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟». قلنا: لا. قال: «فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا. ثُمَّ قَالَ: يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَىٰ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ. فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّىٰ يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرًا ابْنَ اللهِ. فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا. فَيُقَالُ: اشْرَبُوا. فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَىٰ:

(١) أخرجه البخاري، حديث (٧٤٣٩).



مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ. فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا. فَيُقَالُ: اشْرَبُوا. فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، حَتَّىٰ يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا، قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ. فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ[1]،فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَىٰ بِالْجَسْرِ، فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ». قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: «مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهَا خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ، لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّىٰ يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الْحَقِّ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، إِخْوَانُنَا الَّذِينَ كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا. فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ. وَيُحَرِّمُ اللهُ صُوَرَهُمْ عَلَىٰ النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَىٰ قَدَمِهِ، وَإِلَىٰ أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ

---

(١) في هذه اللفظة بعض الخلاف، ففي بعض الروايات: «فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ». وسيأتي القول فيها بتفصيل -إن شاء الله- في الصفات، صفة الساق.

مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا». قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرءوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]. «فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي. فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ. فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَىٰ جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَىٰ جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَىٰ الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَىٰ الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ، أَدْخَلَهُمْ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ. فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ».

وعن أنس[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ حَتَّىٰ يُهِمُّوا بِذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَىٰ رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ، أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، لِتَشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّىٰ يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا. قَالَ: فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، قَالَ: وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ أَكْلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ. فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ. قَالَ: فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ:

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٧٤٤٠).

إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ كَذَبَهُنَّ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَىٰ عَبْدًا آتَاهُ اللهُ التَّوْرَاةَ، وَكَلَّمَهُ، وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا. قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، الَّتِي أَصَابَ قَتْلَهُ النَّفْسَ؛ وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَىٰ عَبْدَ اللهِ وَرَسُولَهُ، وَرُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ. قَالَ: فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ، عَبْدًا غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَا تَأَخَّرَ. فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَبِّي فِي دَارِهِ[1]، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، فَيَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَ، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَىٰ رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ».

قال قتادة: وسمعتهُ أيضًا، يقولُ: «فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيَأْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ. قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُثْنِي عَلَىٰ رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ، يُعَلِّمُنِيهِ. قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ». قال قتادة: «وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ، وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ. قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُثْنِي عَلَىٰ رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ، فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ». قال قتادة: وقد سمعتُه يقول: «فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، حَتَّىٰ مَا يَبْقَىٰ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ». أي وجب

---

(١) تكلَّم بعض العلماء في هذه اللفظة، وتحتاج إلىٰ مزيد تحرير.

عليه الخلود، ثم تلا الآية: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]. قال: «**وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وُعِدَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ**».

٥- الشفاعة لدخول الجنة:

* وفي ذلك، حديث أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا**»(١). وفي رواية: عن أنس أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**»(٢).

٦- شفاعة النبيين:

تقدم في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، المتفق عليه، أن النبي ﷺ قال: «... **فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ**».

٧- شفاعة الملائكة:

* قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

* وتقدم في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال: «... **فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ...**». الحديث.

٨- شفاعة المؤمنين:

* تقدم في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «... **فَمَا أَنْتُمْ**

---

(١) أخرجه مسلم حديث (١٩٦).

(٢) أخرجه مسلم أيضًا، حديث (١٩٧).

بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الْحَقِّ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا الَّذِينَ كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا. فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ. وَيُحَرِّمُ اللهُ صُوَرَهُمْ عَلَىٰ النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَىٰ قَدَمِهِ، وَإِلَىٰ أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا». قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرءوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]. «فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ...».

٩- شفاعة الآباء لأبنائهم المؤمنين:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور: ٢١].

١٠- شفاعة الشهداء:

* عن المقدام بن معديكرب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَىٰ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ[1]، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيَشْفَعُ

(١) هذه كلها واحدة: «يغفر له، عند أول دفعة من دمه، ويرىٰ مقعده من الجنة».

فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»[١].

١١- شفاعة الجبار عَزَّوَجَلَّ:

* تقدم في حديث أبي سعيد الخدري المتفق عليه؛ أن النبي ﷺ قال: «... فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي. فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ. فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَىٰ جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَىٰ جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَىٰ الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَىٰ الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمْ الْخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ، أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ. فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

١٢- شفاعة الأطفال لآبائهم يوم القيامة:

والأحاديث في هذا الباب كثيرة منها:

* ما أخرجه مسلم[٢]، من طريق أبي حسان، قال: قلت لأبي هريرة: إني قد مات لنا ابنان فما أنت[٣] محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تُطيّب به أنفسنا، عن موتانا؟ قال: قال: نعم: «صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ، يَتَلَقَّىٰ أَحَدُهُمْ أَبَاهُ - أو قال: أَبَوَيْهِ- فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ - أو قال: بِيَدِهِ - كَمَا آخُذُ أَنَا بِصِنْفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَتَنَاهَىٰ -أو قال: فَلَا يَنْتَهِي- حَتَّىٰ يُدْخِلَهُ اللهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ».

---

(١) صحيح: وسيأتي، أخرجه الترمذي، وسيأتي في آل عمران -إن شاء الله-.

(٢) مسلم (٢٦٣٥).

(٣) وفي رواية عند مسلم أيضًا: فهل سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا تطيب به أنفسنا، عن موتانا؟

* وأخرج الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ[١] بإسناد حسنٍ، من حديث بعض أصحاب النبي ﷺ: «**يُقَالُ لِلْوِلْدَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ. قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ، حَتَّىٰ يَدْخُلَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا. قَالَ: فَيَأْتُونَ. قَالَ: فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: مَا لِي أَرَاهُمْ مُحْبَنْطِئِينَ؟! ادْخُلُوا الْجَنَّةَ. قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا. قَالَ: فَيَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ**».

١٣- شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب[٢]:

وقد تقدم في بعض الحواشي السابقة الحديثُ عنها، وفيه: أن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك، ويغضب لك؟ قال: «**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**». متفق عليه.

وفي رواية في الصحيحين أيضًا، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنه سمع النبي ﷺ، وذكر عنده عمه، فقال: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ، يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ**».

١٤- شفاعة القرآن، وخاصة سورة البقرة وآل عمران:

* أخرج مسلم -رحمه الله تعالىٰ- في صحيحه[٣]، من حديث أبي أمامة

---

(١) «المسند» (٤/ ١٠٥).

(٢) من المعلوم أن أبا طالب، عم رسول الله ﷺ؛ قد مات علىٰ الكفر، فكان آخر ما قاله: هو علىٰ ملة عبد المطلب. وقد نزل فيه قوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]. ونزل فيه أيضًا: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦].

(٣) أخرجه مسلم، حديث رقم (٨٠٤).

الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ؛ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ(١)، أَوْ غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ(٢)، مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ**»(٣).

* وفي «صحيح مسلم» أيضًا(٤)، من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**يُؤْتَىٰ بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ**». وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: «**كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ(٥)، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ(٦)، مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ(٧) عَنْ صَاحِبِهِمَا**».

١٥- شفاعات من أقوام أحياء لأقوام قد ماتوا لرفع درجاتهم:

* ويدخل فيها عموم الأدعية التي دعا بها رسول الله ﷺ لمن مات، ومنها الوارد في أدعية الصلاة علىٰ الجنائز، ونحو ذلك، وها هي بعض الأحاديث الواردة في هذا الباب:

---

(١) المراد: سحابتان، والله أعلم.

(٢) الفِرق هو الجماعة أو القطعة.

(٣) البطلة هم السحرة.

(٤) أخرجه مسلم حديث (٨٠٥).

(٥) شرق: أي ضياء ونور.

(٦) الحزق: الجماعة، أو القطعة.

(٧) تحاجان: تدافعان، وقال بعض العلماء: تحاجان: الجحيم والزبانية.

* أخرج البخاري -رحمه الله تعالىٰ- في صحيحه(١)، من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لما فرغ النبي ﷺ من حُنين، بعث أبا عامرٍ علىٰ جيشٍ إلىٰ أوطاس، فلقي دُريد بن الصِّمَّة، فقتل دُريد، وهزم الله أصحابه، قال أبو موسىٰ: وبعثني مع أبي عامر، فرمي أبو عامر في ركبته، رَماه جُشمي بسهمٍ فأثبتَه في ركبتِهِ، فانتهيتُ إليهِ فقلتُ: يا عمِّ، مَنْ رماك؟ فأشار إلىٰ أبي موسىٰ فقال: ذاك قاتلي، الذي رماني، فقصدتُ له، فلحقته، فلما رآني ولىٰ، فاتبعتُهُ وجعلتُ أقولُ له: ألا تستحي؟ ألا تثبت؟ فكفَّ، فاختلفنا ضربتين بالسيف، فقتلتُه، ثم قلتُ لأبي عامر: قتلَ الله صاحبك. قال: فانزع هذا السهمَ. فنزعتهُ فنزل منه الماء، قال: يابنَ أخي، أقرئ النبي ﷺ السلام، وقل له: استغفر لي، واستخلفني أبو عامر علىٰ الناس. فمكثَ يسيرًا، ثم مات. فرجعتُ فدخلتُ علىٰ النبي ﷺ في بيته علىٰ سرير مرمل، وعليه فراشٌ قد أثَّرَ رمالُ السرير بظهره وجنبيه، فأخبرته بخبرنا، وخبر أبي عامر، وقال له: استغفر لي. فدعا بماء فتوضأ، ثم رفع يديه، فقال: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ**». ورأيت بياض إبطيه، ثم قال: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ**». فقلتُ: ولي فاستغفر. فقال: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مُدْخَلًا كَرِيمًا**». قال أبو بُردة: إحداهما لأبي عامرٍ، والأخرىٰ لأبي موسىٰ.

* وأخرجه مسلم، من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قال: دخلَ رسول الله ﷺ علىٰ أبي سلمة، وقد شقَّ بصره، فأغمضه، ثم قال: «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ**». فضجَّ ناسٌ من أهله. فقال: «**لَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَىٰ مَا تَقُولُونَ**». ثم قال: «**اللَّهُمَّ، اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ**

(١) أخرجه البخاري (٤٣٢٣)، ومسلم (ص ١٩٤٣، ١٩٤٤).

دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ».

١٦- شفاعة المصلين علىٰ الميت:

* أخرج مسلم[(١)]،من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه مات ابن له بقديد، أو بعسفان، فقال: يا كريب، انظر ما اجتمع له من الناس، قال: فخرجت، فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته، فقال: تقول: هم أربعون؟ قال: نعم، قال: أخرجوه، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَىٰ جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ».

* وأخرج مسلم[(٢)]، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ، إِلَّا شَفَعُوا فِيهِ».

١٧- شفاعة الأبناء لآبائهم:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ؛ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّىٰ لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ»[(٣)].

١٨- ويلحق بما سبق طلب الشفاعة، من المخلوق الحي، فيما يقدر عليه:

ويجوزُ ذلك، فقد أخرج الإمام أحمد[(٤)] -رحمه الله تعالىٰ- في مسنده،

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٦٥٥، حديث رقم ٩٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٦٥٤، حديث رقم ٩٤٧)، وفيه بعض الانتقاد، ويشهد له ما قبله والمسلمون في الحديث الثاني لا يشركون بالله شيئًا.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠٩) بإسناد حسن.

(٤) المسند (٤/ ١٣٨)، وهو صحيح.

من حديث عثمان بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلًا ضرير البصر أتىٰ النبي ﷺ، فقال: ادع الله أن يعافيني. قال: «**إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ، وَإِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ ذَاكَ فَهُوَ خَيْرٌ**». فقال: ادعه. فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ، نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَىٰ رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتَقْضِي لِي اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ**».

وهذه بعض الأسباب التي تجلب الشفاعات

١- **منها: قراءة القرآن، والعمل به،** وقد تقدم في ذلك حديث رسول الله ﷺ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ...**». الحديث.

٢- **سكنىٰ مدينة رسول الله ﷺ، والصبر علىٰ لأوائها** فقد أخرج مسلم في صحيحه[(١)]، من طريق أبي سعيد مولىٰ المهري أنه جاء أبا سعيد الخدري ليالي الحرَّة، فاستشاره في الجلاء من المدينة، وشكا إليه أسعارها، وكثرة عياله، وأخبره أن لا صبر له علىٰ جهد المدينة، ولأوائها، فقال: ويحك، لا آمرك بذلك، إني سمعتُ رسول الله يقول: «**لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَىٰ لَأْوَائِهَا، فَيَمُوتَ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا، أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا**».

وأخرج مسلم نحوه أيضًا، من حديث ابن عمر، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[(٢)].

٣- **الصلاة علىٰ النبي ﷺ، وطلب الوسيلة له بعد تكرير ما يقوله المؤذن،**

---

(١) أخرجه مسلم (ص ١٠٠٢).

(٢) حديث (١٣٧٧) (١٣٧٨).

فقد أخرج مسلم[(١)]، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**».

٤- **الصلاة علىٰ الميت**، وقد تقدم في ذلك الحديث عن رسول الله ﷺ.

٥- **كثرة السجود**، فقد أخرج أحمد في مسنده[(٢)]، من حديث خادم النبي ﷺ رجل أو امرأة، قال: كان النبي ﷺ مما يقول للخادم: «**أَلَكَ حَاجَةٌ؟**». قال: حتىٰ كان ذات يوم فقال: يا رسول الله، حاجتي. قال: «**وَمَا حَاجَتُكَ؟**». قال: أن تشفع لي يوم القيامة. قال: «**وَمَنْ دَلَّكَ عَلَىٰ هَذَا؟**». قال: ربي. قال: «**إِمَّا لَا، فَأَعِنِّي بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**».

وعلىٰ المسلم أن يحذر اللعن، فإنه إذا أكثر من اللعن حُرم من أن يشفع فقد أخرج مسلم رحمه الله من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ، وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٥٠٠) من طريق عفان: ثنا خالد -يعني الواسطي- (قال مصطفىٰ وهو خالد الطحان) قال: ثنا عمرو بن يحيىٰ الأنصاري، عن زياد بن أبي زياد مولىٰ بني مخزوم، عن خادم النبي ﷺ.. وهذا إسناد صحيح، وقد أخرج مسلم (حديث ٤٨٩) من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي، قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ، فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: «سَلْ» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: «أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ». قلت: هو ذاك. قال: «فَأَعِنِّي عَلَىٰ نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»

(٣) أخرجه مسلم حديث (٢٠٠٦).

وهذه بعض الشفاعات الدنيوية المشروعة:

من الشفاعات الدنيوية، ما هو مشروع، ومنها ما هو محرم، قال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥].

وهذه بعض صور الشفاعات الدنيوية المشروعة:

* منها ما ورد في حديث رسول الله ﷺ أنه كان إذا جاءه السائل، أو طلبت إليه حاجة قال: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا**». ويقضي الله علىٰ لسان نبيه ﷺ ما شاء[(١)]، أخرجه البخاري ومسلم، من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا.

* وأخرج البخاري، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن زوج بريرة كان عبدًا، يُقال له: مغيث. كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل علىٰ لحيته، فقال النبي ﷺ لعباس: «**يَا عَبَّاسُ، أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا؟**». فقال النبي ﷺ: «**لَوْ رَاجَعْتِهِ**». قالت: يا رسول الله، تأمرني؟ قال: «**إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ**». قالت: لا حاجة لي فيه. أخرجه البخاري (٥٢٨٣).

وهذه أمثلة للشفاعات الدنيوية المحرمة:

من ذلك الشفاعة عند السلطان لإسقاط حدٍّ من حدود الله، قد وجب علىٰ شخص.

أخرج البخاري ومسلم[(٢)]، من حديث عائشة رضي الله عنها أن قريشًا أهمتهم

(١) أخرجه البخاري (١٤٣٢) وفي غير موطن من صحيحه، ومسلم (٢٦٢٧).

(٢) أخرجه البخاري حديث (٦٧٨٨)، ومسلم حديث (١٦٨٨).

المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: مَن يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ ومَن يجترئ عليه إلا أسامةُ حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فكلم رسول الله ﷺ فقال: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟**». ثم قام فخطب فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ[1] مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا**».

ويدخل في الشفاعات المحرمة الواسطة التي تذهب بحقوق أناس إلىٰ آخرين لا حقَّ لهم.

(١) في رواية: «**إِنَّمَا هَلَكَ**».

فصلٌ في التبرك

بين يدي الحديث عن التبرك يلزم التنبيه علىٰ أمور:

أحدها: معنىٰ التبرك.

التنبيه الثاني: بيان أن الخير كله من الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه سبحانه هو الذي يقدر المقادير، ويتفضل علىٰ من شاء بما شاء.

التنبيه الثالث: لزوم الكتاب والسنة، وفعل المشروع، وترك الممنوع.

التنبيه الرابع: أن الله عَزَّوَجَلَّ فضل بعض الأشخاص علىٰ بعض، وبعض الأماكن علىٰ بعض، وبعض البلاد علىٰ بعض، وبعض الأشجار علىٰ بعض، وبعض الدوابَّ علىٰ بعض... فهو سبحانه يقضي بما يشاء، ويحكم بما يريد.

الخامس: أن الخير الذي نرجوه، والبركة التي نرجوها قد تكون دنيوية، وقد تكون أخروية.

السادس: أن التماس البركة (علىٰ الوجه المشروع)؛ نوعٌ من أنواع الأخذ بالأسباب.

فأقول -وبالله التوفيق-:

معنىٰ التبرك: فالتبرك يُطلق علىٰ أحد معنيين:

الأول: ثبوت الخير في الشيء، وبقاؤه فيه، ولزومه له.

الثاني: النمو والازدياد والكثرة.

فإذا قلت لشخص -بارك الله فيك- فتحتمل معاني:

* منها: ثَبَّت الله الخير فيك، ولم يُزله عنك.

* ومنها: زادك الله من الخير والفضل.

* **أما عن معنىٰ -تبارك الله-** فللعلماء فيها أقوال:

أحدها: أن تباركه؛ يعني: كثرة خيره، وكثرة الخير الوارد منه لخلقه، وأن تباركه تعاظمه، ومجده، وبقاؤه.

والثاني: أن تبارك: تعاظم تقدس، وثَمَّ معانٍ أُخر.

ويظهر -والله أعلم- أيضًا: أن لفظة (تبارك) أقرب إلىٰ الفعل من الوصف، ولكنها أيضًا وصفٌ لله عَزَّوَجَلَّ، فلإيضاحه أقول -وبالله التوفيق-:

تقول: تبارك الله: ازداد الخير الوارد من الله، والفضل الوارد من عند الله، وازدادت النعم الواردة من الله، وتعني أيضًا البقاء؛ أي: أن الله حي لا يموت، وتتضمن كلمة (تبارك) وصفًا أيضًا لله عَزَّوَجَلَّ، كما نقول (تعالىٰ الله) من العلو، وكذا فإننا نقول: (تباركت وتعاليت). فتبارك تدل علىٰ كثرة خيره، وجوده، وعظمته، وتدل علىٰ بقائه، وأنه حي لا يموت، والله أعلم.

وكاستطراد في بيان معنىٰ التبرُّك: إذا قلنا أن القرآن مباركٌ؛ فالمعنىٰ أن الخير الوارد فيه كثير، فهو كثير الخيرات والبركات.

وإذا قلنا عن شخص: (مباركٌ)؛ فمعناه أنه خيِّرٌ، فإذا نزل مكانًا مثلًا أصلح بين الناس، أو ذكَّرهم بالله، أو أعطاهم مما أعطاه الله... وهكذا.

فهذا إجمالًا عن معنىٰ البركة، فليكن علىٰ بالك أيها القارئ والدارس لموضوع التبرك.

التنبيه الثاني: والذي حاصله أنَّ الخيرَ كله من الله عَزَّوَجَلَّ، فقد دلت عليه أدلة لا حصر لها، من الكتاب العزيز، والسنة المباركة، وشهدت بذلك الفطرةُ التي فطر الله الناس عليها، والجبلة التي جبل الله الخلق عليها.

فمن أدلة ذلك من الكتاب العزيز ما يلي: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]. وقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]. وقوله تعالىٰ: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ١٠٥]. وقوله تعالىٰ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]. وآيات أُخر كثيرة جدًّا، تثبت هذا المعنىٰ وتؤيِّده(١).

* ومن سنة رسول الله ﷺ(٢)؛ قوله -صلوات الله وسلامه عليه-: «**لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**(٣)، **أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ...**».

* وفي الصحيح(٤) أن الله عَزَّوَجَلَّ ينادي آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول الله له: «**يَا آدَمُ**.

---

(١) راجع لذلك أبواب القدر.

(٢) ورد ذلك في حديث دعاء الاستفتاح، في صحيح مسلم (مع النووي ٦/ ٥٩).

(٣) معلومٌ أن الله قدر المقادير كلها؛ خيرها وشرها، وقال بعض العلماء: إن هذا اللفظ من باب التأدب مع الله عَزَّوَجَلَّ. وقال آخرون: إن الأشخاص هم الذين يتسببون لأنفسهم في الشر كما في الآية: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]. أي: المتسبب فيها، إلىٰ غير ذلك من الأقوال.

(٤) البخاري (مع الفتح ٤/ ١٠٩).

فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ...».

* وفي الصحيح أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ».

* والنصوص في هذا كثيرة أيضًا.

أما عن التنبيه الثالث: فقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وقال: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

والنصوص في الحث علىٰ اتباع الكتاب والسنة كثيرة جدًّا؟

أما عن التنبيه الرابع، وهو سنة التفضيل، فأقول -وبالله التوفيق-:

جرت سنة الله ﷻ بالتفضيل ففضل الله ﷻ بعض النبيين علىٰ بعض، وبعض الملائكة علىٰ بعض، وبعض البلاد علىٰ بعض، وبعض الأماكن علىٰ بعض.

وإيضاح ذلك: أن التفضيل سنة جارية ماضية، يُفضل الله ﷻ من يشاء علىٰ مَن يشاء.

ففضَّل الله بعض الأنبياء علىٰ بعض:

فالنبي محمد ﷺ سيد ولد آدم أجمعين؛ كما قال -عليه الصلاة والسلام-: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ»[(١)].

* وأولو العزم من الرسل (وهم: نوحٌ، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ،

---

(١) **صحيح:** وتقدم تخريجه.

ومحمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-)؛ أفضل من غيرهم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

* وهم[١] الذين يتَّجه إليهم الناس للاستشفاع بهم يوم القيامة، كما تقدم في أبواب الشفاعة العظمىٰ.

*** وفضل الله عَزَّوَجَلَّ بعض الملائكة علىٰ بعض:**

فجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ خيرهم؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢١]. ومن شهد بدرًا من الملائكة هم أفضل الملائكة.

*** وفضل الله بعض البلاد علىٰ بعض:**

فمكة (أم القرىٰ) أحب بلاد الله إلىٰ الله؛ كما قال النبي ﷺ: «**وَاللهِ، يَا مَكَّةُ، إِنَّكِ لَأَحَبُّ بِلَادِ اللهِ إِلَىٰ اللهِ، وَأَحَبُّ بِلَادِ اللهِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**»[٢].

وتليها مدينة رسول الله ﷺ، قال فيها النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَةِ**»[٣].

وقال النبي ﷺ: «**عَلَىٰ أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ، لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ، وَلَا الدَّجَّالُ**»[٤].

---

(١) ومعهم آدم ﷺ، وقد تقدم الحديث كذلك.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) أخرجه البخاري حديث (١٨٨٥)، ومسلم حديث (١٣٦٩)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٤) أخرجه البخاري حديث (١٨٨٠)، ومسلم حديث (١٣٨٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* وقال النبي ﷺ في المدينة: «**أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَىٰ، يَقُولُونَ: يَثْرِبُ. وَهِيَ الْمَدِينَةُ، تَنْفِي النَّاسَ، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**»(١).

* وبها مسجد رسول الله ﷺ الصلاة فيه بألف صلاة مما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام(٢).

*** وفضل الله عَزَّوَجَلَّ بعض الأماكن علىٰ بعض:**

فليست الأسواق كالمساجد؛ فكما صح عن رسول الله ﷺ: «**أَنَّ خَيْرَ بِقَاعِ الْأَرْضِ الْمَسَاجِدُ، وَشَرَّهَا الْأَسْوَاقُ**»(٣).

* وكذلك ما بين بيت رسول الله ﷺ، ومنبره؛ روضة من رياض الجنة(٤).

*** وفضل الله بعض الآيات علىٰ بعض:**

فأعظم آية في كتاب الله آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ...﴾ [البقرة: ٢٥٥](٥).

*** وفضل الله عَزَّوَجَلَّ بعض السور علىٰ بعض:**

* فسورة الفاتحة أفضل من غيرها من السور؛ لما قاله النبي ﷺ لأبي سعيد بن المعلىٰ: «**لِأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ...**»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري حديث (١٨٧١)، ومسلم حديث (١٣٨٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرج البخاري حديث (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا؛ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ».

(٣) أخرج مسلم حديث (٦٧١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَىٰ اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَىٰ اللهِ أَسْوَاقُهَا».

(٤) أخرج البخاري (١٨٨٨)، ومسلم (١٣٩١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَىٰ حَوْضِي».

(٥) وسيأتي تخريجه عن قريب -إن شاء الله-.

(٦) **صحيح**: وقد تقدم في تفسير الفاتحة.

* وكذلك سورة «قل هو الله أحد»؛ تعدل ثلث القرآن.

* **وفضل الله بعض صيغ الاستغفار علىٰ بعض:**

فبين النبي ﷺ أن سيد الاستغفار هو: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتُ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ...**». الحديث[(١)].

* **وكذلك فضل الله بعض الشهور علىٰ بعض:**

فالأشهر الحرم أفضل من غيرها، وكذلك شهر رمضان؛ أنزل فيه القرآن، وفيه ليلة القدر خير من ألف شهر.

* **وفضل الله ﷻ بعض أيام السنة علىٰ بعض:** فيوم عرفة خير أيام السنة.

* **وفضل الله ﷻ بعض أيام الأسبوع علىٰ بعض:**

فيوم الجمعة خيرُ يومٍ طلعت عليه الشمس، كما صح[(٢)] عن رسول الله ﷺ.

* **وفضل الله ﷻ بعض الساعات علىٰ بعض:**

فالساعة الأخيرة من يوم الجمعة؛ خيرٌ من غيرها من الساعات، ففيها: يستجاب الدعاء، والثلث الأخير من الليل ورد فيه الفضل عن رسول الله ﷺ؛ ففيه: «**يَنْزِلُ الرَّبُّ ﷻ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟**»[(٣)].

* **وكذلك فضل الله ﷻ بعض الليالي علىٰ بعض:**

قال تعالىٰ: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣].

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١١/ ٩٧)، من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم حديث (٨٥٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

* وكذلك فضل الله بعض القرون علىٰ بعض:

قال النبي ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي...»(١).

* وفضل الله بعض الأمم علىٰ بعض:

قال سبحانه في شأن أمة محمد ﷺ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١١].

* وفضل الله بعض القبائل علىٰ بعض:

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»(٢).

* وفضل الله عزوجل بعض النساء علىٰ بعض:

* فمريم، وخديجة، وفاطمة، وآسية رضي الله عنهن؛ خير النساء علىٰ الإطلاق؛ «وَفَضْلُ عَائِشَةَ رضي الله عنها عَلَىٰ النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ»(٣).

* وفضل الله بعض الأطعمة علىٰ بعض:

قال تعالىٰ: ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤]، والمن والسلوىٰ خير من الفوم والعدس والبصل والقثاء.

* وفضل الله بعض الألوان علىٰ بعض:

فالأبيض خير الثياب، والصفراء تسر الناظرين، والأخضر من ثياب أهل الجنة.

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥)، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (٥/ ١٣٤- مع النووي)، والترمذي (٣٦٠)، وغيرهم من حديث واثلة بن الأسقع.

(٣) صحيح: وانظر تخريجه والذي قبله في كتابنا «الصحيح المسند من فضائل الصحابة».

*** وفضل الله بعض الدواب علىٰ بعض:**

فالنمل، والنحل، والهدهد، والصرد، نُهينا عن قتلها، وأمرنا رسول الله ﷺ بقتل خمس فواسق في الحل والحرم[(١)]؛ وهي الحية، والعقرب، والغراب الأبقع[(٢)]، والفأرة، والكلب العقور.

واستحب لنا قتل الوزغ، وجعل في قتله الأجر[(٣)]، ونهينا عن قتل الضفدع.

*** وفضل الله بعض الأشجار علىٰ بعض:**

فليست الشجرة الطيبة كالشجرة الخبيثة، وليست النخلة التي مثلها مثل المؤمن، كشجر الغرقد (شجر اليهود)، وبارك الله في الشجرة المباركة الزيتونة.

*** وفضل الله بعض الكلمات علىٰ بعض:**

فكلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، ليست كغيرها من الكلمات، وكذلك (سبحان الله وبحمده)، وكذلك الذكر الوارد عن رسول الله ﷺ: «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**». فاق كل ما قالته أم المؤمنين جويرية بعد صلاة الصبح، التي صلتها -كما هو وارد في الحديث عند مسلم[(٤)]-.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٢٩)، ومسلم (١١٩٨)، من حديث عائشة مرفوعًا.

(٢) **الغراب الأبقع**: هو الذي في ظهره وبطنه بياض.

(٣) في «صحيح مسلم» (٢٢٤٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ وَزَغَةً فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا...**». الحديث، وفي رواية لمسلم: «**كُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ**»، وفي أخرىٰ عند مسلم أيضًا: «**كُتِبَتْ لَهُ سَبْعُونَ حَسَنَةً**».

(٤) انظر: «صحيح مسلم» مع النووي (١٧/ ٤٤)، من حديث جويرية رضي الله عنها.

*** وفضل الله بعض حالات العبد علىٰ بعض:**

فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد(١)، وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

*** وفضل الله بعض الشهداء علىٰ بعض:**

فخيرهم وسيدهم حمزة رضي الله عنه(٢)، وقد طار جعفر بجناحيه مع الملائكة.

*** وفضل الله بعض الصحابة علىٰ بعض:**

فأفضلهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي -رضي الله عنهم أجمعين-، إلىٰ غير ذلك من أنواع التفضيل تركناها خشية الملل.

* وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ١٩-٢٢].

وقال الله -جلَّ ذكره-: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٣١].

أما عن التنبيه الخامس: وهو أن هناك بركة دنيوية وبركة أخروية، فأقول: إن من دعاء أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]. وقد قال تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢].

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٤/ ٢٠٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) كل هذا صحيح، وانظر كتابي: الصحيح المسند من فضائل الصحابة.

فعلىٰ ذلك فالتماس البركة يكون من وجهين: التماس البركة الأخروية، والتماس البركة الدنيوية.

أما التنبيه السادس، وهو أن التماس البركة (علىٰ الوجه المشروع) نوع من أنواع الأخذ بالأسباب، فأقول: والأخذ بالأسباب مشروعٌ، وأدلته كثيرةٌ جدًّا، من الكتاب والسنة، وقد قال تعالىٰ: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك: ١٥]. وقال تعالىٰ: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ...﴾ [الأنفال: ٦٠].

فعلىٰ إثر ما تقدم، أقول -مستعينًا بالله عَزَّوَجَلَّ-:

إن التبرك منه تبركٌ مشروعٌ محمود، ومنه تبركٌ ممنوعٌ ومبتدعٌ:

وأقول أيضًا: إن الشيء الواحد قد يتبرك به الشخص تبركًا مشروعًا محمودًا، يثاب عليه، ويُكرم به، وقد يتبرك به شخص يُلام عليه، ويهان بسببه ويعاقب.

فأقول مستعينًا بالله، مُفصلًا القول وموضحًا:

التبرك بذكر الله عَزَّوَجَلَّ:

بلا شك أننا نلتمس الخيرات والبركات بذكر الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا ذكرنا الله عَزَّوَجَلَّ بما شرع، وبما سنه لنا رسولنا ﷺ، وما أباحه لنا، فنرجو من وراء ذلك الخير والثواب والحفظ في الدنيا والآخرة.

فإذا قلنا: لا إله إلا الله. وقلنا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

أو قلنا: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

أو قلنا: لا حول ولا قوَّة إلا بالله.

أو ذكرنا الله بالأذكار الموظفة الواردة في الكتاب والسنة، كقولنا: حسبنا الله ونعم الوكيل. أو: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، ونحو ذلك، فإننا -بإذن الله- نثاب، ويحصل لنا الخير، وتحصل لنا البركات.

أما إذا ذكرنا الله بطريقة ليست مشروعة، كمن يقول: حي حي حي، حي حي حي... أو يقول: الله الله الله الله،... مع التمايل والتراقص والموسيقىٰ، فهذا بلا شك فاعله مبتدعٌ مذمومٌ.

فتبين أن التبرك بالذكِّر منه محمود مشروعٌ، ومنه مبتدعٌ مذموم.





والقرآن الكريم مباركٌ

قال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وقال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩].

والنصوص في هذا كثيرة، فهو مباركٌ علىٰ من آمن به، ومباركٌ علىٰ من عمل به، ومبارك علىٰ من تلاه وتدبره، ومبارك علىٰ من تعلمه وعلمه، ومبارك علىٰ من دعا إليه، ومباركٌ علىٰ من استمعه.

فنتبرك بالقرآن من هذا الوجه، ونرجو ثواب الله بها، ونرجو أن يكرمنا الله، وأن يحفظنا بها، نرجو الخير والثواب والحفظ الدنيوي والأخروي، بالإيمان بالقرآن، ونرجو ذلك بالعمل والتدبر والتلاوة والدعوة إليه، واستماعه والإنصات إليه، وتوقيره، وإجلاله، إذ هو كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

نرجو أن نحفظ به من شياطين الإنس والجن... إلىٰ غير ذلك من صور الثواب التي نرجوها، فهذا تبرك محمودٌ مشروع، مُرغبٌ فيه؛ ولكن لم يشرع لنا أن نأتي إلىٰ المصحف، ونمسح به أبداننا، ولم يرد أننا نعلقه علىٰ أبواب الدور، وفي رقاب البهائم، لحفظها.

نحب نتبرك بالرقية بالقرآن، نقرأ الفاتحة، ونتفل في اليد، ونمسح بها علىٰ المريض، وكذا بالمعوذتين مع سورة الإخلاص، فهذا تبركٌ محمودٌ مشروعٌ.

ولكن أن يُؤتىٰ بالقرآن، ويوضع المصحف في الماء، ويُذوّب في الماء، ويشرب الماء فهذا تبركٌ ممنوعٌ ولا يجوز.

وكذا أن يؤتىٰ ببعض آيات الكتاب العزيز، وتكتب بزعفران، وتغسل بالماء، وتُشرب تلك الغسالة، فهذا مذمومٌ ولا يجوز.

وكذلك أن تكتب آيات من الكتاب العزيز من السُّرة إلىٰ الركبة لفك السحر، ونحو ذلك، فهذا محرمٌ مذمومٌ، أو تكتب بعض الآيات لعلاج بعض الأمراض بالدم، وتوضع علىٰ الجزء المصاب كمن يكتب بالدم علىٰ جبهة المصاب، بالنزيف ﴿يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ [هود: ٤٤]. فإن هذا مبتدعٌ مذمومٌ أثيم.

* وكذا لم يرد أن النبي ﷺ كان يضع المصحف في مكانٍ ما لحفظ المكان، إنما قراءة سورة البقرة تطرد الشياطين.

فعلىٰ ذلك إن القرآن الكريم قد يتبرك به الشخصُ تبركًا محمودًا، وقد يأثم الشخص من حيث يظن أنه يُثاب.

التبرك برسول الله ﷺ والبركة من عند الله عَزَّوَجَلَّ

وقد قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ [الكهف: ١١٠].

أقول –وبالله التوفيق–:

إن التبرك برسول الله ﷺ، له صورٌ ووجوهٌ، سأُورد عدةً منها مع التنبيه علىٰ أن الرسول ﷺ سبب، وإنما –وكما هو معلومٌ لدىٰ أي مسلمٍ ومسلمة– أن الأمر كله لله، وأن الخير كله من عند الله عَزَّوَجَلَّ، –فأقول مستعينًا بالله–: **من صور التبرك برسول الله ﷺ ما يلي:**

أولًا: التبرك به –صلوات الله وسلامه عليه– بالإيمان به، وبما جاء به من عند الله عَزَّوَجَلَّ، فتحصل لنا الخيرات، وتثبت لنا الأجور العظيمة، بإيماننا به، واتباعنا له –صلوات الله وسلامه عليه–، وتصديقنا التام بما قاله ﷺ وما أخبر به.

ثانيًا: التبرك باتباعه -صلوات الله وسلامه عليه-، والعمل بما أمر: والانتهاء عما نهىٰ عنه، ففي هذا خيرٌ وثواب جزيلٌ، ونفعٌ عظيمٌ في الدنيا والآخرة. وقد قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤]. وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

فالخيرات والبركات تتوالىٰ علينا باتباعنا لرسول الله ﷺ، وبعلمنا بما جاء به، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ...﴾ [الأعراف: ٩٦].

ثالثًا: التبرك بدعائه إذ كان حيًّا -صلوات الله وسلامه عليه-، فلذا كان الصحابة رضي الله عنهم يسألونه أن يدعو الله لهم، فتستجاب دعواته، فيحصل لهم بذلك الخير الكثير.

وكان يدعو لأقوام دون أن يطلبوا منه ذلك، فيحصل لهم بذلك خيرٌ كثيرٌ.

فقد دعا للمسلمين والمسلمات، ودعا لأهل بيته أن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرًا، ودعا للحسن والحسين.

ودعا لعبد الله بن جعفر ولأسامة بن زيد، ودعا في صلاة الاستسقاء، ودعا لأنس بن مالك، ودعا بالنصر يوم بدر، وغير ذلك كثير، وهذا باب واسعٌ جدًّا، وقد كان عددٌ من الصحابة يطلبون منه ذلك، ويدعو لأكثرهم.

رابعًا: التبرك بأعضاء من جسده في حياته ﷺ فهذا كان يحدث أحيانًا، ودلت عليه أدلة صحيحة كثيرة منها:

ما أخرجه البخاري ومسلم[1]، من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان

(١) البخاري (٥٧٣٥)، ومسلم (٢١٩٢).

ينفث علىٰ نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن، وأمسح بيد نفسه لبركتها.

وفي رواية: وأمسح عليه بيده رجاء بركتها.

وفي رواية: لأنها كانت أعظم بركةٍ من يدي[١].

* وفي الصحيحين[٢]، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي ﷺ كان يُعوِّذ بعض أهله يمسح بيده اليمنىٰ، ويقول: «**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ الْبَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**».

* وأخرج مسلم[٣]، في صحيحه من حديث عون بن أبي جحيفة، أن أباه رأىٰ رسول الله ﷺ في قبة حمراء من أدم، ورأيت بلالًا أخرج وضوءًا، فرأيت الناس يبتدرون ذلك الوضوء فمن أصاب منه شيئًا تمسح به، ومَنْ لم يُصب منه أخذ من بلل يد صاحبه...

* وأخرج مسلم[٤]، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلىٰ الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتىٰ بإناء إلا غمس يده فيها، فربما جاءوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها.

* وأخرج مسلم[٥] في صحيحه، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لقد رأيتُ

---

(١) انظرهما في مسلم في طرق حديث (٢١٩٢).

(٢) البخاري (٥٧٤٣)، ومسلم (٢١٩١).

(٣) أخرجه مسلم في طرق حديث (٥٠٣)، وانظره في البخاري (٣٥٥٣) ففي السند هناك ما يحتاج إلىٰ بحث ونظر، وهنالك من الزيادة قال: فأخذت بيده فوضعتها علىٰ وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك.

(٤) مسلم (٢٣٢٤).

(٥) مسلم (٢٣٢٥).

رسول الله ﷺ، والحلاق يحلقه، وأطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل.

* وأخرج البخاري(١)، من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه، كان أبو طلحة، أول من أخذ من شعره.

* وأخرج مسلم(٢)، من حديث أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ أتىٰ منىٰ، فأتىٰ الجمرة فرماها، ثم أتىٰ منزله بمنىٰ، ونحر ثم قال للحلاق: «**خُذْ**». وأشار إلىٰ جانبه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس.

* وفي رواية عند مسلم(٣).. فحلق شقه الأيمن فقسمه، فيمن يليه، ثم قال: «**احْلِقِ الشِّقَّ الْآخَرَ**». فقال: أين أبو طلحة؟ فأعطاه إياه.

* أخرج البخاري ومسلم، من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة، فأُتي بوضوء فتوضأ، فجعل الناس، يأخذون من فضل وضوئه، فيتمسحون به..(٤).

* وأخرج البخاري ومسلم(٥)، من حديث السائب بن يزيد رضي الله عنه، قال: ذهبت بي خالتي إلىٰ النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن ابن أختي وجع. فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، ثم توضأ، فشربت من وضوئه.

---

(١) البخاري (١٣٠٥).

(٢) عند مسلم، حديث (١٣٠٥) وطرقه.

(٣) عند مسلم، حديث (١٣٠٥) وطرقه.

(٤) البخاري (١٨٧)، ومسلم حديث (٥٠٣).

(٥) البخاري حديث (١٩٠)، ومسلم (٢٣٤٥).

* وأخرج البخاري[(١)]، في صحيحه من حديث المسور بن مخرمة، ومروان يصدق كل منهما صاحبه، قصة صلح الحديبية، وفيها:... ثم إن عروة (أي ابن مسعود الثقفي) جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كفِّ رجلٍ منهم فدلك بها وجهه، وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون علىٰ وضوئه... الحديث.

* وأخرج البخاري ومسلم[(٢)]، من حديث جابر رضي الله عنه، قال جاء رسول الله ﷺ يعودني، وأنا مريض لا أعقل، فتوضأ وصبَّ عليَّ من وضوئه فعقلت... الحديث.

* وأخرج البخاري ومسلم، من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه، قال: كنت عند النبي ﷺ، وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة... فذكر الحديث، وفيه: أن النبي ﷺ دعا بقدح فيه ماء فغسل وجهه ويديه فيه ومجَّ فيه، ثم قال لأبي موسىٰ ولبلال: «**اشْرَبَا مِنْهُ وَأَفْرِغَا عَلَىٰ وُجُوهِكُمَا، وَنُحُورِكُمَا وَأَبْشِرَا**». فأخذ القدح ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر، أن أفضلا لأمكما، فأفضلا لها منه طائفة[(٣)].

* وفي الصحيحين[(٤)]، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتىٰ بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء.

فقال الغلام: والله يا رسول الله، لا أؤثر بنصيبي منك أحدًا، قال فتلَّهُ رسول الله ﷺ في يده.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١ و٢٧٣٢).

(٢) البخاري (١٩٤)، ومسلم (١٦١٦).

(٣) البخاري (٤٣٢٨)، ومسلم (٢٤٩٧).

(٤) البخاري (٥٦٢٠)، ومسلم (٢٠٣٠).

* ومن ذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ من طرق متعددة من تحنيكه للصبيان بعد ولادتهم.

فمن ذلك، ما أخرجه البخاري ومسلم(١)، من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه، قال: وُلد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ فحنَّكه بتمرة، ودعا له بالبركة، ودفعه إليَّ.

* وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة، قالت: فخرجت وأنا مُتمٌّ، فأتيت المدينة، فنزلت قباء، فولدت بقباء، ثم أتيت به رسول الله ﷺ، فوضعته في حجره، ثم دعا بتمرةٍ فمضغها، ثم تفل في فيه فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنكه بالتمرة، ثم دعا له فبرَّك عليه، وكان أول مولودٍ ولد في الإسلام(٢). والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا.

* وفي الصحيحين(٣)، أن رسول الله ﷺ، قال لأم عطية -التي كانت تغسل ابنته-: «**فَإِذَا فَرَغْتُنَّ** -يعني: من الغسل- **فَآذِنَّنِي، فَلَمَّا فَرَغْنَا آذَنَّاهُ، فَأَلْقَىٰ إِلَيْنَا حَقْوَهُ، فَقَالَ: (أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ)**(٤)».

* وفي صحيح مسلم(٥)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: دخل علينا رسول الله ﷺ فقال(٦) عندنا، فعرق، وجاءت أم سليم بقارورة، فجعلت تسلت العرق فيها، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: «**يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟**».

---

(١) البخاري (٥٤٦٧)، ومسلم (٢١٤٥).

(٢) البخاري (٥٤٦٩)، ومسلم (٢١٤٦).

(٣) البخاري (١٢٥٨)، ومسلم (٩٣٩).

(٤) أي: اجعلنه مما يلي جسدها.

(٥) عند مسلم (٢٣٣١).

(٦) قال: يعني: نائم عند القيلولة.

قالت: هذا عرقك، نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب.

وفي رواية عند مسلم أيضًا[١]، أنها قالت: يا رسول الله، نرجو بركته لصبياننا. قال: «**أَصَبْتِ**».

وفي رواية ثالثة عند مسلم أيضًا، قالت: عرقك أدوف به طيبي[٢].

* وفي حديث جابر بن سمرة[٣]، قال: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولىٰ، ثم خرج إلىٰ أهله، وخرجت معه فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدَّي أحدهم واحدًا واحدًا، فقال: «**وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي**». قال: فوجدت ليده بَرْدًا، أو ريحًا كأنما أخرجها من جؤنة عطار.

* وأخرج الحاكم بسندٍ[٤]، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، عن أبيه، قال: كان أُسيد بن حضير رجلًا صالحًا، ضاحكًا مليحًا، فبينما هو عند رسول الله ﷺ يحدث القوم، ويُضحكهم، فطعن رسول الله ﷺ في خاصرته، فقال: أوجعتني. قال: «**اقْتَصَّ**». قال: يا رسول الله، إن عليك قميصًا، ولم يكن عليَّ قميص. قال: فرفع رسول الله ﷺ قميصه فاحتضنه ثم جعل يُقبِّل كشحه، فقال: بأبي أنت وأمي، يا رسول الله، أردت هذا.

* وفي «صحيح مسلم»[٥]، من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أنه كان يصنع للنبي ﷺ طعامًا، فإذا جيء به إليه، سأل عن موضع أصابعه، فيتتبع موضع أصابعه.

---

(١) عند مسلم (٢٣٣١).

(٢) مسلم (٢٣٣٢).

(٣) مسلم (٢٣٢٩).

(٤) الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٨٨).

(٥) مسلم (٢٠٥٣) في طرق الحديث.

* وفي «صحيح مسلم»[١]، من حديث أسماء بنت أبي بكر أنها أخرجت جبةً... قالت: وكان النبي ﷺ يلبسها، فنحن نغسلها للمرضىٰ يُستشفىٰ بها.

* وفي «صحيح البخاري»[٢]، من حديث عثمان بن عبد الله بن موهبٍ، قال: أرسلني أهلي إلىٰ أم سلمة بقدح من ماء، وكان إذا أصاب الإنسان عينٌ أو شيء بعث إليها مخضبه فأخرجت من شعر رسول الله ﷺ وكانت تمسكه في جلجل من فضة، فخضخضته له فشرب منه، قال : فاطلعت في الجلجل فرأيت شعرات حمراء.

* وقد كان من الصحابة رضي الله عنهم من هو محتفظ ببعض آنية النبي ﷺ.

فقد كان قدح النبي ﷺ عند سهل بن سعد، وهو قدحٌ شرب منه النبي ﷺ، وقد سقا منه سهل بن سعد قومًا، واستوهبه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك، فوهبه له[٣].

وكذا كان عند أنس قدحٌ للنبي ﷺ[٤].

* وأخرج البخاري ومسلم[٥]، من حديث جابر رضي الله عنه، قال: قد رأيتني مع النبي ﷺ، وقد حضرت العصر وليس معنا ماء غير فضله، فجعل في إناء فأتىٰ النبي ﷺ به فأدخل يده فيه، وفرَّج أصابعه ثم قال: «**حَيَّ عَلَىٰ أَهْلِ الْوَضُوءِ، الْبَرَكَةُ مِنَ اللهِ**». فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه فتوضأ الناس، وشربوا فجعلت لا آلوا ما جعلت في بطني فعلمت أنه بركة، قلت[٦] لجابر: كم كنتم

---

(١) مسلم (٢٠٦٩).

(٢) البخاري (٥٩٨٦)، وانظر مسلمًا (٣٦٢٣).

(٣) انظر قصة ذلك في البخاري (٥٦٣٧)، ومسلم (٢٠٠٧).

(٤) البخاري (٥٦٣٨).

(٥) البخاري (٥٦٣٩)، ومسلم (١٨٥٦).

(٦) قائله الراوي عن جابر، وهو سالم بن أبي الجعد.

يومئذٍ؟ قال: ألفًا وأربعمائة.

*** هذا، وما ذُكر من التبرك بآثار رسول الله ﷺ هو نحو ما ذُكر من فعل يوسف عليه السلام:**

إذ قال لإخوته: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [يوسف: ٩٣].

وقد قال نبيُّ بني إسرائيل لقومه في شأن طالوت وملكه: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

فنعتقد أن الله علىٰ كل شيء قدير، وأن الأمر فيما حدث كله إنما هو لله يفعل ما يريد.

هذا، ولا نستطيع أن نثبت في زماننا هذا أن شيئًا ما من آثار النبي ﷺ، فليس عندنا من الأسانيد أو الإجماعات ما يقوي وما يؤيد -علىٰ سبيل المثال- أن هذا القدح قدح رسول الله ﷺ، أو أن هذا الرمح رمح النبي ﷺ، أو أن هذا السيف سيفه، والله تعالىٰ أعلم.

حكم التبرك بذوات أصحاب النبي ﷺ، وآثارهم

أقول: لم يرد أن الصحابة كانوا يلتمسون البركات بتمسح بعضهم ببعض، أو بريق بعضهم، أو بآثارهم بعضهم، أو بآنية بعضهم، أو بعرق بعضهم، أو بماء الوضوء المتبقي من بعضهم، أو بنحو ذلك.

وكذا لم أقف علىٰ آثار ثابتة عن التابعين بمثل ذلك.

هذا، ولأن هذا يفضي إلىٰ الغلو في الصالحين، ومن ثَمَّ يُفضي إلىٰ الشرك، فيمنع للأمرين معًا، ألا وهما:

الأول: عدم ورود ذلك.

الثاني: أن هذا يفضي إلىٰ الشرك -والعياذ بالله-، وكذا يفضي إلىٰ الغلو، ولم ينقل أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كانوا يتمسحون بأبي بكر، ولا بعمر، ولا بعثمان، ولا بعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكذا التابعون والأئمة المهديون لم يكن بعضهم يتمسح بالآخر، لالتماس البركات منه علىٰ هذا النحو.

وكذا، لم يرد أنهم تمسحوا بقبورهم بعد موتهم، ولا تتبعوا آثارهم، ولا آثار أقدامهم، ولا اتخذوا قبورهم أعيادًا، ولا عكفوا علىٰ قبورهم، ولا أقاموا عندها الموالد، ولا احتفلوا بموالدهم، وليس في الكتاب، ولا في السنة، أي دليل علىٰ استحباب ذلك، ولا علىٰ فعله، بل الوارد يخالف ذلك، فكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ولقد أفضت هذه الأفعال التي يفعلها أهل الجهل إلىٰ الشرك بالله، فترىٰ كثيرًا، مما يصنعون ذلك يسألون الأموات، ويطلبون منهم كشف الضر، أو جلب النفع، ومعلومٌ لدىٰ أهل الإسلام أن الذي يكشف الضر ويجيب المضطر هو الله عَزَّوَجَلَّ، لا هؤلاء الأموات، ولا يكشفه أحدٌ غير الله.

فلا عبرة، ولا حجة، بفعل أحد غير رسول الله ﷺ.

الأصدقاء المباركون:

لا شك أن من الأصدقاء والأصحاب مَنْ هم مباركون نفاعون، إذ هم أسباب لحصول الخير والنفع، فينتفع بنصحهم وتذكيرهم، وينتفع بعلمهم

وخبرتهم، وينتفعُ بمساعدتهم وعطائهم، وينتفع بمجالستهم، فهم القوم لا يشقىٰ بهم جليسهم، إلىٰ غير ذلك من وجوه النفع المعلومة والمشروعة، كالانتفاع بدعائهم، والانتفاع بمحبتهم، ونحو ذلك.

فهذه بعض وجوه التبرك بهم، أعني التماس النفع الديني والأخروي، منهم إذ هم أسباب لذلك، وكذا التماس النفع الدنيوي، إذ هم أسباب كذلك.

* وثَمَّ أصدقاء أشرارٌ دائمًا تأتي من قبلهم الشرور والآثام، ويوقعون من يصادقهم في مشاكلهم، ويتلوث صاحبهم بالاختلاط بهم، وتسوء سمعته، ويضيع ماله بسبب غشهم وخيانتهم، وسوء تصرفهم، ويحظىٰ من ورائهم بكراهية الخلق له، فضلًا عن غضب الله ﷻ عليه. فهم غير مباركين إذن.

والماء منه؛ ماءٌ مباركٌ نافع، ومنه ما لا يكاد ينفع، بل منه سيولٌ؛ تدمرُ وتغرق، ومنه ملح أُجاج.

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق: ٩، ١٠].

وماء زمزم، قال فيه رسول الله ﷺ: «**إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ**». وقال رسول الله: «**الْحُمَّىٰ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ؛ فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ**»(١).

ورسل الله، وأنبياؤه -صلوات الله وسلامه عليه- مباركون نفَّاعون للخلق يحذرونهم من الشر، ويرشدونهم إلىٰ الخير، ويشفعهم الله فيمن يشاء من الخلق، يوم القيامة.

نقتفي آثارهم، ونقتدي بسيرهم.

---

(١) مسلم (٤/ ١٩٢٢).

وقد قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]. وقال: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]. وقال: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣].

وقال عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١]. أي: نفَّاعًا للخلق في أي مكان ذهبت وتواجدت.

وطعام السحور مباركٌ فقد قال ﷺ: «**تَسَحَّرُوا، فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً**»(١). ومن بركاته أنه يعيننا علىٰ الصيام، ويقوينا علىٰ الطاعة.

والطعام الحلال مبارك، وقد يكون في بعضه بركةٌ، ولا تكن في البعض الآخر، وقد قال ﷺ: «**إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ، فَلْيُمِطْ عَنْهَا الْأَذَىٰ، وَلْيَأْكُلْهَا...**». إلىٰ أن قال: «**فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبَرَكَةُ**»(٢).

وشجرة الزيتون وثمرتها مباركة:

قال تعالىٰ: ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥]. وقال تعالىٰ: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

وفي الحديث(٣)، وفي سنده ضعف يسير: «**كُلُوا الزَّيْتَ، وَادَّهِنُوا بِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ**».

---

(١) البخاري (٢/ ٢٣٢)، ومسلم (٢/ ٧٧٠).

(٢) مسلم (٣/ ١٦٠٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٢٨٥)، وأحمد (٣/ ٤٩٧).

فمن منافعها، أننا نأتدم بها أي: نجعلها مع الخبز وتؤكل، وكذلك تستعمل في دهانات الشعر، وفي العلاج وغير ذلك.

والمسجد الحرام مبارك وكذا المسجد النبوي والمسجد الأقصى

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]. ومن بركات هذا المسجد، أعني: من الخيرات الكثيرة الواردة بسببه ما يلي:

أولًا: أن الصلاة فيه مضاعفة أضعافًا كثيرة، فهي تعدل مائة ألف صلاة، فيما سواه من المساجد(١).

ثانيًا: الأجور التي أعدت للطائفين والحجيج والمعتمرين.

ثالثًا: مغفرة ذنوب الحجيج والمعتمرين والطائفين.

رابعًا: وجود ماء زمزم هنالك، وكونها طعام طعم.

خامسًا: البركة الحاصلة من دعاء إبراهيم عليه السلام لمكة وأهلها.

سادسًا: كون من دخله كان آمنًا.

سابعًا: كونه هدىً للعالمين، ففيه آيات تدل علىٰ الخالق سبحانه وتعالىٰ.

ثامنًا: الصلاة خلف مقام إبراهيم بعد الطواف، ففيها أجر وامتثال.

تاسعًا: الحجر الأسود، وتقبيله، ففيه أجر، إلىٰ غير ذلك من الآيات.

---

(١) أخرج ذلك الإمام أحمد (٤/ ٥)، وله شواهد يصحح بها.

وكذا المسجد النبوي، فإن النبي ﷺ قد قال: «**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا، خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ**»(١).

وقال الله تعالىٰ: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٨]. وكذا المسجد الأقصىٰ، فقد قال تعالىٰ في شأنه: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١]. وذلك بكثرة الأنبياء الذين أُرسلوا هنالك، وكذا بكثرة الزروع والثمار، وأيضًا مضاعفة الأجور لمن صلىٰ بالمسجد الأقصىٰ(٢)، وكون الرحال تُشدُّ إليه، فقد قال ﷺ: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ؛ مَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ**»(٣).

وصحح بعض العلماء، ما أخرجه النسائي، وأحمد وغيرهما، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «... **وَسَأَلَ اللهَ** -يعني: سليمان سأل ربه- **أَيُّمَا رَجُلٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ -يَعْنِي: بَيْتَ الْمَقْدِسِ- خَرَجَ مِنْ خَطِيئَتِهِ مِثْلَ يَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»(٤).

وليس من التبرك المشروع التمرغ في تراب هذه المساجد، ولا التمسح بجدرانها، ولا تقبيل أعتابها.

وكذا مكة، فإنها مباركةٌ فالصلاة في عموم مساجدها تعدل مائة ألف صلاة

---

(١) البخاري، كتاب الصلاة، باب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ومسلم، كتاب الحج، باب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة.

(٢) وقد وردت في ذلك نصوص تصحح بمجموع طرقها، منها أن التضعيف يكون إلىٰ خمسمائة ضعف، ومنها غير ذلك.

(٣) البخاري (٢/ ٥٦)، ومسلم (٢/ ١٠١٤).

(٤) النسائي (٢/ ٣٤)، وأحمد (٢/ ١٧٦) وغيرهما.

فيما سواها من المساجد، وهنالك الأجور المعدَّة لمن ذهب إلىٰ مكة حاجًّا، أو معتمرًا، ومن دخلها كان آمنًا.

والمدينة مباركة؛ دعا لها رسول الله ﷺ، ولمن صبر علىٰ شدَّتها، فقال: «**لَا يَصْبِرُ عَلَىٰ لَأْوَاءِ الْمَدِينَةِ وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ شَهِيدًا**»(١).

وقد دعا رسول الله ﷺ علىٰ من أراد أهلها بسوء، فقال: «**مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللهُ، كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ**»(٢).

وطور سيناء مباركٌ ومقدَّسٌ:

قال تعالىٰ لموسىٰ عليه السلام: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ [طه: ١٢].

ونودي موسىٰ عليه السلام: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ﴾ [النمل: ٨].

وقد دعا الرسول ﷺ للشام واليمن، قائلًا: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَيَمَنِنَا»(٣).

ووادي العقيق وادٍ مبارك:

والمساجد مباركةٌ، وقد قال تعالىٰ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ [النور: ٣٦]. وقال ﷺ: «**أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَىٰ اللهِ مَسَاجِدُهَا**»(٤).

---

(١) مسلم (٢/ ١٠٠٤).

(٢) البخاري (٢/ ٢٢٢)، ومسلم (٢/ ١٠٠٨).

(٣) البخاري (٨/ ٩٥).

(٤) مسلم (١/ ٤٦٤).

ومن بركات المساجد ما ذكره رسول الله ﷺ، إذ قال: «مَنْ غَدَا إِلَىٰ الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلًا، كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ»(١).

وقوله ﷺ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»(٢).

والنصوص الواردة في فضل المساجد كثيرة معلومة.

وثم أيام وأزمنة مباركة:

فرمضان مباركٌ والخير الوارد فيه كثير، وليلة القدر ليلة مباركة، والعشر الأول من شهر ذي الحجة أيام مباركة، وعرفات يوم مبارك، ويوم الجمعة مباركٌ، ويوم الاثنين والخميس، وكذا يوم الأضحىٰ، وأيام التشريق، وصوم عاشوراء، فهذه كلها مباركةٌ، والأمور التي يتحصل الشخص علىٰ الأجور فيها كثيرة.

والثلث الأخير من الليل وقت مباركٌ، والبكور وقت مباركٌ.

ومن الدواب دواب مباركة؛ كالخيل: فقد قال ﷺ: «الْبَرَكَةُ فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ»(٣).

وقال: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ، إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، الْخَيْرُ وَالْمَغْنَمُ»(٤).

---

(١) البخاري (١/ ١٦١)، ومسلم (١/ ٤٦٣).

(٢) مسلم.

(٣) البخاري (٣/ ٢١٥)، ومسلم (٣/ ١٤٩٤).

(٤) البخاري (٣/ ٢١٦)، ومسلم (٣/ ١٤٩٣).

ومن الأشجار ما هو مباركٌ كالنخلة، وقد ضربت مثلًا للمؤمن(١).

* وقد أخرج الترمذي، من حديث أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ حنين، ونحن حدثاء عهدٍ بكفرٍ، وللمشركين سدرةٌ يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يُقال لها: ذات أنواط. فمررنا بسدرةٍ، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: «**اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** [الأعراف: ١٣٨]. **لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»(٢).

* فحذر رسول الله ﷺ هذه الأمة مما يصنعه أهل الشرك.

هذا، وقد ورد عن بعض الصحابة أنهم كانوا يتحرون الأماكن التي صلىٰ فيها النبي ﷺ فيصلون فيها، وترك الأكثرون ذلك، إذ لم يرد هذا عن أكثر الصحابة -رضوان الله عليهم-، وما ورد عن بعض الصحابة في ذلك، إنما هو دالٌّ علىٰ شدة اقتدائهم برسول الله ﷺ ومحبتهم له، لا علىٰ أن هذه الأماكن بعينها لها فضيلة؛ إذ لم يرد عن رسول الله ﷺ دليل علىٰ أفضليتها.

ومن هؤلاء الصحابة، الذين كانوا يتحرون الأماكن التي صلىٰ فيها رسول الله ﷺ، فيصلون فيها، كعبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكان ولده سالم يفعل كفعله أيضًا(٣).

---

(١) البخاري (٦/ ٢١١).

(٢) **إسناده صحيح:** أخرجه الترمذي (٢١٨٠)، والنسائي في الكبرىٰ (١١١٤١)، وأحمد (٥/ ٢١٨) وغيرهم.

(٣) أخرج ذلك البخاري (٤٨٣ و٤٨٤)، وانظر مسلمًا (١٣٤٦).

إلا أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أجل في القلب لم يرد عنه أنه فعل[(١)].

ذلك، ولا كبار الصحابة فعلوا ذلك، اللهم إلا ما ورد عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنه كان يتحرىٰ الصلاة عند أسطوانةٍ رأىٰ النبي ﷺ يتحرىٰ الصلاة عندها[(٢)].

وفعل سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يفترق شيئًا ما عن فعل ابن عمر؛ لأنه هناك فرق بين التحري، فيتحرىٰ الشخص ما تحراه رسول الله ﷺ، وبين ما فعله رسول الله ﷺ اتفاقًا، ففعل سلمة أقرب إلىٰ الموافقة من فعل ابن عمر -رضي الله عنهم أجمعين-.

أما ما ورد عن عتبان بن مالك[(٣)]، من كونه دعا رسول الله ﷺ؛ ليصلي في بيته كي يتخذه مصلًّىٰ، فهذا والله أعلم إنما طلبه من رسول الله ﷺ؛ ليكون إقرارًا من رسول الله ﷺ لعتبان علىٰ الصلاة فيه؛ كي يتخذه مصلًّىٰ، ولا يُعاتبه أحدٌ، والله أعلم.

هذا، ولم يرد أن الصحابة كانوا يتبركون بآثار قدم رسول الله ﷺ، وكذا فإنه لا يُعلم صدق المنقول في ذلك من الأخبار؛ إذ لا دليل علىٰ أن الآثار؛ آثار الأقدام الموجودة في كثير من البلاد، هي آثار قدم رسول الله ﷺ.

* وكذا لم ينقل أن الصحابة كانوا يذهبون إلىٰ غار حراء، ويتعبَّدون فيه.

وعن الاحتفال بمولد رسول الله ﷺ، فلم يرد لنا أي خبرٍ عن رسول الله ﷺ في ذلك، إلا أنه -صلوات الله وسلامه عليه- سئل عن صيام يوم الاثنين،

---

(١) بل قد ورد عن عمر النهي والمنع من ذلك، وانظر: «البدع»، لابن وضاح.

(٢) البخاري (١/ ١٢٧)، ومسلم (١/ ٣٦٤).

(٣) الحديث عند البخاري (١/ ١٠٩) كتاب الصلاة، باب: المساجد في البيوت، ومسلم (١/ ٤٥٥).

فقال: «ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ -أَوْ: أُنْزِلَ عَلَيَّ- فِيهِ»[(١)].

قلت (مصطفىٰ): فنقتصر علىٰ فعل الوارد عن رسول الله ﷺ في ذلك.

ويؤيد هذا: أن الصحابة اقتصروا علىٰ ذلك، ما ورد عنهم غير ذلك، في هذا الباب، وكذا التابعون لهم بإحسان، فالاحتفال بالمولد علىٰ النحو الذي يصنعه الناس في زماننا لم يكن علىٰ عهد رسول الله ﷺ، ولا في القرون الثلاثة المفضَّلة؛ فهو من البدع والمحدثات.

* ثم إن هذا الاحتفال تُنشد فيه القصائد التي مُلئت بالشركيات والضلالات، وكذا العبارات التي لا تخلو من ذلك، كقول القائل: (مدد يا رسول الله) أو (نظرة يا رسول الله)، إلىٰ غير ذلك من الضلالات.

* وكذا فإن هذه الموالد يعتريها الاختلاط، اختلاط الرجال بالنساء، وما يتبع ذلك من المحرمات، والعياذ بالله: كاستعمال آلات الطرب والمعازف المحرمة، وشرب الخمر، وتعاطي المخدرات، والرقص والتمايل والتصفيق، وغير ذلك من الضلالات، وقد يبالغ المنشدون في الإنشاد، فيسقط، أو يسقط أحد المشاهدين، ويقولون: إنه دخل في الجلالة. تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ويصف أحدهم شخصية يُقال لها: سعاد، أو يُقال لها: ليلىٰ، وصفًا لا يليق ثم تسأله عن سعاد، أو ليلىٰ، فيقول: إنها الجلالة. تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ويدعي بعضهم أن رسول الله ﷺ يحضر معهم تلك الاحتفالات، ويشاهدها، ويباركها وهذا من الافتراء والكذب علىٰ رسول الله ﷺ.

هذا، وألفت النظر إلىٰ أن الله عز وجل أنزل علىٰ رسوله ﷺ القرآن، وهاجر النبي

---

(١) مسلم (٢/ ٨١٩).

من مكة إلىٰ المدينة، ونصره الله يوم بدر، ويوم الأحزاب، ويوم حنين، وفتح الله له مكة، ونصره في عدد من المغازي، ولم يُقم النبي ﷺ أي عيدٍ لذلك، ولا أقامه أصحابه من بعده، ولا أقامه التابعون، ولا أتباع التابعين -رحمهم الله-.

وهناك أمورٌ تجلب البركة:

قال ﷺ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا؛ بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**»(١).

قلت: فالربح الوارد من وراء البيع الذي صدق فيه البائع والمشتري- يبارك فيه، وينمو ويزداد، ويستعمل في الخير، والعكس بالعكس.

أمورٌ تمحق البركة

وكثرة الأيمان عند البيوع ممحقة للبركة:

قال ﷺ: «**الْحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ**»(٢).

وأخذ المال بإشراف النفس لا يجعله مباركًا، وأخذه بسخاوة النفس يجعله مباركًا:

قال ﷺ: «**إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ، وَلَا يَشْبَعُ**»(٣).

هذا، وفي الختام: أذكر بما بدأت به أن البركة من الله عَزَّوَجَلَّ، وأن كل النعم

---

(١) البخاري (٣/ ١٠) كتاب البيوع، ومسلم (٣/ ١١٦٤).

(٢) البخاري، كتاب البيوع (٣/ ١٢)، ومسلم، بلفظ: «مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ» (٣/ ١٢٢٨).

(٣) البخاري (٢/ ١٢٩)، ومسلم (٢/ ٧١٧).

من الله عَزَّوَجَلَّ، وعلينا التزام ما ورد به الدليل من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، والدليل الصحيح من سنة رسول الله ﷺ، وترك ما وراء ذلك.

والحذر الحذر من اتباع أهل الشرك، والبدع، والأهواء، فيما هم عليه من الضلال.

وكما سلفت الإشارة، فإنه لم يرد التمسُّح بالجبال، ولا بالأحجار، ولا بالأشجار، ولا بالقبور، ولا بالأشخاص، أما رسول الله ﷺ فقد قدمنا كثيرًا من الوارد عنه في هذا الصدد.

وكذا فإنه لم يرد تعظيم الآثار، ولا ما يفيد تعظيم بعض الآبار، إلا ما ورد في زمزم.

فصلٌ

ما جاء في الذبح والنحر لله عَزَّوَجَلَّ

وبيان تحريم الذبح والنحر لغير الله عَزَّوَجَلَّ، وأن ذلك من الشرك

* قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢﴾ [الكوثر: ١، ٢]. أي: وانحر علىٰ اسم الله، ولوجه الله، وتعبدًا لله، وقال رسول الله ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**»(١).

* وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وقال عددٌ من أهل العلم: إن المراد بالنسك في هذا المقام الذبح، وقال آخرون: إنه التعبد، ومنه الذبح.

وفي الباب أيضًا حديث رسول الله ﷺ: «**مَا أَنْهَرَ الدَّمَ، وَذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ؛ فَكُلْ، لَيْسَ السِّنَّ وَالظُّفُرَ**»(٢). أخرجه البخاري، من حديث رافع بن خديج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

* وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

* وقال تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ...﴾

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

(٢) البخاري (٥٥٠٧٤).

[المائدة: ٣]. ففي هذه الآيات وفي غيرها تحريم ما أُهلَّ لغير الله به.

أما عن قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾. فمعنىٰ الإهلال الإعلام، ورفع الصوت، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾. أي: ما ذكر عليه -عند الذبح- اسم غير اسم الله عَزَّوَجَلَّ.

فالمراد التوجه بالذبح لغير الله، ولذلك صور منها:

* أن يتقرب بالذبيحة لوثنٍ، أو صنمٍ، أو ميت؛ راجيًا خيره، أو خائفًا من شرِّه، أو طالبًا رضاه.

* أن يفعل ذلك لعظيم؛ استجلابًا لرضاه، ذاكرًا اسمه عند الذبح.

* أن تذكر أسماء النجوم، أو بعضها عند الذبح.

* أن يذكر اسمًا كاسم العزير، أو المسيح، أو ملك من الملائكة.

* ومن ذلك الباطل أن يذبح ذبيحة في البيت أو علىٰ عتبة البيت أو في أي مكان؛ تقربًا للجن، واسترضاءً لهم، ودفعًا لشرهم، ودفعًا للسحر، أو طردًا للجن من البيت، أو تجنبًا للمصائب، والأحداث والمآسي.

وقد قال تعالىٰ -في شأن أقوام-: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ

مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «من ذبح للشيطان، ودعاه، واستغاث به، وتقرَّب إليه بما يحب؛ فقد عبده، وإن لم يسم ذلك عبادة، بل يسميه استخدامًا، وصدق؛ هو استخدام الشيطان له، فيصير من خدم الشيطان وعابديه، وبذلك يخدمه الشيطان، لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة؛ فإن الشيطان لا يخضع له، ويحمده كما يفعل هو به». اهـ.

وأورد بعض أهل العلم في هذا الباب، باب التقرب بالذبح لغير الله عَزَّوَجَلَّ، عن طارق بن شهاب، أن رسول الله ﷺ، قال: «**دَخَلَ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ**». قالوا: وكيف ذلك، يا رسول الله؟! قال: «**مَرَّ رَجُلَانِ عَلَىٰ قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ، لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّىٰ يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ. قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ. قَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ، وَقَالُوا لِلْآخَرِ: قَرِّبْ فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ**»[(٢)].

وهذا الأثر، لا يصح مرفوعًا إلىٰ رسول الله ﷺ، ثم إن توجيهه أن يُقال: إن الذي قرَّب ذبابة كان راضيًا بذلك، معتقدًا صحة ذلك خائفًا من الصنم، وصدره مُنشرحٌ بالفعل الذي فعل، والآخر الذي ضربت عنقه، له في شريعتنا فسحةٌ فهو

---

(١) «بدائع الفوائد» (٢/ ٤٦١).

(٢) **لم أقف له علىٰ سند صحيح مرفوعًا**: وإنما روي موقوفًا عند أحمد في الزهد (١٥)، وعند ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ٣٥٨) (١٣٠٨٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٤٨٥)، وغيرهم، من طريق: سليمان بن ميسرة، عن طارق بن شهاب، عن سلمان موقوفًا، ولا يُقال: إن له حكم المرفوع، لأن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان من أهل الكتاب قبل أن يُسلم، فاحتمال تلقيه عنهم واردٌ، والله أعلم.

مُكرهٌ، والمكرهُ له أن يتلفظ بكلمة الكفر، قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]. وقال تعالىٰ: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩]. وقال تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]. والله أعلم.

* قوله تعالىٰ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٨، ١١٩].

ومعنىٰ الآية الكريمة -والله أعلم-: فكلوا يا أهل الإيمان من الذبائح التي ذُبحت، وذُكر اسم الله عليها عند الذبح، سواءً كان الذابح مُسلمًا، أو كتابيًّا، (يهوديًّا أو نصرانيًّا) ما دام قد سمىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عليها عند الذبح، إن كنتم مصدقين بما أنزلته علىٰ نبيِّ محمدٍ ﷺ، وما المانع لكم من الأكل مما ذكر اسم الله عليه، وما الفائدة العائدة عليكم من الامتناع، ما دام الطعام قد أحلَّه الله عَزَّوَجَلَّ، وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾. أي: لماذا تمتنعون من الأكل مما ذكر اسم الله عليه، وقد بيَّن لكم ربكم ما حرمه عليكم.

قال عددٌ من أهل العلم، وهذا هو المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣].

وفي الحديث، عن رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ كُلَّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، وَكُلَّ ذِي مَخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ**»(١).

(١) أخرجه البخاري (٥١٠٤)، ومسلم (١٩٣٤).

وفي السنة أيضًا، تحريمُ الحمر الأهلية(١).

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩]. أي: عند الاضطرار يجوز لكم أكل ما حرمه الله عليكم، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

حاصل معناه -والله تعالىٰ أعلم-: وإن كثيرًا من الناس ليُضلون غيرهم بغير علم، فيحرمون عليهم ما أحلَّه الله لهم، ويحلون لهم ما حرمه الله عليهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالىٰ ذكره: وإن كثيرًا من الناس الذين يجادلونكم في أكل ما حرم الله عليكم، أيها المؤمنون بالله، من الميتة، ليضلون أتباعهم بأهوائهم من غير علم منهم بصحة ما يقولون، ولا برهان عندهم بما فيه يجادلون، إلا ركوبًا منهم لأهوائهم، واتباعًا منهم لدواعي نفوسهم، اعتداءً وخلافًا لأمر الله ونهيه، وطاعة للشياطين، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾، يقول: إن ربك -يا محمد- الذي أحل لك ما أحل، وحرم عليك ما حرم، هو أعلم بمن اعتدىٰ حدوده، فتجاوزها إلىٰ خلافها، وهو لهم بالمرصاد.

* **قوله تعالىٰ:** ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٢٠-٢١].

---

(١) النهي عن لحوم الحمر الأهلية، أخرجه البخاري (٥٥٢٣)، ومسلم (٣٤٩٧).

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾. واضح الدلالة في المنع من أكل ما لم يذكر اسم الله عليه، وهذا في الذبائح، كما هو معلوم.

وهنا مسألة تثار حاصلها **إذا ذكر اليهودي أو النصراني علىٰ الذبيحة اسمًا غير اسم الله عَزَّوَجَلَّ فهل تحل ذبيحته أم لا؟**

فأقول -وبالله التوفيق-، وقبل الإجابة علىٰ هذا السؤال، إذا كان المسلم، لا يدري هل ذكر النصراني أو اليهودي اسم الله أم لم يذكر، فللمسلم أن يأكل لعموم قوله تعالىٰ: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥]. ويُسم الله عند الأكل، أما إذا تأكد المسلم أن اليهودي أو النصراني لم يذكرا اسم الله عَزَّوَجَلَّ بل ذكرا اسمًا آخر، فقال اليهود مثلًا: باسم العزير، فهنا آيتان:

الأولىٰ: قوله تعالىٰ: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ[1] حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾. فهذه مبيحة.

الثانية: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]. فهذه مانعة.

وكثيرٌ من العلماء يقدمون المانعة علىٰ المبيحة، في هذا المقام، فيرىٰ أكثر العلماء عدم الأكل من الذبيحة التي ذُكر عليها اسم العزير، أو اسم المسيح، أو أي اسم غير اسم الله عَزَّوَجَلَّ.

* ويؤيد قولهم قولُ رسول الله ﷺ: «**مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ**».

وإن كانت هذه المسألة لا تخلو من خلاف.

---

(١) والمراد بطعام الذين أوتوا الكتاب، ذبائحهم، وهذا قول جماهير العلماء، وقد نقل ابن كثير عليه الإجماع.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالىٰ: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥]. ابتداء وخبر، والطعام اسم لما يؤكل والذبائح منه، وهو هنا خاصٌّ بالذبائح عند كثير من أهل العلم بالتأويل، وأما ما حرم علينا من طعامهم فليس بداخل تحت عموم الخطاب.

قال ابن عباس: قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾. ثم استثنىٰ، فقال: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾. يعني: ذبيحة اليهودي والنصراني، وإن كان النصراني يقول عند الذبح: باسم المسيح واليهودي يقول: باسم عُزير، وذلك لأنهم يذبحون علىٰ الملة.

وقال عطاء: كُل من ذبيحة النصراني، وإن قال باسم المسيح؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ، وقد أباح ذبائحهم، وقد علم ما يقولون. وقال القاسم بن مخيمرة: كُل من ذبيحته، وإن قال باسم سرجس. -اسم كنيسة لهم-. وهو قول الزهري وربيعة والشعبي ومكحول، وروي عن صحابيين عن أبي الدرداء وعُبادة بن الصامت.

وقالت طائفة: إذا سمعت الكتابي يُسمي غير اسم الله عَزَّوَجَلَّ فلا تأكل، وقال بهذا من الصحابة عليٌّ، وعائشة، وابن عمر، وهو قول طاوس، والحسن، متمسكين بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾.

وقال مالك: أكره ذلك. ولم يحرمه.

ما العمل إذا نسي المسلم أن يسمي عند الذبح؟

أخرج البخاري، من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أن قومًا قالوا للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن قومًا يأتوننا باللحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا؟ فقال: «**سَمُّوا أَنْتُمْ وَكُلُوهُ**».

قالت: وكانوا حديثي عهد بكفر(١).

وصح ذلك عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره، أخرج سعيد بن منصور، وعبد الرزاق، وغيرهما بإسناد صحيح إلىٰ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «المسلم اسم من أسماء الله، فإذا نسي أحدكم أن يُسمي علىٰ الذبيحة، فليسم وليأكل»(٢).

هذا، وفي «صحيح مسلم»، من حديث ابن عباس، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي ﷺ لما قرأ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. قال الله: «**قَدْ فَعَلْتُ**». وفي رواية: «**نَعَمْ**». وذلك في حديث مطول، أخرجه مسلم(٣).

وصحح بعض العلماء بمجموع الطرق حديث رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**»(٤).

أما عن اللحوم المستوردة: فالقول فيها من عدة نواحٍ:

أحدها: الغالب علىٰ البلدة المصدرة لهذه اللحوم، هل أهلها مسلمون، أم كفار، أم أهل كتاب؟

ثانيًا: هل يذكرون اسم الله عليها عند الذبح، أم لا؟

ثالثًا: هل ذُكيت التذكية الشرعية أم لا؟

---

(١) البخاري (٥٠٨٣).

(٢) سعيد بن منصور (٩١٤)، وعبد الرزاق (٨٥٣٨) وغيرهما.

(٣) مسلم (١٢٥ و١٢٦).

(٤) **صحيح لشواهده:** وإن كانت ثم بعض الضوابط التي يفهم بها الحديث، كعدم وضع الدية عمن تأكل الخطأ، ولذلك مواطن أُخر والحديث أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥)، والبيهقي (١١٧٨٧) وغيرهما، وانظر العلل لابن أبي حاتم (١٢٩٦).

فإذا كانت اللحوم مستوردة من دولة أهلها والقائمون علىٰ الذبح فيها مسلمون، فهي لحوم حلال، ما دامت قد ذُكيت التذكية الشرعية.

وإذا كانت من دولٍ مُلحدة، أو مشركة، أو دولٍ عابدة للبقر، أو غير ذلك من صور الكفر والضلال، وليس عندنا يقين أن الذابح مسلمٌ، فالغالب حينئذٍ أنهم لا يذكونها التذكية الشرعية، ولا يذكرون اسم الله عليها، فلا تؤكل.

أما إذا تأكدنا أن الذابح مسلمٌ، فهي ذبيحة حلال أكلها، وإذا كانت الدول المصدرة لهذه اللحوم يهودية أو نصرانية، (أي: أن أغلب أهلها كذلك)، والذابح يهودي أو نصراني، فلنا أن نأكل منها ما دامت قد ذُكيت.

أما إذا كانت اللحوم مستوردة من دولةٍ ولا تُذكىٰ عند الذبح، كأن تكون منخنقة (ماتت خنقًا)، أو لم ينهر دمها، أو ماتت مصعوقة، أو نحو ذلك، فلا تؤكل، لقوله تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾. أي: ذكيتم يا أهل الإسلام[(١)].

ذِكر اسم الله علىٰ الكلاب المعلمة، التي تصيد عند إرسالها للصيد، وكذا علىٰ الصقور، وسائر الجوارح المُعلمة:

قال تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤].

١- عن عدي بن حاتم، قال: قلتُ: يا رسول الله، إني أرسلُ الكلابَ

(١) وقد تقدم القول بتفصيل في ذبيحة الكتابي (اليهودي والنصراني).

المعلمة، فيمسكن عليَّ، وأذكرُ اسم الله عليه، فقال: «**إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ الْمُعَلَّمَ، وَذَكَرْتَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ فَكُلْ**». قلتُ: وإن قتلن؟ قال: «**وَإِنْ قَتَلْنَ، مَا لَمْ يَشْرَكْهَا كَلْبٌ لَيْسَ مَعَهَا**». قلت له: فإني أرمي بالمعراض الصيد فأُصيب؟ فقال: «**إِذَا رَمَيْتَ بِالْمِعْرَاضِ فَخَزَقَ فَكُلْهُ، وَإِنْ أَصَابَهُ بِعَرْضِهِ فَلَا تَأْكُلْهُ**»(١).

٢- وعن أبي ثعلبة الخشني، أن النبي ﷺ قال: «**فَمَا أَصَبْتَ بِقَوْسِكَ، فَاذْكُرِ اسْمَ اللهِ ثُمَّ كُلْ، وَمَا أَصَبْتَ بِكَلْبِكَ الْمُعَلَّمِ فَاذْكُرِ اسْمَ اللهِ ثُمَّ كُلْ، وَمَا أَصَبْتَ بِكَلْبِكَ الَّذِي لَيْسَ بِمُعَلَّمٍ فَأَدْرَكْتَ ذَكَاتَهُ فَكُلْ**»(٢).

وثمَّ ذبائح نتقرب بها إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ومنها الأضاحي:

قال تعالىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢].

وأخرج البخاري ومسلم، من حديث البراء بن عازب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا، نُصَلِّي ثُمَّ نَرْجِعُ فَنَنْحَرُ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا، وَمَنْ ذَبَحَ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ قَدَّمَهُ لِأَهْلِهِ لَيْسَ مِنَ النُّسُكِ فِي شَيْءٍ**». وكان أبو بردة بن نِيارٍ قد ذبح، فقال: عندي جذعةٌ خيرٌ من مُسنةٍ، فقال: «**اذْبَحْهَا، وَلَنْ تُجْزِيَ عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ**». قال مطرف، عن عامر، عن البراء قال ﷺ: «**مَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلَاةِ، تَمَّ نُسُكُهُ، وَأَصَابَ سُنَّةَ الْمُسْلِمِينَ**»(٣).

* وعن جندب رضي الله عنه، قال: صلىٰ النبي ﷺ يوم النحر، ثم خطب، ثم ذبح، وقال: «**مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّي، فَلْيَذْبَحْ أُخْرَىٰ مَكَانَهَا، وَمَنْ لَمْ يَذْبَحْ فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللهِ**»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٠٨١).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٥٠٩٢).

(٣) البخاري (٥٥٤٥)، ومسلم (١٩٦١).

(٤) البخاري (٩٨٥).

ومنها العقيقة:

* عن سلمان بن عامر، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إِنَّ مَعَ الْغُلَامِ عَقِيقَةً، فَأَهْرِيقُوا عَنْهُ دَمًا، وَأَمِيطُوا عَنْهُ الْأَذَىٰ**»(١).

* وعن سمرة بن جندب، عن النبي ﷺ، قال: «**كُلُّ غُلَامٍ رَهِينَةٌ بِعَقِيقَتِهِ، تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ، وَيُحْلَقُ وَيُسَمَّىٰ**»(٢).

قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعقيقة سنة في قول عامة أهل العلم؛ منهم ابن عباس، وابن عمر، وعائشة، وفقهاء التابعين، وأئمة الأمصار، إلا أصحاب الرأي، قالوا: ليست سنة، وهي من أمر الجاهلية». اهـ(٣).

ومنها وليمة العرس:

* وقد أولم النبي ﷺ علىٰ زينب -رضي الله تعالىٰ عنها-:

فعن أنس أيضًا، قال: ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ أَوْلَم علىٰ امرأةٍ من نسائه، ما أَوْلَم علىٰ زينب؛ فإنه ذبح شاة(٤).

* عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ رَأَىٰ عَلَىٰ عبد الرحمن بن عوفٍ أثرَ صُفرةٍ، فقال: «**مَا هَذَا؟**». قال: يا رسول الله، إني تزوجتُ امرأةً علىٰ وزن نواةٍ من ذهبٍ. قال: «**فَبَارَكَ اللهُ لَكَ، أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**»(٥).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٤٧٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٧)، وأبو داود (٢٨٣٧)، والترمذي (١٥٢٢)، والنسائي (٤٥٣٢)، وغيرهم.

(٣) «المغني»، مع «الشرح الكبير» (١١/ ١١٩).

(٤) البخاري (٥١٦٨)، ومسلم (١٤٣٨).

(٥) البخاري (٥١٥٣)، ومسلم (١٤٢٧).

ونتقرب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بإكرام الضيف:

قال تعالىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٧].

عن أبي هريرة، قال: خرج رسول الله ﷺ ذاتَ يومٍ أو ليلةٍ، فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: «**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا، هَذِهِ السَّاعَةَ؟**» قالا: الجوعُ يا رسولَ الله. قال: «**وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا**». فقاموا معه، فأتىٰ رجلًا من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأتهُ المرأةُ قالت: مرحبًا وأهلًا، فقال لها ﷺ: «**أَيْنَ فُلَانٌ؟**». قالت: ذهبَ يستعذبُ لنا من الماء. إذ جاء الأنصاري فنظرَ إلىٰ رسول الله وصاحبيه، ثم قال: الحمدُ لله، ما أحدٌ اليوم أكرم أضيافًا منِّي. قال: فانطلقَ فجاءهم بعِذْقٍ، فيه بسرٌ وتمرٌ، ورطبٌ فقال: كُلُوا من هذه. وأخذ المدية، فقال له رسول الله ﷺ: «**إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ**». فذبح لهم، فأكلُوا من الشاةِ، ومن ذلك العذق وشربوا، فلما أن شبعوا، وَرَوُوا قال ﷺ لأبي بكرٍ وعمر: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّىٰ أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ**»[(١)].

ومنها: دماء التمتع والقران في الحج:

قال سبحانه: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

---

(١) مسلم (٢٠٣٨).

قال سبحانه: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨].

حديث لا فرع ولا عتيرة

ويجدر التذكير هنا بحديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه البخاري ومسلم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**لَا فَرَعَ وَلَا عَتِيرَةَ**»(١).

والفرع أول النتاج، كانوا يذبحونه لطواغيتهم، والعتيرة في رجب(٢).

قلت (مصطفىٰ): ومعنىٰ قوله أول النتاج أي: أول مولود تلده الناقة أو البقرة أو الشاة، كانوا يجعلونه للآلهة، والعتيرة ذبيحة كانوا يذبحونها في رجب تقربًا إلىٰ الله، وذلك في الجاهلية.

وقد وردت أحاديث تفيد الإباحة، ولكنها ضعيفة الأسانيد، وإن كان قد قال بمقتضاها بعض العلماء، وحاولوا الجمع بينها وبين حديث الباب المتقدم: «**لَا فَرَعَ وَلَا عَتِيرَةَ**». ولكنها أحاديث ضعيفة.

* ومن هذه الأحاديث الضعيفة الواردة في العتيرة (الرجبية) حديث مخنف بن سُليم، قال: ونحن وقوفٌ مع رسول الله ﷺ بعرفاتٍ، قال: «**يَا أَيُّهَا**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٧٣)، ومسلم (١٩٧٦).

(٢) قال ابن الأثير رحمه الله (النهاية ٣/ ٤٣٥): «والفرع أول ما تلد الناقة، كانوا يذبحونه لآلهتهم، فنهىٰ المسلمون عنه، وقيل: كان الرجل في الجاهلية إذا تمت إبله مائة قدم، بكرًا، فنحره لصنمه، وهو الفرع، وقد كان المسلمون يفعلونه في صدر الإسلام، ثم نسخ». اهـ.

النَّاسُ، إِنَّ عَلَي كُلِّ أَهْلِ بَيْتٍ فِي كُلِّ عَامٍ أُضْحِيَةً وَعَتِيرَةً، أَتَدْرُونَ مَا الْعَتِيرَةُ؟ هَذِهِ الَّتِي يَقُولُ النَّاسُ الرَّجَبِيَّةُ».

وقد أخرجه أحمد، وأبو داود[(١)]، وغيرهما وفي سنده أبو رملة وهو مجهول.

وحديث يحيىٰ بن زرارة السهمي[(٢)]: حدثني أبي، عن جدي الحارث بن عمرو، أنه لقي رسول الله ﷺ في حجة الوداع، وهو علىٰ ناقته العضباء، قال: قلت: بأبي أنت وأمي، يا رسول الله، استغفر لي، فقال: «**غَفَرَ اللهُ لَكُمْ**». ثم استدرت من الشق الآخر رجاء أن يخصني دون القوم، فقلت: يا رسول الله، استغفر لي. فقال: «**غَفَرَ اللهُ لَكُمْ**» فقال رجلٌ: يا رسول الله، الفرائعُ والعتائرُ؟ قال: «**مَنْ شَاءَ فَرَّعَ، وَمَنْ شَاءَ لَمْ يُفَرِّعْ، وَمَنْ شَاءَ عَتَرَ، ومَنْ شَاءَ لَمْ يَعْتِرْ، وَفِي الْغَنَمِ أُضْحِيَتُهَا**». ثم قال: «**أَلَا إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا**».

وسنده ضعيفٌ جدًّا، فيه يحيىٰ بن زرارة، وهو مجهول، وأبوه زرارة بن كريم وهو ضعيفٌ.

أما حديث نبيشة رضي الله عنه، قال: نادىٰ رجلٌ رسول الله ﷺ: إنا كنا نعترُ عتيرة في الجاهلية في رجب، فما تأمرنا؟ قال: «**اذْبَحُوا للهِ فِي أَيِّ شَهْرٍ كَانَ، وَبَرُّوا اللهَ عزوجل، وَأَطْعِمُوا**». قال: إنا كُنا نُفرِعُ فَرَعًا في الجاهلية، فما تأمرنا؟ قال: «**فِي كُلِّ سَائِمَةٍ فَرَعٌ تَغْذُوهُ مَاشِيتُكَ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَحْمَلَ ذَبَحْتَهُ فَتَصَدَّقْتَ بِلَحْمِهِ**». أراه قال: علىٰ ابن السبيل، فإن ذلك هو خير.

فهو صحيح الإسناد، وقد أخرجه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه وغيرهم[(٣)].

---

(١) أحمد (٢٠٧٣١)، وأبو داود (٢٧٨٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٥٩٧٢)، والحاكم (٤/ ٢٣٦) وغيرهما.

(٣) أبو داود (٢٨٣٠)، والنسائي (٤٢٣٩ و٤٢٤٠)، وابن ماجه (٣١٦٧) وغيرهم.

فهذا الحديث لا يُقيد الذبيحة بشهر رجب، هذا من ناحية، وكذا عدم التقييد بأول النتاج.

وقد قال عدد من العلماء، بأن الأحاديث الواردة في إباحة العتيرة والفَرَع منسوخة.

ومن العلماء من قالوا: إن المراد بقوله: «**لَا فَرَعَ وَلَا عَتِيرَةَ**». نفي الوجوب.

ومنهم من قال: إن المراد نفي ما كانوا يذبحون لأصنامهم، وها هي أقوال بعض العلماء في ذلك:

قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: قال أصحابنا: لا تُسن الفرعة ولا العتيرة، وهو قول علماء الأمصار، سوىٰ ابن سيرين، فإنه كان يذبح العتيرة في رجب. اهـ.

وقال: ولنا ما روىٰ أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «**لَا فَرَعَ وَلَا عَتِيرَةَ**». متفق عليه، وهذا الحديث متأخرٌ عن الأمر بها فيكون ناسخًا.

وأورد ابن قدامة دليل تأخر هذا الخبر.

ويرىٰ الشافعية الاستحباب، نقله عنهم النووي في شرح مسلم[(٢)]، فقال: والصحيح عند أصحابنا، وهو نص الشافعي استحباب الفرع والعتيرة، وأجابوا عن حديث: «**لَا فَرَعَ وَلَا عَتِيرَةَ**». بثلاثة أوجه:

أحدها: جواب الشافعي السابق، أن المراد نفي الوجوب.

والثاني: أن المراد نفي ما كانوا يذبحون لأصنامهم.

والثالث: أنها ليست كالأضحية في الاستحباب، أو في ثواب إراقة الدم، فأما

---

(١) «المغني» (١٣/ ٤٠٢، ٤٠٣).

(٢) «شرح مسلم» (١٣/ ١١٤).

تفرقة اللحم علىٰ المساكين، خير وصدقة، وقد نص الشافعي في «سنن حرملة»، إنها إن تيسرت كل شهر كان حسنًا، هذا تلخيص حكمها في مذهبنا. اهـ.

قلت (مصطفىٰ): والذي أختاره وبعض استعراض أقوال العلماء في هذه والنظر في أسانيد الحديث ومتونها، أنه لا يوجد خبرٌ ثابت في إثبات الفرع أو العتيرة، فالأخبار التي أفادت ذلك ضعيفة لا تصح، والخبر الوارد في النهي أصح، وهو في الصحيحين، فبمقتضاه أقول: «**لَا فَرَعَ وَلَا عَتِيرَةَ**».

وأبواب التقرب إلىٰ الله ﷻ مفتوحة لمن أراد التقرب إليه في رجب وغيره، وفي أول النتاج وغيره، والله تعالىٰ أعلم.

النهي عن الذبح في مكانٍ كان يُذبح فيه لغير الله:

* عن ثابت بن الضحاك، قال: نذر رجل علىٰ عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلًا ببوانة، فأتىٰ النبي ﷺ، فقال: إني نذرت أن أنحر إبلًا ببوانة[1]، فقال النبي ﷺ: «**هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟**». قالوا: لا. قال: «**هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟**». قالوا: لا. قال رسول الله ﷺ: «**أَوْفِ بِنَذْرِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ**».

* وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٧، ١٠٨].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٣١٣)، **بسندٍ صحيح**.

تحريم أكل ما ذُبح على النُّصب

قال الله تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ [المائدة: ٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: قال غير واحد من العلماء: كانت النصب، حجارة حول الكعبة، قال ابن جريج: وهي ثلاثمائة وستون نصبًا، كانت العرب في جاهليتها يذبحون عندها، ويضحون ما أقبل منها إلىٰ البيت بدماء تلك الذبائح، ويشرحون اللحم ويضعونه علىٰ النصب، كذا ذكر غير واحد، فنهىٰ الله المؤمنين عن هذا الصنيع، وحرم عليهم أكل هذه الذبائح التي ذبحت عند النصب حتىٰ ولو كان يذكر عليها اسم الله؛ لما في الذبح عند النصب من الشرك الذي حرمه الله ورسوله.

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عن رسول الله ﷺ: لقي زيدَ بن عمرِو بن نفيلٍ بأسفل بلدح، وذلك قبلَ أن ينزل علىٰ رسول الله ﷺ الوحي، فقدَّم إليه رسول الله ﷺ سُفرةً، فيها لحمٌ فأبىٰ أن يأكل منه وقال: «**إِنِّي لَا آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَىٰ أَنْصَابِكُمْ، وَلَا آكُلُ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ**»[(٢)].

---

(١) التفسير (٢/ ١١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٤٩٩).

مزيدُ بيان لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾
وما العمل إذا ذبح كافرٌ[1]، وذكر اسم الله عند الذبح؟

يرىٰ جمهور العلماء أن ذبيحة الكافر محرمة علىٰ المسلمين إلا إذا كان يهوديًّا أو نصرانيًّا.

وذلك لأن الكافر لا يذكر اسم الله عليها، وذلك أيضًا لقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾. فقالوا: إن الخطاب فيها لأهل الإسلام.

وقد خالف في ذلك -أعني ذبيحة الكافر إذا سمىٰ الله- فقال بعض أهل العلم: إن قوله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾. خطابٌ لكل من يصلح للخطاب، فجوزوا ذلك، ومن هؤلاء الشوكاني -رحمه الله تعالىٰ- مقال في كتابه «السيل الجرار»: أقول: إذا ذبح الكافر ذاكرًا لاسم الله عَزَّوَجَلَّ غير ذابح لغير الله، وأنهر الدم، وفرىٰ الأودا؛ فليس من الأدلة ما يدل علىٰ تحريم هذه الذبيحة الواقعة علىٰ هذه الصفة، ولا يصح الاستدلال بمثل قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾. لكون الخطاب فيها للمسلمين؛ لأنا نقول: الخطاب فيها لكل مَنْ يصلح للخطاب؛ فمن زعم أن الكافر خارج من ذلك، بعد أن ذبح لله، وسمىٰ؛ فالدليل عليه.

وقال أيضًا: وأما ما يُقال من حكاية الإجماع علىٰ عدم حل ذبيحة الكافر، فدعوىٰ الإجماع غير مسلمة، وعلىٰ تقدير أن لها وجه صحة فلابد من حملها علىٰ ذبيحة كافر ذبح لغير الله، أو لم يذكر اسم الله[2].

وردَّ كثيرٌ من العلماء علىٰ الشوكاني في هذا، بالإجماع المنقول في هذا الصدد.

---

(١) والمراد بالكافر هنا، الكافر الذي ليس من أهل الكتاب (ليس بيهودي ولا نصراني).

(٢) «السيل الجرار» (٤/ ٦٤).

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأجمعوا أن المجوسي والوثني، لو سمىٰ الله- لم تؤكل ذبيحته»(١).

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ **في كتابه «الأم»**: لا تؤكل ذبيحة المجوسي، وإن سمىٰ الله تعالىٰ عليها(٢).

ما ورد في النهي عن معاقرة الأعراب

ورد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «نهىٰ رسول الله ﷺ عن مُعاقرة الأعراب»(٣).

وورد عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**لَا عَقْرَ فِي الْإِسْلَامِ**»(٤).

وفي كلا الطريقين مَقالٌ(٥)، ومن العلماء من حسَّنهما ببعضهما.

* أما عن تعريف المعاقرة فلأهل العلم فيه أقوال:

أحدها: أن المعاقرة ذبيحة، كانت تذبح عند القبور.

الثاني: ما ذكره الخطابي في «معالم السنن»: «فيما بلغني عن معاقرة الأعراب أن يتبارىٰ الرجلان، كل واحد منهما يجادلُ صاحبه، فيعقر هذا عددًا من إبله،

---

(١) ابن عبد البر، «الاستذكار» (١٥/ ٢١٧).

(٢) «الأم» (٤/ ٢٧٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٨٢٠)، والبيهقي (٩/ ٣١٣).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ١٩٧)، وأبو داود (٣٢٢٢).

(٥) أما الأول فقد أعلَّ بالوقف، وفي سنده أيضًا أبو ريحانة تغير بآخرة.

وأما الثاني فمن طريق معمر، عن ثابت، عن أنس، وفي رواية معمر عن ثابت مَقال.

ويعقر صاحبه، فأيهما كان أكثر عقرًا غلب صاحبه، وكره لحومها؛ لئلا يكون مما أُهل به لغير الله». اهـ.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «وأما الذبح والعقر عند القبر فمذموم».

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وأما الذبح هناك- يعني: عند القبور- فمنهيٌّ عنه مطلقًا».

وتجوز ذبيحة الحائض والجنب: إذ لا مانع من ذلك.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «نقل ابن المنذر الاتفاق علىٰ ذبيحة الجنب، وقال: وإذا دل القرآن علىٰ حل إباحة ذبيحة الكتابي مع أنه نجس؛ فالذي نفت السنة عنه النجاسة أولىٰ، قال: والحائض كالجنب». اهـ.

وقال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «وإن كان جنبًا جاز أن يُسمي ويذبح؛ وذلك أن الجنب يجوز له التسمية، ولا يمنع منها؛ إنما يمنع من القرآن لا من الذكر، ولهذا تشرع له التسمية عند اغتساله، وليس الجنابة أعظم من الكفر، والكافر يسمي ويذبح، وممن رخص في ذبح الجنب الحسن والحكم والليث والشافعي وإسحاق وأبو ثور وأصحاب الرأي».

وتجوز ذبيحة المرأة:

وعن معاذ بن سعد، أو سعد بن معاذ، أن جارية لكعب بن مالك كانت

---

(١) «المجموع» للنووي (٥/ ٣٢٠).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص ١٨٢).

(٣) «المجموع» (٩/ ٧٨).

(٤) «المغني» (١١/ ٦١).

ترعىٰ غنمًا بسلع، فأُصيبت شاةٌ منها، فأدركتها فذبحتها بحجر، فسئل النبي ﷺ، فقال: «**كُلُوهَا**»(١).

وعن عاصم بن كليب، عن أبيه، أن رجلًا من الأنصار أخبره، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فلما رجعنا لقينا داعي امرأةٍ من قريش، فقال: يا رسول الله، إن فلانة تدعوكَ ومن معكَ إلىٰ طعام. فانصرفَ فانصرفنا معه، فجلسنا مجالس الغلمان من آبائهم بين أيديهم، ثم جيء بالطعام، فوضع رسول الله ﷺ يده ووضع القوم أيديهم، ففطن له القوم، وهو يلوكُ لقمته لا يجيزها، فرفعوا أيديهم وغفلوا عنا، ثم ذكروا فأخذوا بأيدينا، فجعل الرجل يضرب اللقمة بيده حتىٰ تسقط، ثم أمسكوا بأيدينا ينظرون ما يصنعُ رسول الله ﷺ، فلفظها، فألقاها، فقال: «**أَجِدُ لَحْمَ شَاةٍ أُخِذَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ أَهْلِهَا**». فقامت المرأةُ فقالت: يا رسول الله، إنه كان في نفسي أن أجمعك ومن معك علىٰ طعامٍ، فأرسلتُ إلىٰ البقيع فلم أجد شاة تباعُ، وكان عامرُ بن أبي وقاص ابتاع شاةً أمس من البقيع، فأرسلتُ إليه أن ابتغي لي شاةً في البقيع، فلم تُوجد، فذكر لي أنك اشتريت شاة فأرسل بها إلي، فلم يجده الرسول ووجد أهله، فدفعوها إلىٰ رسولي، فقال رسول الله ﷺ: «**أَطْعِمُوهَا الْأُسَارَىٰ**»(٢).

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلو لم تكن ذكية ما أمر بإطعامها الأسارىٰ». اهـ(٣).

وكذا تجوز ذبيحة الصبي:

قال ابن المنذر: أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم علىٰ إباحة ذبيحة

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٠٥) وفي سنده اختلافات، انظر: «التتبع» للدارقطني (١/ ٢٤٥).

(٢) **سنده حسن**، أخرجه أحمد (٥/ ٢٩٣)، وأبو داود (٣٣٣٢) وغيرهما.

(٣) «فتح الباري» (٩/ ٥٤٩).

المرأة والصبي، إذا أطاقا الذبح، وأتيا علىٰ ما يجب أن يؤتىٰ عليه[١].

وقال ابن قدامة[٢]: «كل من أمكنه الذبح من المسلمين وأهل الكتاب إذا ذبح- حل أكل ذبيحته، رجلًا كان أو امرأة، بالغًا أو صبيًّا، حرًّا أو عبدًا، لا نعلم في هذا خلافًا». اهـ.

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أن الذبح للمعبود وباسمه نازل منزلة السجود له، وكل واحد منهما نوع من أنواع التعظيم، والعبادة المخصوصة بالله تعالىٰ، الذي هو المستحق للعبادة، فمن ذبح لغيره من حيوان أو جماد كالصنم علىٰ وجه التعظيم والعبادة؛ لم تحل ذبيحته، وكان فعله كفرًا، كمن سجد لغيره سجدة عبادة، وكذا لو ذبح له ولغيره علىٰ هذا الوجه»[٣].

---

(١) «الإجماع» (ص ٢٥).

(٢) «المغني» (١٣/ ٣١١).

(٣) «روضة الطالبين» (٣/ ٣٠٥، ٣٠٦).

فصلٌ في الأَيمان
ولا يكون الحلف إلا بالله

* وذلك، لما أخرجه البخاري ومسلم(١)، من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي ﷺ أدرك عمر بن الخطاب، وهو يسير في ركبٍ يحلف بأبيه، فقال: «**أَلَا إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا؛ فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ، أَوْ لِيَصْمُتْ**».

* وفي رواية أخرىٰ، عند البخاري ومسلم(٢)، من حديث ابن عمر أيضًا، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَحْلِفْ إِلَّا بِاللهِ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَحْلِفُ بِآبَائِهَا، فَقَالَ: لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**».

* وقد أخرج البخاري ومسلم(٣)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**».

قال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعتُ النبي ﷺ ذاكرًا أو آثرًا(٤).

* وأخرجه مسلم(٥)، من حديث عبد الرحمن بن سمرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَحْلِفُوا بِالطَّوَاغِي(٦)، وَلَا بِآبَائِكُمْ**».

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٤٦)، ومسلم (١٦٤٦).

(٢) البخاري (٣٨٣٦)، ومسلم (١٦٤٦).

(٣) البخاري (٦٦٤٧)، ومسلم (١٦٤٦).

(٤) آثرًا: أي: حاكيًا ذلك عن غيري.

(٥) مسلم (١٦٤٨).

(٦) الطواغي: هي الطواغيت، ومنها الأصنام والشياطين، وكذا تطلق علىٰ عظماء القوم.

* وأخرج أبو داود بإسنادٍ صحيح[(١)]، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ، وَلَا بِالْأَنْدَادِ، وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَلَا تَحْلِفُوا بِاللهِ إِلَّا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ**».

هذا، وقد ورد في هذا الباب حديث[(٢)] من طريق سعد بن عبيدة، أن ابن عمر سمع رجلًا يقول: لا، والكعبة. فقال ابن عمر: لا يُحلف بغير الله. فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ**».

* وهو حديثٌ معلولٌ، علته أنه روي من طريق آخر يوضح أن سعد بن عبيدة لم يسمعه من ابن عمر، إنما بينهما واسطة، وهو رجلٌ مجهول، اسمه محمد الكندي[(٣)]، وللحديث طرق أُخر لا تخلو من مقال.

وقد استشهد بعض العلماء للحديث السابق بحديث قُتيلة[(٤)] (امرأة من جهينة) أن يهوديًّا أتىٰ النبي ﷺ، فقال: إنكم تنددون، وإنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت. وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة. ويقولون: ما شاء الله، ثم شئت.

وأخرج البخاري ومسلم[(٥)]، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ حَلَفَ، فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ. فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[(٦)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٤٨).

(٢) أخرجه الترمذي (١٥٣٥)، وأبو داود (٣٢٥١).

(٣) وإذا أردت مراجعة العلة، فانظر: «سنن البيهقي الكبرىٰ» (١٠/ ٢٩)، ومسند أحمد (٢/ ٨٦، ٨٧).

(٤) أخرجه النسائي (٣٧٧٣)، وهو حديث فيه بعض الاختلاف، والمقال أيضًا.

(٥) أخرجه البخاري (٦٦٥٠)، ومسلم (١٦٤٧).

(٦) وذهب كثيرٌ من أهل العلم إلىٰ أن من حلف بأي شيء غير الله فليستدرك، وليقل: لا إله إلا الله. وإنما خصت اللات والعزىٰ بالذكر لأنها أكثر ما كانت تجري علىٰ ألسنتهم.

أما عن حكم الحلف بغير الله:

فإن حلف الشخص بغير الله مُعظِّمًا المحلوف به كتعظيمه لله، ومُعتقدًا ذلك؛ فإنه يكفر كفرًا أكبر يخرجه من الملة.

وأما إذا حلف بها، ولا يقصد ذلك؛ فلا يكفر كفرًا مخرجًا من الملة.

وهل يأثم ويكون قد ارتكب مُحرمًا، أم أن ذلك مكروه فقط؟ فللعلماء قولان:

أحدهما[١]: أن ذلك محرمٌ؛ لأن النهي يقتضي التحريم، ثم ما ورد من كونه شركًا، ومحل هذا التحريم والتأثيم إن كان يعلم.

الثاني[٢]: قول من قال: إنه مكروه. وستأتي بعض حججهم -إن شاء الله-.

* وأخرج ابن ماجه[٣]، بسندٍ رجاله ثقات، عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: حلفت باللات والعزى، فقال رسول الله ﷺ: «**قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. ثُمَّ انْفُثْ عَنْ يَسَارِكَ ثَلَاثًا، وَتَعَوَّذْ، وَلَا تَعُدْ**».

* هذا، وقد صح عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: لئن أحلف بالله كاذبًا أحبُّ إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا[٤].

---

(١) راجع إن شئت هذه المصادر: ابن قدامة في «المغني» مع «الشرح الكبير» (١١/ ١٦٢)، و«مجموع الفتاوى»، لابن تيمية (٣٥/ ٣٤٣)، والشافعي في «الأم» (٧/ ٨٦)، والكاساني في «بدائع الصنائع» (٣/ ٢١)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١٤/ ٣٦٦)، وابن حزم في «المحلى» (٨/ ٥)، وغيرهم.

(٢) راجع إن شئت هذه المصادر: ابن قدامة في «المغني» مع «الشرح الكبير» (١١/ ١٦٢)، و«مجموع الفتاوى»، لابن تيمية (٣٥/ ٣٤٣)، والشافعي في «الأم» (٧/ ٨٦)، والكاساني في «بدائع الصنائع» (٣/ ٢١)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١٤/ ٣٦٦)، وابن حزم في «المحلى» (٨/ ٥)، وغيرهم.

(٣) ابن ماجه (٢٠٩٧).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٥٩٢٩).

* وصح عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سمع ابن الزبير يحلف يقول: سبقته والكعبة. فقال له: أرأيت حلفك بالكعبة، والله لو أعلم أنك فكرت فيها قبل أن تحلف لعاقبتك، احلف بالله فأثم أو أبرر[١].

* وأخرج أبو داود[٢]، بسندٍ صحيح، عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا**».

حكم مَنْ حلف بملة غير الإسلام فقال: أكون يهوديًّا أو نصرانيًّا. ونحو ذلك

* أخرج البخاري ومسلم[٣]، من حديث ثابت بن الضحاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا مُتَعَمِّدًا؛ فَهُوَ كَمَا قَالَ**».

* ولأهل العلم في فهم الحديث أقوال: منها أن ذلك يمينٌ، وليس بمخرجٍ من الملة.

* ومنها: أنه ينظر إلىٰ نيته من وراء هذا الحلف، إن كان يريد الخروج من الإسلام؛ فهو كما أراد، وإلا فلا.

فإن كان يريد التأكيد علىٰ أنه سيفعل شيئًا، أو لن يفعل شيئًا، وليس مراده الكفر؛ فلا يحكم عليه بالكفر، وإن كان آثمًا. وهذا القول له قوَّة، والله أعلم.

---

(١) يعني: كن برًّا في يمينك، أو تحمل إثمه، ومن ثم كفِّر.

(٢) أبو داود (٣٢٥٣)، والبيهقي (١٠/ ٣٠) وغيرهما.

(٣) البخاري (١٣٦٣)، ومسلم (١١٠) وغيرهما.

* ومن العلماء مَنْ قال: ظاهر الحديث أنه يحكم عليه بما قال إذا كان كاذبًا متعمدًا، وعليه أن يتوب.

* ثمَّ وجهة لبعض أهل العلم أننا نجري الحديث علىٰ ظاهره للمبالغة في الزجر عن مثل هذه اليمين، وعلىٰ آية حال يُنصح من فعل ذلك بالتوبة والعمل الصالح، والله أعلم.

ومَنْ حلف بغير الله لا ينعقد يمينه:

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] في شرحه لحديث: «**إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**»:

«... وفيه أن مَنْ حلف بغير الله مطلقًا؛ لم تنعقد يمينه سواء كان المحلوف به يستحق التعظيم لمعنًىٰ غير العبادة؛ كالأنبياء، والملائكة، والعلماء، والصلحاء، والملوك، والآباء، والكعبة، أو كان لا يستحق التعظيم كالآحاد، أو يستحق التحقير والإذلال كالشياطين وسائر من عبد من دون الله».

مناقشة بعض الأدلة التي استدلَّ بها بعض أهل العلم القائلين: أن النهي عن الحلف بغير الله إنما هو للكراهة فقط

أولًا: استدلال من استدلَّ منهم بأن الله عَزَّوَجَلَّ أقسم في عدة آيات بمخلوقاته، فقد أقسم قائلًا: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ١-٤].

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٥٣٤).

وأقسم أيضًا بقوله: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا...﴾ [الشمس: ١، ٢].

وأقسم بنفسه: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]. وقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧].

وأقسم بالنجم والليل والقمر والشمس، وغير ذلك كثير، وأقسم بالقرآن، فقال: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق: ١].

* وجواب ذلك أن الله يُقسم بما يشاء، وأما نحن فمأمورون مُتبعون ممتثلون.

ثانيًا: واستدلوا أيضًا بقول النبي ﷺ لمن جاء يسأل عن الإسلام والصلاة والصيام والزكاة، لما قال هذا الرجل: والله لا أزيد علىٰ هذا، ولا أنقص. فقال النبي ﷺ: «**أَفْلَحَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ** -أَوْ: **دَخَلَ الْجَنَّةَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ**-»[(١)].

وللعلماء علىٰ ذلك أجوبة:

أحدها: قول مَنْ قال: إن لفظة (وأبيه) شاذَّة؛ فقد روىٰ البخاري وغيره الحديث بدونها؛ أي بلفظ: «**أفلح إن صدق**»[(٢)]. وقد أشار إلىٰ ذلك ابن عبد البر في كتابه «التمهيد»[(٣)].

الجواب الثاني: قال بعض العلماء: إن هذا ليس حلفًا، إنما هو كلمة جرت عادة العرب أن تدخلها في كلامها غير قاصدة بها حقيقة الحلف.

---

(١) أخرجه مسلم (١١).

(٢) أخرج ذلك البخاري (٤٦ و٢٦٧٨)، ومسلم (١١) وغيرهما.

(٣) «التمهيد» (١٤/ ٣٦٧).

قال ذلك النووي رَحِمَهُ اللَّهُ[١].

قلت (مصطفىٰ): وهذا كقول النبي ﷺ: «**تَرِبَتْ يَدَاكَ**». أو «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ**». ونحو ذلك، والله أعلم.

الجواب الثالث: أن هذا كان قبل النهي عن الحلف بغير الله، وقبل النهي عن الحلف بالآباء.

الجواب الرابع: أن الكلام فيه مضمر، والمعنىٰ أفلح ورب أبيه والله أعلم.

قلت (مصطفىٰ): وعلىٰ غرار ما سبق يوجه الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه[٢]، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجرًا؟ فقال: «**أَمَا وَأَبِيكَ لَتُنَبَّأَنَّهُ: أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَىٰ الْفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الْبَقَاءَ، وَلَا تُمْهِلَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ، قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ**».

وأخرجه البخاري[٣] بدون لفظ: «**أَمَا وَأَبِيكَ لَتُنَبَّأَنَّهُ**».

قلت (مصطفىٰ): ويوجه الحديث بما وجِّه به الحديث السابق كذا.

* ويوجِّه هذا الحديث الذي أخرجه مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]، من حديث أبي هريرة قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: مَنْ أحقُّ الناس بحسن صحابتي، فقال: «**نَعَمْ – وَأَبِيكَ – لَتُنَبَّأَنَّ: أُمُّكَ**». قال: ثم مَن؟ قال: «**ثُمَّ أُمُّكَ**». قال: ثم مَن؟ قال: «**أُمُّكَ**». قال: ثم مَن؟ قال: «**ثُمَّ أَبُوكَ**».

---

(١) شرح مسلم (١/ ١٦١).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٣٢).

(٣) البخاري (١٤١٩ و٢٧٤٨).

(٤) مسلم (٢٥٤٨).

بعض الأيمان الواردة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ
وبعض الوارد في ذلك عن رسول الله ﷺ

من ذلك ما يلي:

والله، وبالله، وتالله:

وأدلتها من الكتاب العزيز منها ما يلي:

* قوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

* وقوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ [النمل: ٤٩].

* وقوله تعالىٰ فيما حكاه عن إبليس، إذ قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

* وقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧].

ومن سنة رسول الله ﷺ ما يلي:

قوله: (وَاللهِ)

أخرج البخاري ومسلم، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي ﷺ، قال: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ، يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللهِ، وَأَشَدُّهُمْ خَشْيَةً**»(١).

وقوله ﷺ: (لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ)

أخرج البخاري(٢)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كانت يمين النبي ﷺ: «**لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ**».

---

(١) البخاري (٦١٠١)، ومسلم (٢٣٥٦).

(٢) البخاري (٦٦٢٨).

ومن ذلك، قوله ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ):

أخرج البخاري[(١)]، من حديث عبد الله بن هشام رضي الله عنه، قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحبُّ إليَّ من كل شيءٍ إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: «**لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ... الحديث**».

وقوله ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ)

فقد أخرج البخاري ومسلم[(٢)]، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**... وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ...**».

وقوله ﷺ: **(وَايْمُ اللهِ)**

فقد صح عنه ﷺ، أنه قال: «**وَايْمُ اللهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا**»[(٣)].

* وقوله ﷺ: **(وَرَبِّ الْكَعْبَةِ)**، فقد صح بذلك الخبر عنه في الصحيحين أيضًا[(٤)]، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

ومن أيمانه ﷺ قوله: **(وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ)**.

أخرج مسلم[(٥)]،من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال: «**فَوَالَّذِي لَا**

---

(١) البخاري (٦٦٣٢).

(٢) البخاري (٦٥٢٨)، ومسلم (٢٢١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٨٨)، ومسلم (١٦٨٨).

(٤) البخاري (٦٦٣٨)، ومسلم (٩٩٠).

(٥) مسلم (٢٦٤٣) وأصله في البخاري بدون اللفظة المذكورة (٣٢٠٨ و٣٣٣٢) وفي غير موطن.

إِلَهَ غَيْرُهُ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا».

وثَمَّ أيمان أُخر كان يقسم بها النبي ﷺ.

باب في الحلف بأسماء الله وصفاته

تقدَّم الحلف بالله، وهو أعظم أسماء الله، بل قد قال بعض العلماء، إنه اسم الله الأعظم(١)، بل قد قال ذلك جمهورهم.

وأما عن الحلف بصفات الله، والتي منها -وعزة الله-، فمن أدلته ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم(٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِهِ فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَىٰ؟ قَالَ: بَلَىٰ، وَعِزَّتِكَ وَلَكِنْ لَا غِنَىٰ بِي عَنْ بَرَكَتِكَ».

ويقول آخر أهل الجنة دخولًا: «لَا وَعِزَّتِكَ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ»(٣).

وقال ﷺ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّىٰ يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، وَعِزَّتِكَ. وَيُزْوَىٰ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ»(٤).

---

(١) وسيأتي لذلك، بابٌ -إن شاء الله-.

(٢) البخاري (٢٧٩)، ومسلم (٣٨٠٦).

(٣) البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٣).

(٤) البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨).

بابٌ في الحلف بالقرآن

ويجوز -عند جمهور العلماء-[١] الحلف بالقرآن، وذلك لأن القرآن كلام الله، وقد تقدَّم جواز الحلف بصفات الله عَزَّوَجَلَّ.

وهذه أقوال بعض العلماء:

قال ابن قدامة في «المغني»[٢]:... وجملته أن الحلف بالقرآن، أو بآية منه، أو بكلام الله يمين منعقدة تجب الكفارة بالحنث فيها.

وبهذا قال ابن مسعود، والحسن، وقتادة، ومالك، والشافعي، وأبو عبيدة، وعامة أهل العلم.

وقال أبو حنيفة، وأصحابه: ليس بيمين، ولا تجب به كفارة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: فمعلومٌ أن الحلف بصفاته كالحلف به كما لو قال: وعزة الله تعالىٰ، أو لعمر الله، أو والقرآن العظيم، فإنه قد ثبت جواز الحلف بهذه الصفات ونحوها عن النبي ﷺ والصحابة، ولأن الحلف بصفاته كالاستعاذة بها -وإن كانت الاستعاذة لا تكون إلا بالله-، في مثل قول النبي ﷺ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**». و«**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ**». و«**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ**». ونحو ذلك، وهذا أمرٌ متقررٌ عند العلماء.

---

(١) وإن كان هناك بعض أهل العلم يخالفون في ذلك.

(٢) «المغني» مع «الشرح الكبير» (١١/ ١٩٣).

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ٢٣٧).

بابٌ في الحلف بالتوارة والإنجيل والزبور

جوَّز بعض أهل العلم الحلف بالإنجيل؛ لكونه كتابًا من عند الله، فقد قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ [المائدة: ٤٦].

وكذا جوَّز فريق أيضًا الحلف بالتوراة لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ﴾ [المائدة: ٤٤]. وكذا سائر الكتب المنزلة فمن شأننا أن نؤمن بهذه الكتب ولا نكفر بها، قال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقد كان النبي ﷺ جالسًا علىٰ وسادة فأتاه اليهود بالتوراة فقام من علىٰ الوسادة، ووضع التوراة عليها)[1]. ففي هذا تعظيم لها.

فهذه بعض استدلالات القائلين بجواز الحلف بالكتب المتقدمة.

ومنع من ذلك آخرون: ومن حججهم أن هذه الكتب اعتراها التحريف، كما قال تعالىٰ: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦].

وكذا فإن الحلف بها قد يوهم صحة ما عليه اليهود والنصارىٰ، المكذبون بالقرآن، وأيضًا، فإنه لم يرد أن النبي ﷺ حلف بها، والله أعلم.

الحلف بالنبي ﷺ

ولا يجوز الحلف بالنبي ﷺ؛ لما تقدَّم من الأحاديث التي فيها النهي عن الحلف بغير الله، وكذا لعدم ورود ذلك عن أحد من صحابة رسول الله ﷺ، والله تعالىٰ أعلم.

---

(١) أخرج ذلك أبو داود (٤٤٤٩) **بسندٍ صحيح**.

بابٌ في النذر

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[1] [البقرة: ٢٧٠].

وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾. إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٥ -٣٧].

وقال تعالىٰ لمريم عَلَيْهَا السَّلَامُ: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦]. فالذي أمرها بأن تقول ذلك هو الله عَزَّوَجَلَّ.

* وقال تعالىٰ ذكره في شأن الحجيج: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]. وهذا في معرض التفضل علىٰ العباد، إذ الله مكنهم من الوفاء بنذورهم.

* وقال تعالىٰ مُثنيًا علىٰ الموفين بالنذر: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

وعن معنىٰ النذر:

فالنذر لغة: النحب، وهو ما ينذره الإنسان، فيجعله علىٰ نفسه نحبًا واجبًا،

---

(١) ومعنىٰ الآية الكريمة -والعلم عند الله-: أي كل نفقةٍ أنفقتموها، وكل نذرٍ نذرتموه، قلَّ ذلك أو كثر، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يعلمه، وسيجازي عليه، فإذا أنفقتم نفقة تبتغون بها وجه الله، وتتقربون بها إليه سبحانه، فإن الله سيجازيكم عليها ويثيبكم عليها، وكذا كل نذر نذرتموه متقربين به إلىٰ الله راجين به ثواب الله، فإن الله عَزَّوَجَلَّ سيثيبكم علىٰ وفائكم بالنذر.
أما إذا أنفقتم نفقةً، أو نذرتم من نذر، في معصية الله وفي غير طاعته، فإن الله يعلمه، وسيحاسبكم عليه، والله تعالىٰ أعلم.

والنحب معناه: العهد.

* **والنذر شرعًا:** التزام المكلَّف -أعني: الشخص المكلف رجلًا، كان أو امرأة، وهو: المسلم البالغ العاقل...- شيئًا لم يكن عليه.

أي: أنه يلزم نفسه بشيءٍ لم يكن عليه.

والنذور أقسام، منها ما يلي:

١- **نذر الطاعة** (ويطلق عليه أيضًا نذر التبرر)، وهو: أن يلتزم الشخص فعل طاعة، **وله صورتان:**

أحدهما: أن يلتزم ذلك ابتداءً دون تعليقه علىٰ شيء، كأن يقول: لله عليَّ أن أعتمر. أو: لله عليَّ أن أتصدق بكذا. أو: لله عليَّ أن أصوم شهرًا. وهذا يسميه العلماء، نذر الابتداء، ومنهم مَنْ يُسميه: النذر المطلق.

الثاني: أن يعلِّق النذر علىٰ فعل شيء، كأن يقول: إن شفىٰ الله ولدي؛ سأتصدق بكذا وكذا. فعلق الصدقة علىٰ شفاء الولد، وهذا يُسمىٰ نذر المجازاة.

ونذر الطاعة بصورتيه يجب الوفاء به.

٢- **نذر المعصية:** كمن ينذر شرب الخمر، أو قطع الرحم، أو نحو ذلك من أنواع المعاصي والمحارم والآثام. وهذا النوع يحرم الوفاء به لقول النبي ﷺ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ**». ولقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ**».

٣- **نذر المباح:** وصورته أن يقولَ الشخصُ: لله عليَّ أن آكل كذا. أو: أشرب كذا. أو: ألبس كذا... وجمهور العلماء علىٰ أنه لا يترتب عليه شيء.

٤- نذر المبهم: كأن يقول: لله عليَّ نذر، دون أن يُحدِّده.

٥- نذر اللجاج أو الغضب: وهو ما يتنزل منزلة اليمين، كأن يقول: إن دخلت دار فلانٍ؛ فلله عليَّ صوم كذا. يريد بذلك منع نفسه من دخول الدار، وهذا يُخير فيه الناذر بين الوفاء باليمين وبين كفارة اليمين، لكن إذا نذر هذا النوع من النذر، ورأىٰ غيره خيرًا منه، يأت الذي هو خير، ويُكفر عن نذره شأنه في ذلك شأن اليمين والله تعالىٰ أعلم.

حكم النذر

وعن النذر، وهل هو مُستحبٌّ أو مكروهٌ، فأقول -وبالله التوفيق-:

ذهب فريق من أهل العلم إلىٰ أن: النذر مكروهٌ؛ لما أخرجه البخاري ومسلم[(١)] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «**لَا يَأْتِي ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيْءٍ، لَمْ يَكُنْ قُدِّرَ لَهُ، وَلَكِنْ يُلْقِيهِ النَّذْرُ إِلَى الْقَدَرِ قَدْ قُدِّرَ لَهُ، فَيَسْتَخْرِجُ اللهُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ، فَيُؤْتِي عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُؤْتِي عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ**».

وكذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[(٢)]، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: نهىٰ النبي ﷺ عن النذر، وقال: «**إِنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا؛ وَلَكِنَّهُ يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ**».

وأخرج مسلم، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**لَا تَنْذِرُوا، فَإِنَّ النَّذْرَ لَا يُغْنِي مِنَ الْقَدَرِ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٤)، ومسلم (١٦٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٩٣)، ومسلم (١٦٣٩).

(٣) مسلم في المتابعات (١٦٤٠).

هذا، وقد حمل بعض العلماء هذه الأحاديث علىٰ نذر المجازاة فقط[(١)].

واستدلوا بقوله ﷺ: «**لَا يَأْتِي ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ قُدِّرَ لَهُ**».

وبقوله ﷺ: «**إِنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا، وَلَكِنَّهُ يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ**».

فقال عدد من العلماء: إن هذا واضح الدلالة في نذر المجازاة، ويسمونه أيضًا العِوَض، ويسمونه كذلك المقابلة).

قالوا: أما نذر الابتداء، فلا يدخل في ذلك.

قالوا: ولأن الله أثنىٰ علىٰ مَن يُنذرون فيفون، وبين أنه يعلم ما فعلوه.

* بينما ذهب بعض العلماء إلىٰ كراهية النذر مطلقًا؛ لأن النبي ﷺ لم يؤثر عنه أنه نذر، والله أعلم.

التأكيد على الوفاء بنذر الطاعة

هذا، وإذا نذر الشخص نذر طاعة (سواء كان نذر ابتداء، أو نذر مجازاة) لزمه الوفاء به لما قدمناه من أحاديث كقول النبي ﷺ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ**». ولقول الله تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]. والله أعلم.

وقد قال تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

---

(١) ومستندهم قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**إِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ**».

وهذه الآية نزلت في أنس بن النضر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرج البخاري(١)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: نُرَىٰ هذه الآية نزلت في أنس بن النضر: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾.

وعند أحمد ومسلم(٢)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: عَمِّي (أنسٌ) الذي سُمِّيتُ به لم يشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا، قال: فشقَّ عليه. قال: أوَّل مشهدٍ شهدَهُ رسولُ الله ﷺ غُيبتُ عنه، وإن أراني الله مشهدًا فيما بعدُ، مع رسول الله ﷺ، ليراني الله ما أصنع. قال: فهَابَ أن يقولَ غيرها. قال: فشهدَ مع رسول الله ﷺ يومَ أحدٍ. قال: فاستقبل سعدُ بن معاذٍ، فقال له أنسٌ: يا أبا عمرو، أين؟ فقال: واهًا لريح الجنة، أجدهُ دون أحدٍ. قال: فقاتلهم حتىٰ قتل. قال: فوجدَ في جسده بضعٌ وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية. قال: فقالت أخته عمتي -الرُّبيعُ بنت النضر-: فما عرفت أخي إلا ببنانه. ونزلت هذه الآية: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾. قال: فكانُوا يرون أنها نزلت فيه، وفي أصحابه.

وعند الطبري(٣)، وغيره بإسنادٍ صحيح، عن حميد، قال: زعم أنس بن مالك قال: غاب أنس بن النضر عن قتال يوم بدر، فقال: غبت عن قتال رسول الله ﷺ المشركين، لئن أشهدني الله قتالًا ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أُحُد انكشف المسلمون، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء -يعني المسلمين-. فمشىٰ بسيفه،

---

(١) البخاري (٤٧٨٣).

(٢) أحمد (٣/ ١٩٤)، ومسلم (١٩٠٣).

(٣) الطبري (٢٨٤٢٨)، وأصله في الصحيح، دون ذكر سبب النزول.

فلقيه سعد بن معاذ، فقال: أي سعد، إني لأجد ريح الجنة دون أحد. فقال سعد: يا رسول الله، فما استطعت أن أصنع ما صنع. قال أنس بن مالك: فوجدناه بين القتلىٰ، به بضع وثمانون جراحة، بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، فما عرفناه، حتىٰ عرفته أخته ببنانه. قال أنس: فكنا نتحدَّث أن هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾. نزلت فيه، وفي أصحابه.

أخرج الطبري وغيره[1]، بسندٍ صحيح عن طلحة أنَّ أعرابيًّا أتىٰ رسول الله ﷺ قال: وكانُوا لا يجرئون علىٰ مسألته، فقال للأعرابي سله، ﴿مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾؟ فسأله فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم دخلت من باب المسجدِ وعلي ثيابٌ خضرٌ، فلما رآني رسول الله ﷺ قال: «**أَيْنَ السَّائِلِي عَمَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ؟**». قال الأعرابي: أنا يا رسول الله، قال: «**هَذَا مِمَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ**».

إثمُ مَن لا يفي بالنذر

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥- ٧٧].

وعن معنىٰ الآية الكريمة -والله أعلم-: ومن أهل النفاق فريقٌ عاهد الله، أعطىٰ العهود والمواثيق: لئن رزقني الله أموالًا لأتصدقن منها، ولأبذلن منها في

(١) وأخرجه أيضًا: أبو يعلىٰ (٢/ ٢٦، ٢٧)، والترمذي (٣٧٤٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٣٩٩).

طاعة الله ورسوله، ولأدخلن بذلك في عداد الصالحين المنفقين. فلما رزقهم الله، ووسَّع عليهم، وأعطاهم من المال ما أرادوا وفوق ما أرادوا بخلوا بالمال، وأمسكوه، ولم ينفقوا كما وعدوا، ولم يعطوا فقيرًا، ولا مسكينًا، وانصرفوا عن أوامر الله ورسوله، وأعرضوا عن إيتاء الفقراء والمساكين؛ أي تولَّوا عن الدين وهم لا يلتفتون إلىٰ عهد، ولا إلىٰ ميثاق، فهذا الصنيع الذي صنعوه من الإعراض، ونقض الميثاق- تسبَّب لهم في نفاقٍ سكن قلوبهم، لا يفارقهم هذا النفاق إلىٰ يوم يلقون نفاقهم، وجزاء نفاقهم يوم القيامة؛ بسبب إخلاف الوعود، ونقض المواثيق، وبسبب كذبهم الذي كذبوا.

هذا، وقد قال بعض أهل العلم: إن قوله تعالىٰ: ﴿فَأَعۡقَبَهُمۡ﴾. أي: أعقبهم الله نفاقًا في قلوبهم إلىٰ يوم يلقون ربهم عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة، وهذا قول قويٌّ أيضًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«يقول تعالىٰ: ومن المنافقين من أعطىٰ الله عهده وميثاقه: لئن أغناه من فضله ليصدقن من ماله، وليكونن من الصالحين. فما وفىٰ بما قال، ولا صدق فيما ادعىٰ؛ فأعقبهم هذا الصنيع نفاقًا سكن في قلوبهم إلىٰ يوم يلقون الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة، عياذًا بالله من ذلك».

ثم قال: «وقوله تعالىٰ: ﴿بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾. أي: أعقبهم النفاق في قلوبهم بسبب إخلافهم الوعد وكذبهم، كما جاء في الصحيحين، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ**»[(١)]».

---

(١) البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

* وأخرج البخاري ومسلم، من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**». قال عمران: لا أدري ذكر ثنتين أو ثلاثًا، بعد قرنه. «**ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ يَنْذِرُونَ، وَلَا يُوفُونَ وَيَخُونُونَ، وَلَا يُؤْتَمَنُونَ وَيَشْهَدُونَ، وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**»(١).

* ثم إن عدم الوفاء بالنذر يُسبِّب انصرافًا عن الحق وقسوةً في القلب.

* قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [التوبة: ١٢٧].

* وقال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

ومن الأدلة الملزمة أيضًا بالوفاء بالنذر -والنذر: العهد كما سلف-:

- قوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١].

- قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ...﴾ [آل عمران: ٧٧]. الآية، وسبب نزولها ما أخرجه البخاري وغيره، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢)، عن النبي ﷺ، قال: «**مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينٍ كَاذِبَةٍ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ** -أو قال: **أَخِيهِ**-؛ **لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**». فأنزل الله تصديقه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾. الآية، قال سليمان في حديثه: فمر الأشعث بن قيس فقال: ما يحدثكم عبد الله؟ قالوا له: فقال الأشعثُ: نزلت فيَّ وفي صاحب لي في بئر كانت بيننا.

---

(١) البخاري (٦٦٩٥)، ومسلم (٢٥٣٥).

(٢) البخاري (٦٦٥٩).

* ومما سبق يتبيَّن أن من القربات التي نتقرَّب بها إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ الوفاء بالنذر -نذر الطاعة، ونذر الابتداء، ونذر المجازاة-، لما ورد من الثناء علىٰ الموفين بالنذر، ولما ورد من ذم الذين لا يفون بالنذر، ولايجوز بحال أن يُصرف النذر لغير الله عَزَّوَجَلَّ، فالذين ينذرون للأولياء والصالحين ولغيرهم؛ طالبين بذلك قضاء الحاجات، ودفع البليَّات، معتقدين أن هؤلاء يملكون كشف الضر، وإجابة المضطر- فهؤلاء قد وقعوا في الشرك والضلال، فهم بصنيعهم هذا يدعون غير الله، ويعتقدون في غير الله أنه يكشف الضرَّ ويجيب المضطر، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

أما إذا قال شخصٌ: لله عليَّ إن شفىٰ الله ولدي، أن أتصدق، أو أن أعطي فلانًا الفقير كذا وكذا. فلا يدخل في الشرك، وذلك لأنه لا يعتقد أن الفقير يكشف الضر، إنما يعتقد أن الصدقة لوجه الله، علىٰ الفقير- سببٌ في كشف الضر، ومن ثَمَّ فلا يدخل في المحظور، والله أعلم.

ولا وفاء لنذر المعصية ولا وفاء فيما لا يملك ابن آدم[1] قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ الله عَزَّوَجَلَّ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ**».

(١) أعني بذلك: إذا نذر أن يتصدق بمال غيره مثلًا، أو يذبح ناقة غيره، أما إذا نذر إذا وسع الله عليه أن يتصدق؛ لزمته الصدقة.

أخرجه البخاري في صحيحه(١).

وتقدَّم حديث ثابت بن الضحاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢)، قال: نذر رجلٌ علىٰ عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلًا ببوانة فأتىٰ النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلًا ببوانة. فقال النبي ﷺ: «**هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟**». قالوا: لا. قال: «**هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ**». قالوا: لا. قال رسول الله ﷺ: «**أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ**».

وأخرج مسلم(٣)، في صحيحه من حديث عمران بن حصين، قال: كانت ثقيف حلفاء لبني عُقيل، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ، وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلًا من بني عقيل، وأصابوا معه العضباء، فأتىٰ عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق قال: يا محمد. فأتاه فقال: «**ما شأنك؟**» فقال: بم أخذتني وبم أخذت سابقة الحاج؟. فقال - إعظامًا لذلك -: «**أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف**». ثم انصرف عنه فناداه فقال: يا محمد، يا محمد. وكان رسول الله ﷺ رحيمًا رقيقًا، فرجع إليه فقال: «**ما شأنك؟**» قال: إني مسلم. قال: «**لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح**». ثم انصرف فناداه فقال: يا محمد يا محمد. فأتاه فقال: «**ما شأنك؟**» قال: إني جائعٌ فأطعمني، وظمآن فاسقني. قال: «**هذه حاجتك**». ففدي بالرجلين، وأُسرت امرأة من الأنصار وأصيبت العضباء فكانت المرأة في الوثاق، وكان القوم يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم، فانفلتت ذات ليلة من الوثاق فأتت

(١) البخاري (٦٦٩٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٣١٣).

(٣) مسلم (١٦٤١).

الإبل، فجعلت إذا دنت من البعير رغا فتركته حتىٰ تنتهي إلىٰ العضباء، فلم ترغ. قال: وناقة مُنَوَّقَةٌ فقعدت في عجزها ثم زجرتها فانطلقت ونذروا بها فطلبوها فأعجزتهم، قال: ونذرت إن نجاها الله عليها لتنحرنها، فلما قدمت المدينة رآها الناس، فقالوا: العضباء ناقة رسول الله ﷺ. فقالت: إنها نذرت إن نجاها الله عليها؛ لتنحرنها. فأتوا رسول الله ﷺ، فذكروا ذلك له، فقال: «**سُبْحَانَ اللهِ، بِئْسَمَا جَزَتْهَا، نَذَرَتْ لِلَّهِ إِنْ نَجَّاهَا اللهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَنَّهَا، لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةٍ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ**».

وفي رواية ابن حُجر: «لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ».

وهل تجب الكفارة في نذر المعصية

أقول -وبالله التوفيق-: قد تضافرت النصوص علىٰ أن نذر المعصية لا يفي به الناذر، ولكن هل يكفر الناذر حينئذٍ كفارة يمين أم لا؟

فأقول: أولًا: لم تصح الأخبار الواردة عن رسول الله ﷺ، في كفارة نذر المعصية بل كلها إما ضعيفة، وإما معلولة.

كحديث: «**لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةٍ، وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ**»[1]. فقد أعلَّه عدد كبير من أهل العلم، وأعني لفظة: «**وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ**».

ثانيًا: النصوص الثابتة عن رسول الله ﷺ، والتي قدمنا بعضها في النهي عن الوفاء بنذر المعصية ليس فيها أمر بكفارة اليمين في نذر المعصية.

---

(١) وقد أخرجه أبو داود (٣٢٩٠)، والترمذي (١٥٢٤)، والنسائي (٧/ ٢٦)، وغيرهم، وانظر قول الترمذي في تضعيفه، وما نقله عن البخاري، وانظر: أيضًا «العلل الكبير» للترمذي (ص ٢٥٠).

ثالثًا: ذهب جمهور العلماء[(١)]، إلىٰ أنه لا كفارة في نذر المعصية، واحتج بعضهم بما أخرجه البخاري[(٢)]، إذ قال: حدثنا موسىٰ بن إسماعيل: حدثنا وهيب: حدثنا أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: بينا النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم، ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم. فقال النبي ﷺ: «**مُرْهُ، فَلْيَتَكَلَّمْ، وَلْيَسْتَظِلَّ، وَلْيَقْعُدْ وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ**».

قال عبد الوهاب: حدثنا أيوب، عن عكرمة، عن النبي ﷺ.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلىٰ أن نذر المعصية يكفر أيضًا، فقد أخرج مالك في «الموطأ»، وعبد الرزاق[(٣)]، بسندٍ صحيح، عن القاسم بن محمد قال: سألتُ امرأة ابن عباس، عن إنسان نذر أن ينحر ابنه عند الكعبة، قال: فلا ينحر ابنه، وليكفر عن يمينه. فقال رجل لابن عباس: كيف يكون في طاعة الشيطان كفارة اليمين. فقال ابن عباس: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ [المجادلة: ٢]. ثم جعل فيه من الكفارة ما قد رأيت.

وأخرج عبد الرزاق في «المصنف» أيضًا[(٤)]، بسندٍ صحيح، إلىٰ عطاء، أنَّ رجلًا جاء ابن عباس، فقال: نذرت لأنحرن نفسي. فقال ابن عباس: لقد كان في رسول الله أسوة حسنة. ثم تلا: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٧]. ثم أمره

---

(١) كما نقل عنهم النووي في «شرح مسلم» (١١/ ٩٦)، وابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٥٩٠) وغيرهما.

(٢) البخاري (٦٧٠٤)، وقد اختلف في وصله وإرساله كما أشار البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عقب إخراجه، وانظر: «التتبع»، للدارقطني كذلك (ص ١٧٢).

(٣) «الموطأ» (ص ٤٧٦)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١٥٩٠٣).

(٤) عبد الرزاق (١٥٩٠٤).

بذبح كبش.

واستدلَّ القائلون بكفارة نذر المعصية، بما أخرجه مسلم، من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ، قال: «**كَفَّارَةُ النَّذْرِ كَفَّارَةُ يَمِينٍ**»(١). فاستدلوا بعمومه علىٰ الكفارة.

قضاء النذر عن الميت

أخرج البخاري ومسلم(٢)، من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: إن سعد بن عبادة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استفتىٰ النبي ﷺ، في نذرٍ كان علىٰ أمه، فتوفيت قبل أن تقضيه، فأفتاه أن يقضيه عنها؛ فكانت سُنَّة.

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صَوْمٌ؛ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ**»(٣).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: جاءت امرأةٌ إلىٰ رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أمي ماتت وعليها صوم نذر، أفأصوم عنها؟ قال: «**أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَىٰ أُمِّكِ دَيْنٌ، فَقَضَيْتِيهِ أَكَانَ يُؤَدِّي ذَلِكَ عَنْهَا؟**». قالت: نعم. قال: «**فَصُومِي عَنْ أُمِّكِ**».

هذا، وللنذر مباحث أُخر محلها كتب الفقه، وإنما أوردت فقط شيئًا عن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦٤٥) وفي سنده كعب بن علقمة لم يوثقه معتبر.

(٢) البخاري (٦٦٩٨)، ومسلم (١٦٣٨).

(٣) البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١٨٤٧).

* وسئل ابن عباس، عن رجلٍ مات وعليه صوم نذر، فقال: يصام عنه النذر. أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٤/ ٦٧) بسندٍ صحيح.

النذر بعضه يتعلق بالمعتقد، ومنه شيءٌ يسيرٌ يتعلق بالجوانب الفقهية للنذور.

وبالله التوفيق.

بابٌ مختصرٌ في القدر(١)

وبيان أن الله عَزَّوَجَلَّ خلق الخلق، وقدَّر المقادير، قبل خلقهم.

* الإيمان بالقدرِ ركنٌ من أركان الإيمان؛ فقد قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام لما سأله عن الإيمان، فأجابه، وقال: «... **وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(٢).

* وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وقال النبي ﷺ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»(٣).

فالأمور كلها مقدرة ومكتوبة:

قال تعالىٰ: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨].

* وقال ﷺ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «... **وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ**

---

(١) وله موطن آخر، يتوسع فيه -إن شاء الله-، وانظر: كتاب «الجامع الصحيح في القدر»، لشيخنا أبي عبد الرحمن، مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) مسلم، حديث (٨).

(٣) مسلم (٢٦٥٣).

يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»(١).

* فالإيمان مقدر:

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٠].

* والهداية مقدرة:

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣].

وفي الحديث القدسي: «كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ»(٢).

وقال أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨].

* والضلال مقدر:

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

* والغواية مقدرة:

قال نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤].

* والله الذي يصرف السوء:

قال الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ [الفتح: ٢٤].

وقال: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤].

---

(١) الترمذي (٢٥١٦) بإسناد صحيح لشواهده.

(٢) مسلم (٢٥٧٧).

* **والمصائب مقدرة،** قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢].

* **والحفظ مقدرٌ:**

قال تعالىٰ: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

وقال ﷺ: «**وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ**»(١).

وقال ﷺ: «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**»(٢).

* **والذرية مقدرة،** قال تعالىٰ: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورىٰ: ٤٩، ٥٠].

* **والآجال مقدرة:** قال تعالىٰ: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨].

وقال سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٠].

* **والشفاء مقدر،** قال الخليل: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

* **والمحبة مقدرة،** قال تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩].

* **والنصر مقدر،** قال تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

* **والرزق مقدر،** قال تعالىٰ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الزمر: ٥٢].

---

(١) البخاري (٦٦١١).

(٢) **صحيح لشواهده،** وقد تقدم.

* **وخزائن كل شيءٍ بيديه،** قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

* **ومنتهىٰ الأمور كلها إليه،** قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

والمهتدي من هداه الله

ورسل الله الكرام -عليهم أفضل الصلوات وأتم التسليم- لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًّا، إلا ما شاء الله.

قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وهذا نوح عليه السلام لم يملك هداية ولده، قال تعالىٰ: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٢، ٤٣]. ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٥، ٤٦].

* وكذا فإنه لم يملك هداية امرأته.

قال تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا

تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [التحريم: ١٠].

* والخليل إبراهيم دعا أباه للإسلام والإيمان، ولم يؤمن أبوه، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

* ورسولنا محمد ﷺ لم يملك هداية عمه أبي طالب، ونزل في ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]

* أخرج البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله ﷺ[1] إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الآخرة من الفجر يقول: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا**». بعدما يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد. فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾. إلىٰ قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

* وأخرج مسلم في صحيحه، من حديث أنس رضي الله عنه[2] أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحدٍ، وشج في رأسه، فجعل يسلُتُ الدم عنه، ويقول: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ؟**». فأنزل

---

(١) البخاري (٤٠٦٩).

(٢) مسلم (١٧٩١).

الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

* وأخرج البخاري ومسلم(١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. قال: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ** -أو كلمة نحوها- **اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**». تابعه أصبغ، عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب.

* **فأقول -وبالله التوفيق-:** إذا كان رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم ليس له من الأمر شيء، وكذا غيره من رسل الله الكرام؛ فهل يستطيع أحدٌ دون هؤلاء أن يُغنِي عن أحدٍ من الله شيئًا، إلا أن يشاء الله؟!

* **وأقول -وبالله التوفيق-:**

فإذا كان الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لم يستطع منع نفسه من القتل، بل قتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فكيف يدفع عن غيره ضُرًّا، أو كيف يجلب لغيره نفعًا؟!!

وكذا فقد كان هناك من الأنبياء من قتل، وكذا من أصحابهم الربيون من قتل وابتلي وأُصيب؛ فكيف يملكون لغيرهم شيئًا لم يستطيعوه لأنفسهم؟!

وقد تسلط الأشرار من بني إسرائيل علىٰ عددٍ من الأنبياء، والآمرين بالقسط من الناس، فقتلوهم، ولم يستطع هؤلاء الأنبياء، ولا الآمرون بالقسط من الناس، أن يدفعوا عن أنفسهم ضرًّا، ولا يجلبوا لها نفعًا؛ فكيف يستطيعون

---

(١) البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٣٠٦).

دفع الضر عن غيرهم، أو جلب النفع لهم، وقد قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦]؟!

* والعجب من النصارىٰ الذين يزعمون أن المسيح عليه السلام صُلب، ومع ذلك يجعلونه إلهًا ويعبدونه من دون الله، أو يجعلونه ابنًا للإله تعالىٰ الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا!!

وكل شيءٍ في الكون مسخَّرٌ بتسخير الله عز وجل له فالشمس مسخرةٌ القمر مسخر والنجوم مسخرات بأمر الله عز وجل، وهو الذي خلقها

قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٢، ٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [النحل: ١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٨-٤٠].

سجود الشمس لله عَزَّوَجَلَّ:

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].

* وقال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ للذي حاجه في ربه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

* ولقد قال الخليل -لما رأىٰ الشمس بازغة-: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨]. وصدق الخليل؛ فكيف يُعبد إلهٌ يغيب ويختفي؟!!

* **ولقد تعجب الهدهد من الملكة** -ملكة سبأ-، ومن قومها الذين يسجدون للشمس من دون الله، واستنكر ذلك، قال: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٣-٢٦].

فمن ثم فلا تُعبد الشمس ولا يُعبد القمر، ولا تعبد النجوم؛ فلا سجود لشمس، ولا لقمر، ولا سجود إلا لله عَزَّوَجَلَّ وحده، قال تعالىٰ: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

تحريم الاستسقاء بالنجوم، وبيان أن ذلك من الشرك

قال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨١، ٨٢].

وعن معنىٰ الآيات الكريمات أقول -وبالله التوفيق-:

* **أولًا** قوله تعالىٰ: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾. معناه يحتمل أمرين:

أولهما: أن يكون الخطاب للمسلمين؛ فيكون المعنىٰ: أتداهنون -أيها المسلمون- أهل الكفر بهذا القرآن الذي أُنزل علىٰ نبيكم ﷺ؟!

أي: أتلينون الخطاب مع أهل الكفر وأهل التكذيب بهذا القرآن، ممالأةً منكم للكفار علىٰ التكذيب بهذا القرآن والكفر به.

الثاني: أن يكون الخطاب للكفار؛ فيكون المعنىٰ: أفبهذا الحديث أيها الكفار أنتم مكذبون؟ أي: هل أنتم يا أهل الكفر مكذبون بهذا القرآن؟

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ أي: أفبهذا الكتاب العظيم، والذكر الحكيم ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ أي: تختفون، وتدلون؛ خوفًا من الخلق وعارهم، وألسنتهم؟ هذا لا ينبغي، ولا يليق، إنما يليق أن يداهن بالحديث الذي لا يثق صاحبه منه، وأما القرآن الكريم فهو الحقُّ الذي لا يغالب به مغالب إلا غلب، ولا يصول به صائل إلا كان العالي علىٰ غيره، وهو الذي لا يداهن به ويختفي، بل يصدع به ويعلن.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٨٢]. يحتمل معاني أيضًا:

أحدها: أن هذا الخطاب موجَّهٌ للكفار؛ فيكون المعنىٰ: وتجعلون حظكم من هذا القرآن هو التكذيب به.

فالقرآن رزق عظيم من الله، فالذي يأخذه يأخذ بحظٍّ وافر، فقوم يرفضونه، ويُفترض أن يشكروا الله عليه؛ فكان شكرهم هو التكذيب، فكذبوا بالقرآن.

المعنىٰ الثاني: أن الخطاب موجهٌ للكفار ولبعض المسلمين، وأن المراد بالرزق هنا المطر، فإذا رزق الله الخلق المطر، قالوا: مُطرنا بنوء كذا وكذا. فيردون الفضل للكوكب، وليس إلىٰ اليوم، ويوضح ذلك ما سيأتي من سبب النزول -إن شاء الله-.

المعنىٰ الثالث: وهو أعم مما ذُكر، وحاصله أن يجعل الناس مكان الشكر الكفر والفسوق والعصيان، فإذا أنعم الله عليهم ببعض النعم، لم يقدموا لها شكرًا، بل قابلوها بالكفران والجحود والعصيان. فيدخل في ذلك ما ذُكر.

ويدخل فيه أيضًا ما عداه، فإذا أنعم الله علىٰ عبدٍ مثلًا بمنزلٍ، فإذا به لا يقدم شكرًا، بل يعصي الله في هذا المنزل ويفسق ويفجر فيه، وإذا أنعم الله علىٰ عبدٍ بمال، استعمله في معصية الله، وهكذا سائر النعم، والله أعلم.

أما عن سبب نزول الآية الكريمة فقد أخرج مسلم في صحيحه[(١)]، من حديث ابن عباس، قال: مُطر الناس علىٰ عهد النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ**». قالوا: هذه رحمة الله. وقال بعضهم: لقد صدق نوءُ كذا وكذا. قال: فنزلت هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ حتىٰ

(١) مسلم، حديث (٧٣) ولم يخرجه البخاري موصولًا.

بلغ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٢].

* وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما(١)، من حديث زيد بن خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: صلىٰ بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية، علىٰ إثر سماءٍ كانت من الليل، فلما انصرف النبي ﷺ أقبل علىٰ الناس، فقال: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ. فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا. فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**».

مزيدُ بيانٍ لكون الاستسقاء بالنجوم من أمر الجاهلية

* أخرج مسلم في صحيحه(٢)، من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ قال: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ**». وقال: «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا؛ تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**».

وعن معنىٰ الاستسقاء بالنجوم:

فقد يكون هذا الاستسقاء شركًا وكفرًا، إذا كان قائل ذلك يَردُّ الأمر إلىٰ النجم معتقدًا أنه يأتي بالمطر أو يدعو النوء (النجم)، من دون الله فهذا أيضًا شرك، وقد قال تعالىٰ في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

---

(١) البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

(٢) مسلم (٩٣٤).

أما إذا كان يعتقد أن الذي يأتي بالغيث هو الله، ولكن يجعل ظهور النوء علامة علىٰ ذلك، كما أن الرياح مبشرات بين يدي الغيث، فقائل مُطرنا بنوء كذا وكذا، قد ارتكب محرمًا أيضًا لكنه ليس بكافر كفرًا مخرجًا من الملة، وإن أطلق علىٰ قوله (كفر)، لكنه حينئذٍ ليس بالمخرج من الملة، إذ لم يحكم النبي ﷺ بردة من قالوا: ذلك، والله أعلم.

فصلٌ
في الحكم بما أنزل الله تعالى ووجوب ذلك

أقول -وبالله التوفيق-: قد وردت جملة من الآيات المباركات فيها الأمر بالحكم بما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ والتحذير الشديد والوعيد لمن أعرض عن ذلك، ومن هذه النصوص ما يلي:

* **قوله تعالىٰ:** ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ٤٨ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ٤٩ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [النور: ٤٨-٥٠].

* **وقوله تعالىٰ:** ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. و﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]. و﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

* **وقوله تعالىٰ:** ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡ﴾ [المائدة: ٤٩].

* **وقوله تعالىٰ:** ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

* **وقوله تعالىٰ:** ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

* **وقوله تعالىٰ:** ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ

بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

* **وعن سبب نزول قوله تعالىٰ:** ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾. فقد أخرج مسلم في صحيحه(١)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: مُرَّ علىٰ النبي ﷺ بيهودي محممًا مجلودًا، فدعاهم ﷺ فقال: «**هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟**» قالوا: نعم، فدعا رجلًا من علمائهم فقال: «**أَنْشُدُكَ بِاللهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَىٰ مُوسَىٰ، أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟**» قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا فكنَّا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد. قلنا: تعالوا فلنجتمع علىٰ شيء نقيمه علىٰ الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ**». فأمر به فرجم، فأنزل الله عزوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة: ٤١، ٤٢]. يقول: ائتوا محمدًا ﷺ، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾. في الكفار كلها.

* **وعن معنىٰ قوله تعالىٰ:** ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾

---

(١) مسلم (١٧٠٠).

فقد قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

«يقول تعالىٰ ذكره: ومَنْ كتم حُكم الله الذي أنزله في كتابه، وجعله حكمًا بين عباده، فأخفاه وحكم بغيره، كحكم اليهود في الزانين المحصنين بالتجبيه والتحميم، وكتمانهم الرجم، وكقضائهم في بعض قتلاهم بدية كاملة، وفي بعض بنصف الدية، وفي الأشراف بالقصاص، وفي الأدنياء بالدية، وقد سوَّىٰ الله بين جميعهم في الحكم عليهم في التوراة، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ يقول: هؤلاء الذين لم يحكموا بما أنزل الله في كتابه، ولكن بدلوا وغيروا حكمه، وكتموا الحق الذي أنزله في كتابه: ﴿هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ يقول: هم الذين ستروا الحق الذي كان عليهم كشفه وتبيينه، وغطَّوه عن الناس، وأظهروا لهم غيره، وقضوا به، لسحتٍ أخذوه منهم عليه.

*** ويجدر هاهنا أن أنقل كلام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ-** في كتابه «الصلاة وحكم تاركها». إذ قال: في فصل: (كفر الاعتقاد وكفر العمل):

«وهاهنا أصلٌ آخر، وهو أن الكفر نوعان: كفر عمل، وكفر جحود وعناد:

فكفر الجحود: أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحودًا وعنادًا؛ من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه، وهذا الكفر يضاد الإيمان من كل وجه.

وأما كفر العمل، فينقسم إلىٰ ما يضاد الإيمان، وإلىٰ ما لا يضاده، فالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف وقتل النبي وسبه، يضاد الإيمان.

وأما الحكم بغير ما أنزل الله، وترك الصلاة، فهو من الكفر العملي قطعًا، ولا يمكن أن ينفىٰ عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه، فالحاكم بغير

ما أنزل الله كافر، وتارك الصلاة كافر بنص رسول الله ﷺ؛ ولكن هو كفر عمل، لا كفر اعتقاد، ومن الممتنع أن يسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافرًا، ويسمي رسول الله ﷺ تارك الصلاة كافرًا، ولا يطلق عليهما اسم كافر.

وقد نفىٰ رسول الله ﷺ الإيمان عن الزاني، والسارق، وشارب الخمر(١)، وعمن لا يأمن جاره بوائقه(٢)، وإذا نفي عنه اسم الإيمان فهو كافر من جهة العمل، وانتفىٰ عنه كفر الجحود والاعتقاد، وكذلك قوله: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»(٣). فهذا كفر عمل، وكذلك قوله: «**مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ، أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ**»(٤)، وقوله: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ. فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**»(٥).

وقد سمَّىٰ الله ﷻ من عمل ببعض كتابه وترك العمل ببعضه مؤمنًا بما عمل به، وكافرًا بما ترك العمل به، فقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ

---

(١) انظر: البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧).

(٢) انظر: البخاري (٦٠١٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥)، من حديث جرير رضي الله عنه، وأخرجه البخاري (٦٨٦٨)، ومسلم (٦٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه البخاري من حديث ابن عباس (١٧٣٩ و٧٠٧٩)، ومسلم (١٦٧٩).

(٤) **سنده ضعيفٌ**.

(٥) البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٤، ٨٥].

فأخبر سبحانه أنهم أقروا بميثاقه الذي أمرهم به، والتزموه، وهذا يدل علىٰ تصديقهم به أنهم لا يقتل بعضهم بعضًا، ولا يُخرج بعضهم بعضًا من ديارهم، ثم أخبر أنهم عصوا أمره، وقتل فريق منهم فريقًا، وأخرجوهم من ديارهم، فهذا كفرهم بما أخذ عليهم في الكتاب، ثم أخبر أنهم يفدون من أسر من ذلك الفريق، وهذا إيمان منهم بما أخذ عليهم في الكتاب، فكانوا مؤمنين بما عملوا به من الميثاق، كافرين بما تركوه منه، فالإيمان العملي يضاده الكفر العملي، والإيمان الاعتقادي يضاده الكفر الاعتقادي.

وقد أعلن النبي ﷺ بما قلناه في قوله في الحديث الصحيح: «**سُبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»(١). ففرق بين سبابه وقتاله، وجعل أحدهما فسوقًا لا يكفر به، والآخر كفرًا، ومعلوم أنه إنما أراد الكفر العملي لا الاعتقادي، وهذا الكفر لا يخرجه من الدائرة الإسلامية، والملة بالكلية، كما لا يخرج الزاني والسارق والشارب من الملة، وإن زال عنه اسم الإيمان.

وهذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم أعلم الأمة بكتاب الله، وبالإسلام والكفر ولوازمهما، فلا تتلقىٰ هذه المسائل إلا عنهم، فإن المتأخرين لم يفهموا مرادهم، فانقسموا فريقين: فريقًا أخرجوا من الملة بالكبائر، وقضوا علىٰ أصحابها بالخلود في النار، وفريقًا جعلوهم مؤمنين كاملي الإيمان، فهؤلاء

---

(١) **متفق عليه**، وقد تقدم.

غلوا، وهؤلاء جفوا، وهدىٰ الله أهل السنة للطريقة المثلىٰ، والقول الوسط الذي هو في المذاهب كالإسلام في الملل.

فهاهنا كفر دون كفر، ونفاق دون نفاق، وشركٌ دون شرك، وفسوق دون فسوق، وظلم دون ظلم...» إلىٰ آخر ما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأعود قائلًا (مصطفىٰ) والذي يظهر لي من أوجه الصواب[1]، في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ما يلي:

أولًا: مَنْ حكم بغير ما أنزل الله معتقدًا، أن ما أنزله الله هو الحق والخير والصواب، ولكنه حكم بغير ما أنزل الله طمعًا في دنيا، أو إشباعًا لرغبة نفس، وانتصارًا لها، فهذا لا يكفر كفرًا مخرجًا عن الملة، بل كفره دون الكفر الأكبر، وليس كفره ككفر من كفر بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وإن سمَّيناهُ كافرًا، كما قد سماه الله عَزَّوَجَلَّ.

ثانيًا: من حكم بغير ما أنزل الله مستحلًّا له أو مفضلًا له علىٰ حكم الله عَزَّوَجَلَّ، فقد كفر كفرًا مخرجًا له عن الإسلام، وكذا من استهزأ بأحكام الله عَزَّوَجَلَّ.

ثالثًا: من جحد حكم الله عَزَّوَجَلَّ، المنزل علىٰ رسله، وأظهر خلافه، وزعم أنه من عند الله، وحكم به فهو كافر كفرًا مخرجًا عن الإسلام، كاليهود الذين بدلوا حكم الله في الزانين، الذي هو الرجم، واختلقوا التحميم، وزعموا أن التحميم هو حكم الله المنزل في القرآن، فهؤلاء كفار خارجون عن الإسلام.

---

(١) وقد بحثت في الآية بحثًا أوسع، وأوردت أقوالًا أكثر في كتابي: التسهيل لتأويل التنزيل، فارجع إليه عند تفسير الآية المباركة.

رابعًا: أن الحاكم بغير ما أنزل الله، قد وردت فيه آيات ثلاث في هذا المقام، وهي: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

والكفر والظلم والفسق كلها قد تأتي بمعنًىٰ واحدٍ، وهو الكفر المخرج عن الملة أحيانًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وكما قال الله عن قوم فرعون: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤].

وقد تأتي بمعانٍ أُخر، وتكون كلها ليست بمخرجة عن الملة، كحديث: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»(١). فليس بكفر مخرج عن الملة؛ لأن الله قال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]. فسماهم الله المؤمنين، وقد قال النبي ﷺ: «**إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**»(٢). فسماهما الله مسلمين، وكذا في الحديث: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ... فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَهَذَا كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكِبِ**»(٣). وكذا كفران النساء للعشير.

خامسًا: إن المكره علىٰ الحكم بغير ما أنزل الله، والمجبر علىٰ فعل ذلك لا ينسحب عليه الحكم بالكفر، وذلك لقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

---

(١) البخاري (٧٠٧٦)، ومسلم (٦٤).

(٢) البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

(٣) البخاري (مع الفتح ٣/ ٥٢٢)، ومسلم (٢/ ٥٩).

سادسًا: إن المتأول الذي حكم بغير ما أنزل الله، وهو متأوِّل لا يحكم عليه بالكفر.

وقد علمنا أن الخوارج حكموا علىٰ المسلمين بالكفر؛ لصدور بعض المعاصي منهم، وحكم هؤلاء علىٰ الناس ليس بما أنزله الله، ولكن أهل السنة لم يكفروا الخوارج؛ بل وصفوهم بالضلال؛ لكونهم تأوَّلوا تأويلات فاسدة. هذا، والله تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

فصلٌ في الهوى المذموم

وقوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان: ٤٣]

وبيان أن اتباع الهوىٰ بغير علمٍ يُضل أهله.

* قال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

* وقال تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الروم: ٢٩].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧].

* وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١١٩].

* وقال سبحانه: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١].

* وقال تعالىٰ ذكره لداود عليه السلام: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

* وقال تعالىٰ ذكره: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [القصص: ١٧٥، ١٧٦].

* وقد صحح بعض العلماء -بمجموع الطرق-، ما ورد عن رسول الله ﷺ، إذ قال: «**يَكُونُ أَقْوَامٌ تَتَجَارَىٰ بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ، كَمَا يَتَجَارَىٰ الْكَلَبُ**[(١)] **بِصَاحِبِهِ، فَلَا يَبْقَىٰ فِيهِ مَفْصَلٌ إِلَّا دَخَلَهُ**»[(٢)].

والنصوص الواردة في ذم اتباع الهوىٰ، والتحذير من اتخاذه إلهًا نصوصٌ كثيرة، فالحذر الحذر من اتباع الهوىٰ، وترك النصوص.

هذا، **وعن تفسير قوله تعالىٰ**: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾:

أقول -وبالله التوفيق، معنىٰ الآية الكريمة، والله أعلم-: أرأيت يا رسول الله هذا المشرك الذي اتخذ ما يهواه، وما يشتهيه إلهًا يعبده من دون الله، أفأنت تقدر علىٰ ردِّه عن الشرك وتتوكل بحفظه من الشرك، وبرده إلىٰ الإيمان؟! كلا، فإنك لن تستطيع ذلك، ولو سلكت معه أحسن الطرق وأجمل السبل، ولو دعوته بكل ما أوتيت من قدرةٍ علىٰ دعوته.

أفتظن يا رسول الله، أن أكثر هؤلاء يسمعون الحق ويفهمونه، ويجيبونك، ويؤمنون بك، كلا، بل إنهم في عدم سماعهم كالبهائم التي لا تفهم مرادك إذا

---

(١) الكلب هو: مرضٌ ينزلُ بالذي عضَّه الكلب المسعور، أو الحيوان المسعور.

(٢) انظر: «السنة» لابن أبي عاصم، حديث (١) فما بعده.

ناديتها؛ بل الأنعام أفضل منهم، وأهدىٰ سبيلًا؛ لأن الأنعام وإن كانت قد جبلت علىٰ عدم فهم خطاب بني آدم، ولكنها تسمع لراعيها، وتنقاد له، وتشكر له مودته فيها، بل وإنها تسجد لخالقها وتشكره، وتسبح بحمده.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

* وقد ظن قومٌ -بناءً علىٰ الهوىٰ- أنهم يُعظِّمون الله عَزَّوَجَلَّ، ويقدرونه، فقالوا: كيف يُرسل الله رسولًا بشريًّا؟! إن هذا -بزعمهم- لا يليق بالله عَزَّوَجَلَّ، بل لو شاء الله لأنزل ملائكة.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

* وظن قوم -وبإيحاء من الشيطان إليهم- أنهم يعظمون الله بأكلهم الميتة، فقالوا لأهل الإيمان؛ يُجادلونهم: ما ذبحه الله لا تأكلونه، وما ذبحتموه بأيديكم تأكلونه؟!!!

فهكذا أوحىٰ إليهم إبليس اللعين، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

* وبإيحاء من الشيطان أيضًا، استمروا علىٰ كفرهم، قائلين: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ [النحل: ٣٥].

* وبإيحاء من الشيطان، منعوا الفقراء حقوقهم، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧].

* وظن قومٌ أنهم يعظمون الله عَزَّوَجَلَّ، فنفوا عنه ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ، فنقول -علىٰ سبيل المثال-: لا يمكن أن تكون لله يدٌ فردوا قوله تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٥٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

ونفوا أغلب صفات رب العباد -تبارك وتعالىٰ-، فصاروا إلىٰ أنهم كالذي يعبد العدم.

* وظنت الخوارج أنهم يعظمون الله عَزَّوَجَلَّ، فكفروا كل من عصىٰ، واستمر علىٰ معصيته، وأهملوا قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

* وظن قومٌ -بناءً علىٰ الهوىٰ-: أنه لابد من اتخاذ وسائط بينهم وبين الله؛ كي يقربوهم إلىٰ الله، فمن ثم يسجدون لهذه الوسائط، ويدعونها كي تقربهم من الله، فأبطل الله قولهم، وعملهم، إذ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر: ٣].

معنىٰ الآية الكريمة -والله تعالىٰ أعلم-: والذين أشركوا في عبادة الله عَزَّوَجَلَّ، فعبدوا معه غيره، وطلبوا النصرة من غيره، وقدموا الطاعة لغيره، وسجدوا لغيره، هؤلاء يقولون -إذا سألهم عن سبب صنيعهم هذا-: ما نعبدهم إلا ليقربونا من الله عَزَّوَجَلَّ منزلةً، ويشفعوا لنا عند ربنا؛ كي يرزقنا، وكي يُنجينا وكي ينصرنا (وكل ذلك في الدنيا، أما في الآخرة فكانوا لها جاحدين منكرين).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ

زُلْفَىٰٓ﴾. يقول تعالىٰ ذكره: والذين اتخذوا من دون الله أولياء يتولونهم، ويعبدونهم، من دون الله، يقولون لهم: ما نعبدكم أيها الآلهة إلا لتقربونا إلىٰ الله زلفىٰ، قربة ومنزلة، وتشفعوا لنا عنده في حاجاتنا، وهي فيما ذكر في قراءة أُبي: ﴿ما نعبدكم﴾. وفي قراءة عبد الله: ﴿قالوا ما نعبدهم﴾. وإنما حسن ذلك لأن الحكاية إذا كانت بالقول مضمرًا كان أو ظاهرًا؛ جعل الغائب أحيانًا كالمخاطب، ويترك أخرىٰ كالغائب، وقد بينت ذلك في موضعه فيما مضىٰ».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ثم أخبر تعالىٰ عن عُبَّاد الأصنام من المشركين أنهم يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾. أي: إنما يحملهم علىٰ عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلىٰ أصنام اتخذوها علىٰ صور الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلًا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة؛ ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم، وما ينوبهم من أمر الدنيا، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به.

قال قتادة والسدي وابن زيد: ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾. أي: ليشفعوا لنا، ويُقربونا عنده منزلة.

ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم: «لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك». وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- بردها والنهي عنها، والدعوة إلىٰ إفراد العبادة لله وحده، لا شريك له، وأن هذا شيءٌ اخترعه المشركون من عند أنفسهم، لم يأذن الله فيه، ولا رضي به؛ بل أبغضه ونهىٰ عنه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟

ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وأخبر أن الملائكة التي في السموات من المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله، لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضىٰ، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم، يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبَوه، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، تعالىٰ الله عن ذلك».

أما قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر:٣].

والله تعالىٰ أعلم، إن الله عَزَّوَجَلَّ يحكم بين العباد يوم القيامة فيما كانوا يختلفون فيه في دنياهم من أمر عبادتهم، وأمر آخرتهم، فيجازي أهل الشرك بسوء صنيعهم، الذي صنعوه في دنياهم، ويجازي أهل التوحيد بفسيح الجنات.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: إن الله يفصل بين هؤلاء الأحزاب الذين اتخذوا في الدنيا من دون الله أولياء يوم القيامة، فيما هم فيه يختلفون في الدنيا من عبادتهم، ما كانوا يعبدون فيها، بأن يصليهم جميعًا جهنم، إلا من أخلص الدين لله، فوحده، ولم يشرك به شيئًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: سيفصل بين الخلائق يوم معادهم، ويجزي كل عامل بعمله، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١].

الظن الحسن بالله عَزَّوَجَلَّ

* من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

فمن الظن الحسن بالله، أننا سنلقاه.

ومن الظن الحسن بالله ظننا بأن له الأسماء الحسنىٰ، والصفات العلىٰ، والظن في هذا وذاك بمعنىٰ اليقين.

ويقيننا بأن الله يكرم أولياءه، ويدبر لهم أمورهم، وظننا بالله أنه علىٰ كل شيء قدير، وأنه فعال لما يريد، وأنه يجيب المضطر إذا دعاه، وأنه الذي يكشف السوء.

ويقيننا بكل ما أخبر الله به، وأنه صدق وحق، ويقيننا بكل ما أوحاه الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ رسله.

ويقيننا بالله أنه قدَّر المقادير، وخلق الخلق.

ويقيننا بكل ما وصف الله به نفسه، ووصفته به رسله الكرام، -عليهم الصلاة والسلام- ويقيننا بأنه فعال لما يريد.

وأخرج البخاري ومسلم من حديث[1]، أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي -صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم-: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**».

---

(١) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

ومن صور ظن أهل الجاهلية بربهم عَزَّوَجَلَّ

قال تعالىٰ -في شأن أهل النفاق، وما كان منهم يوم أُحد-: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦].

هذا، ومن صور الظن السيء بالله عَزَّوَجَلَّ ما يلي:

* الظن أن له شريكًا في الملك، أو أنه اتخذ صاحبة، أو ولدًا.

* الظن أنه لا يعلم السر، ولا يعلم ما في الصدور، ولا يعلم ما في غدٍ.

* الظن أنه لن يبعث الخلق، والظن أنه سيتركهم سدًى.

* الظن أنه يخلف الميعاد، وأنه لن ينصر رسله، وأولياءه.

* الظن أنه يخذل المطيعين له، ويهينهم يوم القيامة.

* الظن بأن الله لا يغفر للعباد إذا تابوا إليه ورجعوا إليه.

* الظن أنه لابد من واسطة بينه وبين الخلق في العبادة والدعاء، وكل ظنٍّ بالله خلاف ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله محمد ﷺ، وما وصفه به سائر المرسلين ظنٌّ سيئٌ.

فصلٌ
في بيان خطر الإلحاد وتذكير الملحدين[١]

أقول -وبالله التوفيق-: من معاني الإلحاد: الميل، والمراد: الميل عن الحق إلىٰ الباطل.

أما قصدنا في هذا الباب بالإلحاد فهو: ما ذهب إليه المفترون الكذابون، وروجوا له من إنكار الخالق -جل وعلا-، وجحدهم له، وعدم إقرارهم به.

فأقول -وبالله التوفيق-:

* إن الإلحاد أشد خطرًا من الشرك بالله، وفي كل منهما شر؛ بل كل الشر.

إن المشرك يُقرُّ بالله؛ لكن يجعل له شريكًا.

والملحد -في هذه الأزمان- يجحد الرب سبحانه وينكره.

فعلىٰ إثر ذلك، وإن كان المشرك يحبط عمله بلا شك؛ وذلك لقوله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، ولقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]، ولقوله تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

فالملحد أشد من هذا، وأضرُّ وأخطرُ[٢].

---

(١) وقد توسعت إلىٰ حدٍ كبير في هذا الباب؛ لخطورة هذا الموضوع، ولي رسالة مصنفةٌ فيه، كتبتها تحذيرًا، وإنذارًا وإبراءً للذمة، ثم إن هذا الباب أصلٌ في توحيد الربوبية كذلك.

(٢) وليس المراد التوهين من ضرر الشرك، كلا، بل قد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. وإنما المراد بيان شديد خطر الإلحاد.

* إن الملحد والمشرك كليهما شرٌّ من البهائم والحمير والكلاب والخنازير.

لقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢].

وقال سبحانه: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

فها هي الدواب توحد ربها، وتسبحه وتصلي له!! ها هو الهدهد قد أقرَّ لله عَزَّوَجَلَّ بالتوحيد إذ قال: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٥، ٢٦].

إن الطيور تسبح، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ [النور: ٤١].

والجبال كذلك، قال تعالىٰ: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠].

بل وسائر المخلوقات، وقال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

فكلُّ ما ذكر وكل المخلوقات أفضل إذن من المشرك والملحد!!

* إن الملحد شرٌّ من آزر والد إبراهيم، وشرٌّ من أبي لهب، مع كفر أبي لهب وإجرامه، إذ هو مشركٌ، والشرك ظلم عظيم، لكن الملحد يجحد ربه، ولا يُقرُّ بالخلاق العليم، وقد قال تعالىٰ -في شأن أهل الشرك-: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨].

* إن المرأة الملحدة، والفتاة المُلحدة شَرٌّ من امرأة أبي لهب حمالة الحطب.

* إن الملحد ينكر ربه، ويجحده، فيقول: لا إله!!!

إنه يُنكر الملائكة، وينكر البعث والثواب والعقاب!!

إنه ينكر الجن، وينكر الحسد، وينكرُ السحر، وينكر المعجزات، وينكر الرؤىٰ!!

* إنه يُكذب بالقرآن، ويُكذب بكل الكتب التي أنزلها الله عَزَّوَجَلَّ، فيُكذب بالتوراة والإنجيل والزبور، ويُكذب بالصحف الأولىٰ!!

* إن الملحد يُكذب المرسلين جميعهم، فلا يُقرُّ بآدم، ولا بنوح، ولا بإبراهيم، ولا بإسماعيل، ولا بإسحاق، ولا بيعقوب، ولا بموسىٰ، ولا بعيسىٰ، ولا بأي نبي، ولا رسول.

* إن الملحد يستبيح كل المحرمات، فلا شيء عنده حرام، فلا مانع عنده من قتل الأنفس، ولا من الزنا بالمحارم، وغير المحارم، ولا مانع عنده من شرب الخمور والمسكرات والمخدرات.

* ولا مانع عنده من أكل الخنازير والفئران.

* ولا مانع عنده من التعري، وفحش القول، وسيئ الأفعال.

* لا مانع عنده من فعل قوم لوط.

* أنه لا يرىٰ الزواج.

* ولا يرىٰ في الزنا أي غضاضة، ومع أي امرأة كانت.

* ولا يرىٰ مانعًا كذلك أن تزني امرأته إن كان يقر بأنها زوجته، فلا مانع عنده، إن كان ممن يرون الزواج أن تزني زوجته، ولا مانع لديه من أن تزني أمه أو أخته.

* ولا مانع عنده من معاشرة الكلاب والبهائم، فلا دين يمنعه، ولا رب يخشاه!!

*** ومن خطر الإلحاد أن الشرور العظيمة تتوقع من الملحد:**

ذلك لأنه لا يؤمن بالله، ولا يخشاه، والعمل فرع عن الاعتقاد.

* فلذا لا يتورع الملحد عن الزنا، ولا عن السرقة، ولا عن الغش، والكذب، والتدليس، والخداع!!

* بل وإن سنحت له الفرصة لقتل شخص، وسلب ماله لفعل ذلك؛ لأنه يرىٰ أنه في مأمن!!

* إن الملحد ليس له شرعٌ؛ فلا يمتنع حينئذٍ من أكل الخنازير وشرب الخمر، وأكل الجيف، وزنا المحارم، وخيانة الجار!!

* ما الذي يردعه عن ذلك كله إذا لم يكن يخشىٰ الله؟!

* فلذا ترىٰ الملاحدة يعاشرون الكلاب (معاشرة الجماع) ويأتون البهائم، ويتعرون في كثير من الأماكن، فلا ضابط ولا رادع، ولا خوف من الله.

وكلما تسنت لهم الفرصة لفعل جرم فعلوه!!

الإلحاد في الأمم السابقة

* ولقد كان هناك من القرون الأولىٰ المكذبة، من ينكر ربه، ويجحده، ويكفر به؛ بل ويدعي أنه الرب والمعبود.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

* **لقد كان فرعون يزعم أنه الرب الأعلىٰ،** قال تعالىٰ: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النازعات: ٢٣-٢٥].

لقد كان يدعي أنه الإله، ولا إله سواه، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨].

* وقصة ماشطة بنت فرعون ليست ببعيدةٍ، فها هي، أخرجها الإمام أحمد(١)، بسند حسن، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا، أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ؟ فَقَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ. قَالَ: قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهَا؟ قَالَ: بَيْنَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ سَقَطَتِ الْمِدْرَىٰ مِنْ يَدَيْهَا، فَقَالَتْ: بِاسْمِ اللهِ. فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: أَبِي؟ قَالَتْ: لَا، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللهُ. قَالَتْ: أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَاهَا، فَقَالَ: يَا فُلَانَةُ، وَإِنَّ لَكَ رَبًّا غَيْرِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ، وَرَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ. **فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ، ثُمَّ**

(١) أحمد (١/ ٣٠٩).

أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَىٰ هِيَ وَأَوْلَادُهَا فِيهَا.

قَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً. قَالَ: وَمَا حَاجَتُكِ؟ قَالَتْ: أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَتَدْفِنَنَا. قَالَ: ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنَ الْحَقِّ.

قَالَ: فَأَمَرَ بِأَوْلَادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَاحِدًا وَاحِدًا، إِلَىٰ أَنِ انْتَهَىٰ ذَلِكَ إِلَىٰ صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ، كَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ، قَالَ: يَا أُمَّهْ، اقْتَحِمِي؛ فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ فَاقْتَحَمَتْ».

وكذا قصة غلام أصحاب الأخدود، فها هي:

أخرج الإمام مسلم في «صحيحه»[1]، من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ، وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَىٰ السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَىٰ السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَىٰ الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَىٰ عَلَىٰ دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ، قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ!

فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ؛ حَتَّىٰ يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَىٰ النَّاسُ.

فَأَتَىٰ الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَىٰ، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَىٰ، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ.

---

(١) (٣٠٠٥).

وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَا هُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي؟ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ. فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَىٰ الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي. قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ.

فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّىٰ دَلَّ عَلَىٰ الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ. فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ.

فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّىٰ دَلَّ عَلَىٰ الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَىٰ، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّىٰ وَقَعَ شِقَّاهُ.

ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَىٰ فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّىٰ وَقَعَ شِقَّاهُ.

ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَىٰ فَدَفَعَهُ إِلَىٰ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَىٰ جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ.

فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَىٰ الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ.

فَدَفَعَهُ إِلَىٰ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَىٰ الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ.

فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّىٰ تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَىٰ جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي.

فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَىٰ جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ. ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَات.

فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ!!

فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ.

فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّىٰ جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ».

مناقشة الملحد الكنود الجحود القائل: إن الأشياء خلقت بلا خالق

أقول، أولًا: صدق الله إذ قال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]. أي جحود كفور.

❋ ثم أقول لهذا الملحد الذي جحد ربه، وأنكر خالقه، وأنكر نعم الله عليه:

هذا الكرسي الذي تجلس عليه، وله أربعُ أرجلٍ ومقعد ومسند تستند عليه، لو قلت لك: إنه صنع نفسه، فقد جاءت شجرة، فقطعت نفسها، وصُنع منها هذا الكرسي بلا تدخل من أحد، فستقول لي: إنك مجنون!!

❋ وكذا لو قلت لك: إن هذا الهاتف المحمول صنع نفسه دون أن يتدخل أحدٌ في صناعته، وأتىٰ الزر رقم (١)، يجاوره الزر رقم (٢)، ويجاوره الزر رقم (٣)، وتحته الزر رقم (٤)، وهكذا، ثم إن شاشةً جاءت وتركبت فوق هذا، وجاء غلافٌ، وأحاط بذلك كله، وجاءت الإضاءة دون تدخل من أحد، وكل هذا قد تم بلا صانع، ألست تقول لي: إنك مجنونٌ؟!

❋ وكذا، إذا تناولنا أي شيء، كالقلم الذي تكتب به، كيف صُنع؟

النعل الذي تلبسه، كيف صُنع؟

إلىٰ غير ذلك من الأشياء اليسيرة التي تراها!!

❋ وإذا انتقلنا بك نقلة أخرىٰ أكبر شيئًا ما، وقلنا لك: إن الطائرة صنعت نفسها، وكذا الصاروخ، وكذا القنابل، والدبابات، والأبراج والعمائر!!

❋ ستقول أيها الملحد: إنكم مجانين، يا من تقولون: إن هذه الأشياء صنعت نفسها أو صنعتها الطبيعة.

فإذا كنت تنكر أن يكون الهاتف المحمول صنع نفسه!!

* وتنكر أن الكرسي صنع نفسه!!

* وتنكر أن الحقيبة صنعت نفسها!!

* فلماذا لا تنكر أن الإنسان خلق نفسه؟!!

وأيهما أعظم من وجهة نظرك؟!

خلق الإنسان أم خلق حقيبة، وهاتف محمول، وصناعة كرسي؟!

صدق الله، إذ قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

في النفس والإنسان آيات

قال تعالىٰ: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

فأعود إليك أيها الملحد، قائلًا: انظر إلىٰ نفسك:

* مَنِ الذي خلقك، وجعل لك عينين، ولسانًا وشفتين؟!

* مَنْ ذا الذي جعل لك أنفًا تشم به؟! وجعل لك أذنين تسمع بهما؟!

* وكذا مَنْ جَعل لك حاجبًا فوق العين، قد جَمَّلَك به؟! وكذا شعرًا زيَّنك به؟!

* مَنْ ذا الذي جعل لك قلبًا؟!

* مَنْ ذا الذي جعل لك الرئتين، والكلىٰ، والكبد؟! وكذا الجهاز العصبي، والتناسلي، والهضمي؟

❋ مَنْ ذا الذي جعل لك عقلًا تفكر به، ورِجلين تمشي بهما، ويدين تبطش بهما؟!

❋ وهكذا البصمات، بصمة العين، وبصمات الأصابع، وسائر البصمات!!

إلىٰ غير ذلك من الآيات والدلالات التي في ابن آدم الدالة علىٰ أن له خالقًا خلقه!!

وهكذا كلما ازددت إمعانًا في النظر إلىٰ نفسك تبين لك أنه لابد من خالق قد خلقك.

فارجع البصر، وأمعن النظر ودقِّق!!

ماذا كنت؟! وإلىٰ أين تصير؟!!

لقد كنت نطفة من مني يُمنىٰ، قطرةُ منيّ تُهراق وتُقذف في الرحم، ثم أصبحت علقةً ثم مضغة ثم خلقت وجعل لك سمعٌ وبصرٌ، ثم خرجت طفلًا صغيرًا باكيًا من بطن أمك، ثم أصبحت شابًّا، ثم أصبحت كهلًا، ثم ها أنت تصبح شيخًا كبيرًا، إن عُمِّرت في الأرض، ترجع مُخرفًا ناسيًا فاقد التحكم في نفسك، ثم تموت في الوقت الذي أراد الله لك أن تموت فيه.

لا تستطيع أن تمتنع من شيء مما ذُكر!!!

ولا تستطيع أن تغير شيئًا مما كتبه الله عليك!!!

هلا نظرت إلىٰ نفسك؟!

هل أنت الذي اخترت لنفسك أن تكون ذَكَرًا؟ وهل هذه الفتاة هي التي اختارت لنفسها أن تكون أنثىٰ؟! أم أن الله الذي خلق الزوجين الذكر والأنثىٰ؟!!!

لقد قال تعالىٰ، وصدق الله: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥].

أيها الإنسان، هلا فكرت فيما يخرج منك؟

هل هذا جاء خبط عشواء؟!

هلا فكرت في البول، والعرق، والمني، والمذي، والدموع، والبلغم، والبصاق، والمخاط، والغائط والجشاء، والتثاؤب والعطاس؟!!!

وهلا نظرت إلىٰ دم الجروح، ودم الحيض، ودم النفاس، ودم الاستحاضة؟!!

وهذه المرأة حيضتها ثلاثة أيام، وأخرىٰ حيضتها عشرة، وهكذا تتفاوت النساء.

إنك أيها الإنسان تنكر أن يكون الكرسي صنع نفسه، وأن الكِتاب جمع صفحاته وحروفه!! فلماذا تقول: إن هذه المذكورات جاءت خبط عشواء خلقتها الطبيعة! في الوقت الذي أنت بنفسك تقول فيه: إن الطبيعة لا تقدر علىٰ صنع كرسي، أو منضدة، أو قِدرٍ من القُدور؟!!!

راجع نفسك أيها الإنسان، ولا تجحد الخلاق العليم.

وفي القلب آية ودلالة على الخلاق العليم

أقول لك أيها الإنسان:

إن قلبك الذي في صدرك، مع أنه في صدرك -لا تستطيع التحكم فيه، فالله يقول في كتابه الكريم: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فلا تستطيع أن تُدخل في قلبك محبةَ شخصٍ، ولا أن تنزعها، بل كل ذلك -بإذن الله-.

ألا ترىٰ شابًّا أُعجب بفتاة، وتنظر أنت إلىٰ هذه الفتاة، فتُمعن في الفرار والهرب منها؟! ألم يحدث لك أن أُعجبت ذات يوم بفتاةٍ وغيرك لم يعجب بها؟!

مَنْ الذي قذف المحبة في القلوب؟!

ألم تر أن شخصًا ما يحب لك الخير، وآخر يكرهك؟!!

ألم تر أن شخصًا ما من الناس طيبٌ ومحسنٌ ورحيمٌ، وآخر شقيٌّ وسارق ومحتال وفظٌّ وغليظ؟!!!

إن الذي حبب الإيمان إلىٰ نفوس المؤمنين هو الله، والذي كره إليهم الكفر والفسوق والعصيان هو الله.

فارجع إلىٰ ربك أيها الإنسان.

* هلا نظرت إلىٰ الخلق؟!

فهذا دومًا قلقٌ مضطربٌ، لا يكادُ يهدأ، ولا يكاد يسكن!

وهذا دومًا مطمئن البال، عليه السكينةُ والوقار، يحمد الله علىٰ كل حال!!

* وأنت أيضًا، يا ابن آدم، أحيانًا تهدأ وتسكن، وأحيانًا تضطرب، وتنفعل وتقلق قلقًا شديدًا.

أفلا اخترت لنفسك السكينة والهدوء علىٰ الدوام؟!!

ففي القلوب آيات، فضلًا عما تقوم به القلوب من وظائف ومهام لصالح البدن والسمع والبصر.

أيها الإنسان، هل مررت يومًا علىٰ شخص دمه خفيف تستريح إليه وتعجب به، وبعد ذلك مررت بشخص دمُه ثقيلٌ، ولا تستريحُ إليه، ولا تُقبل عليه؟!!

أظن أن ذلك قد مرَّ بك! فمَنْ ذا الذي جعلك تتعلق بهذا، وتُقبل عليه، وترفض ذاك وتعرض عنه؟!

أما نحن فنقول: إن الله عَزَّوَجَلَّ، هو الذي جعل كل ذلك، والأرواح كما قال نبينا ﷺ: «**جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**».

أيها الإنسان، هل ابتُليت يومًا بحاسدٍ يكرهك؟!

وهل مر بك يومٌ أتاك فيه شخص بهدية، وقال: إني أحبك؟!!

ترىٰ مَن الذي قذف هذا في القلوب؟!!! إنه الله لا إله سواه!!

* إن الهمَّ والحزنَ والعجزَ والكسلَ والجبنَ والبخل –كل ذلك قد يعتري بعض الناس.

وآخرون تجدهم سعداء نشطاء مُجدين مُجتهدين شجعانًا مبتسمين كرماء!!

فسبحان مَنْ ألهم النفوس، وسبحان مَنْ أعطىٰ ومنع، وأكرم وأهان، وخفض ورفع!!

* إن الواعظ يعظ فيتأثر شخص ويبكي!! ويسخر ساخر ويستهزئ.

* إن الشرح واحد، وهذا يفهم وذاك يتخلف عن الفهم!

والقضية تثار فيفقهها شخص دون غيره، قال تعالىٰ: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩].

* إن خبر المصيبة يأتي فيثبت أقوام، ويتهاوىٰ آخرون ويتساقطون، وينخرط آخرون في البكاء!!

إن السؤال قد يُطرح أمام أشخاص، فيجيب بعضهم، ويجهل آخرون!

* ويُسأل سؤال آخر فيجيب عنه شخص آخر!

فمَنْ ذا الذي رزق الأشخاص هذه الأفهام؟! إنه الله الذي لا إله سواه.

هلا نظرت إلىٰ نفسك مرة أخرىٰ، وما فيها؟! أحيانًا تبكي، وأحيانًا تضحك، فمن الذي أضحكك وأبكاك؟!!

أحيانًا كلمةٌ واحدة، تُسمع فيبكي لها أقوامٌ، ولا يتأثر آخرون، ويضحك منها الكثيرون ويسعدون، فسبحان من أضحك وأبكىٰ!

أحيانًا تحزن، وأحيانًا تسعد!!

فهل تستطيع أن تصرف عن نفسك الهم والحزن، وتعيش دومًا سعيدًا؟!!

أحيانًا تمرض، وأحيانًا تُعافىٰ وتصح، فهل تستطيع أن تعيش في عافية علىٰ الدوام؟



فصل
في تقدير الله عَزَّوَجَلَّ على الإنسان

أُذكِّرك أيها الإنسان:

أُذكِّرك بأن الذي خلقك فسوَّاك فعدلك، واختارك علىٰ الصورة التي أنت عليها، هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

* أُذكِّرك بأن الذي خلق النفس فسوَّاها، وألهمها فجورها وتقواها، هو الله سبحانه.

* فهذا مؤمن وهذا كافر، وهذا صالحٌ مصلحٌ، وذاك شريرٌ فاسدٌ مفسد.

* وهذا الشخص خلقه الله رحيمًا رقيق القلب، وذاك جعله الله فظًّا غليظًا شديد القلب.

* فهل أنت الذي اخترت لنفسك أيها الإنسان أن تكون رحيم القلب، أو تكون فظًّا غليظًا؟!

لماذا لم تختر لنفسك أن تكون وضيئًا جميلًا!

هل أنت الذي اخترت لنفسك الطول والقصر!

وسلامة السمع والبصر من عدمها!!

أفلا نظرت إلىٰ نفسك، لماذا لم تكن في ذكاءٍ خارق؛ بل كنت غبيًّا لا تعقل؟!

هلا نظرت إلىٰ نفسك، وإلىٰ السهو والنسيان والتذكر والحفظ والإتقان!!

لقد قال تعالىٰ لرسوله ﷺ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعلىٰ: ٦، ٧].

إنك قد ترىٰ الطالب يُذاكر ويجدُّ ويجتهد، ويأتي في وقت الامتحان وينسىٰ جوابًا عن سؤال كان يعلمه تمام العلم، فمن ذا الذي أنساه؟!!

إننا نرىٰ أقوامًا يَسَّرهم الله لليسرىٰ، وحبب إليهم فعل الخيرات، فنراهم مصلِّين صائمين، يراقبون الله، ويخشونه، ويتصدقون علىٰ الفقراء والمساكين، ويَعمرون بيوت الله، وهم في الوقت نفسه بررةٌ بآبائهم وأمهاتهم، رحماء بإخوانهم وأخواتهم وأرحامهم، يحبون الخير للناس، ويسعون في إيصاله إليهم.

ونرىٰ آخرين أشقياء قتلة ظلمة، يضربون الآباء والأمهات؛ فضلًا عن إخوانهم والأخوات!! يأكلون أموال اليتامىٰ ظلمًا، ويسعون في الأرض بالفساد.

فهل هذان يستويان بعد موتهما من وجهة نظرك أيها الملحد!!

هلا فكرت أيها الإنسان في الناس من حولك؟

هذا أبيض وهذا أسود، وهذا بين ذلك، وهذا دون ذلك!!

هذا طويلٌ وذاك قصيرٌ، وهذا بدينٌ سمين، وهذا نحيفٌ رفيع!!

هذا علي خلق كريم، وهذا سيئ الأخلاق.

هذا جاهلٌ وذاك عالمٌ!!

هذا مجنون، وذاك غبيٌّ، والآخرُ عبقريٌّ في غاية الذكاء!!

هذا أعمىٰ، وذاك بصير، وهذا أصم وذاك سميع!!

هذا جبانٌ، وهذا شجاعٌ!!

هذا كريم، وذاك بخيل؟!

هذا صحيح معافًىٰ، وهذا مريضٌ دومًا في بلاء!!

هذا غني وهذا فقير!

هذا شقيٌّ وهذا سعيد!!

هذا غيورٌ وذاك ديوث يُقر الفاحشة والخبث في أهله!

هذا متزوج وذريته إناث، وذاك متزوجٌ وذريته ذكور، وذاك ذريته ذكورٌ وإناث، وهذا لم يُرزق لا بالذكور ولا بالإناث.

فحقًّا إن الذي رزق هو الله العليم القدير!!

فهلا اخترت لنفسك أحسن الخصال، وأجملها، وأحسن المقادير، وأوسع الأرزاق؟!!

هلا اخترت لنفسك أن تكون أجمل الناس وأوضأ الناس وأجملهم؟!!

كلا، بل أنت ضعيف، والله الذي يُقدِّر المقادير، ويخلق ما يشاء ويختار!!

واختلاف الألسنة والألوان من آيات الله عَزَّوَجَلَّ

قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

* أمعِن النظر أيها الإنسان، قف يومًا في الطريق، واذهب يومًا إلىٰ السوق،

وانظر هل من البشر أحد يشبه الآخر؟!!

دقِّق النظر، فلن تجد أحدًا يشبه الآخر، وكذا سائر المخلوقات.

فسبحان الذي أعطىٰ كل شيء خلقه ثم هدىٰ!!

وسبحان الذي صَوَّر الخلق كيف يشاء!!

* وكذا فاستمع إلىٰ الأصوات، فلن تجد صوتًا يشبه الصوت الآخر، ويماثله تمامًا؛ ومن ثَمَّ فقد تعرَّفوا الآن علىٰ الأشخاص ببصمات الأصوات، فضلًا عن بصمات الأصابع والأقدام، فضلًا عن بصمات العيون وغير ذلك.

فسبحان الله الخلاق العليم!

وفي الذكورة والأنوثة آيات

قال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النبأ: ٨].

ترىٰ كيف يكون الأمر إذا كان الخلق كلهم في زمن واحد ذكورًا؟! هل ستستمر الحياة؟!

ترىٰ لو كان الخلق كلهم إناثًا كيف ستكون الأمور والأحوال؟!!

صدق الله العظيم، وتبارك الله القائل: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥].

وفي السماء آيات

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وقال سبحانه: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [لقمان: ١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [الغاشية: ١٧، ١٨].

* هل ترىٰ أيها الإنسان في السماء شقوقًا؟!!

هل رأيت فيها من ثقوب أو فروج؟!!

هل رأيتها محمولة علىٰ عمد؟!!

سبحان من رفعها بلا عمد نراها.

انظر إليها وإلىٰ ما فيها من الكواكب السيارة والنجوم الزاهرات!!

إن النجوم تسير في مسارات وأفلاك: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

ولا يصطدم نجم بنجم، ولا كوكب بكوكب إلا أن يشاء الله!!

وانظر إلىٰ ما فيها من الشمس وخصائصها، والقمر وخصائصه.

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٨-٤٠].

*** فأعود إليك أيها الإنسان:**

إنك تنكر أن يكون الكرسي، أو الإبريق صنع نفسه، أو صنعته الطبيعة، وفي الوقت نفسه تزعم أن الطبيعة خلقت السماء والأرض.

تزعم أن السموات والأرض خلقتا خبط عشواء، أو أن الطبيعة صنعتهما!!

سماءٌ بما فيها من نجوم سيارات وكواكب زهرات وشمس وقمر، ورياح تجري أو تتوقف وسحب تسير وتُزجَىٰ... إلىٰ غير ذلك.

هل كل ذلك صنع نفسه؟ أو صُنع بلا خالق؟! تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

الله خالق كل شيء وهو علىٰ كل شيء وكيل.

وصدق الله، إذ قال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝١١ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩-١٢].

وفي الأرض آيات للموقنين

إنك تنكر أيها الإنسان أن يكون الإناء، أو القِدْر الذي تأكل فيه صنع نفسه، وفي الوقت نفسه تزعم أن الأرض بما فيها من جبالٍ، وأنهارٍ، وبحار، وزروعٍ، وثمارٍ، وحدائق وغابات، وسهول ووديان ودواب وحشرات، ومخلوقات، لا

يعلمها إلا الله، تزعم أنها خلقت بلا خالق، وصنعت بلا صانع!!

كذبت أيها الملحد.

وتبارك الله أحسن الخالقين.

قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤].

هل الإبل وسائر الدواب خَلقت نفسها أم لها خلَّاق؟!

هل الجبال خَلقت نفسها؟!

هل الأشجار بسيقانها وجذورها، وأوراقها وثمارها، وطريقة تنفسها، خلقت نفسها؟!

هل التناسق والتناسب في التنفس وأخذ الأكسجين ورد ثاني أكسيد الكربون بين الحيوانات والأشجار وبني آدم، كل ذلك جاء خبط عشواء أيها الملحد؟!!

وإن لكم في الأنعام لعبرة

وفي الأنعام (إبل، بقر، غنم، ماعز) عبرة للمعتبرين، يُخرجُ الله من بطونها اللبن كما قال: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦].

فسبحان مَنْ أخرج اللبن من بين الفرث (العَذِرة) والدم، أخرجه الله (اللبن) خالصًا صافيًا أبيض سائغًا للشاربين!!

وسبحان مَن أوحىٰ إلىٰ النحل، وألهمها أن تتخذ من الجبال بيوتًا، ومن الشجر، ومما يعرشون.

سبحان من أوحىٰ إليها أن تأكل من كل الثمرات، فتُخرج العسل المُصفَّىٰ اللذيذ الذي يحمل الشفاء -بإذن الله-.

وانظر إلىٰ التنوعات في الأرض، وألوانها والجبال وأشكالها:

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨].

فهلَّا نظرت إلىٰ الجبال؟! وهلَّا نظرت إلىٰ الثمار؟! وهلَّا نظرت إلىٰ الناس والدواب والأنعام؟!

فسبحان من أعطىٰ كل شيء خلقه ثم هدىٰ!!

* هلا نظرت إلىٰ عالم النحل، وعالم الخيول، وعالم الأسماك، وعالم الحيتان، وعالم الطيور، وعالم الغابات، ونظرت إلىٰ الاختلافات والتنوعات في ذلك كله؟!

وكل ميسرٌ لما خلق له، وكلٌّ مذلل، وكل يسبح، وأنت أيها الجحود تنكر ربك، وتنكر خالقك!

لقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

*** وهلا نظرت إلىٰ النباتات وكيف تنمو؟!!**

تبذر البذرة فتنبت بإذن ربها، ثم يشتد العود، ويزهو الثمر، ثم بعد ذلك يذبل ويتكسر ويتفتت!! لقد قال ربنا: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

ثم ماذا؟ قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ [الحديد: ٢٠].

فهكذا حال النباتات، وحال الدنيا، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

وانظر إلىٰ عالم النباتات أيضًا، من وجهة أخرىٰ: ففيه العِبر والآيات، وألوان وطعوم وخصائص وخصال! نبتٌ بلا ساق، وآخر ساقه عظيمة، هذا بهيج المنظر، وذاك قد ذبل وانتهىٰ.

دقق النظر في هذا العالم عالم النباتات، وكذا في غيره من العوالم؛ فكلها دالة علىٰ وحدانية الله وقدرته وعظيم شأنه.

وفي البحر آية

تنكر أيها الإنسان أن تكون السفينة صنعت نفسها، بل لزامًا أن يصنعها صانع، وصدقت فيما قلت، ولكنك تجوِّز أن يكون البحر بما فيه خُلق بلا خالق!!

* إن البحر جعل الله له من الخصائص ما جعل، وجعل فيه من المد والجزر ما فيه، فلا يبغي علىٰ اليبس إلا -بإذن الله-!

ولا يختلط ماؤه بماء الأنهار، فيفسد علىٰ الناس معايشهم، بل: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠].

إن البحر فيه من الآيات ما لا يعلمه إلا الله، ومع ذلك فأنت أيها الملحد تقول: إن الطبيعة خلقته، أو أنه خُلق بلا خالق! فانظر إلىٰ تناقضك وضعف عقلك وقلة حيلتك؟!!

وهلا نظرت إلىٰ تنوع الأسماك والحيتان؟!

هل نظرت إلىٰ القرش وثعبان البحر والأُخطبوط والجمبري؟!

اذهب إلىٰ سوق الأسماك، وانظر إلىٰ تنوعها، وكيف أن الله سبحانه خلقها؟!

وكذا في الجبال الرواسي الشامخات آيات

فسبحان من أرساها، وسبحان الذي أودع فيها ما أودع.

وسبحان مَن ثبّت بها الأرض؛ كي لا تميد، ولا تضطرب.

وسبحان مَنْ جعل منها الجُدد البيض، والحُمْرَ والغَرابيب السود.

سبحان الخلاق العظيم!

إن الغابات فيها آيات

في الوحوش آية، وفي الزواحف آية، وفي الغزلان آية، وفي الذئاب الضواري والثعالب الماكرة والحرباء المتغيرة المتنكرة والنعامة والزرافة وغير ذلك، في كل ذلك آيات.

وصدق الله إذ قال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥].

وأقول: إن المقام، مقامُ تذكير، ولن نطيل، فإذا دققنا وأمعنَّا النظر، وجدنا في كل شيء آية تدل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وعلىٰ أنه الواحد القادر، العليم، الخبير، الذي له الأسماء الحسنىٰ، والصفات العلىٰ، ولا يأتي الحصر علىٰ ذلك بحال من الأحوال.

فسبحان الله العظيم!

وصدق الله إذ قال: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤].

فصل
في التنوعات والاختلافات مع أن الأصل واحد

أقول: أيها الإنسان، ألم تعلم أن الأصل واحد، وهو آدم عليه السلام، وقد خلق الله من هذه النفس زوجها حواء عليها السلام.

* ولقد خلقه الله في أحسن تقويم؛ خلافًا لما تدعيه أيها الملحد، إذ يدعي كبراؤك من شياطين الإنس أن الإنسان أصله قرد، كلا؛ بل آدم عليه السلام خُلق في أحسن تقويم، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦-٨].

وقال نبينا ﷺ: «**خَلَقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا**»(١). فما زال الخلق ينقص حتىٰ الآن.

ثم إن ذرية آدم قد تنوعت في أشكالها، وألوانها، وعقولها، وأجسامها، وخصالها، وأخلاقها... إلىٰ غير ذلك من صور الاختلافات والتنوعات.

وكذا في الإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، والهداية والاستقامة، والغواية، والضلال، وكذا المخلوقات.

وأتركك للنظر في الباب الآتي، ألا وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١).

وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٤].

فانظر إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾.

فمَن ذا الذي أودع هذه الثمار طُعومها؟! فهذا حُلو وذاك مُر، وهذا مستساغ لذيذ، وهذا مكروهٌ غير مستساغ، وهذا طعمه يختلف عن ذاك، فليس طعم العنب كطعم الرمان، ولا كطعم الرُّطب.

والفاكهة مختلفة الأشكال والطعوم والألوان والفوائد المستفادةِ منها، ومختلفة في صفة أشجارها، وأوراقها، وزمن نموها وازدهارها... إلىٰ غير ذلك من صور الاختلافات.

فالماء واحد والأرض واحدة، والناتج متنوع من عدة وجوه.

* وكذا إذا نظرت إلىٰ قطرات المني التي تُصبُّ في رحم المرأة، وتحمل بعد ذلك -بإذن الله-.

وتتنوع المواليد، فالزوج (الأب) واحد، والزوجة (الأم) واحدة، ولكن الذرية متنوعة؟!!

فهذا ذكر، وتلك أنثىٰ، وهذا طويل وذاك قصير، وهذا خفيف الدم، وذاك ثقيل بغيض، وهذا أبيض وذاك أسمر، أو دون البياض بقليل، وهذا ذكي وذاك في منتهىٰ الغباء، وهذا الولد مطيع رحيم، وذاك عاصٍ غويٌّ مبين، وهذه البنت جميلة، وتلك دونها في الجمال، والزوجة واحدة والزوج واحد!

فسبحان مَنْ قسم الأرزاق والأخلاق!!

ونقول: أيها الإنسان إنك لم تختر لنفسك، بل الذي سواك علىٰ حالك وخلقك هو الله!

وكذا فإنك لا تستطيع أن تختار أبناءك وتجعلهم أذكىٰ الأذكياء، ولا أجمل الناس، ولا أحب الناس إلىٰ الناس!

فلله الأمر من قبل ومن بعد، ومنتهىٰ الأمور كلها إليه سبحانه.

❊ **وأقول في هذا الباب أيضًا:**

هلا نظرت أيها الإنسانُ إلىٰ اختلافات الأفهام؟! فهذا المدرس يشرح الدرس، ويلقي المحاضرة، وهذا الطالب يفهمها تمامًا، وذاك يفهم نصفها، والآخر يفهم الثلث، والرابع لا يكاد يفهم.

فسبحان مَن قسم الأفهام!

❊ إن التجار يخرجون للأسواق كلهم يريد الرزق، وسعة الأرزاق، والأرباح، ولكن يرجعون هذا قد رُزق رزقًا واسعًا من الحلال، وذاك خسر في تجارته، وبين ذلك أقوام وأقوام.

فسبحان الله خير الرازقين!

قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]

أيها الإنسان: انظر إلىٰ تقدير الخلق، لقد خلق الله الأشياء بمقادير، ابن آدم له طول لا يتجاوزه، فلن يبلغ ابن آدم الجبال طولًا.

وكما أسلفت، فله قوَّة محدودة، وسمع محدود، وبصر محدود، وعقل محدود، لا يتجاوز ذلك، وكذا سائر الخلائق!!

وانظر إلىٰ عموم تقدير الله، وحسن تدبيره، إن النسور والصقور بيضها قليل وعمرها طويل، وعلىٰ العكس الذباب بيضه كثير جدًّا، وعمره قصير!!

فلو عاش الذباب عمر النسور لفسدت به الأرض.

ولو كان بيض النسور كبيض الذباب لفسدت به الأرض كذلك.

* ولقد قدَّر الله عمر الجنين في بطن أمه، فلو كان كل جنين يحتاج إلىٰ عشر سنوات، أو عشرين سنة في بطن الأم؛ لفسدت الأرض كذلك.

وكذا لو كان عمر الجنين في بطن أمه يومًا واحدًا؛ لفسدت الأرض كذلك.

وصدق الله إذ قال: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢١-٢٣].

وصدق الله إذ قال: ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الحج: ٥].

* وكذا، فإن الماء الذي ينزله الله من السماء بقدر، فلو استمر نزول الماء بلا توقف؛ لهلك مَنْ علىٰ وجه الأرض.

ولو قلَّ نزول الماء أو انعدم لهلك مَنْ علىٰ وجه الأرض كذلك، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وصدق الله إذ قال: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨].

* وهكذا كل الأشياء خُلقت بقدر وقدَّرها الله تقديرًا.

والله خلق الليل والنهار كذلك بقدر، فتخيل لو أن الدنيا كلها ليل طول الأيام والسنين؛ كيف سيكون الأمر؟! وتخيل لو أنها كلها نهار إلىٰ يوم القيامة؛

كيف سيكون الأمر أيضًا؟!

* وكذا لو كانت الدنيا كلها صيفًا أو شتاءً؛ كيف ستكون الأمور؟

* ولو كانت النباتات والزروع تمكث زمنًا طويلًا في الأرض حتىٰ تنضج؛ كيف سيعيش الناس؟! وكيف سيحيون؟!

* ولو كانت الأسماك والحيتان تُعمَّر أعمارًا طويلة وتتكاثر ويزداد حجمها علىٰ الدوام بلا توقف؛ كيف ستكون الأمور؟!

فحقًّا لقد خلق الله كل شيء فقدره تقديرًا.

فهكذا أنت يابن آدم، لك عمر لن تتخطاه ولن تتعداه وستموت حتمًا!! بل وللدنيا أجل لن تتجاوزه وستزول الدنيا يقينًا!!

* أيها الإنسان:

هلا نظرت إلىٰ تغير الأحوال في اليوم الواحد؟!

هلا نظرت إلىٰ وقت الفجر ثم انفلاق الصبح والضوء، ثم إلىٰ وقت الظهر وكيف يكون؟! ثم إلىٰ وقت العصر، ثم إلىٰ المغرب والعشاء؟!

هل تستطيع أن توقف سنة الله في الخلق أيها الملحد؟!

هل تستطيع أن تأتي بالشمس من المغرب أيها الملحد؟!

صدق الله إذ قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

لقد قال تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِى لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨

وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس: ٣٨، ٣٩].

انظر إلىٰ القمر يبدو هلالًا صغيرًا، ثم يكبر وينمو ويزداد، ثم يتسق فيكون بدرًا تامًّا، ثم يبدأ في التراجع ويُقدَّر منازل حتىٰ يعود كالعرجون القديم.

قد جعل الله لذلك فوائد؛ منها: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

فصل في الرد على الملحد

القائل: لن أصدق إلا بالذي أراه.

* **أقول -وبالله التوفيق-:** إن هذا القول من الملحد قول باطل، وهو نفسه يخالفه؛ وذلك لأنه يؤمن بأشياء لم يرها، وإنما أحس بآثارها!

وها أنا ذا أدلل علىٰ ذلك مستعينًا بالله، فأقول -وبالله التوفيق-:

* إنك أيها الإنسان **لم تَرَ الروح** وهي تخرج من الشخص عند الوفاة!!

فها هو شخصٌ يتكلم أمامك، ويتألم أحيانًا، ويتحرك ويبتسم ويتنفس، وفجأة انقطع كل ذلك؛ فلا نفس، ولا إحساس، ولا ابتسام، ولا حركة، ولا تلفظ، ولا كلام...

فلا بد أن شيئًا ما قد حدث! لقد حدث أن خرجت الروح من الجسد، ولم تُرَ ولم ير أحد خروج الروح من الجسد، ولا علموا شيئًا عن صفاتها! ولم يستطيعوا منعها من الخروج! إنما أحسوا بآثار خروجها!

وكذا النوم؛ فإنك ترىٰ الشخص يقظًا متحركًا، فلا يلبث أن ينام ويسكن ولا يدري ما حوله، ولا تدري أنت ما الذي حدث للشخص حتىٰ نام وماذا خرج منه!

أما نحن فنقول: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]. فهي وفاة صغرىٰ، يُستدل بها علىٰ الوفاة الكبرىٰ!

وكذا النعاس؛ فأنت لم تره، وإنما أحسست بآثاره!

وكذا العقل؛ فأنت لم تَرَ عقول الناس، وإنما حكمت عليهم بناءً علىٰ تصرفاتهم!

وكذا الرياح والهواء؛ أنت ما رأيتهما ولكن أحسست بآثارهما!

وكذا النشاط والكسل؛ أنت ما رأيتهما، ولكن أحسست بآثارهما!

وكذا الجاذبية الأرضية؛ أنت ما رأيتها، ولكنك أحسست بآثارها!! وكذا الكهرباء!!

وبعد، فكيف تفسر الرؤىٰ والأحلام؟! وما توجيهك لها؟! وقد ترىٰ رؤيا في المنام وتتحقق، فما تفسير ذلك عندك؟!!

أما نحن فنقول: إنها مبشرات من الله عَزَّوَجَلَّ، فهلا آمنت أيها الإنسان؟! هل آمنت بربك وخالقك؟!

لقد أنكرت ربك وخالقك، وأنكرت الملائكة، وأنكرت الجن، وأنكرت أمورًا عظيمة بدعواك أنك لن تؤمن إلا بما تراه، وها نحن قد ألزمناك بإلزامات!!

أما نحن فنؤمن بالله، والحمد لله، وكيف نجحده، وفي كل شيء له آية تدلنا عليه؟! وكما قال القائل: البعرة تدل علىٰ البعير، والأثر يدلُّ علىٰ المسير، أفلا تدل سماءٌ ذات أبراج، وأرض ذات فِجَاج علىٰ اللطيف الخبير؟!

فيا عجبًا كيف يُعصَىٰ الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية ... تدلُّ علىٰ أنه الواحدُ

مناقشة الملاحدة في قولهم: (من خلق الله)

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]

وبيان تفاوت العقول والأفهام

* يريد الإنسان أن يعرف كل شيء عن الله عَزَّوَجَلَّ، وعن قضائه وقدره، بل ويريد أن يرىٰ ربه عَزَّوَجَلَّ حتىٰ يؤمن به.

وهكذا دومًا أهل الكفر يقولون، كما ذكر الله عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١].

ويتساءلون أيضًا: مَن الذي خلق الله؟ وماذا كان قبل ذلك؟

وكجواب عن ذلك أقول -وبالله التوفيق، كمقدمة للجواب-:

إن عقول بني آدم تختلف في قدراتها، فليس الناس كلهم علىٰ عقل واحد، بل وكما قال تعالىٰ: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤]. ومن معانيها: مختلفين في قدراتكم، وإن كان لها معانٍ أُخر.

فترىٰ عقل الطفل الصغير ليس كعقل الشاب الناضج، ليس كعقل الرجل المجرب الحكيم، ليس كعقل الشيخ الكبير الذي يَهذي ويخرِّف!

وترىٰ عقول الناس متفاوتة، وإن كانوا شبابًا في سن واحدة، أو شيوخًا في سن واحدة، أو رجالًا وإناثًا!

* **وأقول أيضًا:** وكما أن قدرات الناس البدنية محدودة، ومتفاوتة، فكذلك عقولهم.

فمثلًا: للعبد قدرة علىٰ حمل خمسين كيلو من الأوزان، فإن أتيته بمائة كيلو فلن يستطيع حملها، فإن أتيته بطن (ألف كيلو) فلن يستطيع أحد من البشر أن يحمل هذا بيديه.

وكذلك فللنظر قدرة، قد أستطيع رؤية مَنْ أمامي، وهو علىٰ بعد خمسمائة متر، فإذا ابتعد لم أره، وقد يستطيع غيري رؤية شخص علىٰ بعد ألف متر، ولكن لا أنا ولا أحد من الناس يستطيع رؤية شخص علىٰ بُعد مائة كيلو متر؛ فللنظر قدرة.

وإذا نظر الناظر أمامه، فلن يرىٰ مَن خلفه ولا من عن يمينه وشماله.

* **وكذلك للسمع قدرة،** فإذا ناداني شخص عن بُعد معين (عشرة أمتار أو عشرين مترًا، أو أكثر قليلًا) سمعته، وإذا ناداني شخص -بلا واسطة- عن بُعد عشرة كيلو مترات فلن أسمعه؛ فللسمع قدرة، وكذلك إذا تكلم أمامي عشرة في آنٍ واحدٍ فلن أسمعهم جيدًا؛ فللسمع قدرة وطاقة.

* **وهكذا العقل فله قدرة وطاقة واستيعاب،** ولا يستطيع أن يستوعب فوق تلك القدرة والطاقة، فمن ثمَّ يلزمه الإذعان.

فالعاقل يدرك أنه لم يُحِطْ علمًا بكل شيء، بل إن كان طبيبًا فلا يكاد يدرك ما يدركه المهندس، ولا ما يدركه القاضي، ولا النجار، ولا الحداد؛ فللعقل طاقة وقدرة.

*** فإلىٰ جواب مسألتنا:**

لقد قال الله تعالىٰ عن نفسه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا﴾ [طه: ١١٠].

وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وقال رسولنا ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**».

وقال لما سئل عن أول هذا الأمر: «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ**».

وقال معلمًا للشخص الذي أتاه الشيطان يقول له: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ قال ﷺ: «**فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ أَحَدَكُمْ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ**»(١).

*** وعن جواب عن سؤال: لماذا لم نَرَ الله ﷻ؟**

فقد قال رسول الله ﷺ في شأن ربه ﷻ: «**حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ؛ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»(٢).

* فاعرف قدرك وقدر عقلك أيها الإنسان، واعرف قدر ربك ﷻ، فما قدروا الله حق قدره.

*** فمن تناقض الملحد:**

أن الملحد يقرُّ بأن له قدرات، لسمعه قدرة، ولبصره قدرة، ولبدنه قدرة، ولا يُقر بأن العقل له قدرة، مع أن هذا ظاهر وواضح وجليٌّ، فليس عقل الكبير كعقل الصغير، وليس عقل العاقل كالمجنون، كما قد أسلفت وبينت.

---

(١) **صحيح**، وقد تقدم.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٩).

أقدار الله عَزَّوَجَلَّ غالبة وتجري على الملحد رغم أنفه

الإنسان لا يستطيع أن يمنع عن نفسه المرض!

ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه الضر!

ولا يستطيع أن يعيش بلا غضب!

ولا يستطيع أن يمنع عن نفسه المشيب!

ولا يستطيع أن يعيش آمنًا من الحوادث والمصائب! وقد يتاجر ويخسر!

ولا يستطيع أن يمنع عن نفسه الموت، بل ولا يدري متىٰ يموت ولا بأي أرض يموت!

بل أقدار الله نافذة فيه، وأمر الله متحقق فيه، لا يستطيع هربًا، ولا فرارًا.

* قد تأخذ أيها الإنسان بكل السبل التي ترىٰ فيها سعادتك وراحتك، وراحة بلادك، وسعادة بلادك، ولكن تعتريك ابتلاءات مفاجئة، وعقوبات مفاجئة، وأمور لم تكن تخطر لك علىٰ بال، أمور يقدرها الله، ولا تستطيع أنت ولا غيرك دفعها.

* قد تفاجأ بزلزال عظيم مدمر عليك بيتك وعلىٰ الناس بيوتهم، ويخلُّ بأنظمة الكهرباء والصرف الصحي (المجاري)، ويجعل البلاد خرابًا.

فمَن ذا الذي أتىٰ به وسلطه؟!

* قد تفاجأ بإعصار عظيم كما تسمع وتشاهد في الأخبار!

* قد تفاجأ بسيارة -وأنت تسير آمنًا- تصطدم بك وبسيارتك، فتُقعدك في الفراش طريحًا عليلًا سقيمًا تبحث عمن يخدمك، ويناولك الطعام والشراب!

* قد يأتي سيل عظيم كاسح مدمر!

* قد يعتريك الحر الشديد الذي تصاب معه بالعديد من الأمراض، وقد يعتريك البرد الشديد كذلك!

* قد تفاجأ بحريق هائل، وانفجار للغاز مروع، يدمر عليك أخضرك ويابسك!!

* قد تذهب للتحاليل الطبية فتفاجأ أنك مصاب بالسرطان، أو بمرض ليس له عند البشر علاج!!

* قد يتسلط عليك شرير مفسد وحاسد مبغض ينكد عليك حياتك، مع أنك لم تظلمه، ولم يسبق لك أن تعاملت معه.

* قد يتركك صديقك، ويخرج من عندك وتودعه، فما هي إلا دقائق ويأتيك الخبر أنه قد أُصيب بحادث ومات!!

* قد ترتبط بامرأة تحبها، وبعد ذلك تبغضها وتبغضك أشد البغض!!

* قد تتزوج وتُرزق بولد معوق!!

* قد يُقتل أخوك علىٰ سبيل الخطأ أو العمد!

* ألم تنظر مَن حولك وتسمع الأخبار؟!

* أما سمعت عن قوم أغرقهم الله؟!

* أما سمعت عن حادث أَلَمَّ بالناس وأبادهم وأفناهم؟!

* ألم تسمع عن سيارة صُدمت، وعن طائرة سقطت، وعن سفينة غرقت، وعن منازل تهدمت فجأة؟!

* ألم تسمع عن خسف حل ببعض البلاد، أو عن بركان هائل من البراكين دمر وأباد وأفنىٰ؟!

* فماذا تقول في هذه المصائب والابتلاءات والمفاجأت؟!

أما نحن فنقول بقول ربنا: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

ونصبر علىٰ أقدار الله؛ فيثبتنا الله ويكرمنا؛ فيهدأ بالنا، وتستريح قلوبنا.

عجز الملحد

هل استطعت أيها الملحد أن تمنع الزلازل والبراكين؟!

هل استطعت أن تمنع الأعاصير والعواصف؟!

هل استطعت أن تمنع الحر والبرد والريح العقيم؟!

بل هل استطعت أن تمنع المرض عن نفسك؟!

أو أن تمنع عن نفسك السهو والنسيان؟!

أو تمنع عن نفسك النوم والموت؟!

أو تمنع نفسك من الحب والبغض؟!

إنك ضعيف أيها الملحد.

هل استطعت أن تخلق ذبابة؟!

هل تستطيع أن تعيش سعيدًا علىٰ الدوام وتمنع عن نفسك المصائب والبلايا؟!

فحقًّا إن الأمر كله لله.

* إذا كُسرت لك إصبع، أو فقئت لك عين، فهل تستطيع ردها، كما كانت، أو إصلاح الإصبع المنكسرة كما كانت؟!

* وبعد:

فهل تستطيع أن تدفع الموت عن نفسك؟!

وهل تدري متىٰ ستموت؟!

وهل توقن أنك ستعيش حتىٰ تكون شيخًا كبيرًا؟!

كلا، بل قد قال تعالىٰ: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقعة: ٦٠].

وقال: ﴿فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

فسبحان الحي الذي لا يموتُ، والجن والإنس يموتون.

* ولو قُدِّر وعشت آمنًا معافًىٰ طول حياتك لم تشتك المرضَ قط، ولم تصب بالحزن قط، ولا بالأذىٰ علىٰ سبيل الإطلاق، وعشت حياتك تستمتع بكل الملذات، تأكل ما شئت وتشرب ما شئت، وتجامع من النساء من تريد، وتسكن أحسن المنازل، وتركب أحسن المراكب، فسيأتيك الموت حتمًا يومًا من الأيام، وستموت وتهلك، ولن ينفعك عند الموت شيء مما ذكر، لقد قال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ۝٢٠٦ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧].

إن شخصًا سيقول يومًا: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩].

لفتة إلى الشريعة وحُسنها

انظر أيها الملحد إلىٰ شريعة الله التي شرع:

* ففيها نهي عن السرقة!
* نهي عن الزنا حتىٰ لا تختلط الأنساب!!
* نهي عن القمار!
* نهي عن الظلم!
* نهي عن الفواحش!
* نهي عن الغِيبة والنميمة!
* نهي عن الشرك!
* نهي عن الشرور!
* نهي عن كل قبيح...!
* أمر بالمعروف!
* أمر بالتقوىٰ!
* أمر بالعدل والإحسان!
* أمر بكل جميل...!
* حفاظ علىٰ الأرواح والعقول والأبدان والأموال والعِرض والدين!!

فما أحسنها من شريعة!!

في هذه الشريعة رحمة وتكليف بما يطاق!

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧].

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦].

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ [الحج: ٧٨].

﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة: ١٧٣].

﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧].

* في كل جانب تجد الرحمة مع التكليف! فالحمد لله رب العالمين.

في هذه الشريعة نهي عن الانتحار!! ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ [النساء: ٢٩].

في هذا الدين: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٢٧].

في هذا الدين: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

في الشريعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

حتىٰ مع الكفار واليهود والنصارىٰ نَفِي معهم بالعهود والمواثيق.

وفيها: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

في هذه الشريعة: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْ...﴾ [الأنعام: ١٥٢].

فيها: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

فيها: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

فيها: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ [النساء: ١١].

فحقًّا إن الله رحيم، أرحم بنا من أنفسنا، وأرحم بنا من آبائنا وأمهاتنا!!

لا يستوي المصلح والمفسد

* وللملحد أقول:

إذا تصورنا رجلين:

أحدهما صالح مُحسن يعطي الفقراء والمساكين، ويساعد الناس، ويوصل إليهم الخيرات، ويرفع عنهم الظلم، ويعدل بينهم، ويرحمهم ويكرمهم!!

والرجل الآخر ظالم مفسد في الأرض يسرق أموال الناس، ويغشهم، ويقبل الرشوة، ويهين الضعفاء والمساكين، ويفعل الموبقات!!

ومات الشخصان، فهل يستويان من وجهة نظرك؟!!

إنك إذا قلت: يستويان بعد الموت. لأبحت للناس، وأجزت لهم أن يضربوك، ويختلسوا أموالك، ويغتصبوا بناتك ويظلموك، ما دام ليس هناك بعد الموت ثواب، ولا عقاب، ولا حساب!!

فراجع نفسك أيها الملحد:

فليس المسلم كالمجرم: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥].

وليس المؤمن كالمفسد: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]. ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨].

إجابة عن بعض تساؤلات الملحد

قد يتساءل الملحد: لماذا تصلون الظهر أربعًا، والمغرب ثلاثًا، والصبح ركعتين...؟!

وقد يتساءل: لماذا تحجون؟ لماذا تصومون؟ لماذا تتوضئون؟! لماذا تغتسلون إذا أجنبتم؟!

بل قد يسأل: لماذا تتزوجون وتطلقون؟! لماذا تعتد المرأة؟!

إلىٰ غير ذلك من التساؤلات، والتي جوابها: إننا مسلمون نسمع ونطيع لربنا عَزَّوَجَلَّ، فنقول لله: سمعًا وطاعةً. ونقول يا ربنا لرسولنا كما أمرتنا بطاعته: سمعًا وطاعةً، يا رسول الله.

فهذا هو الجواب الفصل، رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا.

والملحد يسأل: لماذا فُضِّل بعض الخلق علىٰ بعض في المال والجمال والطول والقِصر والذكاء والفهم وغير ذلك؟

وجوابنا: إن الله فَعَّال لما يريد، وأنه سبحانه لا يُسأل عما يفعل، والخلق هم الذين يُسألون.

ولقد قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠].

فهي اختبارات وابتلاءات، كما قال سبحانه: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [المائدة: ٤٨].

فالفقير يُبتلىٰ بالغني، يقول: لماذا أغناه الله وأفقرني؟!! والغني يُبتلىٰ بالفقير، فيحتقره ويزدريه!!

وكذا الدميم والجميل!! وكذا القوي والضعيف!!

وكذا العاقل والذكي والمجنون والغبي!!

فكلها اختبارات، والله يفعل ما يريد!!

*** لفتة للاشتراكيين:**

إذا كنتم تريدون المساواة بين الخلق في كل شيء؛ فلن تستطيعوا بحال من الأحوال.

إذا سَوَّيتم بين الناس في المال بزعمكم؛ فستكونون قد ظلمتم الناس أيضًا، فالشخص البدين يأكل أكثر من النحيف، والشخص الشَّرِه يأكل أكثر من القنوع، والناس متفاوتون في مقادير طعامهم.

وإذا سَوَّيتم بين الناس في العطاء المالي فاحتياجات الناس تختلف وتتنوع.

ولن تستطيعوا أن تسووا بين الناس في الأجسام؛ فهذا طويلٌ وذاك قصيرٌ، وهذا دميمٌ، وذاك جميل، وهذا يُعَمَّر، وذاك يموتُ في الصغر أو في الشباب.

ثم أمزجة الناس مختلفة، هذا ضيق الصدر، وهذا رحيب منشرح الصدر.

ووجوه الاختلافات بين الناس، وكذا احتياجات الناس تختلف اختلافًا عظيمًا.

وصدق الله إذ قال: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِ﴾ [النحل: ٧١].

وصدق الله إذ قال: ﴿وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا﴾ [نوح: ١٤].

وصدق الله إذ قال: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ [الانشقاق: ١٩]. وفي إحدى تفسيراتها: لتمرَّنَّ بكم الأحوال حال بعد حالٍ.

نداءً وتذكير للملحد

أيها الملحد، إنك ستلقى ربك، وستقول يومًا: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَابَۢا﴾ [النبأ: ٤٠]. وستقول: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦].

وستقول يومًا كما أخبر الله تعالى: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]. ولن تجاب إلى دعائك!!

سيأتي عليك يوم تقول: ﴿أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ﴾ [القيامة: ١٠].

سيأتي عليك يوم تقول فيه: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧].

سيأتي عليك يوم أيها الملحد، وتقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

* أيها الملحد:

ألم تَدْعُ يومًا ربك فأجابك؟!!

ألم تشتك المرض والألم فقلت: يا رب، اشفني. فشفاك؟!

ألم تفقد شيئًا يومًا، فتقول: يا رب رُد عليَّ ضالتي. فردها عليك؟!

ألم تقف يومًا علىٰ شخص يحتضر ويموت؟!!

ألم تر يومًا حادثًا، وقد تقطعت منه أوصال شخص كان يمشي مثلك، ويجادل، ويغازل ويحاور؟!

ألم تر يومًا طائرًا رحيمًا بأفراخه يحنو عليهم ويدافع عنهم؟! من ذا الذي قذف في قلبه هذه الرحمة؟!! إنه الله، تبارك الله رب العالمين.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ [الفرقان: ٤٥].

ظِلُّك يا ابن آدم، وظل سائر الأشياء، مَنْ ذا الذي جعله، ومَنْ ذا الذي مَدَّه وقصَّره، ومن الذي سير الشمس وأجراها!!

هل لعبتْ بك الأمواج يومًا، وأشرفت علىٰ الغرق فقلت: يا رب؟!!

* أيها الملحد:

هلا مررت يومًا علىٰ القبور، فتذكرت مصيرك الذي أنت إليه صائر؟؟!!

ألم تمرض يومًا وتتألم فتقول: يا رب اشفني؟!

لقد خلقك الله، أيها الإنسان من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم أُخرجت طفلًا، ثم سَوَّاك الله رجلًا، فإذا بك تخاصم ربك، وإذا بك تحارب ربك، وتنكر ربك.

إذا بك ﴿خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ٤]. مخاصم لربك قد أظهرت عداوتك له وهو خلقك!!

هل نسيت المصير الذي أنت إليه صائر؟!

إنك صائر إلىٰ الموت والفناء!!

وبعد ذلك بعثٌ وثوابٌ وعقابٌ!!

لا تظن أيها الملحد أنك تخفىٰ علىٰ الله، لقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [فصلت: ٤٠].

* إن الملحد لم يشهد بداية الخلق، وكذا غير الملحد، ومع ذلك ترىٰ الملحد جريئًا مفتريًا علىٰ الله مُتقوِّلًا عليه بغير علم، فيدَّعي الملحد أن الأشياء خُلقت هكذا عبثًا، خلقت نفسها، أو خلقتها الطبيعة.

ثم إذا سألته: مَنْ ذا الذي خلق الطبيعة، وأودع فيها ما أودع، لا تراه يجيب!!!

إن الملحد يدعي أن الإنسان أصله قرد!!

وما شهد الملحد خلق الإنسان، وإنما تقوَّل وافترىٰ!! و﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].

* أما نحن، فأيقنا أن الله خلق الخلق، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، فصدقنا رسل الله، وآمنا بما أنزل الله في كتابه.

أيها الملحد: تب إلىٰ الله، وارجع إليه، فإن الله للذنب والزلات غفارٌ.

إنه غفورٌ، إنه رحيمٌ، إنه غافرُ الذنب، وقابل التوب، واحذر التخلف عن

التوبة، فإن الله شديد العقاب.

أيها الملحد: لا تكن من الجاحدين، فكم أنعم الله عليك من نعمة، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]. فلا تكن ظلومًا كفَّارًا.

أيها الملحد: لا تردد كلامًا قد لا تدري خطورته، وإنه كلام خطير يحمل أعظم الخطر، ويحمل أعظم الضرر عليك، فتنبه.

أيها الملحد: قد صُرِّفت لك الآيات وتنوعت، فلا تجحد، ولا تقلد أهل الكفر في مقولاتهم؛ فإنهم لن يُغنوا عنك من الله شيئًا، ولن ينصروك، ولن يمنعوك من عذاب الله يوم تلقاه.

أيها الملحد: إنك ستلقىٰ ربك فردًا يوم القيامة، وسيفرُّ منك القريبُ والبعيد، وكلٌّ سيتبرأ منك، ويدعو عليك باللعنات.

أيها الملحد: لا تظن أن الله عَزَّوَجَلَّ كسائر خلقه، ولا تُكذِّب ربك كما تُكذِّب سائر الخلق، ولا تجادله كما تجادلُ سائر الخلق، فإن الله ليس كمثله شيءٌ، وهو السميع البصير.

إن عذاب ربنا ليس كعذاب الخلق، قال تعالىٰ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢٥، ٢٦].

أيها الملحد: إن قومًا ظنوا أن الله عَزَّوَجَلَّ كسائر خلقه، فظنوا أن الله عَزَّوَجَلَّ ضعيفٌ كخلقه، فضرب أحدهم مثلًا لله، قائلًا: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]. هكذا قال هذا الكافر!!

مثل الله بخلقه، وشبهه بخلقه الضعفاء فظن أن الله لا يستطيع بعث العباد بعد موتهم، كما أن البشر لا يستطيعون ذلك.

قال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٧٨-٨٣].

أيها الملحد: عليك بسفينة أهل الإيمان، اركبها وآمِن بالله، ولا تفرق بينك وبين أختك المسلمة وأخيك المسلم، فستفترقون حتمًا إذا لم تكن مؤمنًا.

أيها الملحد: لا تدعُ الناس إلىٰ النار، وهم يدعونك إلىٰ النجاة، وفسيح الجنان.

أيها الملحد: ستذكر يومًا ما ذكرناه لك، وما ذكَّرك الله به في كتابه الكريم، وما ذكَّرك به رسوله الأمين في سنته المباركة الميمونة.

ستذكر ما قيل لك، ونفوض أمرنا إلىٰ الله، إن الله بصير بالعباد.



٣٦٥


٣٦٥

عليه بأمور يفعلها الساحر، وحركات يصطنعها، وها هي بعض الأقوال، لأهل العلم في تعريفه.

قال الطبري -رحمه الله تعالىٰ-: واختلف في معنىٰ «السحر» فقال بعضهم: هو خُدع ومخاريق، ومعانٍ يفعلها الساحر، حتىٰ يُخيَّل إلىٰ المسحور الشيء أنه بخلاف ما هو به، نظير الذي يرىٰ السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء، ويرىٰ الشيء من بعيد فيثبته بخلاف ما هو علىٰ حقيقته، وكراكب السفينة السائرة سيرًا حثيثًا، يخيل إليه أن ما عاين من الأشجار والجبال سائر معه، قالوا: فكذلك المسحور تلك صفته: يحسب بعد الذي وصل إليه من سحر الساحر، أن الذي يراه أو يفعله بخلاف الذي هو به علىٰ حقيقته.

واستدلَّ الطبري لهذا القول بما ورد في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في سحر رسول الله ﷺ ففيه: سُحر النبي ﷺ حتىٰ إنه ليُخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله[1].

والسحرة لا يملكون من الأمر شيئًا ولا يضرُّون أحدًا إلا بإذن الله

قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ[2] وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ

(١) البخاري (٥٧٦٥)، ومسلم (٢١٨٩)، وسيأتي -إن شاء الله-.

(٢) وقد بسطت القول علىٰ هاروت وماروت في تفسير «التسهيل لتأويل التنزيل» في محله -وبالله التوفيق-.

إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وعن بعض معاني الآية الكريمة، فأقول -وبالله التوفيق-، أما عن الذين اتبعوا ما تتلوا الشياطين علىٰ ملك سليمان: فهم فريق اليهود الذين نبذوا كتاب الله، وراء ظهورهم سواء المعاصرين لرسول الله ﷺ، أو أسلافهم، وذلك لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ [البقرة: ١٠١، ١٠٢].

* فاليهود المعاصرون لرسول الله ﷺ حاججوه بالتوراة، وخاصموه بها، فلما رأوا أن التوراة موافقة للقرآن، وفيها صفة رسول الله ﷺ، وصفة مبعثه، وصفة ما جاء به نبذوا التوراة وراء ظهورهم، وذهبوا يتحاكون افتراءات افترتها الشياطين علىٰ ملك سليمان، وأكاذيب اختلقتها الشياطين عليه.

* وأسلافهم من اليهود كذلك، فشا فيهم السحر اتباعًا منهم لما تلته الشياطين علىٰ ملك سليمان وتركًا للتوراة وللعمل بها.

أما قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾.

فمعناه باختصار: أن اليهود اتبعوا ما تقولته الشياطين وافترته علىٰ ملك سليمان، وقيل: إن المعنىٰ، واتبعوا ما تلته الشياطين[1] في عهد ملك سليمان، فقال

---

(١) أي الشياطين الموجودون علىٰ عهد ملك سليمان عليه السلام، فالحاصل: أن من العلماء من قال: إن الشياطين افترت أشياء أثناء ملك سليمان عليه السلام، ومن العلماء من قال: إن الشياطين افترت أشياء بعد وفاة سليمان عليه السلام، وقالوا: هذه الشعوذات وصنوف السحر هي التي كان يحكم بها سليمان، ويسخر بها الجن.

هذا الفريق: إن (علىٰ) تأتي بمعنىٰ (في)، و(في) تأتي بمعنىٰ (علىٰ) أحيانًا كما في قول فرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]. أي: علىٰ جذوع النخل.

* **أما الذي تلته الشياطين علىٰ ملك سليمان** فتدور أكثر أقوال المفسرين علىٰ أن الذي تلته الشياطين علىٰ ملك سليمان هو بعض أنواع من السحر والشعوذة ابتدعتها الشياطين ونسبوها إلىٰ سليمان عليه السلام، وزعموا أنه كان يُسخر بها الجن، علىٰ تفصيلات للمفسرين في ذلك ووجهات لهم، أما بالنسبة لبعض الآثار في ذلك فنورد بعض ما صح منها إلىٰ قائليها.

وللسحر أنواع وأقسام[1]، ولا يضرُّ شيءٌ منها إلا بإذن الله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. من هذه الأنواع **سحر للتفريق.**

كما قال تعالىٰ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾.

وسحر التخييل: قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦].

وإن من البيان لسحرًا، كما قال النبي ﷺ، **وثم سحر بالوسائل الكيمائية المعاصرة، والوسائل الفيزيقية** وغير ذلك.

أما قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾. ففيه دفاع عن سليمان عليه السلام، وتكذيب لليهود، وبيان كفر الشياطين، وذلك لأن اليهود – عليهم لعائن الله المتتابعة إلىٰ يوم القيامة– وصفوا سليمان عليه السلام بأنه ساحر، واتهموه بالسحر، ونسبوا السحر الذي اختلقته الشياطين إليه، ومن ثم كفروه، فبرأه

(١) وقد نقلت أقوال أهل العلم فيها بتفصيل في كتابي «التسهيل لتأويل التنزيل» (سورة البقرة تفسير قوله تعالىٰ ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾).

الله عَزَّوَجَلَّ من ذلك، ونفىٰ عنه هذا الكفر الذي قذفوه به، والله تعالىٰ أعلم.

وقوله تعالىٰ: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾. لأهل العلم فيه أكثر من قولٍ، فمن العلماء من قال: إن (ما) في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾. بمعنىٰ (الذي)؛ فيكون المعنىٰ: ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر، ويعلمون الناس أيضًا ما أنزل علىٰ الملكين الذين ببابل هاروت وماروت، وهما ملكان ابتلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بهما العباد، وأنزل عليهما ما أُنزل من السحر[(١)]؛ لاختبار العباد، وابتلائهم.

أما هذان الملكان فلا يعلمان أحدًا السحر حتىٰ يقولا: إنما نحن فتنة. أي: إنما نحن اختبار وابتلاء، أي فلا تتعلمه، فإن أصر علىٰ تعلمه علماه، فهذا قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾.

والوجه الآخر: أن (ما) نافية، والمعنىٰ: ولم ينزل السحر علىٰ الملكين، وإنما الشياطين هي التي تعلم الناس السحر، ومن أتباع الشياطين رجلان مفسدان ببابل يعلمون الناس السحر أيضًا؛ فيكون المعنىٰ: ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر، وكذا يعلم الناس السحر رجلان ببابل، وهما هاروت وماروت... والله أعلم.

---

(١) قال ابن العربي في «أحكام القرآن» (١/ ٢٨): «فإن قيل: كيف أنزل الله تعالىٰ الباطل والكفر؟ قلنا: كلُّ خير أو شر أو طاعة أو معصية أو إيمان أو كفر- منزلٌ من عند الله تعالىٰ، قال النبي ﷺ -كما في الصحيح-: «**مَاذَا فُتِحَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْخَزَائِنِ؟ مَاذَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ الْفِتَنِ؟ أَيْقِظُوا صَوَاحِبَ الْحُجَرِ رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

قلت: والحديث أخرجه البخاري بنحوه (٧٠٦٩).

وهل يكفر الساحر بسحره؟

فأقول -وبالله التوفيق-: قد ذهب قوم إلىٰ كفر الساحر، مستدلين بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾.

وذهب آخرون من أهل العلم إلىٰ عدم كفر الساحر، وإنما ارتكب كبيرة، من أعظم الكبائر، أو موبقةً من الموبقات، وسبب عدم كفره عندهم التفريق بين الشرك بالله والسحر، في حديث: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**». والتحرير في ذلك، والله أعلم: أن الساحر إذا أتىٰ بما يحكم عليه به بأنه كافر يكفر، وإذا أتىٰ بما دون ذلك فيحكم عليه بما يستحق، والله تعالىٰ أعلم.

وعن حد الساحر، وما يفعل به:

فقد ورد عن رسول الله حديث ضعيفٌ في ذلك، وهو: «**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ**». ولا يصح.

وصح عن بجالة بن عبدة، أنه قال: كتب عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر[(١)].

* وصح عن حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها[(٢)].

* وقد ورد في هذا الباب حديث مرفوعٌ، إلىٰ رسول الله ﷺ، وهو حديث جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ**»[(٣)]. وهو

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٩١)، وأبو داود (٣٠٤٣).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠/ ١٨٠)، (١٨٧٤٧)، والبيهقي (٨/ ١٣٦) وغيرهما.

(٣) ضعيفٌ: وقد أخرجه الترمذي (١٤٦٠)، والدارقطني (٣/ ١١٤)، والحاكم (٤/ ٣٦٠)، وغيرهم، وفي سنده إسماعيل بن مسلم المكي، وهو ضعيف، وقد أعلَّ الحديث بالوقف أيضًا، وهو ضعيفٌ موقوفًا كذلك.

حديث ضعيفٌ غير ثابتٍ عن رسول الله ﷺ.

والمراد بالتفريق في قوله تعالىٰ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾. التفريق بالطلاق، أو المنع من الوطء، أو بث الكراهية بين الزوجين.

أما كيفية التفريق بين المرء وزوجه، فقال الطبري -رحمه الله تعالىٰ-: «فإن قال قائل: وكيف يفرق بين المرء وزوجه؟

قيل: قد دللنا فيما مضىٰ علىٰ أن معنىٰ (السحر) تخييل الشيء إلىٰ المرء بخلاف ما هو به في عينه، وحقيقته، بما فيه الكفاية، لمن وفق لفهمه، فإذا كان ذلك صحيحًا بالذي استشهدنا عليه؛ فتفريقه بين المرء وزوجه تخييله بسحره إلىٰ كل واحدٍ منهما شخص الآخر علىٰ خلاف ما هو به في حقيقته من حُسن وجمال حتىٰ يقبحه عنده فينصرف بوجهه ويُعرض عنه حتىٰ يُحدث الزوج لامرأته فراقًا؛ فيكون الساحر مفرقًا بينهما بإحداثه السبب الذي كان منه فرقة ما بينهما، ثم أورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: وتفريقهما أن يؤخذ كلُّ واحد منهما عن صاحبه ويُبغَّض كل واحد منهما إلىٰ صاحبه».

قلت (مصطفىٰ): وهذا التفريق بين الزوجين غير مؤكد إلا أن يشاء الله، وإنما فعل السحرة من باب الأسباب والمسببات، وقد يأخذ الشخص بالأسباب، ولا يوفق لنيل مراده، فقد يسعىٰ الإنسان للكسب مثلًا ويتاجر من أجل ذلك، ويجد ويجتهد، ولكنه يخسر فضلًا عن أن يحرم الكسب، وقد يتداوىٰ الشخص، ولكن لا ينجح فيه الدواء، فكذلك الساحر قد يسحر، ويُجري شعوذاته، ولا يستطيع أن يصل بضرره إلىٰ الشخص، والله ﷻ يقول:

﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]. ويقول سبحانه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٦، ١٠٧].

* وقال تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ...﴾. إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٦-٣٨].

وقال النبي ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ، إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ**»(١).

أما قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾.

فهم اليهود النابذون لكتاب الله وراء ظهورهم، قد علموا تمام العلم، أن من اختار طريق السحر وسلكه ليس له في الآخرة من نصيب.

أما قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ١٠٣].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢٩٣)، والترمذي (حديث ٢٥١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. والحاكم (٣/ ٥٤١، ٥٤٢) وابن أبي عاصم في «السنة» (حديث ٣١٦ معلقًا)، وغيرهم، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا.

فقد قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في معناه: «يعني -جل ثناؤه- بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾. لو أن الذين يتعلمون من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه (آمنوا) فصدقوا الله ورسوله، وما جاءهم به من عند ربهم (واتقوا) ربهم فخافوه فخافوا عقابه، فأطاعوه بأداء فرائضه، وتجنبوا معاصيه؛ لكان جزاء الله إياهم وثوابه لهم علىٰ إيمانهم به، وتقواهم إياه- خيرًا لهم من السحر وما اكتسبوا به (لو كانوا يعلمون) أن ثواب الله إياهم علىٰ ذلك خيرٌ لهم من السحر ومما اكتسبوا به، وإنما نفىٰ بقوله: ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾. العلم عنهم أن يكونوا عالمين بمبلغ ثواب الله، وقدر جزائه علىٰ طاعته».

هذا، **وعن علاج السحر** فيتمثل هذا العلاج في دعاء الله عَزَّوَجَلَّ، فهو الذي يكشف الضر ويجيب المضطر، وكذا في ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، وتلاوة القرآن، وخاصة سورة الإخلاص، مع المعوذتين وآية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة (الآيتين الأخيرتين)، وسائر ما ورد عن النبي ﷺ في هذا الصدد.

والناظر إلىٰ حديث سحر النبي ﷺ، الذي تقدَّم، يرىٰ أنه -صلوات الله وسلامه عليه- دعا ودعا ودعا... ولم يذهب إلىٰ ساحرٍ كي يفك عنه السحر.

أما الرقية الشرعية فجائزة، قال ﷺ: «**لَا بَأْسَ بِالرُّقَىٰ مَا لَمْ يَكُنْ شِرْكًا**».

وليستمر الشخص في الدعاء، فإن النبي ﷺ قال: «**يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ**». قالوا: وكيف الاستعجال، يا رسول الله. قال: «**يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمَ أَرَ يُسْتَجَبْ لِي. فَيَذَرُ الدُّعَاءَ**».

الله الذي يكشف الضر ويجيب المضطر

* وليعلم الجميع أن الذي يكشف الضر، ويجيب المضطر- هو الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس: ١٠٧].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

فلا تذهب يا مسلم إلىٰ ساحر يفك عنك السحر، فلا يكشف الضر عنك إلا الله، واعلم أنك بذهابك إلىٰ الساحر تقوي أمره، وأنه لا يزيدك إلا رهقًا.

من أسباب حفظ الله للعبد

الاستقامة علىٰ أمر الله عَزَّوَجَلَّ:

* قال رسول الله ﷺ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»[(١)].

* والتوكل علىٰ الله سبب عظيمٌ من أسباب الحفظ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

وكذا تقوىٰ الله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا...﴾ [الطلاق: ٢].

---

(١) **هذا القدر من الحديث صحيح**، وقد أخرجه أحمد (٢٧٦٣ و٢٦٦٩ و٢٨٠٣)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٢٣٦)، والترمذي (٢٥١٦) وغيرهم.

ومن الأسباب دعاء الله بذلك.

ومن الأسباب تبليغ شرع الله عَزَّوَجَلَّ.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

إبطال دعوى من يستخدمون الجن المسلم للعلاج

* ولهؤلاء الذين يدّعون أن معهم جنًّا مسلمًا، وأنهم يعالجون المسحورين.

أقول -مستعينًا بالله عَزَّوَجَلَّ-: هل ورد في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ما يجوز ذلك؟!!

هل ورد ما يفيد ذلك عن رسول الله ﷺ؟!!

هل كان الصحابة يفعلون ذلك؟!

فأقول -وبالله التوفيق-: لم أر في كتاب الله ما يفيد ذلك، أو يجوِّزه؛ بل في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

وفي كتاب الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

* وقد سُحر النبي ﷺ فلم يستعن بجنيٍّ مع أن هناك من الجن من آمن به

وصدقه، ولم يستعن النبي بجنيٍّ يحارب معه يوم بدر، ولا يوم أحد، ولا في حفر الخندق، ولا في البحث عن قلادة عائشة التي فقدت منها، ولا في غير ذلك.

وكذلك لم يرد عن أيٍّ صحابي -فيما علمت- أنه كان يسخرهم للعلاج، ويتعاون معهم؛ لفك السحر عن المسحورين.

وفي هذا غُنية لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد.

حديث سحر النبي ﷺ

وقد ورد في الصحيحين أن النبي ﷺ قد سُحر، ففي الصحيحين[(١)]، في البخاري ومسلم، من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: سُحر النبي ﷺ حتىٰ إنه ليُخيل إليه أنه يفعل الشيء[(٢)]، وما فعله، حتىٰ إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه، ثم قال: «**أَشَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟**». قلت: وما ذلك، يا رسول الله؟ قال: «**جَاءَنِي رَجُلَانِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ[(٣)]. قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ اليَهُودِيُّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ. قَالَ: فِي مَاذَا؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ[(٤)]، وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ. قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ[(٥)]**». قال: فذهب النبي ﷺ، في أُناس من أصحابه إلىٰ البئر، فنظر إليها وعليها نخلٌ، ثم رجع إلىٰ عائشة،

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٧٦٥، ٥٧٦٦)، ومسلم (حديث ٢١٨٩).

(٢) في رواية للبخاري: حتىٰ كان يرىٰ أنه يأتي النساء ولا يأتيهن.

(٣) مطبوب: أي: مسحور.

(٤) المشاطة: هي الشعر الذي يسقط من الرأس أو اللحية، عند تسريحهما، وتمشيطهما.

(٥) في رواية: في بئر (ذروان).



فقال: «**وَاللهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ**(١) **الْحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**. قلت: يا رسول الله، أفأخرجته(٢)؟ قال: **لَا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللهُ، وَشَفَانِي، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَىٰ النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا**. وأمر بها فدُفنت».

هذا، وقد أوجز الحافظ ابن حجر الاعتراضات التي اعترض بها بعض المبتدعة علىٰ حديث السحر، والردود عليها، فقال(٣):

---

(١) نقاعة الحناء: هي الماء تُنقع فيه الحناء، والحناء معلومة، وهي التي تستعمل في الخضاب.

(٢) في هذه الرواية: (أفأخرجته). وفي رواية أخرىٰ في البخاري أيضًا (٥٧٦٥) قالت: فأتىٰ النبي ﷺ البئر حتىٰ استخرجه، فقال: «**هَذِهِ الْبِئْرُ الَّتِي أُرِيتُهَا، وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ، وَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**» قال: فاستخرج. قالت: فقلت: أفلا -أي تنشَّرت-؟ فقال: «**أَمَا وَاللهِ فَقَدْ شَفَانِي، وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَرًّا**».

* وفي رواية ثالثة للبخاري (٥٧٦٣): قلت: يا رسول الله (أفلا استخرجته)؟. قال: «**قَدْ عَافَانِي اللهُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَي النَّاسِ فِيهِ شَرًّا**»، فأمر بها فدفنت.

* وفي رواية مسلم: قالت: فقلت: يا رسول الله أفلا أحرقته؟ قال: «**لَا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللهُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَي النَّاسِ شَرًّا، فَأَمَرْتُ بِهَا فَدُفِنَتْ**». وفي رواية أخرىٰ لمسلم: وقالت: قلت: يا رسول الله، فأخرجه.

* ورجَّح الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالىٰ- رواية سفيان بن عيينة (التي هي: فأتىٰ النبي ﷺ البئر حتىٰ استخرجه، فقال: «**هَذِهِ الْبِئْرُ الَّتِي أُرِيتُهَا، وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ، وَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**» قال: فاستخرج. قالت: فقلت: أفلا -أي تنشَّرت-؟ فقال: «**أَمَا وَاللهِ فَقَدْ شَفَانِي، وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَىٰ النَّاسِ شَرًّا**»).

* وأورد الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ وجهًا آخر عن بعض العلماء، حاصله أن الاستخراج المنفي غير الاستخراج المثبت، فالمثبت هو استخراج الجف، والمنفي استخراج ما حواه، قال: «وكأن السر في ذلك أن لا يراه الناس فيتعلمه من أراد استعمال السحر».

* هذا وذهب بعض أهل العلم إلىٰ أن قوله: (أفلا أحرقته؟). يرجع الضمير فيه إلىٰ لبيد بن الأعصم، الذي سحر رسول الله ﷺ، والله تعالىٰ أعلم.

(٣) «فتح الباري» (١٠/ ٢٣٧-٢٣٨).

«قوله: (حتىٰ كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء، وما فعله).

قال المازري: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وزعموا أنه يحط منصب النبوة، ويشكك فيها، قالوا: وكل ما أدىٰ إلىٰ ذلك فهو باطل، وزعموا أن تجويز ذلك يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع، إذ يحتمل علىٰ هذا أن يخيل إليه أنه يرىٰ جبريل، وليس هو ثم، وأنه يوحىٰ إليه بشيء، ولم يوح إليه بشيء.

قال المازري: وهذا كله مردود؛ لأن الدليل قد قام علىٰ صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن الله تعالىٰ، وعلىٰ عصمته في التبليغ، والمعجزات شاهدات بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل علىٰ خلافه باطل.

وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها، ولا كانت الرسالة من أجلها، فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض؛ فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا، ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين، قال: وقد قال بعض الناس: إن المراد بالحديث أنه كان ﷺ يخيل إليه أنه وطئ زوجاته، ولم يكن وطأهن، وهذا كثيرًا ما يقع تخيله للإنسان في المنام، فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة»، إلىٰ آخر ما ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

*** وعن توجيه هذا الحديث أقول -وبالله التوفيق وهو المستعان-:** إن رسول الله ﷺ بشرٌ يعتريه ما يعتري البشر، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [فصلت: ٦]. فيمرض رسول الله ﷺ كما يمرض سائر البشر، وكُسرت رباعيته، وشج رأسه يوم أُحدٍ، وكذا فإنه سقط من علىٰ فرسٍ فجحشت ساقه، وكان يحزن ويبكي، ويفرح ويسعد إلىٰ غير ذلك، فيصاب بما يصاب به البشر، إلا ما

كان في جانب تبليغ الدين والوحي، والشريعة[(١)]، فإنه معصوم في هذا الباب.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

وقال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

فجانب تبليغ الشريعة مصون ومحفوظ لاشك في ذلك ولا ريب، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠، ٢١١].

* أما ما يعتري البشر، وليس له تأثير في تبليغ الشريعة فقد يصاب رسولنا ﷺ بشيء منه بقدر الله عَزَّوَجَلَّ، وإذنه.

والسحر الذي أصاب رسول الله ﷺ إنما كان يتعلق بأمور النساء، كما هو واضح في الحديث، وليست له صلةٌ بتبليغ الشريعة والوحي والدين، والله أعلم.

---

(١) وكذا ما كان من خصائصه التي اختص الله بها كقوله ﷺ: «**تَنَامُ عَيْنَايَ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي**» وامرأة تهب نفسها له، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠]. ونحو ذلك.

فصلٌ

والغيب لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ

قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات: ١٨].

وقال تعالىٰ: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ [يونس: ٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [سبأ: ٤٨].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٨].

ونقم الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ أقوام فقال: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور: ٤١].

وقال: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٥].

وقال تعالىٰ: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٧٨].

والملائكة لا يعلمون الغيب:

قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣١، ٣٢].

والأنبياء لا يعلمون الغيب:

قال نوح عليه السلام: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [هود: ٣١].

وقال إخوة يوسف عليهم السلام: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ [يوسف: ٨١]. وقال المسيح عيسىٰ عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧].

ورسولنا محمد ﷺ لا يعلم الغيب كذلك ولا يدري متى الساعة

قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾ [الجن: ٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقول النبي ﷺ، وقد سئل عن الساعة: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»(١).

والنبي ﷺ لا يعلم أحوالنا بعد مماته دلَّ على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم(٢)

من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَىٰ اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**». ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] إلىٰ آخر الآية. ثم قال: «**أَلاَ وَإِنَّ أَوَّلَ الخَلاَئِقِ يُكْسَىٰ يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، أَلاَ وَإِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ**: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]. **فَيُقَالُ: إِنَّ هَؤُلاَءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ**».

أما الحديث الوارد في هذا الباب، وفيه: «**مَمَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ...**». الحديث، فهو ضعيف الإسناد.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (حديث ٥٠)، ومسلم (حديث ١٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، وهو عند مسلم أيضًا من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعًا (حديث ٨).
وهذا وذاك في جواب النبي ﷺ علىٰ سؤال جبريل عليه السلام: «**مَتَىٰ السَّاعَةُ؟**» أو: «**فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟**».

(٢) البخاري (٤٦٢٥)، ومسلم (٢٨٦٠، ص ٢١٩٤).

والجن لا يعلمون الغيب:

قال تعالىٰ في شأن سليمان عليه السلام، وقد سخرت له الجن: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

وقالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠].

قوله تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٦-٢٨].

مفاد الآية الكريمة أن الله عز وجل، استأثر بعلم الغيب، ولكنه -جل وعلا- قد يُظهر علىٰ بعض الغيب بعض الرسل، فيطلعهم علىٰ ما يشاء من غيبه؛ ليكون ذلك دالًّا علىٰ نبوته، وقد دلَّ علىٰ ذلك قول عيسىٰ عليه السلام لقومه: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقول يوسف عليه السلام: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّى﴾ [يوسف: ٣٧].

وقد أخبر الله عموم خلقه، بأخبار ستحدث مستقبلًا وما كان للخلق أن يعرفوها إلا -أن يشاء الله-[1]: ومن ذلك الجنة والنار، والبعث والحساب والثواب والعقاب، ونحو ذلك.

---

(١) ولي كتاب مصنف في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، وفيه الكثير والكثير مما يتعلق بهذا الباب، فراجعه إن شئت.

وقد قال تعالىٰ: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم: ٢، ٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ﴾ [النمل: ٨٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]. إلىٰ غير ذلك من الآيات.

أضف إلىٰ ذلك: عموم الأشراط الكبرىٰ والصغرىٰ للساعة التي بينها النبي ﷺ في عدة أحاديث؛ وكذا أحاديث الفتن والملاحم.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٧]. «إلا من ارتضىٰ من رسول فإنه يظهره علىٰ ما شاء من ذلك.

وأورد بإسناد حسن، عن قتادة، قال: فإنه يصطفيهم، ويُطلعهم علىٰ ما شاء من الغيب.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، قال: ينزل من غيبه ما شاء علىٰ الأنبياء، أنزل علىٰ رسول الله ﷺ الغيب القرآن، قال: حدثنا فيه بالغيب بما يكون يوم القيامة.

وأورد بإسنادٍ فيه ضعفٌ عن ابن عباس: فأعلم الله سبحانه الرسل من الغيب الوحي، وأظهرهم عليه بما أوحىٰ إليهم من غيبه، وما يحكم الله، فإنه لا يعلم ذلك غيره».

وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾. للعلماء فيه قولان:

أحدهما: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عند إنزال القرآن علىٰ رسوله يرسل ملائكة من أمامه،

ومن خلفه يحرسونه، ويحفظونه من إدخال الشياطين شيئًا عليه، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

وأورد الطبري بإسناد صحيح، عن إبراهيم النخعي في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾. قال: الملائكة يحفظونه من بين يديه، ومن خلفه من الجن.

وبإسنادٍ حسن، عن قتادة، قال: الملائكة.

وبإسنادٍ فيه ضعفٌ عن ابن عباس: هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي ﷺ من الشيطان حتىٰ يتبين الذي أُرسل به إليهم، وذلك حين يقول: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الجن: ٢٨].

الثاني: أن المراد: إن الملائكة يحرسون الرسول، ويدافعون عنه.

التأكيد علىٰ أن مفاتح الغيب لا يعلمها إلا الله:

قال تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

وفي الصحيح[(١)]، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ، قال: «**مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا

(١) البخاري (٤٦٢٧).

فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾».

تحريم الذهاب إلى الكهان والمنجمين

وختامًا: فإذا علمت أن الغيب لا يعلمه إلا الله، وقد اختص ببعضه بعض الأنبياء، فلا يجوز بحالٍ الذهاب إلىٰ الكهان والمنجمين والعرافين.

وقد أخرج مسلم(١) في صحيحه، عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا(٢) فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**».

ومن ذلك: ما أخرجه مسلم(٣)، من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت: يا رسول الله، أمورًا كنا نصنعها في الجاهلية: كنا نأتي الكهان(٤)؟

---

(١) مسلم (حديث ٢٢٣٠).

(٢) «عرافًا»: العراف من جملة أنواع الكهان. قال ابن الأثير: العراف: المنجِّم، أو الحازي يدعي علم الغيب، وقد استأثر الله تعالىٰ به.

وقال الخطابي وغيره: العراف هو الذي يتعاطىٰ معرفة مكان المسروق، ومكان الضالة، ونحوهما.

(٣) مسلم (حديث ٥٣٧).

(٤) «الكهان»: قال القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ: كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب:

أحدها: يكون للإنسان ولي من الجن يُخبره بما يسترقه من السمع من السماء، وهذا القسم بطل من حين بعث الله نبينا ﷺ.

الثاني: أن يُخبره بما يطرأ، أو يكون في أقطار الأرض، وما خفيَ عنه مما قرب أو بعد، وهذا لا يبعد وجوده.

=

قال: «**فلا تأتوا الكهان**». قال: قلت: كنا نتطير؟ قال: «**ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ**[(١)]**، فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ**».

فإن قال قائل: فإن الكهان قد يصدقون في بعض الأحيان؛ فجوابه ما أخرجه مسلم في صحيحه[(٢)]، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قلت: يا رسول الله، إن الكهان كانوا يحدثوننا فنجده حقًّا؟ قال: «**تِلْكَ الْكَلِمَةُ الْحَقُّ، يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ فَيَقْذِفُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ، وَيَزِيدُ فِيهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ**».

وفي رواية أخرىٰ عند مسلم أيضًا: قالت عائشة: سأل أناسٌ رسول الله ﷺ عن الكهان؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: «**لَيْسُوا بِشَيْءٍ**». قالوا: يا رسول الله، فإنهم يحدثون أحيانًا الشيء يكون حقًّا؟ قال رسول الله ﷺ: «**تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْجِنِّ**[(٣)]**، يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ، فَيَقُرُّهَا**[(٤)] **فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ**».

= **الثالث:** المنجمون، وهذا الضرب يخلق الله تعالىٰ فيه لبعض الناس قوة ما، لكن الكذب فيه أغلب، ومن هذا الفن العرافة، وصاحبها عراف، وهو الذي يستدل علىٰ الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها بها.

وهذه الأضرب كلها تسمىٰ كهانة، وقد أكذبهم كلهم الشرع، ونهىٰ عن تصديقهم وإتيانهم.

(١) «ذاك الشيء يجده أحدكم في نفسه» معناه: أن كراهة ذلك تقع في نفوسكم في العادة، ولكن لا تلتفتوا إليه، ولا ترجعوا عما كنتم عزمتم عليه قبل هذا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٢٨).

(٣) أي: المسموعة من الجن.

(٤) قال الخطابي وغيره: معناه: أن الجن يقذف الكلمة إلىٰ وليه الكاهن، فتسمعها الشياطين كما تؤذن الدجاجة بصوتها صواحباتها فتتجاوب.

وفي «صحيح مسلم»، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(١)]، قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار: أنهم بينما هم جلوسٌ ليلةً مع رسول الله ﷺ رمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟**». قالوا: الله ورسوله أعلم؛ كنا نقولُ: وُلد الليلة رجلٌ عظيم، ومات رجلٌ عظيمٌ. فقال رسول الله ﷺ: «**فَإِنَّهَا لَا يُرْمَىٰ بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اسْمُهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّىٰ يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ**».

قال: «**فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَوَاتِ بَعْضًا، حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ، وَيُرْمَوْنَ بِهِ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ**».

النجوم وما ذُكر من فوائدها من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ

أقول -وبالله التوفيق-:

ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم للنجوم فوائد ثلاث:

١- لرجم الشياطين، التي تحاول استراق السمع[(٢)].

---

(١) مسلم (حديث ٢٢٢٩).

(٢) والذي تقذف به الشياطين هو الشهاب الذي يخرج من النجوم، كما قال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: جعلنا شهبها، فحذف المضاف، دليلهُ: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ =

٢- لإضاءة السماء الدنيا وزينتها.

٣- للاهتداء بها في ظلمات البر والبحر.

ودلَّ علىٰ ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصافات: ٦-٩].

* وقالت الجن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

* وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧].

= شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾. وعلىٰ هذا فالمصابيح لا تزول، ولا يرجم بها، وقيل: إن الضمير راجع إلىٰ المصابيح علىٰ أن الرجم من أنفس الكواكب، ولا يسقط الكوكب نفسه، إنما ينفصل منه شيء يرجم به، من غير أن ينقص ضوءه ولا صورته، قاله أبو عليٍّ جوابًا لمن قال: كيف تكون زينة، وهي رجومٌ لا تبقىٰ؟ !».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]. عاد الضمير في قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾. علىٰ جنس المصابيح لا علىٰ عينها؛ لأنه لا يرمي بالكواكب التي في السماء؛ بل بشهبٍ من دونها، وقد تكون مستمدةً منها، والله أعلم».

* وأخرج الطبري بإسناد حسن، عن قتادة، قال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾.

إن الله -جل ثناؤه- إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها زينة للسماء الدنيا، ورجومًا للشياطين، وعلاماتٍ يهتدىٰ بها؛ فمن يتأول منها غير ذلك؛ فقد قال برأيه، وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلّف ما لا علم له به.

قُلت: وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**النُّجُومُ أَمَنَةُ السَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَىٰ السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ**»(١).

وعن سبب نزول قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١].

أخرج البخاري ومسلم(٢)، في صحيحيهما، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ما قرأ رسول الله ﷺ علىٰ الجن وما رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة

---

(١) **صحيح:** أخرجه مسلم في صحيحه.

(٢) البخاري (حديث ٤٩٢١)، ومسلم (حديث ٤٤٩)، والحديث عند البخاري لفظه: «ما قرأ رسول الله علىٰ الجن وما رآهم».

وعند البخاري من الزيادة بعد قوله: «وأنزل الله علىٰ نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾. زيادة: «وإنما أوحىٰ الله إليه قول الجن».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله «فتح الباري»:

«قوله: (وإنما أوحي إليه قول الجن). هذا كلام ابن عباس، كأنه تقرر فيه ما ذهب إليه أولًا، أنه ﷺ لم يجتمع بهم، وإنما أوحىٰ الله إليه بأنهم استمعوا، ومثله قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟﴾ [الأحقاف: ٢٩]. الآية، ولكن لا يلزم من عدم ذكر اجتماعه بهم حين استمعوا أن لا يكون اجتمع بهم بعد ذلك، كما تقدم تقريره.

وفي الحديث إثبات وجود الشياطين والجن وأنهما لمسمًّىٰ واحد، وإنما صارا صنفين باعتبار الكفر والإيمان، فلا يُقال لمن آمن منهم: إنه شيطان».

من أصحابه عامدين إلىٰ سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلىٰ قومهم، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشُّهب. قالوا: ما ذاك إلا من شيءٍ حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء؟ فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة –وهو بنخل، عامدين إلىٰ سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر –، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلىٰ قومهم، فقالوا: يا قومنا، ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢]. فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ نبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾.

وعن المعنىٰ الإجمالي لقوله تعالىٰ في شأن الجن إذ قالوا: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الأنبياء: ٢٨]:

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«يخبر تعالىٰ عن الجن، حين بعث الله رسوله محمدًا ﷺ، وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرسًا شديدًا، وحفظت من سائر أرجائها، وطردت الشياطين عن مقاعدها، التي كانت تقعد فيها قبل ذلك؛ لئلا يسترقوا شيئًا من القرآن، فيلقوه علىٰ ألسنة الكهنة، فيلتبس الأمر ويختلط، ولا يدرىٰ من الصادق، وهذا من لطف الله بخلقه، ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه العزيز؛ ولهذا قالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾

[الجن: ٨، ٩]. أي: من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابًا مرصدًا له، لا يتخطاه ولا يتعداه، بل يمحقه ويهلكه...» إلىٰ آخر ما ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وعلىٰ إثر ذلك فما يدعيه بعض الناس من كونهم يعلمون الغيب، ويعلمون ما سيكون بناءً علىٰ حركات النجوم، وطلوعها- كلامٌ باطل لا أصل له، والله تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

بابٌ في التطير والتشاؤم

قال القوم الذين أُرسلت إليهم الرسل، وذُكر أمرهم في سورة يس، قالوا لرسلهم: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس: ١٨، ١٩].

وقال قوم ثمود لصالح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: ٤٧].

وقال تعالىٰ في شأن قوم فرعون: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١].

والحاصل من هذه الآيات أن أهل الكفر تشاءموا برسل الله الكرام، وتشاءموا بوجودهم معهم، وظنوا أن الشر يأتيهم بسببهم، فكلما حلَّت بهم مُصيبةٌ قالوا: إن رسل الله هم السبب في ذلك. قالوا: منذ رأيناكم والمصائب تحل بنا.

قال ذلك قوم فرعون لموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قالوا: اطيرنا بك وبمن معك. وقال ذلك قوم صالح لصالحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقال ذلك المذكورون في سورة يس.

فأخبر الله عَزَّوَجَلَّ بأن المقدر لكل إنسان سيلاقيه، وأن الرسل ليست سببًا في المصائب، وإنما أرسلهم الله لإنقاذ العباد ولإخراجهم من الظلمات إلىٰ النور.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣١]. أي: أن المقدر لهم مكتوب، ومقدرٌ عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وكذا قالت الرسل: ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس: ١٩]. وقال صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: ٤٧].

قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣].

وعن معنىٰ الآية الكريمة أقول -وبالله التوفيق-:

أما الطائر المراد هنا فمن العلماء من قال: إن الأمر المقدر خيرًا كان أو شرًّا، فالذي قُدر للإنسان لابد أن يراه، ويقع فيه ويعمله، وكذا الشقاوة والسعادة، ومن العلماء من قال: إن الطائر هنا العمل الذي عمله ابن آدم يلازمه يوم القيامة، ولا ينفك عنه؛ بل سيراه واضحًا وجليًّا، وسنخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه مفتوحًا فيه أعماله التي عملها في دنياه، وأقواله التي قالها، بلىٰ وتبلىٰ السرائر، وتظهر النوايا، وهذا كما قال تعالىٰ في كتابه الكريم: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣].

وكما قال تعالىٰ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

أما قوله تعالىٰ: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]. فيقرأ كل شخص كتابه، حتىٰ من كان أُميًّا لا يقرأ ولا يكتب في الدنيا فإنه يقرأ يوم القيامة، ويحاسب نفسه ويعرف ما اجتناه وما ارتكبه، فما ربك بظلام للعبيد.

وبنحو ما ذكر قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«يقول تعالىٰ ذكره: وكلَّ إنسان ألزمناه ما قضىٰ له أنه عامله، وهو صائر إليه من شقاء أو سعادة بعمله في عنقه لا يفارقه، وإنما قوله: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾. مثل لما كانت العرب تتفاءل به أو تتشاءم من سوانح الطير وبوارحها، فأعلمهم - جل ثناؤه- أن كل إنسان منهم قد ألزمه ربه طائره في عنقه نحسًا كان ذلك الذي ألزمه من الطائر، وشقاء يورده سعيرًا، أو كان سعدًا يورده جنات عدن».

وأورد عدة آثار مفادها أن طائره المراد به عمله، وعن قتادة بسندٍ حسن قال: إي: والله بسعادته وشقائه بعمله.

* وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا عَدْوَىٰ، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ**».

أخرجه البخاري ومسلم[(١)]، والظاهر من معناه والله أعلم: «**لَا عَدْوَىٰ**». مؤثرة بذاتها، وإنما كل الأمور تجري بقدر الله عَزَّوَجَلَّ.

«**وَلَا طِيَرَةَ**»، فقد كان القوم يتشاءمون بحركات الطيور، وكان أحدهم إذا أراد سفرًا، يأتي بطائر يطيره، إذا طار يمينًا سافر، وإذا طار شمالًا لم يسافر.

---

(١) البخاري (٥٧٠٧)، ومسلم (٢٢٢٠).

وكانوا يتشاءمون ببعض الأشياء، فنهوا عن ذلك.

وقوله: «**وَلَا هَامَةَ**» قال بعض أهل العلم: إن المراد بها البُومة، كانوا يتشاءمون بصياحها.

وقوله: «**لَا صَفَرَ**». أظهر الأقوال لديَّ أنهم كانوا يتشاءمون بشهر صفر، ويقولون: إنه شهر نحسٍ، فنفىٰ رسول الله ﷺ ذلك.

وفي بعض روايات مسلم: «**لَا عَدْوَىٰ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا نَوْءَ، وَلَا صَفَرَ**»(١).

والنوء: سيأتي في بابه -إن شاء الله-.

وفي رواية أخرىٰ لمسلم: «**وَلَا غَوْلَ**»(٢).

والغول مفرد الغيلان، والمراد أن ذلك لا يضر أحدًا إلا -بإذن الله-.

ومن الناس من كان يقول: إذا قتل قتيل، فإن صائحًا يستمر في الصياح حتىٰ يؤخذ للميت بالثأر.

وصياحه في المكان الذي قُتل فيه، كذا زعموا وليس لهذا أصل، والله أعلم.

والمراد من نفي كل ما ذكر أن ذلك لا يضر أحدًا إلا بإذن الله ومشيئته، وقدره، فليكن المؤمن واثقًا في الله معتصمًا به، متوكلًا عليه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**»(٣).

فالاعتقاد في حركة الطيور، والتشاؤم بالأشخاص من أنواع الشرك، كما أفاده الحديث النبوي المبارك.

---

(١) مسلم (٢٢٢٠).

(٢) مسلم (٢٢٢٢)، من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٩)، وأبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨) وغيرهم.

معنىٰ حديث رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ؛ فِي الْفَرَسِ، وَالْمَرْأَةِ، وَالدَّارِ».

أقول أولًا: إن هذا الحديث قد صح عن رسول الله ﷺ، فقد أخرجه البخاري ومسلم[1] في صحيحيهما، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، سمعت النبي ﷺ:...

هذا، ومن معناه فيما يبدو لي، والله أعلم: أن المرأة تكون صاحبة مشاكل لسوء خلقها مثلًا، فكلما رجع الزوج من عمله وجدها أحدثت مشكلة، إما مع أولادها، أو مع بناتها، أو مع جيرانها، أو مع حماتها، أو غير ذلك، فمن كثرة المشاكل أصبح الرجل يتوقع في طريق رجوعه أنه سيجد مشكلةً أحدثتها زوجته.

أو أن الزوجة تكون قليلة الفهم مثلًا، غير متقنةٍ للعمل المنزلي، فأحيانًا تطبخ فيفسد الطعام، وأحيانًا تغسل فيفسد الغسيل، وأحيانًا تكوي الثياب فتحرقه إلىٰ غير ذلك من صور الإهمال، فأصبح الشخص يتوقع كلما رجع أنه سيجد مشكلة، وذلك بناءً علىٰ سيرتها العامة، ونحو ذلك.

وأما الدابة، فقد تكون الدابة غير مريحة، قد يكون عند الرجل مثلًا ناقة أحيانًا ترفص الولد فتضربه، وأحيانًا تسرع وهو يحتاج إلىٰ البطء في السير أو العكس، وأحيانًا تكثر من الحركة فتضر بمن حولها، فأصبح يتوقع منها الأذىٰ.

أو تكون لرجل سيارة كل يوم يظهر فيها عيب ما يؤدي إلىٰ مشاكل في الطريق، أو حوادث، فيبني الرجل علىٰ ما ظهر له منها.

وكذلك البيت أحيانًا يكون غير مُشمس فيضر الأولاد لسوء التهوية، أو

---

(١) البخاري (٢٨٥٨)، ومسلم (١٧٤٧).

يكون الجيران جيران سوء، فيؤذونه ويؤذون أبناءه، أو غير ذلك، هذا بعض ما تراءىٰ لي من معنىٰ هذا الحديث، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ﴾ [المائدة: ٣]. وتفسير الأزلام

أخرج الطبري بإسناد صحيح(١)، عن سعيد بن جبير، قال: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾. قال: القداح، كانوا إذا أرادوا أن يخرجوا في سفر جعلوا قداحًا للجلوس والخروج، فإن وقع الخروج خرجوا، وإن وقع الجلوس جلسوا.

وعن الحسن(٢): في قوله: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾. قال: كانوا إذا أرادوا أمرًا، أو سفرًا، يعمدون إلىٰ قداح ثلاثة، علىٰ واحد منها مكتوب «اؤمرني»، وعلىٰ الآخر: «انهني» ويتركون الأخر محلَّلًا بينهما ليس عليه شيء، ثم يجيلونها، فإن خرج الذي عليه «اؤمرني». مضوا لأمرهم، وإن خرج الذي عليه «انهني» كفُّوا، وإن خرج الذي ليس عليه شيءٌ أعادوها.

وبإسناد حسن(٣)، عن قتادة: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ وكان أهل الجاهلية إذا أراد أحدهم خروجًا أخذ قدحًا فقال: «هذا يأمر بالخروج»، فإن خرج فهو مصيب في سفره خيرًا، ويأخذ قدحًا آخر فيقول: «هذا يأمر بالمكوث»، فليس يصيب في سفره خيرًا، و«المنيح» بينهما، فنهىٰ الله عن ذلك، وقدَّم فيه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني بقوله: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾، وأن تطلبوا علم

(١) الطبري (١١٠٦٢).

(٢) الطبري (١١٠٦٤).

(٣) الطبري (١١٠٧١).

ما قسم لكم أو لم يقسم بالأزلام.

وهو «استفعلت» من «القسم» قسم الرزق والحاجات، وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا أراد سفرًا أو غزوًا، أو نحو ذلك أجال القداح، وهي «الأزلام» وكانت قداحًا مكتوبًا علىٰ بعضها: «نهاني ربي»، وعلىٰ بعضها «أمرني ربي»، فإن خرج القدح الذي هو مكتوب عليه «أمرني ربي»، مضىٰ لما أراد من سفر أو غزو، أو تزويج، وغير ذلك، وإن خرج الذي عليه مكتوب «نهاني ربي»، كف عن المضي لذلك وأمسك، فقيل: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾؛ لأنهم بفعلهم ذلك كانوا كأنهم يسألون أزلامهم أن يقسمن لهم، ومنه قول الشاعر مفتخرًا بترك الاستقسام بها:

ولـــم أقســـم فتربثنـــي القســـوم

وأما «الأزلام»، فإن واحدها «زَلَم»، ويُقال: «زُلَم»، وهي القداح التي وصفنا أمرها».

وقال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ-:

«وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ أي: حرم عليكم أيها المؤمنون الاستقسام بالأزلام، واحدها: زُلَم، وقد تفتح الزاي فيُقال: زَلَم، وقد كانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك، وهي عبارة عن قداح ثلاثة، علىٰ أحدها مكتوب «افعل» وعلىٰ الآخر «لا تفعل»، والثالث: غفلٌ ليس عليه شيء، ومن الناس من قال: مكتوب علىٰ الواحد: «أمرني ربي»، وعلىٰ الآخر: «نهاني ربي» والثالث غفلٌ، ليس عليه شيء، فإذا أجالها فطلع السهم الآمر فعله، أو الناهي تركه، وإن طلع الفارغ أعاد.

أبواب في حماية حمى التوحيد

النهي عن الغلو

* فالغلو قد يُفضي إلىٰ عبادة غير الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد آل بأقوام إلىٰ الشرك والكفر والضلال، والعياذ بالله.

* قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: ١٧١].

* وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

* فالغلو آل بالنصارىٰ إلىٰ أن يعبدوا المسيح، فيدعي بعضهم أنه الله، ويدعي بعضهم أنه ابن الله، ويدعي بعضهم أن الله ثالث ثلاثة، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

* وآل الغلو باليهود إلىٰ أن عبدوا عزيرًا، وزعموا أنه ابن الله عَزَّوَجَلَّ.

* وآل الغلو بالشيعة إلىٰ أن دعوا الحسين من دون الله، فيطوف طائفهم بالبيت يدعو عليًّا، وحسنًا وحسينًا وفاطمة من دون الله.

وآل بفريق من المتصوفة إلىٰ أن دعوا رسول الله ﷺ، وسألوه ما لا يُسأل فيه إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

وآل بفريق منهم إلىٰ أن يطلبوا المدد والعون من الأموات الذين لا يملكون لأنفسهم نفعًا، ولا ضرًّا، ولا موتًا، ولا حياةً ولا نشورًا، فضلًا عن أن يملكوا ذلك لغيرهم.

ولذا، فإن رسول الله ﷺ قد نهىٰ عن الغلو والمبالغة في الإطراء فقال: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»(١).

وعن أنس رضي الله عنه، أن رجلًا، قال: يا محمد، يا سيدنا، وابن سيدنا، وخيرنا، وابن خيرنا، فقال رسول الله ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ** عز وجل»(٢).

قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

المعنىٰ الإجمالي للآية المباركة:

يوصي أهل الكفر بعضهم بعضًا بالثبات علىٰ عبادة غير الله عز وجل، وعدم

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ١٥٣)، و(٣/ ٢٤١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٤٨ و٢٤٩)، وعبد بن حميد (١٣٠٧ و١٣٣٥) وغيرهم، وفي إسناده خلاف غير ضار.
وله شاهد آخر في إسناده من لم يوثق أخرجه أبو داود (٤٨٠٦)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٠٧٤)، و(١٠٠٧٥) وغيرهما، ولفظه، من حديث عبد الله بن الشخير، قال: انطلقت في وفد بني عامر، إلىٰ رسول الله ﷺ، فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «**السَّيِّدُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-**». قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طولًا. فقال: «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بِبَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**». وفي سنده من لم يوثق، ولكنه يصح كشاهد، أما لفظة «**السَّيِّدُ اللهُ**» فلا يثبت سندها.

ترك الآلهة التي عبدوها مع الله عَزَّوَجَلَّ، كما هو شأن الكفار باضطراد، إذ يقولون: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ..﴾.

وكما ذكر الله قول أمثالهم إذ يقولون: ﴿ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٦].

وكما قال قوم فرعون لفرعون: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

أما عن ود، وسواع، ويغوث ويعوق ونسر، فقد ذهب بعض العلماء إلىٰ أن هؤلاء كانوا رجالًا صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلىٰ العبادة إذا ذكرناهم. فصوَّروهم، فلما ماتوا، وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر. فعبدوهم.

وفي هذا أثر ابن عباس عند البخاري[(١)]، ففيه: من طريق ابن جريج، وقال عطاء: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود، فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواعٌ: فكانت لهذيل، وأما يغوث: فكانت لمرادٍ، ثم لبني غطيف، بالجرف عند سبأ، وأما يعوق: فكانت لهمدان، وأما نسرٌ: فكانت لحمير، لآل ذي الكلاع، أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا، وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد، حتىٰ إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت.

---

(١) البخاري (٤٩٢٠)، وهذا الأثر منتقد علىٰ الإمام البخاري -رحمه الله تعالىٰ- من جهة أن عطاء هو الخراساني، ولم يسمع ابن جريج من عطاء الخراساني، ولمزيد انظر «فتح الباري» (٨/ ٦٦٧) ومقدمة الفتح في الأحاديث المنتقدة.

وهذا الأثر، وإن كان متكلم فيه لكن قال بمقتضاه عددٌ كبيرٌ من أهل العلم.

* وقد ذهب بعض العلماء مذهبًا آخر، في تفسير، ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرًا، فقالوا: هي أسماء لأصنام كان قوم نوح يعبدونها.

وقد أخرج الطبري بإسناد حسنٍ(١)، عن قتادة قال:

قوله: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ قال: كان ود لهذا الحي من كلب بدومة الجندل، وكانت سواع لهذيل برياط، وكان يغوث لبني غطيف من مراد بالجرف من سبأ، وكان يعوق لهمدان ببلخ، وكان نسر لذي كلاع، من حمير، قال: وكانت هذه الآلهة يعبدها قوم نوح، ثم اتخذها العرب بعد ذلك، والله ما عدا خشبة، أو طينة، أو حجرًا.

بينما ذهب بعض العلماء إلىٰ أن هذه أسماء أولادِ لآدم عليه السلام.

النهي عن اتخاذ القبور مساجد

قد ورد في المنع من ذلك عددٌ من الأحاديث، منها ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم(٢)، واللفظ لمسلم، من حديث عائشة رضي الله عنها، أن أم حبيبة، وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة، فيها تصاوير، لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، فَمَاتَ بَنَوْا عَلَىٰ**

---

(١) الطبري أثر (٣٥٠٢٩).

وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما عند الطبري (٣٥٠٣١) أنه قال: هذه أصنامٌ كانت تُعبد في زمان نوحٍ. لكن السند إلىٰ ابن عباس هنالك ضعيف.

(٢) البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨).

قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وفي الصحيحين أيضًا[١]، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ».

قالت: فلولا ذاك أُبرز قبره، غير أنه خُشي أن يتخذ مسجدًا.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢]، قال: أن رسول الله ﷺ قال: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ».

وعن عائشة[٣]، وعبد الله بن عباس، قالا: لما نزل[٤] برسول الله ﷺ طفق يطرحُ خميصةً له علىٰ وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه، فقال، وهو كذلك: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». يُحذر مثل ما صنعوا.

وعن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٥] قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يَموت بخمس، وهو يقول: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَىٰ اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ».

هذا، وقد وردت في هذا الباب أحاديث أُخر في أسانيدها ضعف ومقال،

---

(١) البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩).

(٢) مسلم (٥٣٠).

(٣) مسلم (٥٣١)، والبخاري (٤٣٦).

(٤) أي: لما نزل به مرض الموت.

(٥) مسلم (٥٣٢).

ولبعض ما فيها شواهد منها:

* حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**»(١).

* ومنها ما ورد من طريق علي بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ أنه رأىٰ رجلًا يجيءُ إلىٰ فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي، عن جدي، عن رسول الله ﷺ؟ قال: «**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا؛ فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَمَا كُنْتُمْ**»(٢).

وهذه النواهي وغيرها عن الصلاة في هذا المساجد، والله أعلم- لما تفضي إليه الصلاةُ فيها من تعظيم الأموات تعظيمًا قد يحمل علىٰ دعائهم من دون الله،

---

(١) **في إسناده مقال:** ولبعض ألفاظه شواهد، أما المقال: فقد أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (٢/ ٣٦٧)، وغيرهما من طريق عبد الله بن نافع، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

وعبد الله بن نافع متكلم فيه، ومن الشواهد لبعض ألفاظه: ما أخرجه البخاري (٤٣٢، ١١٨٧)، ومسلم (٧٧٧) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: «**اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا**». وفي «صحيح مسلم» (٧٨٠): «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ**». وسيأتي مزيد في الحديث الذي يليه.

(٢) **إسناده ضعيفٌ:** وقد أخرجه الضياء في «المختارة» (٤٢٨)، وابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٥)، وأبو يعلىٰ (٤٦٩)، وغيرهم من طريق جعفر بن إبراهيم قال: حدثنا علي بن عمر، عن أبيه، عن علي بن حسين، عن أبيه، عن جده.

وعلي بن عمر، وجعفر، فيهما مقال، وليس لهما كبير موثق، وله شواهد ضعيفة أُخر، انظر «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٣٤٥)، وعبد الرزاق (٦٧٢٦)، وغيرهما، وكما أسلفت فلبعض فقرات الحديث شواهد، وقد قدمتها، والله أعلم.

وشدِّ الرحل إلىٰ زيارتهم، واتخاذ قبورهم أعيادًا، والنذور لهم والذبح عند قبورهم، ونحو ذلك من الضلالات، والله أعلم.

قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

فمعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ والله أعلم: الذين غلبوا علىٰ أمر أنفسهم، أي: الذين أرادوا أمرًا وفعلوه.

ووجه آخر: الذين غلبوا علىٰ أمر الفتية أصحاب الكهف.

أما هل هم مسلمون أم كفار-أعني الذين غلبوا علىٰ أمرهم- فلأهل **العلم في ذلك وجهان:**

أحدهما: أنهم من أهل الشر والفساد، وذلك لأن النبي ﷺ لما ذكرت له أم حبيبة وأم سلمة كنيسةً رأينها بأرض الحبشة، فيها تصاوير قال عليه الصلاة والسلام: «**أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، صَوَّرُوا لَهُ تِلْكَ التَّصَاوِيرَ، وَبَنَوْا عَلَىٰ قَبْرِهِ مَسْجِدًا**»(١).

ثم إن لهجة الأولين الذين قالوا: ﴿ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾. تدل علىٰ معرفتهم بالله عزوجل.

والثاني: إن الذين غلبوا علىٰ أمرهم كانوا مسلمين؛ وذلك لقولهم: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾.

---

(١) مسلم (٥٢٨).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حكىٰ ابن جرير في القائلين ذلك قولين:

أحدهما: أنهم المسلمون منهم.

والثاني: أهل الشرك منهم. فالله أعلم.

والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ؛ ولكن هل هم محمودون أم لا؟ فيه نظر؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ**». يحذر ما فعلوا، وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لما وجد قبر دانيال في زمانه بالعراق، أمر أن يُخفىٰ عن الناس، وأن تدفن تلك الرقعة التي وجدوها عنده، فيها شيء من الملاحم وغيرها.

ذمُّ من يُسمي ملك الأملاك

أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّىٰ مَلِكَ الْأَمْلَاكِ**».

قال مسلم: زاد ابن أبي شيبة في روايته: «**لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ** عَزَّوَجَلَّ».

قال الأشعبي: قال سفيان: مثل: شاهان شاه، وقال أحمد بن حنبل: سألت أبا عمرو عن أخنع؟ فقال: أوضع[2].

---

(١) البخاري (٦٢٠٥ و٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣).

(٢) وضيع: أي حقير وذليل.

وفي رواية عند مسلم أيضًا من حديث أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، قال: «**أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَىٰ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ وَأَغْيَظُهُ عَلَيْهِ- رَجُلٌ كَانَ يُسَمَّىٰ مَلِكَ الْأَمْلَاكِ، لَا مَلِكَ إِلَّا اللهُ**»(١).

وفي هذا الحديث ذم من تسمىٰ بملك الأملاك، والظاهر من الحديث أنه يَحرم ذلك، والله تعالىٰ أعلم.

* وقوله: (لا مالك إلا الله). يعني أنه ﷻ هو المالك علىٰ الحقيقة، وأن كل ملك أوتيه أي مخلوق، إنما هو بتمليك الله ﷻ له، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ [يوسف: ١٠١].

* وقال تعالىٰ: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

* وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. وقال سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ...﴾ [آل عمران: ٢٦].

هذا، وقد ألحق بعض العلماء بهذا الاسم قاضي القضاة، فجعلوه اسمًا مذمومًا كذلك؛ لما فيه من التعظيم الذي يشبه تعظيم الخالق ﷻ، والله أعلم.

---

(١) مسلم (٢١٤٣).

الأدب مع الله عَزَّوَجَلَّ، وفي النقل عن الله عَزَّوَجَلَّ

وهذا بابٌ له أدلته من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ومن سنة رسوله ﷺ، ولإيضاحه **أقول -وبالله التوفيق-:** إن المؤمنين من الجن قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]. فتأدبًا في اللفظ أسندوا الشر إلىٰ غير فاعل، أما الخير فأضافوه إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، هذا مع أن الأمور كلها خيرها وشرها قدَّرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [التغابن: ١١]. وكما قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]. لكن من أدب الجن أنهم -كما بينا- نسبوا الشر إلىٰ غير فاعل فقالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾. أما الرشدُ والخيرُ فنسبوه إلىٰ الله بقولهم: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾.

ومن الأدلة علىٰ هذا المعنىٰ:

قول الخضر لموسىٰ: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]. فنسب عيب السفينة إلىٰ نفسه مع أنه فعل ذلك بوحي؛ لقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢].

ونحوه في قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠]. ثم قال: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١].

وكذلك في الجدار قال: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]. ونحوه قول الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ

يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٧٨- ٨٠].

ونحو ذلك في الحديث: «وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»(١).

وكذا الاحتراز في الألفاظ عند تعامل العبد والأمة مع سيدهما وكذا السيد مع عبيده وإمائه

أخرج البخاري ومسلم(٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ(٣)، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَاسْقِ رَبَّكَ. وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي مَوْلَايَ. وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي أَمَتِي. وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي».

وفي رواية عند مسلم(٤): «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي، وَأَمَتِي. كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللهِ، وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللهِ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: غُلَامِي وَجَارِيَتِي، وَفَتَايَ وَفَتَاتِي».

فأقول -وبالله التوفيق-: فهذه الألفاظ (عبدي، أمتي) وإن كانت جائزة من ناحية اللغة، واستعملها بعض الأنبياء والصالحين في الأمم من قبلنا(٥)، ولكن في شريعتنا نهينا عنها، كما رأيت من حديث رسول الله ﷺ، وذلك حتىٰ لا يقع

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٧٧١) من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ كان إذا قَامَ إلىٰ الصلاة قال: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ». فذكر الحديث، وفيه: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ».

(٢) البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (في طرق حديث ٢٢٤٩).

(٣) أي لا يقل أحد للعبد: «أَطْعِمْ رَبَّكَ». أي: فلا يطلق أحدكم علىٰ سيد العبد (رب العبد).

(٤) مسلم (٢٢٤٩).

(٥) قال الصديق يوسف عليه السلام: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٥٠]. وثم قولان في قول الصديق يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ [يوسف: ٢٣].

الشبه في اللفظ، واستعمل ما يقوم مقامها من قول: (سيدي، ومولاي).

وإن كان استعمالها جائزًا في موطن الأخبار والتعريف أحيانًا، وكذا الإخبار عن الغائب، وكذا إذا لم تكن تورد اشتباهًا.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [النور: ٣٢].

وقال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ فِي عَبْدِهِ وَلَا فِي فَرَسِهِ صَدَقَةٌ**»(١).

وقال رسول الله ﷺ في بيان أشراط الساعة: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا**»(٢). وفي بعض الروايات: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّهَا**»(٣).

وفي حديث ضالة الإبل: «**مَعَهَا حِذَاؤُهَا، وَسِقَاؤُهَا، حَتَّىٰ يَأْتِيَهَا رَبُّهَا**»(٤). أي صاحبها.

ولا يُقال: السلام على الله

* ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «**لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَىٰ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ**»(٥).

---

(١) البخاري (١٤٦٣)، ومسلم (٦١٩).

(٢) صحيح مسلم (حديث ٨)، من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) البخاري (حديث ٥٠)، ومسلم (حديث ٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) البخاري (٢٣٧٤)، ومسلم (١٧٢٢).

(٥) البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة، قلنا: السلام علىٰ الله من عباده، السلام علىٰ فلان، وفلان، فقال النبي ﷺ: «**لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَىٰ اللهِ...**». الحديث.

ولا يُقال: اللهم اغفر لي إن شئت

قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ؛ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ**»(١).

وفي بعض روايات مسلم: «**وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ**»(٢).

* وهذا، والله أعلم، لدفع أي التباس قد يرد علىٰ أي شخصٍ ضعيف الإيمان، قد يظن أن الله ليس بقادر علىٰ إعطاء من يشاء، أو أن الله يعجزه شيء.

ولذا، فإن عيسىٰ عليه السلام، أنكر علىٰ الحواريين قولهم: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ١١٢]. فلما بيتوا لهم أمرهم، وأنهم أرادوا مزيدًا من طمأنينة القلب، دعا لهم صلوات الله وسلامه عليه.

وثمَّ أُمورٌ تُتقىٰ وتُحذر، فإن المعترض عليها معترضٌ علىٰ قدر الله عز وجل، ومن سبها يأثم؛ لأن الذي قدرها هو الله عز وجل.

ومن ذلك، النهي عن سبِّ الدهر، فإن الله عز وجل، هو الذي يُقدر المقادير، قال رسول الله ﷺ «**قَالَ اللهُ عز وجل: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»(٣).

---

(١) البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، وعند البخاري أيضًا من حديث أنس (٦٣٣٨) ومسلم (٢٦٧٨).

(٢) مسلم (٢٦٧٩).

(٣) البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

وفي رواية، قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**»(١).

والدهر ليس من أسماء الله الحسنىٰ، وإنما المعنىٰ: أن الله الذي يقدر المقادير التي تجري في كل زمان، دلَّ علىٰ ذلك قوله في بعض طرق الحديث: «**فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ**»(٢).

وقد نقم الله علىٰ المشركين القائلين: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].فقال تعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

ومن ذلك النهي عن سب الريح:

وذلك لأن الرياح مسخرة سخرها الله عَزَّوَجَلَّ، أخرج الترمذي، من حديث أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أن رسول الله ﷺ، قال: «**لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ**»(٣).

---

(١) البخاري (٦١٨٢)، ومسلم (في طرق حديث ٢٢٤٦) واللفظ له.

(٢) في بعض روايات الصحيح: «**أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ**» (عند مسلم ٢٢٤٦).

(٣) **صحيح لغيره:** فقد رواه الترمذي (٢٢٥٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٩٨، ٩٣٨، ٩٣٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٢١٧)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٩١٨)، والبيهقي في «الصفات» (٩٦٩) وغيرهم.

واختلف في إسناده، وكذا اختلف في رفعه ووقفه، وله شاهد يصحح به أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٠)، وابن ماجه (٢٧٣٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مرفوعًا، وشاهد في «الصحيحين»، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أخرجه البخاري (٣٢٠٦)، ومسلم (٨٩٩).

تغيير بعض الأسماء لما قد تحدثه من تعاظم وتعالٍ في نفس من تسمى بها

أخرج أبو داود[1]، من طريق شُريح، عن أبيه (هانئ) أنه لما وفد إلىٰ رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكنون بأبي الحكم، فدعاه رسول الله ﷺ، فقال: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَا تُكَنَّىٰ أَبَا الْحَكَمِ؟**». فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيءٍ أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين، فقال رسول الله ﷺ: «**مَا أَحَسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟**».قال: لي شريح، ومسلم، وعبد الله. قال: «**فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟**». قلت: شريح. قال: «**فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ**».

قلت (مصطفىٰ): أراد النبي ﷺ أن تُرد الأمور إلىٰ الله ﷻ لا إلىٰ بشرٍ، فالله سبحانه إليه الحكم، كما قال: ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٧]. وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ: ١٠]. وقال ﷻ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]. وقال يوسف الصديق عليه السلام: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ...﴾ [المائدة: ٤٩]. فلذا، والعلم عند الله، غير النبي ﷺ كنية الرجل، والله أعلم.

واليهود ذمهم الله ﷻ؛ لما نالوا من جبريل عليه السلام، واعترضوا علىٰ نزوله وكفروا لكونه نزل علىٰ رسول الله ﷺ.

فأخبر الله ﷻ، أن جبريل إنما نزل بإذن الله، فالمعترض علىٰ نزوله معترضٌ علىٰ الله ﷻ.

---

(١) **صحيح لشواهده:** أبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي (٨/ ٢٢٦ و٢٢٧)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٠/ ١٤٥)، وغيرهم، وله شواهد عند الحاكم (٤/ ٢٧٩)، وآخر عند الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٧٩).

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧]. أي: لم ينزل من تلقاء نفسه ﷺ، بل وكما قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. وقالت الملائكة أيضًا: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤]. ومن ثم فقد قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وعن سبب نزول قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ...﴾:

سبب نزولها[(١)]، أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ: من وليك من الملائكة؟ فعندها نتابعك، أو نفارقك. قال: فإن وليي جبريل، ولم يبعث الله نبيًّا قط إلا وهو وليُّه، قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليَّك سواه من الملائكة تابعناك وصدَّقناك. قال: فما يمنعكم أن تصدقوه؟ قالوا: إنه عدونا. فأنزل الله ﷻ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١].

وأخرج البخاري[(٢)]، من حديث أنس رضي الله عنه، قال: سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ، وهو في أرض يخترف فأتىٰ النبي ﷺ، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلىٰ أبيه أو إلىٰ أمه؟ قال: «**أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا**». قال: جبريل؟ قال: «**نَعَمْ**» قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة. فقرأ هذه الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾. «**أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ،**

---

(١) قال الطبري رحمه الله (١/ ٣٧٧): أجمع أهل العلم بالتأويل جميعًا علىٰ أن هذه الآية، نزلت جوابًا لليهود من بني إسرائيل إذ زعموا أن جبريل عدو لهم وأن ميكائيل ولي لهم.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٨٠).

فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَىٰ الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَزِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوتِ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزِعَ الْوَلَدُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزِعَتْ»، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، يا رسول الله، إن اليهود قوم بُهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود فقال النبي ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللهِ فِيكُمْ؟» قالوا: خيرنا، وابن خيرنا، وسيدنا، وابن سيدنا.

وقد ذم الله اليهود لكونهم اعترضوا علىٰ جبريل، ونزوله بالوحي، وأعلنوا عن معاداتهم له، وجبريل إنما نزل -بإذن الله-.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٨]. وفي الآية وجوه للمفسرين:

الوجه الأول: أن من عادىٰ جبريل فينبغي ألا يعاديه إذ لا وجه لعداوته؛ لأنه إنما أنزل الكتاب -بإذن الله-، ولم يتصرف من عند نفسه، ثم ينبغي أيضًا ألا يعاديه؛ لأنه نزل بالقرآن الذي هو شفاء لما في الصدور وهدىٰ ورحمة، فينبغي أن يُشكر ويُحب.

الوجه الثاني: أن من عادىٰ جبريل فهو مبطل، وحق للمبطل أن يعادي جبريل؛ لأن جبريل عليه السلام نزل بالكتاب برهانًا علىٰ نبوتك يا محمد، ومصداقًا لصدقك، وهم يكرهون ذلك، فكيف لا يبغضون جبريل، وقد نزل بما يفضحهم ويكشف أكاذيبهم.

الوجه الثالث: أن الجواب محذوف، وهو (فليمت) أي من عادىٰ جبريل، فليمت بغيظه، والله أعلم.

ما جاء في ذمة الله عَزَّوَجَلَّ وعهده

والذمة هي العهد.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ [الرعد: ٢٠].

وأخرج مسلم(١)، من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرًا علىٰ جيش أو سرية، أوصاه بتقوىٰ الله... فذكر الحديث، وفيه: «**وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ؛ فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَىٰ حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا؟**».

* ومن ذلك احترازنا -كما ورد في سيد الاستغفار- بقولنا: «**وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ، وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتَ**»(٢).

وعلىٰ هذا يحمل **النهي الوارد عن قول (لو)**

إذا كان يصاحبها الاعتراض علىٰ قدر الله عَزَّوَجَلَّ.

أخرج مسلم(٣)، في صحيحه، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٍ احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا**

---

(١) مسلم (١٧٣١).

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ١١/ ٩٧).

(٣) مسلم (٢٦٦٤).

تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا، كَانَ كَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ. فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٦٨].

وقال تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

أما **استعمال كلمة (لو) من غير اعتراض علىٰ القدر فالأدلة**

علىٰ ذلك كثيرة، ومنها ما يلي:

قول رسول الله ﷺ: **«لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الْهَدْيَ، وَلَحَلَلْتُ مَعَ النَّاسِ حِينَ حَلُّوا»**(١).

وقول رسول الله ﷺ: **«لَوْ كَانَ عِنْدِي أُحُدٌ ذَهَبًا لَأَحْبَبْتُ أَلَّا يَأْتِيَ عَلَيَّ ثَلَاثٌ، وَعِنْدِي مِائَةُ دِينَارٍ لَيْسَ شَيْءٌ أَرْصُدُهُ فِي دَيْنٍ عَلَيَّ أَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهُ»**(٢).

وقول رسول الله ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلاَ أَنَّ رِجَالًا يَكْرَهُونَ أَنْ يَتَخَلَّفُوا بَعْدِي، وَلاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ، مَا تَخَلَّفْتُ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ»**(٣).

وقول رسول الله ﷺ: **«لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لاَبْتَغَىٰ ثَالِثًا، وَلاَ يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَىٰ مَنْ تَابَ»**(٤).

---

(١) البخاري (٧٢٢٩)، ومسلم (١٢١١).

(٢) البخاري (٧٢٢٨)، ومسلم (٩٩١).

(٣) البخاري (٧٢٢٦)، ومسلم (١٨٧١).

(٤) البخاري (٦٤٣٦)، ومسلم (١٠٤٩).

وقول رسول الله ﷺ في أسارىٰ بدر: «**لَوْ كَانَ الْمُطْعَمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَىٰ، لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ**»(١). والأحاديث في هذا الباب كثيرة معلومة.

بابٌ: في السؤال بالله

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وجه الاستدلال بالآية الكريمة، أن الله عَزَّوَجَلَّ، أقرَّ الخلق علىٰ هذا التساؤل لكونهم يعتقدون تعظيمه، ولم ينكره الله عَزَّوَجَلَّ عليهم.

وقد كان بعضهم يسأل بعضًا بالله، يقول أحدهم للآخر: أسألك بالله أن تفعل كذا وكذا.

ومن هذا ما ورد في «الصحيحين»(٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَىٰ، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ...**». فذكر الحديث

وفيه: «**أَنَّ الْمَلِكَ أَتَىٰ الْأَبْرَصَ(٣)، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينَ قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ، إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي... الحديث**».

---

(١) البخاري (٤٠٢٤).

(٢) البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

(٣) وذلك بعد أن أغناه الله.

* ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «**مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ**»(١).

* وقد ورد في الباب حديث آخر؛ لكن في سنده ضعف، وهو حديث: «**لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الْجَنَّةُ**»(٢).

فمن سأل بالله أمرًا في مقدور المسئول وليس عليه ضررٌ في تحقيقه، استحب له أن يُجيب لأن في إجابته تعظيمًا لله عَزَّوَجَلَّ، وتوقيرًا لاسمه -جل وعلا-.

* أما إذا سأل بالله شيئًا فوق الطاقة، أو شيئًا يضرُّ بالمسئول، أو اتخذ السؤال بالله مهنة وعادةً وهو ليس من أهل الاحتياج، فإننا لا نعينه، والحالة هذه علىٰ ما هو فيه من الإثم، والله أعلم.

* وكذا إذا سأل بالله مالًا؛ كي يشتري به شيئًا محرمًا، أو مكروهًا، أو يسرف به إسرافًا، فلا يجاب لسؤاله، والله تعالىٰ أعلم.

* وكذا من استعاذ بالله، فإنه يُعاذ، ما لم يكن في إعاذته تضييع لحقوق، فإذا سرق شخص وقال: أعوذ بالله، وقد قُدم لقطع يده، فإن الحد لا يسقط، بطلبه هذا.

* أما إذا كان في المقدور إعاذته، أعذناه، وقد أخرج البخاري ومسلم، قصة المرأة التي أُدخلت علىٰ رسول الله ﷺ، وفيه: فلما كلمها رسول الله ﷺ، قالت:

---

(١) **رجاله ثقات،** وأخرجه أبو داود (١٦٧٢)، والنسائي (٥/ ٨٢)، وأحمد (٢/ ٦٨)، وغيرهم من طريق الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عمر، وتوبع الأعمش من ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف مختلط، عند أحمد (٢/ ١٩٥)، والذي يُخشىٰ منه أن يكون هناك سقط، أو يكون إسناد قد رجع إلىٰ آخر فالله أعلم.

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٧١)، وفي سنده سليمان بن معاذ التميمي، وهو ضعيفٌ.

أعوذ بالله منك. قال: «قَدْ أَعَذْتُكِ مِنِّي». وفي رواية: «قَدْ عُذْتِ بِمُعَاذٍ»(١).

توقير اليمين بالله عَزَّوَجَلَّ

ومن هذا ما أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «رَأَىٰ عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ عِيسَىٰ: سَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا، وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَقَالَ عِيسَىٰ: آمَنْتُ بِاللهِ، وَكَذَّبْتُ نَفْسِي»(٢).

ما جاء في التصوير والمصورين

* أخرج البخاري ومسلم(٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سمعتُ النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم، يقول: «قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: مَنْ أَظْلَمَ مِمَّنْ ذَهَبَ

---

(١) البخاري (٥٢٥٦ و٥٢٥٧)، ومسلم (٢٠٠٧).

(٢) مسلم (٢٣٦٨) والبخاري (٣٤٤٤).

وعلىٰ ما يبدو أن هذه السرقة كانت من عيسىٰ ﷺ، فترك حق نفسه توقيرًا وتعظيمًا لله، وإلا فحقوق العباد لا تضيع بمثل هذه الأيمان، ولا تبطل شهادة الشهود بمثل هذه الأيمان، والله أعلم.

(٣) البخاري (٧٥٥٩)، ومسلم (٢١١١)، وقد ورد في صدر هذا الحديث، عند البخاري (٥٩٥٣) وعند مسلم قال أبو زرعة: دخلت مع أبي هريرة دارًا بالمدينة (وعند مسلم دار مروان) فرأىٰ في أعلاها مصورًا يصور، فقال: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم يقول:... فذكر الحديث.

يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً(١)، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً(٢)، أَوْ شَعِيرَةً».

* وأخرج البخاري ومسلم(٣)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ**».

* وأخرجا(٤) أيضًا، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم: «**إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**».

* وأخرج البخاري ومسلم(٥) أيضًا، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قالت: اشتريت نمرقة فيها تصاوير، فلما رآها رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم قام علىٰ الباب، فلم يدخل، فعرفت في وجهه الكراهية. قالت: يا رسول الله، أتوب إلىٰ الله، وإلىٰ رسوله، ماذا أذنبت؟ قال: «**مَا بَالُ هَذِهِ النَّمْرَقَةِ؟**». فقالت: اشتريتها لتقعد عليها، وتوسدها. فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم: «**إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**». ويُقال: «**إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ**».

* وأخرج مسلم(٦)، من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلىٰ الله

(١) المراد بالذرة النملة.

(٢) الحبة، المراد القمح بقرينة ذكر الشعير، قاله الحافظ (فتح ١٠/ ٣٨٦).

(٣) البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢٠١٩).

(٤) البخاري (٤٩٥١)، ومسلم (٢١٠٨).

(٥) البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٥٩٦١).

(٦) مسلم (٢١١٢).

عليه وعلىٰ آله وسلم: «**لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ تَمَاثِيلُ أَوْ تَصَاوِيرُ**».

* وأخرج البخاري ومسلم[(١)]، من حديث ابن عباس وجاءه رجل يسأله، فقال له الرجل: إني رجل أصور هذه الصور فأفتني فيها. فقال له: ادن مني. فدنا منه، ثم قال: ادن. فدنا حتىٰ وضع يده علىٰ رأسه، قال: أنبئك بما سمعت من رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم، سمعتُ رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم يقول: «**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ**». وقال: إن كنت لابد فاعلًا فاصنع الشجر وما لا نفس له. (اللفظ لمسلم).

* وأخرج البخاري[(٢)]، من حديث أبي جحيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: إن النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم نهىٰ عن ثمن الدم، وثمن الكلب، وكسب البغي، ولعن آكل الربا، وموكله، والواشمة والمستوشمة، ولعن المصور.

وأخرج مسلم[(٣)]، من حديث ابن عباس قال: أخبرتني ميمونة أن رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم أصبح يومًا واجمًا، فقالت ميمونة: يا رسول الله، لقد استنكرت هيئتك منذ اليوم. قال رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم: «**إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ وَاعَدَنِي أَنْ يَلْقَانِي اللَّيْلَةَ فَلَمْ يَلْقَنِي، أَمْ وَاللهِ مَا أَخْلَفَنِي**». قال: فظل رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم يومه ذلك علىٰ

---

(١) البخاري (٥٩٦٣)، ومسلم (٢١١٠).

(٢) البخاري (٥٩٦٢).

(٣) مسلم (٢١٠٥).

ونحوه عند البخاري (٥٩٦٠) من حديث ابن عمر، وعند مسلم (٢١٠٤) من حديث عائشة -رضي الله عنهم جميعًا-.

ذلك، ثم وقع في نفسه جرو كلب تحت فسطاط لنا، فأمر به فأخرج، ثم أخذ بيده ماء فنضح مكانه، فلما أمسىٰ لقيه جبريل، فقال له: «**قَدْ كُنْتَ وَعَدْتَنِي أَنْ تَلْقَانِي الْبَارِحَةَ. قَالَ: أَجَلْ، وَلَكِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ**...». الحديث.

وأخرج البخاري ومسلم[(١)]، من حديث أبي طلحة، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم، أنه قال: «**إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ**».

وبعد، فهذه التي قدمناها بعض الأدلة علىٰ تحريم التصاوير، وذم المصورين، وهي بعمومها تعم كل صورة لها ظل أو ليس ظل؛ فكلها داخلة في هذا العموم، وقد تجشم قوم القول بأن ما ليس له ظل يباح، وهذا خطأ منهم، ومما يرد هذا القول حديث عائشة: (سترت سهوة لي بقرام... وفيه فقطعته فجعلت منه وسادة أو وسادتين).

وحديث أبي هريرة الذي في صدر الباب، وفيه أنه دخل دارًا بالمدينة فرأىٰ مصورًا يصور، فقال: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم يقول:... ففهم أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن نهيه عَلَيْهِ السَّلَامُ عن التصاوير علىٰ عمومه سواء ما له ظل، أو ما ليس له ظل.

وقد استدلَّ بعض القائلين باستثناء الرقم في الثوب بحديث زيد بن خالد، عن أبي طلحة المتقدم؛ قال رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم: «**لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ**». وفي آخره قال بسر -أحد الرواة-: ثم اشتكىٰ زيد فعدناه، فإذا علىٰ بابه ستر فيه صورة، فقلت لعبيد الله الخولاني

---

(١) البخاري (٥٩٥٨)، ومسلم (٢١٠٦).

ربيب ميمونة زوج النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم: ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الأول؟ فقال عبيد الله: ألم تسمعه حين قال: «**إِلَّا رَقْمًا فِي ثَوْبٍ**».

قلت: وليس في هذا دليلٌ علىٰ تصوير ذوات الأرواح، فالرقم يطلق علىٰ الكتابة والعلامة والختم، وله معنًىٰ آخر؛ فحمله علىٰ غير ذوات الأرواح أليق، ولهذا قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: قوله: «**إِلَّا رَقْمًا فِي ثَوْبٍ**». هذا يحتج به من يقول بإباحة ما كان رقمًا مطلقًا كما سبق، وجوابنا، وجواب الجمهور عنه: أنه محمول علىٰ رقم علىٰ صورة الشجر وغيره مما ليس بحيوان.

قلت (مصطفىٰ): ونقل ابن حجر[2] كلام النووي هذا، وزاد عليه: ويحتمل أن يكون ذلك قبل النهي كما يدل عليه حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي أخرجه أصحاب السنن، وسأذكره في الباب الذي يليه.

قلت: وقد ذكره في الباب الذي يليه، وهو عند الترمذي، وأبي داود، وغيرهما، بإسناد حسن[3]، وقال عنه الترمذي: حديث حسن صحيح. ولفظه عند الترمذي: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ أَتَيْتُكَ الْبَارِحَةَ، فَلَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَكُونَ دَخَلْتُ عَلَيْكَ الْبَيْتَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فِي الْبَيْتِ تِمْثَالُ الرِّجَالِ، وَكَانَ فِي الْبَيْتِ قِرَامُ سِتْرٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ، وَكَانَ فِي الْبَيْتِ كَلْبٌ، فَمُرْ بِرَأْسِ التِّمْثَالِ الَّذِي بِالْبَابِ فَلْيُقْطَعْ فَلْيُصَيَّرْ كَهَيْئَةِ الشَّجَرَةِ، وَمُرْ بِالسِّتْرِ فَلْيُقْطَعْ، وَيُجْعَلْ مِنْهُ وِسَادَتَيْنِ مُنْتَبَذَتَيْنِ يُوطَآنِ، وَمُرْ بِالْكَلْبِ فَيُخْرَجْ**». فَفَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) «شرح مسلم» (٤/ ٨١٧).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٣٩١).

(٣) الترمذي (٢٨٠٦)، وأبو داود (٤١٥٨).

وقال الحافظ[١]: «وفي رواية النسائي: «**إِمَّا أَنْ تُقْطَعَ رُؤُوسُهُمَا، أَوْ تُجْعَلَ بُسُطًا تُوطَأُ**»».

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وقال ابن العربي: حاصل ما في اتخاذ الصور أنها إن كانت ذات أجسام؛ حرم بالإجماع، وإن كانت رقمًا فأربعة أقوال:

الأول: يجوز مطلقًا علىٰ ظاهر قوله في حديث الباب: «**إِلَّا رَقْمًا فِي ثَوْبٍ**».

والثاني: المنع مطلقًا حتىٰ الرقم.

والثالث: إن كانت الصورة باقية الهيئة قائمة الشكل؛ حرم، وإن قطعت الرأس[٣]، أو تفرقت الأجزاء؛ جاز، قال: وهذا هو الأصح.

والرابع: إن كان مما يمتهن جاز، وإن كان معلقًا لم يجز».

قلت: ويستثنىٰ من عموم الأمر بطمس الصور اللعب من العهن للأطفال، انظر الأحاديث في ذلك عند البخاري ومسلم[٤]، واستثنىٰ بعض أهل العلم الممتهن أيضًا، ويستدل لها ببعض ما سبق من حديث أبي هريرة عند أصحاب السنن.

وقد لخص النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكلام علىٰ التصاوير[٥]، فقال: «قال أصحابنا وغيرهم من العلماء: تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم، وهو من

---

(١) «الفتح» (١٠/ ٣١٢).

(٢) «الفتح» (١٠/ ٣٩١).

(٣) حديث: «إنما الصورة الرأس». حديث **ضعيف الإسناد جدًّا**، وإن كان بعض أهل العلم قالوا بمقتضاه، والله أعلم.

(٤) البخاري (١٩٦٠)، ومسلم (١١٣٦).

(٥) النووي (٤/ ٨١٣).

الكبائر؛ لأنه متوعدٌ عليه بهذا الوعيد الشديد المذكور في الأحاديث، وسواء صنعه بما يمتهن، أو بغيره؛ فصنعه حرام بكل حال؛ لأن فيه مضاهاة لخلق الله تعالىٰ، وسواء ما كان في ثوب أو بساط، أو درهم، أو دينار، أو فلس، أو إناء، أو حائط، أو غيرها، وأما تصوير صورة الشجر ورحال الإبل، وغير ذلك (قلت: رحال الإبل بالحاء المهملة) وغير ذلك مما ليس فيه صورة حيوان؛ فليس بحرام، هذا حكم نفس التصوير.

وأما اتخاذ المصور فيه صورة حيوان، فإن كان معلقًا علىٰ حائط، أو ثوبًا ملبوسًا، أو عمامة، ونحو ذلك، مما لا يعد ممتهنًا؛ فهو حرامٌ، وإن كان في بساط يداس، ومخدة ووسادة ونحوها، مما يمتهن؛ فليس بحرام، ولكن هل يمنع دخول ملائكة الرحمة ذلك البيت؟ فيه كلام نذكره قريبًا إن شاء الله، ولا فرق في هذا كله بين ما له ظل وما لا ظل له، هذا تلخيص مذهبنا في المسألة، وبمعناه قال جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وهو مذهب الثوري، ومالك، وأبي حنيفة، وغيرهم، وقال بعض السلف: إنما ينهىٰ عما كان له ظل، ولا بأس بالصور التي ليس لها ظل، وهذا مذهب باطل؛ فإن الستر الذي أنكر النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم الصورة فيه فلا يشك أحد أنه مذموم، وليس لصورته ظل مع باقي الأحاديث المطلقة في كل صورة، وقال الزهري: النهي في الصورة علىٰ العموم، وكذلك استعمال ما هي فيه ودخول البيت الذي هي فيه سواء كانت رقمًا في ثوب أو غير رقم وسواء كانت في حائط أو ثوب أو بساط ممتهن، أو غير ممتهن؛ عملًا بظاهر الأحاديث، لاسيما حديث (النمرقة) الذي ذكره مسلم، وهذا مذهب قوي.

وقال آخرون: يجوز منها ما كان رقمًا في ثوب سواء امتهن أم لا، وسواء

علق في حائط أم لا، وكرهوا ما كان له ظل، أو ما كان مصورًا في الحيطان وشبهها، سواء كان رقمًا أو غيره، واحتجوا بقوله في بعض أحاديث الباب: «**إِلَّا مَا كَانَ رَقْمًا فِي ثَوْبٍ**». وهذا مذهب القاسم بن محمد، وأجمعوا علىٰ منع ما كان له ظل، ووجوب تغييره، قال القاضي: إلا ما ورد في اللعب بالبنات لصغار البنات، والرخصة في ذلك، لكن كره مالك شراء الرجل ذلك لابنته، وادعىٰ بعضهم أن إباحة اللعب لهن بالبنات منسوخ بهذه الأحاديث. والله أعلم».

قلت: وقد قدمنا الأدلة علىٰ تحريم ما له ظل، وما ليس ظلًّا، هذا، وقد استدلَّ بعض الناس بما أخرجه مسلم[1]، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كان لنا ستر فيه تمثال طائر، وكان الداخل إذا دخل استقبله، فقال لي رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم: «**حَوِّلِي هَذَا، فَإِنِّي كُلَّمَا دَخَلْتُ فَرَأَيْتُهُ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا**...». وفي بعض الروايات: فلم يأمرنا بقطعه.

وقد أجاب النووي رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ هذا بقوله: «وهذا محمول علىٰ أنه كان قبل تحريم اتخاذ ما فيه صورة؛ فلهذا كان رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم يدخل ويراه ولا ينكره قبل هذه المرة الأخيرة».

قلت: ولنا إجابة أخرىٰ علىٰ هذا الحديث، ألا وهي: أننا نجنح وبقوَّة إلىٰ أن الرواية لم تتكرر، بل هي رواية واحدة، فالحديث حديث عائشة، والستر هو الستر والروايات يوضح بعضها بعضًا، أما قول الراوي: فلم يأمرنا بقطعه. فقد خالفه من هو أثبت منه –وهم جماعة–، وفي الروايات الأثبت والأصح أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ جذبه حتىٰ هتكه، وفي بعضها: فأمرني فنزعته. ولا تعارض بين ذلك وبين قوله

---

(١) مسلم (ص ١٦٦٦).

عليه السلام: «**أَخِّرِيهِ عَنِّي**». وقد تواردت وتكاثرت طرق حديث عائشة، وفيها الجزم بأن الستر قطع، وهي الأصح لدينا بلا شك، وخاصة أنه قد وردت جملة أحاديث ذكرنا بعضها تحرم وبشدة التصوير، وتحث علىٰ إبعاد الصور بمجموعها -إلا ما استثنىٰ- وهتكها، وأيضًا أخرج مسلم من حديث أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم: «**أَلَّا تَدَعَ تِمْثَالًا**». (وفي رواية أخرىٰ عند مسلم: صورة) «**إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ**»[(١)].

والمنع -فيما يتعلق بأبواب التوحيد- من وجهين:

أحدهما: أن المصور يضاهي بخلق الله عزوجل، وقد قال تعالىٰ: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي**».

والثاني: لأن التصوير والتجسيم تؤول إلىٰ الغلو في الأشخاص، بما لا تحمد معه العواقب، وقد ورد في شأن[(٢)] ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، أنهم كانوا قومًا صالحين، فصورهم أقوامهم، بعد مماتهم، ثم صنعوا لهم تماثيل، ثم عبدوهم[(٣)].

ما جاء في التألي على الله عزوجل وقول رجل لآخر: (والله لا يغفر الله لك)

وعن معنىٰ التألي:

أقول -وبالله التوفيق-: إن التألي معناه الحلف، وقد قال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ

---

(١) مسلم (٩٦٩).

(٢) أعني أنه ورد في قولٍ لعددٍ من المفسرين.

(٣) وراجع أيضًا ما جاء في باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد.

﴿يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ...﴾ [البقرة: ٢٢٦]. أي: يحلفون أن لا يقربوا نساءهم مدة طويلة، فأقصىٰ مدة لهم أربعة أشهر.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النور: ٢٢]. أي: ولا يحلف.

أما المراد بالتألي في هذا الباب: فهو الحلف علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ أنه يفعل كذا، أو لا يفعل كذا، وذلك مما لم يُخبر الله عَزَّوَجَلَّ به، أو لم يخبر به رسولُهُ ﷺ.

كقول القائل: والله ليعذبن الله (فلانًا). مما لم يأت فيه نص، أو: والله ليدخلن الله فلانًا الجنة (ممن لم يرد فيهم نص). ونحو ذلك.

فهذا هو الباب الذي نحن بصدده.

* أخرج مسلم[(١)]، في صحيحه، من حديث جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ حدَّث: «**أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ. وَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّىٰ عَلَيَّ، أَلَّا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**». أو كما قال.

* وأخرج أحمد، وأبو داود، بسندٍ حسن[(٢)]، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَآخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَىٰ الْآخَرَ عَلَىٰ الذَّنْبِ، فَيَقُولُ: أَقْصِرْ. فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَىٰ ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ. فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ. أَوْ: لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ. فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: كُنْتَ بِي**

---

(١) مسلم (٢٦٢١).

(٢) أبو داود (٤٩٠١)، وأحمد (٢/ ٣٢٣).

عَالِمًا؟ أَوْ كُنْتَ عَلَىٰ مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي. وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَىٰ النَّارِ». قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

فعليه لا يجوز لشخص أن يقول لآخر: والله لا يغفر الله لك، أو والله ليعذبنك الله. **وذلك لأمور:**

أولها: أنه تدخل في إرادة الله ومشيئته، وتقوُّلٌ على الله بغير علم.

ثانيها: أنه تقنيط من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

ثالثها: وهو أهمها، أنه مخالفة لهدي رسولنا محمد ﷺ.

ولكن أحيانًا يقوىٰ إيمان شخص ويحسن ظنه بالله، فيقول مقسمًا علىٰ الله، وقسمه متضمن سؤال الله أن يفعل بشخصٍ خيرًا، يقول مقسمًا: والله ليفعلن علىٰ الله كذا. يقول ذلك محسنًا للظن بالله، فمثل هذا **قد وردت له أدلة منها:**

قول خديجة لرسول الله ﷺ في بداية الوحي، لما رجع إليها من غار حراء قائلًا: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي... لَقَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسِي**». فقالت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتُكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين علىٰ نوائب الحق[(١)].

* ونحوه قاله ابن الدغنة لأبي بكر لما خرج أبو بكر من مكة.

* ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»[(٢)]، من حديث

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣)، ومسلم (١٦٠، ١٦١).

(٢) البخاري (٤٦١١)، ومسلم (١٦٧٥) واللفظ له.

أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أخت الربيع أم حارثة جرحت إنسانًا فاختصموا إلىٰ النبي ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: «**الْقِصَاصَ الْقِصَاصَ**» فقالت أم الربيع: يا رسول الله، أيقتص من فلانة؟ والله لا يقتص منها. فقال النبي ﷺ: «**سُبْحَانَ اللهِ يَا أُمَّ الرُّبَيِّعِ، الْقِصَاصُ كِتَابُ اللهِ**» قالت: لا، والله لا يقتص منها أبدًا. قال: فما زالت حتىٰ قبلوا الدية. فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لَأَبَرَّهُ**».

* ومن ذلك أيضًا ما أخرجه مسلم[1]، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٌ بِالْأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لَأَبَرَّهُ**».

* أما إذا أقسم شخص علىٰ شيء أخبر الله به أو أخبر به رسوله ﷺ، فلا مانع من ذلك، والله أعلم.

وليس لأحدٍ أن يقسم علىٰ ما في قلوب الناس:

فلا يجوز لأحدٍ أن يقول: والله إن فلانًا يريد الخير، أو: إن فلانًا نيته حسنة، أو نحو ذلك؛ لأنه لا يعلم ما في القلوب إلا الله عَزَّوَجَلَّ

وما شققنا عن قلوب الناس.

---

(١) مسلم (٢٦٢٢).

فصل في أسماء الله الحسنى

فضل العلم بأسماء اللّه الحسنى

للعلم بأسماء الله الحسنىٰ فضائلُ لا تُحصَىٰ، منها:

أولًا: معرفة ربنا عَزَّوَجَلَّ الذي نعبده ونرجوه ونخشاه، فمِن ثَمَّ ندعوه بهذه الأسماء وننادیه بها، ونُثني عليه بها، ونمجده بها، ونشكره بها، ونتوسل إليه بها، ونطلب منه المغفرة بها، ونتعبده بها، وقد قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، فإذا علمنا أنه واحد فلن نشرك به شيئًا.

ثانيًا: أن هذا العلمَ أجل العلوم وأفضلها، وقد قال تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] فترتفع درجاتُنا بهذا العلم.

ثالثًا: الثواب المرجوُّ من إحصائها، كما في الحديث: «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**».

رابعًا: أن معرفةَ هذه الأشياءِ تورثنا محبةً لله عَزَّوَجَلَّ وإجلالًا له وتعظيمًا ورغبةً فيما عنده، ورهبةً مما عنده، وإنابةً وخشوعًا... وهكذا، فكل اسم من الأسماء له دلالته، ومنه نتعرف علىٰ صفات ربنا جل وعلا.

خامسًا: أن لله عَزَّوَجَلَّ أسماءً نتعبد لله بتسمية أنفسنا وأبنائنا بالعبودية بها، فنقول: عبد الله، وعبد الرحمن، وعبد الرحيم.

سادسًا: أن الله تبارك وتعالىٰ له أسماء، وبلا شك فإن هذه الأسماءَ تتضمن أوصافًا لله عَزَّوَجَلَّ يحب من عباده أن يتصفوا بها.

فهو سبحانه كريم يحب الكرماء، عليم يحب العلماء، تواب يحب التوَّابين ويحب المتطهرين، شكور يحب العبد الشكور، رحيم يحب الرحماء ويرحمهم، عفوٌّ يحب العفو، وأيضًا فإنه جميل يحب الجمال، طيب يحب الطيبين...

ولله أسماء اختص بها، كالمتكبر، فالكبرياء رداء الله لا يُنازَع فيه، فنتقي إذن صفة التكبر علىٰ الخلق.

سابعًا: أننا نستدل بهذه الأسماء علىٰ قدرته تبارك وتعالىٰ، وهكذا علىٰ عظمته.

ثامنًا: أننا أُمرنا بتدبر القرآن الكريم؛ إذ الله قال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢] وقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩] ومعرفة الأسماء الحسنىٰ ومعانيها نوع من أنواع التدبر.

تاسعًا: أننا -بمعرفتنا هذه الأسماء- نثبت لله ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوىٰ، وننفي عن الله ﷻ ما نفاه عن نفسه؛ فإنه سبحانه ليس بظلام للعبيد، وليس بغافل عمَّا يعمل الظالمون، ولا يضلُّ ربُّنا ولا ينسىٰ.

عاشرًا: أن من مقتضيات الإيمان بالله معرفةَ أسمائه قدر الاستطاعة، وقد قال رسول الله ﷺ: «**الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

حادي عشر: أن انشغالنا بتعلمها داخل في العبادة التي خلقنا من أجلها؛ إذ الله قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

ثاني عشر: أن العلم بها يجعلنا نجانب النسيان بمعنيَيْه: (الترك، والذهول)، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩].

ثالث عشر: أننا ندعو إلىٰ الله بمعرفتنا هذه الأسماء والصفات وأفعال الله تعالىٰ، وقد قال فرعون لموسىٰ وهارون عليهما السلام: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝٥٣﴾ [طه: ٤٩-٥٣].

رابع عشر: أننا نأخذ عددًا من الأحكام الفقهية من هذه الأسماء، فعلىٰ سبيل المثال قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٤﴾ [المائدة: ٣٤] فنأخذ التجاوز عن بعض أصحاب الجرائم الذين تابوا واستسلموا قبل مقدرتنا عليهم.

خامس عشر: أن قلوبنا تطمئن بذكر الله، وصدورنا تنشرح، وألسنتنا ترطب، وأبداننا تتقوىٰ، والسكينة تتنزل علينا، والملائكة تحفُّنا، والشياطين تنفر عنَّا، وترتفع درجاتنا وتُحط خطايانا، والله يذكرنا؛ إذا ذكرناه.

وكل ما ورد في فضائل ذكر الله فيدخل فيه ذكره بأسمائه الحسنىٰ علىٰ الوجه الوارد في الكتاب العزيز والسنة المباركة.

فدومًا نأنس بذكر ربنا وبأسمائه الحسنىٰ ونستأنس، وإن شئت فاقرأ قوله تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٢٠﴾ [الشعراء: ٢١٧- ٢٢٠].

ومن أخطار الجهل بأسماء الله الحسنى ما يلي:

١- أنه قد يُوقع الشخص في الكفر والإلحاد.

٢- أنه يحمل الشخص علىٰ تعطيل صفات الله وأفعاله.

٣- أنه يحمل الشخص علىٰ إنكار بعض أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

٤- أنه قد يحمل الشخص علىٰ إساءة الظن بالله.

٥- أنه قد يحمل الشخص علىٰ اليأس من رحمة الله.

٦- أنه قد يوقع الشخص في شرك التسمية، فتراه يسمي ولده (عبد النبي – عبد الرسول – عبد المسيح – عبد العُزَّىٰ – عبد علي – عبد الحسين – عبد الحسن – عبد الزهراء – عبد النعيم).

٧- أن الجهل بأسماء الله سببٌ في الهزيمة، وسبب في فعل المنكرات.

ثم إن التفصيل في ذلك يطول.

فنسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن يزيدنا علمًا، وأن يصرف عنَّا الجهل، وأن يعيذنا من علم لا ينفع.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾:

يخبر الله عَزَّوَجَلَّ أن له الأسماءَ الحسنىٰ التي هي أحسن الأسماء وأفضلها وأجملها، وهي كذلك حسنةٌ في الأسماع وفي القلوب، وهي كذلك دالَّةٌ علىٰ التوحيد والكمال والجود والرحمة والكرم والفضل والقوة والعزة والغلبة وغير ذلك، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: و(الحسنىٰ) مصدرٌ وصفت به، ويجوز أن يُقدّر (الحسنىٰ) فُعْلَىٰ، مؤنث الأحسن، كالكبرىٰ مونث الأكبر، والجمع: الكُبَر

والحُسَن، وعلىٰ الأول أُفرد كما قال تعالىٰ: ﴿مَعَارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨]، و﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠]. انتهىٰ بنحوه.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ أي فاسألوه بها، وتوسلوا إليه بها، وتعبدوه بها، واذكروه بها علىٰ النحو الوارد في كتابه وسنة رسوله ﷺ، وكذلك فإننا نثني عليه بها ونمجده بها.

فمن سؤاله بها والتوسل إليه بها قول موسىٰ عليه السلام: ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف: ١٥٥]، فواضحٌ من ذلك أنه سأل الله أن يغفر لهما متوسلًا بقوله: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾.

ومن ذلك قول عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة: ١١٤].

ونحوه قول رسول الله ﷺ: «**اشْفِ، أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُك**».

ومن الملاحظ في هذا الباب أننا نختار من أسماء الله تعالىٰ اسمًا يوافق مسألتنا التي نسألها والدعوة التي نريدها والمسألة التي نرجوها.

ولا يسوغ أن نقول: اللهم أذلَّ الشرك والمشركين برحمتك يا أرحم الراحمين. إنما ندعوه في مثل ذلك باسمه القوي، أو اسمه العزيز، أو اسمه القادر، ونحو ذلك.

قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالىٰ: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ أي اطلبوا منه بأسمائه؛ فيطلب بكل اسم ما يليق به، تقول: يا رحيم ارحمني، يا حكيم احكم لي، يا رازق ارزقني، يا هادي اهدني، يا فتاح افتح لي، يا توَّاب تبْ عليَّ؛ هكذا، فإن دعوت باسمٍ عامٍّ قلت: يا مالك ارحمني، يا عزيز احكم لي، يا لطيف ارزقني،

وإن دعوت بالأعم الأعظم فقلت: يا الله، فهو متضمن لكل اسمٍ، ولا تقول: يا رازق اهدني، إلا أن تريد: يا رازق ارزقني الخير، قال ابن العربي: وهكذا، رتِّبْ دعاءك تكن من المخلصين.

ومن التعبد بها عبادتي لله ومراقبتي له كأنني أراه، فأعبده وأراقبه إذ هو السميع البصير الرقيب.

وكذلك فإنني أخشاه؛ فهو الجبار، وكذا أطمع في فضله فهو الذي يجبر الخواطر المنكسرة.

وأعتقد أنني لن أستطيع أن أهرب منه؛ فهو القادرُ عليَّ، وسيأتي ذلك في باب أوسع إن شاء الله.

ومن ذكره بها ما ورد في الأذكار من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، سواء كانت الأذكار الموظفة (المخصوصة بالأزمنة والأمكنة والأحوال...) أو الأذكار المطلقة الواردة في الكتاب والسنة.

ومن الثناء عليه بها قولنا: اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيِّم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق وقولك حق...

وكذا من الثناء عليه بها قولنا في فاتحة الكتاب: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ فإننا إذا قلنا ذلك قال تعالىٰ: «**أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي**» كما ورد بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ[1].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم مع النووي (٤/ ١٠١) حديث (٣٩٥).

ومن تمجيده بها قولنا: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ فإننا إذا قلنا ذلك قال الله تبارك وتعالىٰ: «**مَجَّدَنِي عَبْدِي**» كما جاء بذلك الحديث أيضًا عن رسول الله ﷺ(١).

صور الإلحاد في أسماء الله عَزَّوَجَلَّ

هذا، وقوله تعالىٰ: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠] فيه تحذيرٌ من الإلحاد في أسماء الله، وللإلحاد في أسماء الله عَزَّوَجَلَّ صورٌ، منها ما يلي:

* **اشتقاق أسماء من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وإطلاقها علىٰ الآلهة المعبودة من دون الله،** وذلك أن أهل الشرك كانوا يزيدون في أسماء الله وينقصون منها ويسمون بها آلهتهم.

فكانوا يأخذون من لفظ الجلالة (الله) اسم اللات، ويسمون بها صنمًا من أصنامهم، ويأخذون من اسم الله (العزيز) لفظ العزَّىٰ، ويسمون بها صنمًا آخر، ويأخذون من اسم الله (المنان) مناة، ويسمون بها صنمًا ثالثًا، قال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم: ١٩ -٢٣].

* **ومن الإلحاد في هذه الأسماء التكذيب بها،** فمن العلماء من يطلق التكذيب علىٰ الإلحاد، ومن العلماء من يقول: يُلحدون أي يشركون.

* **ومن الإلحاد العدول عن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ والانحراف عنها وإنكارها،** قال

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم مع النووي (٤/ ١٠١) حديث (٣٩٥).

تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٠].

* **ويلحق بالإلحاد في أسمائه تسميته سبحانه لما لم يسمِّ به نفسه،** كما يفعل ضُلَّال الصوفية وجهلتهم؛ إذ يطلقون علىٰ الخالق سبحانه اسم (سعاد – سعدىٰ – ليلىٰ) ونحو ذلك، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وكما يفعل الفلاسفة؛ إذ يطلق بعضهم علىٰ الله (القوة الفاعلة)، والنصارىٰ يقولون: (الأب).

* **ومن الإلحاد في أسماء الله تعطيلُها،** ومن ذلك أن ينكر الصفات والأحكام التي تدل عليها تلك الأسماء، فيقول كما يقول المعطلة والجهمية الجهلة، يقولون: سميع بلا سمع، أو عليم بلا علم، وغير ذلك.

* **ومن الإلحاد في أسمائه تمثيله بمخلوقاته أو تشبيهه بمخلوقاته،** وقد قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١].

وقال تعالىٰ منكرًا علىٰ من شبهه بخلقه وضرب له مثلًا بخلقه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس: ٧٨]، أي أن ابن آدم لمَّا كان ضعيفًا ظن أن الله عَزَّوَجَلَّ ضعيف أيضًا، فكما أن ابن آدم يرىٰ أنه ـ وكذا بني جنسه (من بني آدم) ـ لا يستطيعون إحياء الموتىٰ فظن اللهَ كذلك، وتعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، فالله هو القوي القادر.

وقد قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤]، فعلمنا قاصرٌ، وقدراتنا قاصرة، وعقولنا قاصرة.

وفي الجملة قد قال تعالىٰ: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٨].

عدد أسماء الله الحسنى

أما عن عدد أسماء الله الحسنىٰ فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**»(١).

فالظاهر أن هذه الأسماء (التسعة والتسعين) اختصت بفضلٍ، ألا وهو أن من أحصاها دخل الجنة.

ولمزيد إيضاحٍ أقول وبالله التوفيق: ها هنا يُطرح سؤال حاصله:

هل أسماء الله الحسنى تنحصر في تسعة وتسعين أم أن لله عَزَّوَجَلَّ أسماءً حسنى أكثر من ذلك؟

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: واتفق العلماء(٢) علىٰ أن الحديث ليس فيه حصرٌ لأسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين؛ وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها، لا الإخبار بحصر الأسماء.

قلت (مصطفىٰ): ومن حجج العلماء علىٰ ذلك قوله ﷺ في حديث الشفاعة: «**فَيَفْتَحُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْمَحَامِدِ وَالثَّنَاءَاتِ لَا أُحْصِيهَا الْآنَ**».

وكذا الحديث الذي فيه: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ...**» ففيه: «**أَوِ اسْتَأْثَرْتَ**

---

(١) البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٢) وفي نقل الاتفاق نظر، والأحوط أن يُقال: إن الجمهور علىٰ هذا، لما سيأتي من قول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ.





بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ»[1]. والله أعلم.

لكن قد نقل الحافظ ابن حجر خلافًا، فقال: وقد اختلف في هذا العدد هل المراد به حصر الأسماء الحسنىٰ في هذه العدة أو أنها أكثر من ذلك ولكن اختصت هذه بأن من أحصاها دخل الجنة؟ فذهب الجمهور إلىٰ الثاني، ونقل النووي اتفاق العلماء عليه.



(١) هذا الحديث ضعيف الإسناد، وقد أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٩١ و ٥٤٢) وغيره، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا**» قال: فقيل: يا رسول الله، ألا نتعلمها؟ فقال: «**بَلَىٰ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا**».

وفي سنده أبو سلمة –وليس بالجهني– وهو مجهول، وثَمَّ متابعات تالفةٌ لا تصح.

تنبيه بشأن الزيادة الواردة في بيان أسماء الله الحسنى وتعديدها

وهي الزيادة التي أخرجها الترمذي[١] وغيره من طريق الوليد بن مسلم، حدثنا شعيب بن أبي حمزة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ... فذكر الحديث: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ...**» إلىٰ غير ذلك من الأسماء التي أوردها.

هذه الزيادة البيانية للأسماء شاذة، وقد أعلَّها جماهير المحدثين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: والذي عوَّل عليه جماعة من الحفاظ أنَّ سرد الأسماء في هذا الحديث مُدْرَجٌ فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحدٍ من أهل العلم أنهم قالوا ذلك، أي أنهم جمعوها من القرآن كما ورد عن جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة وأبي زيد اللغوي، والله أعلم.

وقال الترمذي بعد إخراجه الحديث: وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، ولا نعلم في كثير شيء من الروايات له إسنادًا صحيحًا ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث، وقد روىٰ آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسنادٍ غير هذا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وذكر فيه الأسماء، وليس له إسناد صحيح[٢].

---

(١) الترمذي (٣٥٠٧).

(٢) الترمذي (٣٥٠٧).



قلت (مصطفىٰ): وكما هو معلوم فإن البخاري ومسلمًا أخرجا أصل الحديث: «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**»، ولم يُورِدَا تعديد الأسماء.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]:

وليست العلة عند الشيْخين تفرُّد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه والاضطراب وتدليسه واحتمال الإدراج.

قلت (مصطفىٰ): ومن أخرجوا الحديث وفيه تعديد للأسماء الحسنىٰ وبيانها اختلفوا أيضًا في عدد من الأسماء، فلم يتفق المُخرِّجون للحديث علىٰ هذه الأسماء كلها، بل اتفقوا علىٰ كثير منها، وثَمَّ روايات أضعف بكثير من رواية الوليد بن مسلم في ذكر الأسماء الحسنىٰ أعرضنا عنها.

وأُورد هنا ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوىٰ[(٢)]، فقد سئل عمن قال: لا يجوز الدعاء إلا بالتسعة والتسعين اسمًا، ولا يقول: يا حنان يا منان، ولا يقول: يا دليل الحائرين، فهل له أن يقول ذلك؟

فأجاب[(٣)]:

الحمد لله، هذا القول وإن كان قد قاله طائفة من المتأخرين كأبي محمد بن حزم وغيره؛ فإن جمهور العلماء علىٰ خلافه، وعلىٰ ذلك مضىٰ سلف الأمة

---

(١) فتح الباري شرح حديث (٦٤١٠) (جـ ١١/ ٢١٩)، وذكر الحافظ هنالك كلامًا طويلًا في هذا الصدد، فلْيراجعْه من شاء.

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٢/ ٤٨٢) فما بعدها.

(٣) وأورد كلامه بتمامه، وإن كنت أختلف معه في بعض ما قال في الحكم علىٰ بعض الأحاديث التي أوردها.

وأئمتها، وهو الصواب لوجوه:

أحدها: أن التسعة والتسعين اسمًا لم يَرِدْ في تعيينها حديثٌ صحيح عن النبي ﷺ، وأشهر ما عند الناس فيها حديث الترمذي الذي رواه الوليد بن مسلم عن شعيب عن أبي حمزة، وحفاظ أهل الحديث يقولون: هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث، وفيها حديث ثان أضعف من هذا، رواه ابن ماجه. وقد روي في عددها غير هذين النوعين من جمع بعض السلف.

وهذا القائل الذي حصر أسماء الله في تسعة وتسعين لم يمكنه استخراجها من القرآن، وإذا لم يقم علىٰ تعيينها دليل يجب القول به؛ لم يمكن أن يقال: هي التي يجوز الدعاء بها دون غيرها؛ لأنه لا سبيل إلىٰ تمييز المأمور من المحظور، فكل اسم يُجهل حالُه يمكن أن يكون من المأمور، ويمكن أن يكون من المحظور، وإن قيل: لا تدعوا إلا باسم له ذكر في الكتاب والسنة. قيل: هذا أكثر من تسعة وتسعين.

الوجه الثاني: أنه إذا قيل: تعيينها علىٰ ما في حديث الترمذي مثلًا، ففي الكتاب والسنة أسماء ليست في ذلك الحديث مثل اسم «الرب»، فإنه ليْس في حديث الترمذي، وأكثر الدعاء المشروع إنما هو بهذا الاسم كقول آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، وقول نوح: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٧]، وقول إبراهيم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ [إبراهيم: ٤١]، وقول موسىٰ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦]، وقول المسيح: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٤] وأمثال ذلك.

حتىٰ إنه يذكر عن مالك وغيره أنهم كرهوا أن يقال: يا سيدي، بل يقال: يا ربُّ، لأنه دعاء النبيين وغيرهم كما ذكر الله في القرآن.



وكذلك اسم «المنان» ففي الحديث الذي رواه أهل السنن أن النبي ﷺ سمع داعيًا يدعو: اللهم إني أسألك بأن لك الملك، أنت الله المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم. فقال النبي ﷺ: «**لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ**»(١)، وهذا رد لقول من زعم أنه لا يمكن في أسمائه المنان.

وقد قال الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرجل ودَّعه قل: يا دليل الحائرين دلني علىٰ طريق الصادقين، واجَعَلْني من عبادك الصالحين. وقد أنكر طائفة من أهل الكلام كالقاضي أبي بكر وأبي الوفاء ابن عقيل أن يكون من أسمائه الدليل؛ لأنهم ظنوا أن الدليل هو الدلالة التي يستدل بها، والصواب ما عليه الجمهور؛ لأن الدليل في الأصل هو المعرف للمدلول، ولو كان الدليل ما يستدل به فالعبد يستدل به أيضًا، فهو دليل من الوجهين جميعًا.

وأيضا فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**»(٢) وليس هذا الاسم في هذه التسعة والتسعين، وثبت عنه في الصحيح أنه قال: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ**»(٣) وليس هو فيها، وفي الترمذي وغيره أنه قال: «**إِنَّ اللهَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ**»(٤) وليس هذا فيها، وفي الصحيح عنه أنه قال: «**إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا**»(٥) وليس هذا فيها. وتتبع هذا يطول.

---

(١) أبو داود في الصلاة (١٤٩٥)، والنسائي في السهو (١٣٠٠)، كلاهما عن أنس بن مالك، وفي سنده مقال.

(٢) مسلم (٢٦٧٧).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٩١).

(٤) ضعيف.

(٥) أخرجه مسلم، وسيأتي الكلام عنه إن شاء الله.

ولفظ التسعة والتسعين المشهورة عند الناس في الترمذي: «الله. الرحمن. الرحيم. الملك. القدوس. السلام. المؤمن. المهيمن. العزيز. الجبار. المتكبر. الخالق. البارئ. المصور. الغفار. القهار. الوهاب. الرزاق. الفتاح. العليم. القابض. الباسط. الخافض. الرافع. المعز. المذل. السميع. البصير. الحكم. العدل. اللطيف. الخبير. الحليم. العظيم. الغفور. الشكور. العلي. الكبير. الحفيظ. المقيت. الحسيب. الجليل. الكريم. الرقيب. المجيب. الواسع. الحكيم. الودود. المجيد. الباعث. الشهيد. الحق. الوكيل. القوي. المتين. الولي. الحميد. المحصي. المبدئ. المعيد. المحيي. المميت. الحي القيوم. الواجد. الماجد. الأحد - ويروى الواحد - الصمد. القادر. المقتدر. المقدم. المؤخر. الأول. الآخر. الظاهر. الباطن. الوالي. المتعالي. البر. التواب. المنتقم. العفو. الرءوف. مالك الملك. ذو الجلال والإكرام. المقسط. الجامع. الغني. المغني. المعطي. المانع. الضار. النافع. النور. الهادي. البديع. الباقي. الوارث. الرشيد. الصبور. الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»[(١)]

ومن أسمائه التي ليست في هذه التسعة والتسعين اسمه: السبوح، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ**»[(٢)]، واسمه «الشافي» كما ثبت في الصحيح أنه كان يقول: «**أَذْهِبِ الْبَأْسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**»[(٣)].

وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب

---

(١) الترمذي في الدعوات (٣٥٠٧) وهذا التعديد مدرج، وقد تقدم التنبيه عليه.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣) مع النووي.

(٣) مسلم في السلام (٢١٩١/ ٤٦) عن عائشة.

العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة وثبت في الدعاء بها بإجماع المسلمين، وليس من هذه التسعة والتسعين.

الوجه الثالث: ما احتج به الخطابي وغيره، وهو حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا أَصَابَ عَبْدًا قَطُّ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ فَقَالَ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَشِفَاءَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ غَمِّي وهَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَغَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا**» قالوا: يا رسول الله، أفلا نتعلمهن؟ قال: «**بَلَىٰ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَ**». رواه الإمام أحمد في المسند، وأبو حاتم ابن حبان في صحيحه(١).

قال الخطابي وغيره: فهذا يدل علىٰ أن له أسماءً، استأثر بها وذلك يدل علىٰ أن قوله: «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(٢) أن في أسمائه تسعة وتسعين من أحصاها دخل الجنة، كما يقول القائل: إن لي ألف درهم أعددتها للصدقة. وإن كان مالُه أكثرَ من ذلك.

والله في القرآن قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] فأمر أن يُدعىٰ بأسمائه الحسنىٰ مطلقًا، ولم يقل: ليست أسماؤه الحسنىٰ إلا تسعة وتسعين اسمًا، والحديث قد سلم معناه. والله أعلم.

---

(١) أحمد ١/ ٣٩١، وفي سنده مقال، وقد تقدم.

(٢) البخاري في الدعوات (٦٤١٠)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٧٧/ ٢٦)، وابن ماجه (٣٨٦٠)، كلهم عن أبي هريرة.

بعض أسباب الاختلاف في تعيين الأسماء الحسنى

وعلىٰ إثر ما ذُكر من تضعيف الرواية الواردة بتعيين الأسماء الحسنىٰ، ولكونها لم تثبت في حديث آخر، أقول وبالله التوفيق:

هناك أسماء حسنىٰ لله عَزَّوَجَلَّ متفق عليها كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ...﴾ [الحشر: ٢٣] الآيات، وكالرحمن والرحيم، وغيرذلك كثير جدًّا قد ثبتت به النصوص صراحةً.

وأسماء اختلف العلماء في اعتبارها وحصرها مع الأسماء الحسنىٰ، وسأبين سبب ذلك إن شاء الله.

وأسماء لم يصحَّ بها دليل أصلًا.

ومن أسباب الاختلافات في تعيين الأسماء الحسنىٰ، أقول وبالله التوفيق:

إن هذه الاختلافات ترجع إلى الآتي:

أولاً: الإضافات، هل تؤخذ منها أسماء أم لا، وهل تبقىٰ كما هي ونعدُّها من الأسماء الحسنىٰ أم يلزم أن يكون الاسم مُفردًا، فعلىٰ سبيل المثال (خير الناصرين) هل نأخذ منها اسم (الناصر) ونعتبره من الأسماء الحسنىٰ أم لا؟!

وكذا هل نبقي (خير الناصرين) كما هي ونوردها عند الإحصاء، فنقول من أسماء الله (خير الناصرين) أم لا؟!

وكذا (خير الحاكمين)، و(خير الفاتحين)، و(أحكم الحاكمين)، وكذا (مالك الملك) و(مالك يوم الدين)، وسيأتي مزيدٌ إن شاء الله.

ثانيًا: الخلاف القائم في بعض الأسماء المشتقة من الصفات، وهل كل صفة يُشتق منها اسم أم لا، كالجميل والطيب والوتر، ونحو ذلك، وهل الأولىٰ إبقاء ذلك كصفةٍ أم لا؟

ثالثًا: الأفعال هل تشتق منها[1] أسماء أم لا، كمثال قوله تعالىٰ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ [النساء: ٦٩] هل يؤخذ من ذلك اسم المنعم.

رابعًا: الاختلاف في مدلول الاسم، وهل هو حسن في غاية الحسن فيدخل في الأسماء الحسنىٰ أم ليس كذلك، (أي الاختلاف في توصيف الاسم، وهل هو ذو مدلول حسن أم لا؟).

خامسًا: الاختلاف في بعض القواعد التي وُضعت للحصر والتعيين.

سادسًا: الأسماء المصدرة بـ (ذو) هل تدخل في الأسماء أم لا؟ كقوله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٧٨﴾ [الرحمن: ٧٨] فهل نأخذ من ذلك اسمًا لله وهو ذو الجلال والإكرام، وكذا ذو المعارج؟.

سابعًا: الأسماء المتعدية إلىٰ غيرها بـ (علىٰ) أو (فوق) ونحو ذلك، هل تدخل أم لا؟

ثامنًا: الاختلاف في صحة الحديث -الذي استخرج منه الاسم- وضعفه، كالحيي، والستير، والجواد، والديَّان، وغير ذلك، وسيأتي لذلك مزيدٌ إن شاء الله.

فهذه بعض أسباب الاختلافات، فلا يستطيع أحدٌ أن يدَّعيَ التمام في كل ذلك.

---

(١) وإن كنت لا أجنح إلىٰ ذلك، إنما أوردت بعض أسباب الاختلاف.

ثم إنه إذا لزم القواعد التي وضعها لنفسه أيًّا كانت هذه القواعد، فستزيد الأسماء علىٰ تسعة وتسعين اسمًا أوتقل، إلا مع نوعٍ من التكلف والتناقض في الحصر والاعتبار، والموفق للتسع والتسعين التي ذكر النبي ﷺ فضل إحصائها هو من وفَّقه الله عَزَّوَجَلَّ.

تفسير قوله ﷺ: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّة»[1]

لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن الإحصاء بمعنىٰ الحفظ، فيكون معنىٰ (من أحصاها) أي حفظها، وقد جاء ما هو صريح بذلك في بعض طرق الحديث، واختار هذا القول البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره من المحققين.

الثاني: معرفة معانيها.

الثالث: العمل بها واعتقاد معانيها.

الرابع: عدُّها، وذلك راجعٌ إلىٰ الأول.

الخامس: الدعاء بها.

وثَمَّ أقوالٌ أُخر.

(١) انظر طرق هذا الحديث عند البخاري (٢٧٣٦، ٧٣٩٢)، ومسلم (٢٠٦٢)، والترمذي (٣٥٠٦)، وأحمد (٢/ ٢٥٨، ٢٦٧) وغير ذلك، وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري شرح حديث (٦٤١٠).

ذكر بعض القواعد والملاحظات
في باب إحصاء أسماء الله الحسنى وإثباتها

القاعدة الأولىٰ: أسماء الله عَزَّوَجَلَّ توقيفية، فلا يجوز لنا أن نسمي الله عَزَّوَجَلَّ بما لم يُسمِ به نفسه، أو بما لم يسمه به رسولُه محمدٌ ﷺ، فعلىٰ ذلك فإن أسماء الله الحسنىٰ تؤخذ من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ومن الثابت الصحيح من سنة رسول الله ﷺ، فقد حرَّم الله علينا أن نتقول عليه بغير علم، فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

القاعدة الثانية: أنها أسماء، فمن ثَمَّ تتميز بما تتميز به الأسماء، كدخول الألف واللام علىٰ الاسم، أو التنوين، أو حرف الجر، أو أداة النداء، أو يكون المعنىٰ مسندًا إليه، كما قال القائل:

بـــالجر والتنـــوين والنـــدا وأل ومســـند للاســـم تمييـــز حصـــل

إلىٰ غير ذلك مما وضعه العلماء لتعريف الأسماء والتفريق بينها وبين الحروف والأفعال.

وما ذكر من كونها أسماء فالآيات المباركات شاهدةٌ بذلك:

* قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]

* وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]

* وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه: ٨]

* وقال تعالىٰ: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر: ٢٤]

القاعدة الثالثة: أن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ كلها حسنىٰ، فهي تتضمن صفات الكمال، ثم إنها بالغة في الحسن غايته، ودالة علىٰ غاية الثناء والمدح، بالغة المنتهىٰ في ذلك.

فاسم (الحي) يتضمن الحياة الكاملة التي لم يسبقها موت ولا تنتهي بموت.

واسم (العليم) متضمن للكمال، فلم يسبقه جهل ولا يلحقه نسيان ولا ذهول، وربنا لا يضل ولا ينسىٰ.

هذا، وانظر ما سبق قريبًا للاستدلال علىٰ أنها كلها حسنىٰ.

ولهذا لم يورد العلماء من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ (الماكر) مع أن الله قال: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ولم يوردوا (الخادع أو المخادع) وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، ولم يوردوا (الناسي ولا المستهزئ ولا الساخر).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[1] بعد بحث حول إضافة الشر بصورة منفردة إلىٰ الله: ولهذا ليس من أسماء الله الحسنىٰ اسم يتضمن الشر، وإنما يُذكر الشر

(١) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٩٦).

في مفعولاته، كقوله: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠] وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦٧]، وقوله: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة: ٩٨] وقوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ [البروج: ١٢- ١٤]، فبيَّن سبحانه أن بطشه شديد، وأنه هو الغفور الودود.

واسم «المنتقم» ليس من أسماء الله الحسنىٰ الثابتة عن النبي ﷺ، وإنما جاء في القرآن مقيدًا كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة: ٢٢] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ [إبراهيم: ٤٧] والحديث الذي في عدد الأسماء الحسنىٰ الذي يذكر فيه المنتقم فذكر في سياقه «البَرُّ، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف» ليس هو عند أهل المعرفة بالحديث من كلام النبي ﷺ.

إلىٰ آخر ما قاله بصدد تضعيف الحديث.

وقبل ذلك ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ بعض الأسماء المقترنة (معتبرًا إياها أسماء الله) كالمعطي المانع، والضار النافع، والمعز والمذل، والخافض الرافع.

قال: فلا يفرد الاسم المانع عن قرين ولا الضار عن قرين؛ لأن اقترانهما يدل علىٰ العموم.

القاعدة الرابعة: أسماء الله أعلام وأوصاف، فهي أسماء الله وأوصاف له، كذلك فالاسم يدل علىٰ الوصف.

* فهي بالاعتبار الأول (باعتبارها أعلام) مترادفة لدلالتها علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ (وكما يقولون لدلالتها علىٰ الذات) فالسميع هو الله والبصير هو الله والعليم هو الله وهكذا، فالأسماء تدل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

* وبالاعتبار الثاني (باعتبارها أوصاف) فهي متباينة؛ لأن كل اسم يدل علىٰ صفة خاصة به ومعنًىٰ خاص به (فالعليم والقدير والسميع والبصير و..) كلها أسماءٌ لله، لكن لكلٍّ منها معنىٰ خاص به، فالعليم يدل علىٰ العلم والقدير يدل علىٰ القدرة والسميع يدل علىٰ السمع والبصير يدل علىٰ الرؤية والبصر.

وهي صفات لله عَزَّوَجَلَّ.

فالأسماء تدل علىٰ الذات والصفات وذلك أيضًا بالمطابقة وبالتضمن والالتزام.

فكما تقدم فاسم الرحيم يدل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وهو اسم لله، ويدل علىٰ صفة الرحمة (بالمطابقة)، ويدل علىٰ الحياة، ويدل علىٰ اسم الحي (بالالتزام).

وكما تقدم **السميع** اسم لله عَزَّوَجَلَّ، ويدل علىٰ صفة السمع، ويدل أيضًا علىٰ أنه (الحي).

والعلي اسم لله عَزَّوَجَلَّ يدل علىٰ العلو المطلق علو القهر وعلو الغلبة وعلو المكان وعلو القدر وعلو الذات.

والغفور مع كونه اسمًا فهو يدل علىٰ المغفرة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦] وهي صفة لله.

والرحيم مع كونه اسمًا فهو يدل أيضًا علىٰ الرحمة، قال تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨] فالرحمة صفة لله عَزَّوَجَلَّ.

* **ومن ثمَّ فإن الأسماء إذا لم تدل علىٰ صفةٍ لا تكون حسنىٰ**، كقولنا: (زيدٌ) مثلًا فإنها لا تدل علىٰ صفة، و(الدهر) اسم لكنه لا يدل علىٰ وصف،

وقد قال تعالىٰ في شأن ابن آدم: «**يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ**»(١).

* وكذلك الحروف المقطعة التي بُدئت بها بعض السور لا تدل علىٰ وصف، وإذا كانت تحتمل المدح والذم فلا تكون حسنىٰ إذ أُطلقت بل تُقيد بما يجعلها متمحضة للمدح.

القاعدة الخامسة: وليس في أسماء الله ما يدل علىٰ النقص بل هي دالةٌ علىٰ الكمال، والصفات التي تدل علىٰ المدح والذم لا تشتق منها الأسماء الحسنىٰ، قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات: ١٨٠]، وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن: ٧٨].

هذا، ويُلفت النظر إلىٰ المعتزلة تحذيرًا، فإنهم قالوا: الأسماء لا تدل علىٰ الصفات، فقالوا عن الله عَزَّوَجَلَّ سميع بلا سمع بصير بلا عين.

وينبه علىٰ أن هناك أسماءً تدل علىٰ الوصف لكن ليس لها مستند شرعي من الكتاب والسنة، فمثلًا (المُضل) اسم يدل علىٰ صفة لكن ليس له مستند شرعي من الكتاب والسنة فلا يُسمَّىٰ به الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) وفي الحديث دلالة علىٰ أن الدهر ليس من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ، وهو قوله تعالىٰ: «**أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ**».

والحديث أخرجه (البخاري ٤٨٢٦) ومسلم (٢٢٤٦) وغيرهما بألفاظ قريبة، وأيضًا ففي الآية الكريمة دليل علىٰ ذلك ألا وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ﴾ [الجاثية: ٢٤] فلو كان الدهر من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ ما نقم الله عَزَّوَجَلَّ عليهم قولهم.

هذا، وانظر تخريج الحديث عند البخاري (٧٤٩١) ومسلم (٢٢٤٦) بنحوه.

وإن كان الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ٢٧] لكن لا يُسمَّىٰ بالمضل إذ لا دليل علىٰ ذلك.

وهذه بعض القواعد المختلف فيها(١)

ورود الاسم مقيدًا أو مضافًا:

فقال بعض العلماء: يلزم أن يَرِد الاسم علىٰ سبيل الإطلاق (دون تقييد أو إضافة مقترنة) قالوا: لأن التقييد أو الإضافة تحدان من صفات الكمال، كذا قالوا، ثم إنَّ قائلي ذلك اختلفوا، فمنهم من منعها مطلقًا ومنهم من أخذ من الإضافات والاقتران الأسماء المقترنة بالعلو المطلق (علو القهر أو علو الشأن أو علو الذات أو الفوقية) فقبل بعضهم (سريع الحساب) كاسم، ولم يقبل (منزل الكتاب ومجري السحاب، وهازم الأحزاب) وكل ذلك ورد في حديث واحد.

*** ولم يقبل عددٌ من العلماء – في الإحصاء – الأسماء المقيدة بقرينة ظاهرة في النص**، كقوله تعالىٰ: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الواقعة: ٦٤] فلم يجعلوا (الزارع) من أسماء الله الحسنىٰ، وكذا قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الذاريات: ٤٧] فلم يقبلوا اسم (المُوسِع) في الإحصاء، وكذا ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الذاريات: ٤٨]، فلم يقبلوا اسم (الماهد).

* وكذا الحاسب في قوله: ﴿أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام: ٦٢].
وكذا الفاعل من قوله تعالىٰ: ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

---

(١) وينشأ عن الاختلاف في القاعدة اختلاف في الأسماء التي بنيت علىٰ هذه القاعدة بلا شك.

* والمحيط في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [البقرة: ١٩].

* وكذا القائم في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

* وكذا الصاحب والخليفة في قوله ﷺ: «**اللهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْمَالِ والأَهْلِ**».

وكذا قام النزاع في مثل قوله ﷺ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ**» فهل مقلب القلوب من الأسماء أم لا؟ وكذا اختلفوا في الطبيب للسياق الذي ورد فيه.

* واختلفوا في عددٍ من الصفات هل تشتق منها أسماء أم أنها تبقىٰ في حيز الصفات كـ (جميل) في حديث: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ**» فجميل وصفٌ لله عَزَّوَجَلَّ ولكن هل يكون الجميل من أسماء الله تعالىٰ أم من صفاته؟ وجهان للعلماء في ذلك.

* وكذا (الطيب) و(الوتر) وكذا (المحسن)[(١)] و(المعطي)[(٢)].

* **وكذا ما ورد من الأسماء مقيدًا ببعض الخلق دون بعض**، فقد نشأ في إحصائه مع الأسماء اختلاف كاسم (الحفي) من قول الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ [مريم: ٤٧].

* **واختلفوا في اشتقاق الأسماء من الأفعال** فمنعه كثيرون من العلماء وأخذ به أيضًا بعض العلماء، ومما يترتب علىٰ ذلك عدم اعتبار هذه الأسماء المشتقة

---

(١) مع الخلاف القائم في صحة الخبر: «**إِنَّ اللهَ مُحْسِنٌ**» وهو خبر ضعيفٌ فيما أرىٰ، والله أعلم.

(٢) وأيضًا دار الخلاف في صحة هذه اللفظة، فهل الصواب (والله يعطي) أم والله (معطي)، وهذا يحتاج إلىٰ دراسة مقارنة ويظهر لي أن الراجح: والله يعطي.

من الأفعال أو اعتبارها.

فمن ذلك المعز والمذل من قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، والمولج من قوله: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ [آل عمران: ٢٧]، وهكذا المبدئ والمعيد من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾ [البروج: ١٣].

ومن ذلك جملة كثيرة جدًّا كالخافض والرافع، والضار والنافع، والرامي، والكافي والمدبِّر، والمميت، والباعث، والعدل، والباقي، والمجيب، والمؤتي، والشارح، والمطعم، والدافع، والمستهزئ والساخر، والمخادع والماكر، وقد سبق التنبيه علىٰ هذه الأربعة الأخيرة وأنها ليست بأسماءٍ حسنىٰ.

وقد أدخل القرطبي عددًا من هذه الأسماء ولا نعلم لها مستندًا إلا الاشتقاق.

وأدخل أيضًا أسماءً ليس لها مستند صحيح كالموجود – المعبود – المذكور – الكائن – القديم – الدائم – الأبد – الفرد – الزَّكي – النظيف – الطاهر – الماجد – الطالب – المُقدِّر، وثمَّ أسماء كثيرة أوردها، وليس لها كبير مستند،[1] والله أعلم.

وقد اضطرب القوم في هذا الباب، أعني الذين رأوا اشتقاق الأسماء من الأفعال[2]، فاشتقوا أسماءً من بعض الأفعال، ولم يشتقوا من أفعال أخر.

فمثلًا قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] اشتقوا منها اسم المعز

(١) ومن ثمَّ فلا نُقِرُّه علىٰ هذه الأسماء إذ لا دليل صريح عليها، والله أعلم.

(٢) ولا أرىٰ هذا الرأي ولا أختاره.

والمذل، وأبوا أن يشتقوا منها اسم المؤتي والنازع.

وكذا جرىٰ النزاع في الاشتقاق من الأوصاف المضافة وقد سبقت الإشارة إلىٰ شيء من هذا، فقوله تعالىٰ: ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن: ٧٨]، هل يشتق منه اسم الجليل أم لا؟ وكذا قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾ [آل عمران: ٤]، هل يشتق منها المنتقم أم لا؟

جملةٌ من أسماء الله الحسنى
مع بيان بعض أدلتها وبعض معانيها[١]

وقد بدأتها بالأسماء المفردة، وعقبتُ ذلك بالأسماء التي وردت متعدية إلىٰ غيرها بلفظ (علىٰ) أو (فوق) ونحو ذلك.

ثم أوردت طائفة من الأسماء المضافة وتوابع لذلك، وأردفت ذلك بالأسماء الواردة في سنة رسول الله ﷺ.

لفتةٌ وتنبيهٌ:

من أفضل السبل وأحسن الطرق لجمع معاني الأسماء أن تجمع الأسماء واشتقاقاتها وما تصرف منها من الكتاب والسنة وتضم بعضها إلىٰ بعض فترىٰ أن بعضها يُفسر بعضًا أحسن تفسير وأجمله وأتمَّه وأدقه.

وهذا بلا شك يحتاج إلىٰ جهد وإلىٰ وقت، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، وإنك إن قمت بجمع ذلك، ولو في اسم واحدٍ من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ لاستبان لك وجه ما أقول، فعليك به، وكذلك التعبد بهذه الأسماء، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) علمًا بأنني لم أستقصِ في إيراد الأدلة، أي أنني لم أورد كل الأدلة الواردة لإثبات الاسم إنما أوردت فقط ما تقوم به الحجة، وذلك لأن هناك عدد من الأسماء كل اسم عليه عشرات الأدلة فاجتزأت ببعض ذلك لإثبات الاسم. وكذا المعاني فإنها كثيرة جدًّا، فاجتزأت بإيراد أشهرها والله أعلم.

أولًا: الأسماء التي وردت مفردةً

(اللّه)(١)

وهو أفضل الأسماء وأعظمها وإليه تضاف سائر الأسماء، وقد قال كثيرٌ من أهل العلم إنه اسم الله الأعظم وقد كان أهل الشرك يقرون به ولا ينازعون فيه(٢)، وأدلة هذا الاسم لا تكاد تحصىٰ منها: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفاتحة: ١] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]، ومنها: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر: ٢٣]، ومنها: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]...

ومن معاني اسم (الله) المعبود بحقٍّ، الذي تعبده الخلائق محبة وتعظيمًا.

هذا، وقد قال عددٌ من العلماء في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] أي هل تعلم أحدًا تسمىٰ (الله) غير الله ﷻ(٣)؟

---

(١) ولا التفات إلىٰ من لم يدخله في الأسماء الحسنىٰ.

وهو قول الجمهور، فإن قال قائل: لماذا ندعو ونقول: (اللهم) ومعناها (يا الله) ولا يستجاب لنا؟ وجوابه – عند الجمهور – أن الداعي لم يستوفِ سائر شرائط الدعاء وأسباب الإجابة، هذا، ولم يرد في تعيين اسم الله أعظم حديثٌ سالِمٌ من العلل.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

(٣) وإن كان هناك معنىٰ آخر للآية الكريمة، وهو: هل تعلم له شبيهًا أو مثيلًا أو نظيرًا.

(الرحمن)

وقد سميت سورة من سور الكتاب العزيز بهذا الاسم وقال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾ [الرحمن: ١، ٢] وهذا الاسم لله عَزَّوَجَلَّ لا يشاركه فيه أحد، فلا يصح لأحد أن يتسمىٰ بالرحمن(١) وقد كان من أهل الشرك من يثبت هذا الاسم، ومنهم من كان ينفيه قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورَۢا ۝٦٠﴾ [الفرقان: ٦٠] وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء: ١١٠] وقال تعالىٰ: ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ﴾ [يس: ١٥] والرحمن اسمٌ عام يشمل جميع أنواع الرحمة، فقد شملت رحمتُه في الدنيا كلَّ شيء كما قال: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

فهو يرزق الخلق كلَّهم مسلمهم وكافرهم، وإنسهم وجنهم، ودوابهم وسائر الخلق، يرزق الخلق جميعًا في الدنيا، وهو رحمن في الآخرة يعدل بين الخلق ولا يظلمهم.

(الرحيم)

من أدلته قوله تعالىٰ: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩﴾ [الحجر: ٤٩] فهو رحيم بالمؤمنين في الدنيا والآخرة، وقد قال: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ۝٤٣﴾ [الأحزاب: ٤٣] ومن رحمته بهم أن يلطف بهم ويهديَهم ويفرجَ كروبهم، وغير ذلك.

---

(١) ولما سمي مسيلمة نفسه بالرحمن (رحمن اليمامة) وصف بالكذب ولم يفارقْه فلا يقال إلا مسيلمة الكذاب.

ولا يُعكر علىٰ ما ذُكر قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣] وذلك لأن صورة الرحمة هنا - كما قال الطبري - تفارق صورتها في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣].

فإذا قلنا إن المراد بالناس عموم الناس فصورة الرحمة - والله أعلم - تتمثل في تأنيه سبحانه بهم وعدم الاستعجال بإنزال العذاب عليهم، بل يتأنىٰ بهم ويفتح لهم باب التوبة، والله أعلم.

(الأحد)

دليله قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: ١].

ومن معانيه الذي لا مثيل له، ولا نظير له، ولا شبيه له، فالأحدية تنفي مطلق المشاركة والمماثلة بوجه من الوجوه.

فلا يشاركه أحدٌ وليس كمثله شيء.

وإن قيل: إن الواحد تختص بالعدد أحيانًا، فالواحد يثبت الوحدانية وينفي المشاركة والتعدد.

والأحد يختص بالعدد والصفة معًا، ويثبت التفرد وانعدام المماثلة والمشابهة، فكان له وجهٌ في بعض المواطن، والله أعلم.

قال ابن كثير: هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير له ولا نديد ولا شبيه ولا عديل.

(الواحد)

ومن أدلته قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ٤٨﴾ [إبراهيم: ٤٨].

ومن معانيه الإله الواحد الذي لا شريك له، وأنه سبحانه لا منازع له فهو الواحد القهار، وكذا فإنه واحد كما في الحديث: «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ**»(١).

ومما يوضح المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ٤٢﴾ [الإسراء: ٤٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١﴾ [المؤمنون: ٩١]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢﴾ [سبأ: ٢٢] فهو سبحانه الواحد المتفرد بالملك، وهو الواحد الذي إذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون.

(١) البخاري (٣٠١٩).

(الصمد)

ودليله قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ٢]. وقوله تعالىٰ في الحديث القدسي: «**وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ**»(١).

وله جملة من المعاني ذكرها العلماء، منها ما يلي:

المعنىٰ الأول: أن المراد بالصمد ذكر في الآيات التي تليها ألا وهي قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٣، ٤]، فالصمد هو الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

الثاني: أن الصمد: هو الذي يصمد إليه الخلق في حوائجهم ومسائلهم، أي: يقصده الخلق في حوائجهم ومسائلهم إذ لا يقدر علىٰ قضائها لهم غيره ﷻ.

الثالث: أن الصمد: المصمت الذي لا جوف له.

الرابع: أن الصمد: هو السيد الذي انتهت إليه السيادة في كل شيء، فلا سيد فوقه، وهو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله ﷻ، هذه صفته لا تنبغي إلا له.

الخامس: أن الصمد: الذي لا يأكل ولا يشرب.

---

(١) البخاري (٤٩٧٤).

السادس: أن الصمد: الباقي بعد فناء خلقه.

السابع: أن الصمد: الذي لا تصلح العبادة إلا له.

الثامن: أن الصمد: هو المستغني عن كل أحد والمحتاج إليه كل أحد.

التاسع: أن الصمد: الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

وثمَّ أقوال أخر، والجمع بين هذه الأقوال ممكن.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالىٰ: (بعد إيراده جملة من هذه الأقوال):

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب «السنة» له بعد إيراده كثيرًا من هذه الأقوال في تفسير الصمد: وكل هذه الأقوال صحيحة وهي صفات ربنا عَزَّوَجَلَّ، هو الذي يُصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهىٰ سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه، وقال البيهقي نحو ذلك.

(الحيُّ)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ﴾ [غافر: ٦٥].

ومن معانيه: أنه الذي لا يموت، قال تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال ﷺ: «**أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ**»(١).

---

(١) مسلم (٢٧١٧).

وقال تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

(القيوم)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

ومن معانيه: القائم بنفسه ﷻ، وكذا الذي يقوم بالأشياء فلا قيام لها إلا به.

وفي الحديث: «**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ**».

فالقيم علىٰ الأشياء هو القائم بتدبيرها وتيسير أمورها وسدِّ احتياجاتها، ومحاسبتها وسائر شؤونها.

ومن المعاني: القائم علىٰ الأنفس بمحاسبتها، قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾.

ومما يوضح بعض المعاني السابقة قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ أي قائمون بتدبير شؤونهن وترتيب أمورهم وسدِّ احتياجاتهن[1].

ومن ذلك قولهم: فلان قائم بالعمل: أن يؤديه علىٰ أكمل وجهٍ.

(الملك)

ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وعند البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يَقْبِضُ**

(١) مع الفارق بين العبد والرب جل وعلا.

اللهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ»[١].

ومن معانيه: المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها كيفما يريد، والآمر فيها بما يشاء والناهي عن ما يشاء، فالقول قوله والحكم حكمه والملك ملكه.

(القدوس)

ودليله قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣].

ومن معانيه: الطاهر من كل عيب، والمنزه عن كل نقص عما لا يليق به سبحانه[٢]، والموصوف بصفات الكمال.

(السلام)

ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وفي السنة قول رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ**[٣]».

ومن معانيه: الذي سلم من العيوب والنقائص والآفات والذ، ي منه السلام والأمان وفي شرعه السلام والأمان.

---

(١) البخاري (٤٥٣٤).

(٢) تقدس عن الشريك والمثيل، وتقدس عن الزوجة والولد، وتقدس عن النسيان والضلال، والسهو والسنة والنوم والموت، وتقدس عن الظلم، وتقدس عن الشبيه والمثيل، وتقدس عن الفقر والبخل، وتقدس عن الكذب، وتقدس عن كل ما لا يليق به جل وعلا.

(٣) البخاري (٧٩٧) ومسلم (٤٠٢).

(المؤمن)

قال تعالىٰ: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣]، فهو الذي يؤمِّن عباده المؤمنين مما لا يستحقونه من العذاب، ويؤمنهم يوم الفزع الأكبر، وهو المؤمن الذي أمِنَ خلقه من أن يظلمهم، وهو المؤمن المصدق لنفسه الشاهد لنفسه بالوحدانية كما قال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨].

(المهيمن)

ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣].

ومن معانيه: المحيط بكل شيء علمًا، والرقيب علىٰ الخلق، والقائم عليهم بتدبير أمورهم وأرزاقهم وسائر شؤونهم.

(العزيز)

قال تعالىٰ: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾ [آل عمران: ٦].

ومن معانيه: منيع الجناب[1] عظيم السلطان، الغالب الذي لا يُغلب ولا يمتنع منه شيءٌ ولا يعجز عن شيء.

---

(١) لا يستطيع أحدٌ من العباد أن يناله بشيءٍ، ولا أن يُدخل مكروهًا عليه.

(الجبار)

ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

ومن معانيه: الذي يُجبر خلقه علىٰ فعل ما يريد، وكذا الذي يجبر الخواطر المنكسرة، وكذا الذي يصلح شؤون خلقه.

(المتكبر)

ودليله: ﴿ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

ومن معانيه: ذو الشرف والعلو والعظمة، المتعالي علىٰ جميع خلقه وعن صفاتهم، الذي له الكبرياء والعظمة.

وكذا فإنه متكبرٌ عن ظلم العباد، والمتكبر علىٰ عتاةِ خلقه، والمتكبر عن أن يكون له ندٌّ أو شريكٌ أو صاحبةٌ أو ولد.

(الخالق)

ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِئُ﴾ [الحشر: ٢٣].

ومن معانيه: أنه هو الذي أوجد الأشياء ولم تكن من قبل شيئًا، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾ [مريم: ٩].

* وكذا فإنه أوجد أشياء من أشياء أُخَر كما قال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥]، وقال: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ [المؤمنون: ١٤]،

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥].

* وقد كان أهل الشرك يقرون بأن الله هو الخالق، قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

(البارئ)

دليله: قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤].

ومن معانيه: (الخالق) لكن يُطلق البارئ علىٰ خالق ذوات الأرواح، ومنه: (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة).

ومن معانيه: المُنفذ لما خلقه وصوره، فإنه يصور ويُقدِّر علىٰ الوجه الذي يريد ثم يُظهر المقدر ويُحييه.

فكثيرٌ من الخلق يُصوِّرُون أشياء لكن لا يستطيعون إحياءها.

ومن معانيه: الذي خلق الخلق مُبرئين من العيوب[1]، والذي يُبرئُ خلقه من الآفات والعيوب.

ومن معانيه: الذي فصل الخلق عن بعض وميَّز كلًّا بصفات.

---

(١) إلا من شاء أن يبتليه، وكثيرًا ما تجد في الدنيا مُصممًا يصمم شيئًا لكن لا يستطيع أن ينفذ ما صممه وصوره، فتعالىٰ الله عن الضعف والعجز.

(المصور)

ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤].

ومن معانيه: الذي صوَّر الخلق علىٰ الوجه الذي يريد وعلىٰ الصورة التي يريدها، ومن قدرته والآيات الدالة علىٰ وحدانيته أنه أعطىٰ كل مخلوق صورة ليست للآخر، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢].

ومن الحكمة من ذلك أنه سبحانه جعلهم كذلك ليتعارفوا فيما بينهم باختلاف صورهم وبتنوعهم.

وكذلك فإنه سبحانه صوَّر الخلق في الأرحام كيف شاء كما قال تعالىٰ: ﴿يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٦].

(الأول)

ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣].

فهو سبحانه الأول، فلا شيء قبله.

* كما في الحديث: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ، فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ، فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**»(١).

* وفي الحديث أيضًا: «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ**

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧١٣).

الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»[١].

(الآخر)

ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

وفي الحديث المتقدم: «**وَأَنْتَ الآخِرُ، فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**».

وقد قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

(الظاهر)

ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، وفي الحديث: «**وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ**»[٢].

فمن معانيه: الذي لا شيء فوقه.

وقيل: الظاهر علىٰ كل شيء دونه، فهو العلي الأعلىٰ فوق كل شيء، فلا شيء أعلىٰ منه.

والظاهر أيضًا الذي لا يخفىٰ عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، بل ظهر علىٰ حقيقة كل شيء، والظهور أيضًا الانتصار، تقول: ظهر فلان علىٰ فلان، أو ظهر قوم علىٰ قوم؛ أي انتصروا عليهم.

---

(١) **صحيح:** أخرجه البخاري (٣١٩١).

(٢) مسلم (٢٧١٣).

(الباطن)

دليله: قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] وفي الحديث: «**وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**»(١).

وقيل في معناه: لا يخفىٰ عليك شيء، فهو سبحانه يعلم بواطن الأمور وحقائقها وخفاياها، وكما قال: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الملك: ١٣]، وقيل في معنىٰ الباطن: الذي لا يحيط أحدٌ به علمًا كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وقيل: الباطن غير مشاهد، لا تراه الأعين (في الدنيا)، أي المحتجب عن أبصار الخلق (في الدنيا).

(السميع)

دليله: قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١]، وقول الخليل وإسماعيل عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقال ﷺ: «**إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا**»(٢).

ومن معانيه أنه سبحانه يسمع ما أسره الخلق وما أخفوه.

---

(١) مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٨٤).

قال تعالىٰ: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الملك: ١٣]، وقال تعالىٰ: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ [الرعد: ١٠].

* هذا، وسمعه تبارك وتعالىٰ ليس كسمع خلقه، فالخلق يسمعون من يناديهم من قريب ولا يسمعون نداء البعيد.

* والخلق إذا ناموا لم يسمعوا.

* والخلق تختلط عليهم الأصوات، فإذا تكلم أكثر من شخصٍ في وقت واحد لم يميزوا.

* والخلق قد يسمعون ولا يفهمون، وتختلف عليهم اللغات، ولا يفهمون أصوات الحيوانات.

أما رب العباد السميع فإنه يسمع الخلق كلهم (ملائكتهم وجنهم وإنسم وسائر المخلوقات) وإن تكلموا في وقت واحد، ويعلم مرادهم، فالسميع سبحانه لا تختلط عليه الأصوات، والسميع يسمع في كل وقت وحين.

* هذا، وقد يطلق السمع ويراد به سمع الإجابة أيضًا، كقوله ﷺ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**»؛ أي سمعه وأجابه وأعطاه.

وكقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]، أي سمع شكواها وأجابها فأنزل عليك قرآنًا في شأنها.

(البصير)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الحج: ٧٥].

ومن معانيه: الذي يرىٰ المخلوقات كلها، ما ظهر لنا منها وما خفي علينا، فالبشر يرون أشياء وتخفىٰ عليهم أشياء، والبشر لنظرهم قدراتٌ يرون القريب ولا يرون البعيد، وإذا نظر أحدهم أمامه لا يرىٰ من خلفه، وإذا نظر إلىٰ الخلف لم ير من أمامه، ولم ير من عن يمينه ولا عن شماله، ولا من فوقه ولا من تحته، والبشر لا يرون الجن ولا يرون الملائكة، ولا يرون الغائص في البحار، ولا ما خفي تحت الأرض، ولكن الله يرىٰ الخلائق كلها، ولا يعزب عنه شيءٌ منها.

ومن معاني البصير المبصر بحقائق الأمور، فتقول في حق بعض البشر مثلًا: هذا شخص بصير؛ أي خبيرٌ بحقائقها، والعلم عند الله.

(الفتاح)

ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبأ: ٢٦].

ومن معانيه: الذي يقضي ويحكم بين العباد بالحق، فيفتح بيننا؛ أي فيقضي بيننا.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩]؛ أي إن تطلبوا القضاء والحكم والفصل بينكم وبين أهل الإيمان فها هو الفصل والحكم والقضاء قد كان يا أهل الشرك، وذاك يوم بدر.

ومنه قول شعيب عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف: ٨٩].

ومن معاني الفتاح: كثير الفتح لما أُغلق، فيفتح أبواب الرزق، ويفتح أبواب

العلم، ويفتح أبواب الخير، ويُفرج الكربات، وقد قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤].

ومن المعاني: قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢].

ومن معاني الفتح كما سبق الفتح لكل ما أغلق، وقد يفتح الله علىٰ العبد في الرزق وفي العلم وفي إلقاء الخطب والمحاضرات وغير ذلك، وقد قال ﷺ: «**أُعْطِيتُ مَفَاتِحَ الْكَلِمِ...**»(١).

(العليم)

ومن أدلته قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: ٣٨].

ومن معانيه كثير العلم الذي أحاط علمًا بكل شيءٍ، فمن عِلمه علمُهُ بما كان وبما سيكون وبما هو كائن، وعلمه بعواقب الأمور ومنتهاها، ومن عِلمه علمُهُ بما نُسِرُّ وما نُعلن، ومن علمه علمه بما يتناجىٰ به الناس، ومن علمه علمه بالحيوانات والطيور والنبات وسائر المخلوقات، وعلمه بالملائكة والجن.

وقد قال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

---

(١) البخاري (٦٥٩٧).

ومن علمه علمه بوقت انقضاء الآجال، وعلمه متىٰ يأتي الفرَج، فهو بكل شيء عليم.

(الحكيم)

ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾ [آل عمران: ٦].

ومن معانيه: الذي يتقن خلق الأشياء؛ أي يُحكم خلقها.

ومن معاني الحكمة الإصابة والسداد في القول والعمل، فلا يتكلم إلا لفائدة، ولا يعمل عملًا سدًى.

ومن معانيه: الذي لا يدخل تدبيره خللٌ ولا زللٌ.

ومن معانيه: الذي يفعل كل شيء لغاية ويضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها.

ومن ذلك الحكيم في شرعه، فلا يشرع شيئًا إلا لحكمةٍ يعلمها سبحانه، ولا يُقدر شيئًا إلا لحكمةٍ. والله أعلم.

(اللطيف)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك: ١٤]، وقال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «**لَتُخْبِرِينِي أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**»(١).

(١) مسلم (٩٧٤).

ومن معانيه: الذي لا تخفىٰ عليه الأمور وإن دقَّت، أي لا تخفىٰ عليه دقائق الأمور مهما صغرت وتضاءلت.

قال لقمان لولده: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان: ١٦].

ومن معانيه الرفق، فهو الذي يُنفذ أقداره في عباده المؤمنين مع رحمته بهم ورفقه بهم.

قال يوسف عليه السلام بعد أن ذكر ما قدره الله عليه وعلىٰ أبيه وعلىٰ إخوته: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

ومن معانيه: الذي يرزق عباده ويجيب دعوتهم ويرحمهم ويخفف عنهم، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [الشورىٰ: ١٩].

ومن لطفه بالعباد في الدنيا أنهم لا يرونه، فحجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه، وقد قال لموسىٰ عليه السلام: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

هذا، ومن معاني اللطف الحنان والرفق، قالت عائشة رضي الله عنها: «ويريبني في وجعي أني لا أرىٰ من النبي ﷺ اللطف الذي كنت أرىٰ منه حين أمرض»[(١)].

(١) البخاري (٢٥١٨).

(الخبير)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ومن معانيه: العليم بالأشياء، المطلع علىٰ بواطنها، والعليم بحقائقها، والعليم بالأعمال والبواعث عليها، ومن معانيه ذو الخبرة بكل شيء.

(الغفور)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤﴾ [البروج: ١٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥﴾ [الشورىٰ: ٥].

ومن معانيه: كثير المغفرة للذنوب وإن كثرت، ومن معاني المغفرة الستر علىٰ الذنب وعدم المؤاخذة به، ودليل ذلك: قول الله عَزَّوَجَلَّ للعبد يوم القيامة بعد أن يقرره بذنوبه، وبعد أن يرىٰ العبد أنه قد هلك: «**سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ**»(١).

(الودود)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤﴾ [البروج: ١٤].

ومن معانيه: الذي يحب عباده المؤمنين، ويحب منهم التائبين، ويحب المتطهرين ويحب الصابرين والمحسنين.

---

(١) البخاري (٢٣٠٩).

وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦].

والودود أيضًا هو الذي يصل أهل طاعته برحمته، ويكون معهم بحفظه ورعايته لهم وإجابة دعوتهم.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ مَوْتِهِ**»(١).

والودود للخلق كلهم بمعنىٰ أنه جل وعلا يوسع عليهم في الأرزاق ويعافيهم.

والودود أيضًا بمعنىٰ المحبوب الذي يستحق أن يحب الحب كله، الحب المصحوب بالطاعة والامتثال والذل والانكسار والافتقار، الحب الذي يفوق كلَّ حبٍّ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾.

(الغفار)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾ [الزمر: ٥].

ومن معانيه: كثير المغفرة للذنوب وإن عظمت، أي مهما عظم الذنب فهو يغفره.

ومن معانيه أيضًا: الذي يستر علىٰ الجرائم العظيمة وكبائر الذنوب وإن كانت كثيرة، ويغفرها ولا يؤاخذ بها إن شاء.

---

(١) مسلم (٢٥٥٢).

وقد قال عن نفسه تبارك وتعالىٰ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢].

(الوهاب)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾ [ص: ٩].

وقول أهل الإيمان: ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

ومن معانيه: كثير المواهب والعطايا من غير إيجاب ذلك عليه ومن غير عوض، ولذا فإنه كثير المواهب والعطايا من جميع صنوف العطايا، يهب الرحمة ويهب الملك، ويهب الرزق، ويهب الذرية، ويهب ما يشاء لمن يشاء علىٰ الوجه الذي يشاء، كما قال: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورىٰ: ٤٩، ٥٠].

وكما قال: ﴿وَهَبْنَا لَهُۥ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ [مريم: ٤٩]، وكما قال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: ٥٠]، وكما قال: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [ص: ٣٠]، وكما قال سبحانه: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ثم إنه سبحانه يُعطي ويهب سواء طلب العبد ذلك منه أم لم يطلب، والهبةُ: هي ما يُعطاه الشخص دون مقابل.

(الرزاق)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨].

ومن معانيه: كثير العطاء، وكثير الأرزاق، وكثيرًا ما يكون الرزق بالمال والطعام والشراب والملبس، وهو الغالب، وإن كان أيضًا بغير ذلك كما قالت أم حبيبة: اللهم متعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله ﷺ: «**قَدْ سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ، وَلَنْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ...**» الحديث[1].

(التواب)

ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٣٧].

ومن معانيه: كثيرالتوبة عن عباده، والتوبة من معانيها الرجوع، وفي حق الله عَزَّوَجَلَّ تفضُّله علىٰ العباد برحمته ومغفرته وإقباله عليهم ـ مهما أذنبوا ورجعوا إليه ـ قبل رجوعهم إليه.

وأيضًا من ذلك: كثرة توفيقه لهم كي يرجعوا إليه وتيسير أسباب التوبة لهم.

ومن ذلك مغفرته لهم إذا هم استغفروه.

ومن الآيات والأحاديث التي تزيد المعنىٰ إيضاحًا قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة: ١١٨].

---

(١) مسلم (٢٦٦٣).

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان: ٧١]. أي يرجع إلىٰ الله رجوعًا صحيحًا مقبولًا غير مردود، ومن ذلك قوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»(١).

(البَرُّ)

من أدلته: قول أهل الإيمان: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: ٢٨].

ومن معانيه العطوف علىٰ عباده، الرحيم بهم، المحسن إليهم، الرفيق بهم، والله أعلم.

(الولي)

دليله: قوله تعالىٰ: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾ [الشورىٰ: ٩]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورىٰ: ٢٨].

ومن معاني (الولي): الناصر والمحب.

ومن معانيه متولي الأمور، يتولىٰ أمور عباده ويدبرها لهم ويرزقهم، ويتولىٰ أهل الإيمان بحفظهم ونصرهم كما قال: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧]، فالولاية عامة وخاصة، يتولىٰ الخلق كلهم يرزقهم ويدبر شؤونهم، ويتولىٰ المؤمنين بحفظهم ورحمتهم وإثابتهم ونصرهم.

---

(١) مسلم (٢٧٥٩).

(الحميد)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

ومن معانيه: المحمود علىٰ كل شيء، المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه الذي شرع، وقدره الذي قدَّر.

وهو سبحانه أهلٌ لأن يُحمد، وأهلٌ لأن يُشكر، والمحمود في ذاته وصفاته، والمحمود علىٰ كل حال، علىٰ السراء والضراء، والمحمود الذي تحمده الخلائق كلها.

وفي الحديث: «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتُ الْحَقُّ وَقَوْلُكَ حَقٌّ وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ...**»[(١)].

(المجيد)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ[(٢)] ﴿١٥﴾﴾ [البروج: ١٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود: ٧٣]، وفي التشهد[(٣)] نقول: «**إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**».

ومن معانيه: ذو العظمة، والمُمجد المعظم.

---

(١) البخاري (٦٣١٧) ومسلم (٧٦٩).

(٢) وهل المجيد وصفٌ للعرش أم وصف لله ﷻ فهنالك قراءتان (المجيدُ) والمجيدِ، ولكن الاسم ثابت علىٰ أية حال للآية التي تلتها.

(٣) البخاري (٣٣٦٩) ومسلم (٤٠٧).

ومن معانيه: الذي يُثنىٰ عليه بأعظم صور الثناء.

ومن معانيه: ذو الشرف والعلو.

ويوضح المعنىٰ شيئًا ما، أننا إذا قلنا: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤] يقول تعالىٰ: «**مَجَّدَنِي عَبْدِي**». قال النبي ﷺ: «**يُمَجِّدُ رَبُّنَا نَفْسَهُ**».

والتمجيد نوع من الثناء في بابٍ من الأبواب وهو باب التعظيم والشرف والعزة والعلو والتفضل والكرم والرفعة، ونحو ذلك.

(الخلاق)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨٦﴾ [الحجر: ٨٦]، وقال تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨١﴾ [يس: ٨١].

ومن معانيه: كثير الخلق، الذي يخلق خلقًا بعد خلق بعد خلق، ويبدع في الخلق، ويخلق خلقًا مع الخلق، ويخلق ما يشاء في أي صورة يشاء.

ومن معانيه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧]، والذي خلق الأشياء من قبل ولم تك شيئًا.

(القهار)

ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝٤٨﴾ [إبراهيم: ٤٨].

ومن معانيه: أنه شديد القهر وكثير القهر، قهرٌ عام للعباد جميعهم بالموت، وقهرٌ للجبابرة والظلمة؛ قهرٌ بعد قهرٍ بعد قهرٍ.

وهو سبحانه يقهر، ولا يحتاج معه إلىٰ معين يعين كي يقهر، والله أعلم.

(الحليم)

ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝٢٢٥﴾ [البقرة: ٢٢٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ۝٢٦٣﴾ [البقرة: ٢٦٣].

ومن معانيه: الذي لا يعاجل بالعقوبة والانتقام.

ومن معانيه: الذي يتجاوز عن الزلات، ومن حلمه أنه سبحانه لا يمنع الرزق عن العباد مع كفرهم، بل يرزقهم ويعافيهم، فيرزق العاصي ويرزق المطيع، ويعفو ويصفح.

(العلي)

ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج: ٦٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ومن معانيه: العلي مكانًا فهو سبحانه في السماء[1] كما قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]، وهو سبحانه مستو علىٰ العرش كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

ومن معانيه: العلي قدرًا ومنزلةً.

ومن معانيه: العلي في صفاته.

ومن معانيه: علو القهر والغلبة.

فهو الذي له العلو المطلق ﷻ.

---

(١) وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال للجارية: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قالت: في السماء... قال: «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**». أخرجه مسلم (٥٣٧).
والأدلة في هذا الباب كثيرةٌ جدًّا، انظرها في كتابي التسهيل لتأويل التنزيل.

(العظيم)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾، وقول رسول الله ﷺ: «**لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ**»(١).

ومن معانيه: أنه جل وعلا عظيم في ذاته وعظيم في صفاته.

فمن عظمته أننا لا نحيط به علمًا، ومهما قال البشر فلن يقدُروا الله حق قدره.

وقد قال عن نفسه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورىٰ: ١١]، وشأنه عظيم، وملكه عظيم، وسلطانه عظيم، وعلمه عظيم، ورحمته عظيمة، وقدرته عظيمة، وكل صفات العظمة له ﷻ.

(الأعلى)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ [الأعلىٰ: ١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠﴾ [الليل: ١٩، ٢٠]، وقول رسول الله ﷺ في سجوده: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَىٰ**»(٢).

ومن معانيه: أنه سبحانه أعلىٰ من جميع الخلق، أعلىٰ منهم شأنًا، وأعلىٰ منهم مكانًا، وأعلىٰ منهم قدرًا ومنزلة، وأعلىٰ منهم قهرًا وغلبةً، وكل شيء كان عاليًا فالله أعلىٰ منه ﷻ.

---

(١) البخاري (٦٣٤٥).

(٢) مسلم في صحيحه (٧٧٢).

(المتعال)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾ [الرعد: ٩].

ومن معانيه: المتعال علىٰ كل شيء، فكل شيء دونه، وكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته، وكل شيء خاضع له، وكما سلف فهو العلي مكانًا ومنزلة، والتعالىٰ هو الارتفاع، وزيادة حرف فيها دالة علىٰ عظمة الصفة[(١)]، فالمتعالي عالي القدر والمنزلة علوًّا أعظم.

(الشكور)

ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝١٧﴾ [التغابن: ١٧].

ومن معانيه: كثير الشكر لعباده، فكل من صنع معروفًا، وإن قلَّ هذا المعروف فإن الله يشكر صاحبه عليه، ويثيبه علىٰ معروفه.

ومن شكره للعبد أنه يضاعف له الحسنات، ومن شكره للعبد أنه يثني علىٰ العبد بمعروفه الذي صنعه.

والشكور أبلغ من الشاكر[(٢)]، ومن شكره للعبد أنه سبحانه يوفقه للطاعة ولمزيدٍ منها.

---

(١) كما في قوله: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ [القمر: ٥٥] وفي الأفعال قوله تعالىٰ: ﴿وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم: ٦٥] فالاصطبار أعظم من الصبر.

(٢) وقد قال تعالىٰ في شأن نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء: ٣]، وكان النبي ﷺ يقوم حتىٰ تتورم قدماه، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ويقول: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**».

وقد قيل: إن الشكور من البشر من يشكر علىٰ النعماء، ويشكر كذلك عند البلاء، ويشكر علىٰ العطاء، ويشكر علىٰ المنع.

(الشاكر)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة: ١٥٨].

ومن معانيه: الذي يشكر العباد ويثني عليهم ويثيبهم علىٰ صنائع المعروف التي يقدمونها، وعلىٰ النوافل التي يتقربون بها.

(الكريم)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾ [الانفطار: ٦].

ومن معانيه: كريم الخصال، وكريم الفعال، وكريم المقام، والذي يُعطي بلا مقابل، ويزيد في الثواب بلا حساب، فهو الذي يثيب علىٰ الحسنات، ويزيد في الثواب، وهو الذي ينزل المؤمنين كريم المنازل، وهو الذي يعطي بلا سبب، وهو سبحانه المُنزه عن العيوب والنقائص.

(الأكرم)

ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ [العلق: ٣].

ومن معانيه: أنه أكرم من كل كريم، وعطاؤه أفضل من كل عطاء، فليس كمثله أحدٌ في العطاء، ولا في صفات الكمال، وليس كمثله أحد أكرم قولًا منه سبحانه، ولا أكرم فعلًا منه، ولا أكرم ذاتًا منه، ومن كرمه أنه يعفو ويصفح

ويتجاوز مع أنه قادر علىٰ المؤاخذة والانتقام، ومن كرمه أنه يُنجز للعبد ما وعده به ويزيده من الفضل.

(الواسع)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٤٧﴾ [البقرة: ٢٤٧].

ومن معانيه: أنه واسع الأرزاق، يوسع في الأرزاق علىٰ من يشاء، ويوسع في العطاء، وفي الحديث القدسي: «**لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي شَيْئًا إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**»(١).

ومن معانيه: أنه واسع الرحمة كما قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

ومن معانيه: أنه واسع العلم قد أحاط بكل شيء علمًا.

وواسع في صفاته أيضًا، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات»(٢).

هذا، وقد وسع كرسيه السموات والأرض.

(الحق)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ۝٢٥﴾ [النور: ٢٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [لقمان: ٣٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤].

---

(١) مسلم (٢٥٧٧).

(٢) البخاري (٦٩٥١).

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**أَنْتَ الْحَقُّ**»(١).

ومن معانيه: أنه الإله الحق، والرب الحق، والملك الحق، وما سواه باطل.

ومن معانيه: المتحقق وجوده وبقاؤه.

وقوله حق، ولقاؤه حق، وجنته حق، وناره حق، ورسله حق، والساعة التي وعد بها حق(٢).

وكذا فإنه سبحانه يُحِق الحق، ويُبطل الباطل، ويقضي بالحق، ويقص الحق، وخلق السموت والأرض بالحق، وهو الذي يبين لهم حقائق الأمور يوم القيامة، ويحقق لهم ما وعدهم به.

(المبين)

ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور: ٢٥].

ومن معانيه: الذي يبين لهم شرعه ودينه ويوضحه لهم ويريهم إياه.

ومن معانيه: الذين يبين لهم ما يضرهم وما ينفعهم.

ومن معانيه: الذي يبين لهم ما به يتعظون ويعتبرون، ويبين لهم ما يحتاجون إليه وإلىٰ معرفته.

ومن معانيه: الذي يبين لهم الحق من الباطل والخير من الشر وطريق الجنة وطريق النار.

ومن معانيه: الظاهر في ربوبيته، فهو بيِّن الإلهية والربوبية.

إلىٰ غير ذلك من المعاني.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٧) ومسلم (٧٦٩).

(٢) ومعنىٰ هذا في ثنايا الحديث المتقدم.

(القويّ)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [الشورىٰ: ١٩].

ومن معانيه: القوي الذي لا شيء أقوىٰ منه.

ومن معانيه: الذي لا يعجز عن فعل أي شيء يريده.

وهو القوي في بطشه وانتقامه.

وهو القوي الذي لا يعتريه ضعف ولا فتور ولا عجز ولا كسل ولا مرض.

ومن معانيه: كامل القوة وكامل القدرة.

(المتين)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨].

ومن معانيه: القوي علىٰ الدوام الذي لا تتواهىٰ قوته ولا تضعف، فالمتانة القوة في تماسك وصلابة، وكيده سبحانه متين، كما قال: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ [القلم: ٤٥]؛ أي لا يستطيع أحد الهرب منه، وكذا فإن كيدي لا يضعف ولا يتوانىٰ، ولا يمكن لأحد أن ينفذ من خلاله.

(القدير)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم: ٥٤].

ومن معانيه: أنه قادر علىٰ فعل ما يشاء وتقدير ما يشاء، وخلق ما يشاء، كما

قال سبحانه: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

فكان من معاني القدير تقدير الشيء والقدرة علىٰ تنفيذه ولله المثل الأعلىٰ في الاصطلاح الهندسي فيه التصميم والقدرة علىٰ التنفيذ.

(المليك)

ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرٖ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٥].

ومن معانيه: الملك المتمكن من ملكه، والمتمكن في ملكه، الذي لا ينازعه فيه منازع، ولا يعترض عليه فيه معترض.

(المقتدر)

ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرٖ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

ومن معانيه: المتمكن من الأشياء القادر عليها، الذي قد أحكم السيطرة عليها، والمقتدر المحيط علمًا بالأشياء.

ومن معانيه: الذي لا يفوته شيء ولا يهرب منه هارب.

(الرب)(١)

ومن أدلته: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]، ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٦]، ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢٦﴾ [النمل: ٢٦]، ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [المزمل: ٩]، ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧﴾ [الرحمن: ١٧]، ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠].

قوله تعالىٰ: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [يس: ٥٨]. **وقوله تعالىٰ:** ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١].

ومن معانيه: السيد، ودليله قول الصديق يوسف عليه السلام: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٥٠]، **وقوله:** ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ [يوسف: ٢٣]، **وقوله:** ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١].

ومن معانيه: المعبود، فالرب هو المعبود.

---

(١) وأورد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله اسم (الرب) علىٰ أنه من الأسماء الحسنىٰ، وذلك في مجموع الفتاوىٰ (١/ ٤٨٢ – ٤٨٣) في معرض الرد علىٰ من قال: إنه لا يجوز الدعاء إلا بالأسماء الحسنىٰ الواردة في حديث الوليد بن مسلم: (التسعة والتسعين التي بينها الوليد) الذي أخرجه الترمذي، فقال رحمه الله: «... ففي الكتاب والسنة أسماء ليست في ذلك الحديث مثل اسم «الرب»، فإنه ليس في حديث الترمذي، وأكثر الدعاء المشروع إنما هو بهذا الاسم كقول آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، وقول نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٧]، وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [نوح: ٢٨]، وقول موسىٰ عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص: ١٦]، وقول المسيح عليه السلام: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٤]، وأمثال ذلك حتىٰ إنه يذكر عن مالك وغيره أنهم كرهوا أن يُقال: (يا سيدي) بل يُقال: يا رب؛ لأنه دعاء النبيين وغيرهم كما ذكر الله في القرآن.

ومن معانيه: الخالق، قال تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾ [الأعلىٰ: ١، ٢].

ومن معانيه: المُربي، فهو المتفضل علىٰ العباد بكل صور الإنعام، والمتكفل بأرزاقهم، والمُصلح لشئونهم.

ومن معانيه: المالك المتصرف، والصاحب، تقول: (رب البيت) أي صاحبه ومالكه.

ومن معانيه: الذي يُربي عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه إلىٰ جميع شئونه وأموره وإلىٰ أحواله من العبادة وغيرها، قال موسىٰ لفرعون: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه: ٥٠].

(الإله)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النحل: ٥١]، وقال أهل الإيمان: ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [الناس: ٣].

قال ابن تيمية[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو الذي يؤله فيُعبد محبةً وإنابةً وإجلالًا وإكرامًا.

(العفو)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۝٩٩﴾ [النساء: ٩٩].

ومن معانيه: الذي يصفح عن الذنب ويستر عليه ولا يؤاخذ به، ويمحوه،

(١) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٢٢).

ومن أهل العلم من ذهب إلىٰ القول بأن العفو يقتضي محو الذنب وإسقاطه وعدم التذكير به، أما الغفران فيقتضي إسقاط العقاب. والله أعلم.

(الرءوف)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور: ٢٠]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣].

ومن معانيه: الرفيق بالعباد، الذي لا يُحمِّلهم ما لا يطيقون ولا يحتملون.

ومن معانيه: ذو الرأفة، وهي أعلىٰ معاني الرحمة.

ومن معانيه: الذي يسهل للعباد أمورهم غاية التسهيل، قال تعالىٰ: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [النحل: ٧].

ومن معانيه: الذي لا يضيع علىٰ الناس ثواب أعمالهم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣].

(القريب)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقول هود عليه السلام: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود: ٦١].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾.

ومن معانيه: أنه قريب يسمع دعاءهم ويجيبه، ويعلم أحوالهم، ويراهم وهو قريب إذا أراد أن يقبضهم إليه قبضهم فليس هو عنهم ببعيد.

هذا مع كونه في السماء مستويًا علىٰ العرش، وينزل إلىٰ السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، كما في الحديث، ورحمته قريب من المحسنين.

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦].

وللعلماء فيها قولان:

أحدهما: ملائكتنا أقرب إليه كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٨٥]. أي وملائكتنا أقرب إليه منكم.

الثاني: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾[1] [الواقعة: ٨٥] أي بعلمنا وإحاطتنا.

ومن معانيه: إذا اقترب منه العبد شبرًا اقترب منه ذراعًا كما في الحديث[2].

---

(١) مع يقيننا أن الرحمن علىٰ العرش استوىٰ.

(٢) انظر الحديث وألفاظه عند مسلم (٢٦٧٥) والبخاري (٧٤٠٥).

ثانيًا: فصلٌ

في بعض الأسماء التي وردت متعديةً[١] إلى غيرها بلفظ (على) أو (فوق) ونحو ذلك

(الحسيب)

ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء: ٨٦].

ومن معانيه: الذي يحاسب العباد علىٰ أعمالهم فقد قال: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام: ٦٢].

والحسيب يأتي بمعنىٰ الكافي أيضًا، وقولنا: «حسبنا الله ونعم الوكيل» من معانيها كافينا الله وحافظنا الله.

وهو أيضًا المحصي لأعمال العباد.

(الحفيظ)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ [سبأ: ٢١].

ومن معانيه: الذي يحفظ عباده ويسلمهم وينجيهم، وفي الحديث: «**اللَّهُمَّ**

---

(١) وفي النفس من إطلاق لفظة (متعدية) في هذا المقام شيءٌ، إذ لا أراها تليق بأسماء الله الحسنىٰ، وقد بحثت لها عن بديل، فوجدت علىٰ سبيل المثال (متصلة بغيرها) ولكن خشيت أن أُحدث في قواعد اللغة فتركتها كتابةً وسبحان ربنا الذي لا يظلم أحدًا.

احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي...»[(١)].

ومن معانيه: الذي يحفظ علىٰ العباد أعمالهم ويحصيها عليهم ولا ينساها ويراقبها، ومن الشاهد لهذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار ١٠-١٢].

ومن معانيه: الذي يحفظ عباده من الذنوب ويسلمهم من المعاصي والآثام، وهو الحفيظ الذي يحفظ للناس معروفهم وصنائع الخير.

(الحفي)

قال الخليل عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ۝٤٧﴾ [مريم: ٤٧].

(الحَكَم)[(٢)]

في التنزيل: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾.

(الرقيب)

قال المسيح عيسىٰ عليه السلام: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء: ١].

ومن معانيه: المراقب للأشياء المطَّلع عليها المحيط بها علمًا، الشاهد عليها، وكذا تأتي المراقبة بمعنىٰ الحفظ، ومنه قول أبي بكر رضي الله عنه: «ارقبوا محمدًا في أهل بيته»[(٣)].

---

(١) أبو داود (٥٠٧٤).

(٢) وقد ورد حديث في (الحكم) وليُحرر.

(٣) البخاري (٣٥٠٩).

فالرقيب الحافظ لعباده، ويطلق الترقب علىٰ الانتظار كذلك، قال هارون لموسىٰ عليه السلام: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾ [طه: ٩٤].

وقد يكون من المعنىٰ أيضًا: المترقب لعباده ليوم يلقونه، والله أعلم.

ومن مراقبة العبد لربِّه عز وجل أن يعبده كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله عز وجل يراه.

ومن الملاحظ أن الرقيب في كتاب الله عز وجل جاءت مشفوعة بـ «علىٰ» كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]، وقوله: ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

(الشهيد)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣].

ومن معانيه: الذي يسمع ويرىٰ، فشهد فلان الواقعة أي رآها وسمع ما جرىٰ فيها.

ومن معانيه: الذي يراقب الأشياء.

ومن معانيه: الحاكم علىٰ الأشياء ويوضحه قول أم العلاء في شأن عثمان بن مظعون بعد موته «فشهادتي عليك أن الله أكرمك»[1] أي فحكمي عليك.

---

(١) البخاري (١١٨٦)، وتمام الحديث أن النبي ﷺ قال لها: «وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللهَ أَكْرَمَهُ...».

ومن معانيه: الذي لا يغيب ولا يغفل[١].

ومن معانيه: الشاهد لنفسه بالوحدانية.

(العالم[٢])

قال تعالىٰ: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنبياء: ٨١].

(الغالب)

ولم يرد صريحًا في كتاب الله وإنما جاء مضافًا، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ [يوسف: ٢١].

ومن معانيه: الذي يغلب الخلق كلهم وينفذ فيهم أمره، ويفعل مراده.

(فَعّال[٣])

قال تعالىٰ: ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج: ١٦].

(القادر)

قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ [الأنعام: ٦٥].

ومن معانيه: الذي لا يعجز عن شيء يريده، فهو القادر علىٰ البعث والقادر

---

(١) ومن ذلك قولهم: (شهد فلان الصلاة) أي حضرها.

(٢) وتقدم في الإضافة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [فاطر: ٣٨].

(٣) كما ترىٰ لم تأت محلاة بأل.

علىٰ الخلق، والقادر علىٰ إثابة الخلق خير إثابة كما في الحديث: «**وَلَكِنِّيْ عَلَىٰ مَا أَشَاءُ قَادِرٌ**».

والقادر علىٰ إنزال العذاب، والقادر الذي يقدر الأمور حق قدرها، والقادر الذي جعل لكل شيء قدرًا، والقادر الذي خلق كل شيء بقدر.

(القاهر)

ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١].

ومن معانيه: الغالب، والذي يقهر الجبابرة يغلبهم ويذلهم ويهينهم، فهو الغالب للخلائق كلها، والذي قهرهم بالموت وغيره، وهو سبحانه مذلٌّ للجبابرة ومُهينهم وهو الذي يقهر غيره، ولا يُقهَر بحالٍ من الأحوال.

وهو الذي يخضع له كلُّ شيء، ويذل له كلُّ شيء، وهو المتعالي علىٰ الخلق.

(القائم)

ورد فيها: قوله تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

(الكفيل)

قال تعالىٰ: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١].

(المحيط)

قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ١٢٦﴾ [النساء: ١٢٦].

ومن معانيه: الذي أحاط بكل شيء علمًا، فلا يخفىٰ عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

ومن معانيه: المحيط بالأشياء الذي لا يستطيع أحدٌ أن يهرب منه.

ومن معانيه: القادر الذي لا يعجز عن المخلوقين.

ومن معانيه: الذي وسعت رحمته كلَّ شيءٍ.

(المستعان[1])

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ [يوسف: ١٨].

ومن معانيه: الذي يُطلب منه العون علىٰ كل شيء، فيطلب منه العون علىٰ الطاعة والذكر، وفي الحديث: «**رَبِّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**».

والذي يُطلب منه العون علىٰ الأعداء، والذي يُطلب منه العون علىٰ الصبر، والذي يُطلب منه العون علىٰ تيسير أسباب الرزق، وهو سبحانه الذي لا يحتاج إلىٰ معين يعينه.

---

(١) ولم يأت مفردًا في الكتاب العزيز، ولا في السنة الصحيحة الثابتة فيما علمت، وإنما ورد موقوفًا من كلام عثمان رضي الله عنه إذ قال: (الله المستعان) أخرجه البخاري (٣٦٩٣)، وقد ورد (المستعان) في أحاديث مرفوعة ضعيفة لاتصح، منها ما أخرجه الترمذي (٣٥٢١) وغيره من حديث أبي أمامة وفي سنده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف.

(المقيت)

ودليله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ [النساء: ٨٥].

ومن معانيه: كما ورد في سياق الآية الكريمة: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ [النساء: ٨٥].

فهو الذي يعلم مقادير الحسنات والسيئات، وما تستحقه هذه الأعمال من الثواب أو العقاب ويُقدِّر ذلك، ومن ثَمَّ يثيب فيضاعف أو يعفو ويتجاوز.

والمقيت الذي يوصل الأقوات إلىٰ الخلق فيعطي كل مخلوق رزقه، من أي نوع كان ذلك الرزق، وهو أيضًا الحافظ لأعمال العباد بلا زيادة ولا نقصان.

(المولى)

قال تعالىٰ: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [محمد: ١١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ﴾ [الحج: ٧٨].

(النصير)

ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [النساء: ٤٥].

ومن معانيه: دائم النصرة لأوليائه، ينصرهم في الدنيا والآخرة، ومن معانيه أنه لا يخذل أولياءه ولا يسلمهم لأعدائهم.

(الهادي)

ومن أدلته: قوله تعالىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: ٥٤].

ومن معانيه: الذي قدَّر المقادير وهدىٰ كلَّ مخلوق إلىٰ ما قدَّره له، كما قال: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلىٰ: ٣].

ومن معانيه: الذي يوفق ويرشد إلىٰ طريق الحق والصواب، والهداية هدايتان: هداية الدلالة، وهداية التوفيق، فالله يدل علىٰ الطريق المستقيم ويوفق إليه من يشاء من عباده، ويهدي لسائر الطرق ولكن يحذر منها، وقد قال في شأن الإنسان: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد: ١٠]، أي وبيَّنَّا له الطريقين: طريق الخير وطريق الشر، فمن معانيه الموفق للإيمان.

(الوكيل)

ومن أدلته: قول الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال أهل الإيمان: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣].

ومن معانيه: الكفيل بأرزاق العباد والقائم بأمورهم.

ومن معانيه: الحفيظ والمراقب، ومنه قول رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَوَكَّلَ لِي مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ وَمَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، تَوَكَّلْتُ لَهُ بِالْجَنَّةِ**»(١).

ومن معانيه: الذي يعتمد عليه غيره فيقضي له مراده وحاجته.

---

(١) البخاري (٢٤٢٣).

ثالثًا: فصلٌ

طائفة من الأسماء المضافة(١)

الواردة في الكتاب العزيز وتوابع لها

وقد أخذ منها بعض العلماء أسماء لله عَزَّوَجَلَّ وأوردوها عند الإحصاء.

* وهذا ليس بالمتفق عليه بين العلماء، بل قد رأىٰ فريق كبير من العلماء عدم إيرادها عند الإحصاء، ورأوا أيضًا عدم جواز اشتقاق الأسماء منها.

* وإنما أوردتها لبيان وجهة نظر الذين اعتمدوها كأسماء حسنىٰ، وأوردوها عند الإحصاء مشتقين منها الأسماء، وكذا أوردتها لأننا ندعو الله بها علىٰ النحو الذي جاءت به في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أو في سنة رسول الله ﷺ.

فعلىٰ سبيل المثال: (خير الفاتحين) ندعو الله بذلك، قال شعيب عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف: ٨٩].

ولم يرد يا فاتح افتح عليَّ، ولم يورد كثيرٌ من أهل العلم (الفاتح) في الأسماء الحسنىٰ.

وكذا (فاطر السموات والأرض)، قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) وقد أخذ منها بعض العلماء أسماءً: كالحاكم، والراحم، والحاسب، والبديع، والجامع، والحافظ، والرازق، والغافر، والفاتح، والفاصل، والمنزل، والناصر، والوارث، والحسيب، والحفي، والحكم، والصادق، والفاطر، والعالم، والفالق.
ولم يوردها آخرون ممن صنفوا في الأسماء الحسنىٰ.

وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الزمر: ٤٦].

أما إطلاق (الفاطر) علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بدون إضافة فلم يرد دليل صريح يحملنا علىٰ اعتباره اسمًا من الأسماء الحسنىٰ.

وكذا ﴿عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الزمر: ٤٦] ندعو الله به علىٰ الوجه الوارد في الكتاب العزيز، أما أن نسمي الله عَزَّوَجَلَّ بـ (العالم) فلم أقف علىٰ دليل يدل علىٰ ذلك، ولكن الوارد (عليم) كما سبق.

وكذا (علام الغيوب) نتعبد الله به علىٰ النحو الوارد، ولكنَّ إيراد (علَّام) في الأسماء الحسنىٰ يحتاج إلىٰ مزيد برهان.

وهكذا في سائر الإضافات.

أما اعتبار الاسم مع الإضافة من الأسماء الحسنىٰ فذاك محل اختلاف بين العلماء أيضًا.

فهل يكون الاسم مفردًا فقط أم يجوز أن يكون الاسم مضافًا بمعنىٰ (خير الفاتحين)؟

هل تورد عند الإحصاء في الأسماء الحسنىٰ فنقول من أسمائه (خير الفاتحين) أم يلزم أن يكون الاسم مفردًا؟! فأقول أيضًا: هذا محل نزاع بين أهل العلم.

وكذا (خير الناصرين)، و(أرحم الراحمين)، و(أحكم الحاكمين) ومثل هذه الأسماء المركبة هل تُعدُّ عند الإحصاء أم لا بُدَّ أن يكون الاسم مفردًا؟ فأقول كما أسلفت: هذا محل نزاع بين أهل العلم.

هذا، ومن الأدلة التي استدل بها العلماء القائلون باعتبار الأسماء المضافة من الأسماء الحسنىٰ أننا ندعو الله بها ونتعبد الله بها.

قال المسيح عليه السلام: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة: ١١٤].

وقال موسىٰ عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف: ١٥١].

واستدلوا أيضًا بما أخرجه مسلم[1] في صحيحه من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسمِّي لنا نفسه أسماء فقال: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ**».

طائفة من هذه الأسماء

وهاهي وتوابعها وفي ثناياها أسماء أُخر:

(أهل التقوى)

أي أهلٌ لأن يُتقىٰ ويُحذر، أي جديرٌ بأن يُخاف وبأن يُتقىٰ عذابه.

(أهل المغفرة)

أي أنه سبحانه أهلٌ لأن يغفر جميع الذنوب مهما عظمت.

ودليل ما سبق قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ [المدثر: ٥٦].

---

(١) مسلم (٢٣٥٥).

(أحكم الحاكمين)

قال تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ [التين: ٨].

ومن معانيه الذي أتقن الأحكام وضبطها خير ضبط، وكذا أحكم الخلق وأتقنه، وأحكم الكلام، وأحكم كل شيء.

(أحسن الخالقين)

ودليله: قوله تعالىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾ [المؤمنون: ١٤].

(أرحم الراحمين)

ودليله: قول موسىٰ عليه السلام: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝١٥١﴾ [الأعراف: ١٥١].

أسرع الحاسبين

ودليله قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ۝٦٢﴾ [الأنعام: ٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ومن معانيه الذي يحصي أعمال العباد وأقوالهم ونواياهم ويحاسبهم عليها.

(بديع السموات والأرض)

قال تعالىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وقال: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝١١٧﴾ [البقرة: ١١٧].

ومن معانيه: خالق السموات والأرض ومبدعهما، أي محدثهما في غاية الحسن علىٰ غير مثال سابق، فخلقهما وزيَّنَهما وليس لهما مثال سابق.

وهو الذي أبدع المخلوقات أي أحسن صورها وأحسن خلقها وأتقنها وأحكمها.

(جامع الناس)

قال أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ﴾ [آل عمران: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٤٠].

ومن ذلك المضاف إلى (خير)، وهو كثير، ومنه:

(خير الحاكمين) قال شعيب عليه السلام: ﴿فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأعراف: ٨٧].

(خير الراحمين) قال تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [المؤمنون: ١١٨].

(خير الرازقين) قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ: ٣٩].

وقال عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة: ١١٤].

(خير الغافرين) قال موسىٰ عليه السلام: ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف: ١٥٥].

(خير الفاتحين) قال شعيب عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف: ٨٩].

(خير الفاصلين) قال تعالىٰ: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنعام: ٥٧].

(خير المنزلين) قال نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

(خير الناصرين) قال تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [آل عمران: ١٥٠].

(خير الوارثين) قال زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾[(١)] [الأنبياء: ٨٩].

(خيرٌ حافظًا) قال يعقوب عليه السلام: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا[(٢)] وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف: ٦٤].

ومن ذلك الأسماء المصدرة بـ (ذو)، ومنها[(٣)]:

(ذو الجلال والإكرام)

قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن: ٧٨].

(١،٢) وسيأتي لهما فريد بيان في باب قريب إن شاء الله وهو باب أسماء متفرقة وفي اعتبارها أسماء حسنىٰ نزاع.

(٣) ولم يدخل أكثر العلماء (ذو انتقام) في الأسماء الحسنىٰ، وإن كان الله عزيزًا ذا انتقام، وأدخل عددٌ من العلماء (ذو المعارج)، و (ذو الجلال والإكرام) و (ذو الطول)، وانظر الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١١٨)، وابن العربي في أحكام القرآن، وكذا انظر كلام ابن تيمية الذي قدمناه في أول هذا الكتاب، وانظر أيضًا شرح السنة للبغوي (٥/ ٣٥)، والخطابي في شأن الدعاء (٣٠)، وابن الأثير (٣/ ٢٠٣) وغيرهم، وأبو القاسم الأصبهاني (الحجة ١/ ١٦٤).

ومن معاني الجلال الهيبة والعظمة والكبرياء، فذو الجلال ذو الهيبة والعظمة والكبرياء.

وذو الإكرام ذو الكرامة عما لا يليق به، وذو الكمال الذي تنزَّه عن كل عيب ونقص، وكذلك فهو الذي يكرم، فلا مكرم لمن أهانه الله ولا مهين لمن أكرمه الله، فكل كرامة بالعبد فإنما هي من الله ﷻ وكذلك فهو المستحق لأن يُكرم (ومن ذلك أن يكرم بطاعته واجتناب معصيته) وكذلك فهو المستحق للثناء الأعظم.

(ذو انتقام)

قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾ [آل عمران: ٤].

(ذو الطول)

قال تعالىٰ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾.

ومن معانيه: ذو الغنىٰ وذو الفضل وذو الإنعام والشرف والمجد.

(ذو العرش)

قال تعالىٰ: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥﴾ [البروج: ١٥].

ومن معانيه: أنه صاحب العرش فهو رب العرش العظيم، وقال تعالىٰ: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ [غافر: ١٥]، وهو الذي استوىٰ علىٰ عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] والعرش سرير الملك وله حملة، ولم

يُدخل عددٌ من العلماء هنا (ذو عقابٍ أليم).

وأدخل عددٌ منهم:

(ذو الفضل)

قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال: ٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران: ١٥٢].

ومن معانيه: المتفضل علىٰ كل الخلق بكل النعم ووجوه الإحسان، والمتفضل علىٰ المؤمنين بجنات النعيم.

(ذو المعارج)

قال تعالىٰ: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾﴾ [المعارج ١-٣].

وأخرج أبو داود بسند حسن عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أهلَّ رسول الله ﷺ... قال: «والناس يزيدون «ذا المعارج»[1] ونحوه من الكلام والنبي يسمع فلا يقول لهم شيئًا».

وعن معناه: فمن العلماء من قال معناه صاحب السموات ورب السموات فالمعارج السموات التي تصعد فيها الملائكة، والمعارج النعم ووجوه الإفضال علىٰ العباد، فهو الذي يفاوت بين العباد في الخلق والرزق ونحو ذلك.

والمعارج الدرجات، ومنه رفيع الدرجات.

ومن معانيه: الذي تصعد إليه أرواح العباد، والذي تعرج إليه الملائكة، والذي يصعد إليه الكلم الطيب.

---

(١) أبو داود (١٨١٣).

(ذو مغفرة)

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ﴾ [الرعد: ٦].

وفرَّق بعض العلماء بين (ذو) المتبوعة بألف ولام كـ (ذو الجلال) و(ذو) التي لم تتبع بالألف واللام كـ (ذو مغفرة – ذو عقاب) فلم يدخلوا الأخيرة في الأسماء.

(رفيع الدرجات)

قال تعالىٰ: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ [غافر: ١٥].

(سريع الحساب)

دليله: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢﴾ [البقرة: ٢٠٢].

(سريع العقاب)

دليله: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

(شديد العقاب)

قال تعالىٰ: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة: ٩٨].

(شديد المحال)

قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ١٣﴾ [الرعد: ١٣].

(علام الغيوب)

قال عيسىٰ عليه السلام: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة: ١٠٩].

(عالم الغيب والشهادة)

قال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد: ٩].

(عدوٌّ للكافرين[1])

قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: ٩٨].

(غافر الذنب)

قال تعالىٰ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣].

(فاطر السموات والأرض)

قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١].

ومن معانيه: خالقهما علىٰ غير مثال سابق، وأيضًا فهو الذي ابتدأ خلقهما، وأيضًا يفطرهما أي يشققهما كما قال: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾ [الانفطار: ١].

وقال بعض العلماء: من معاني فاطر السموات والأرض أي الذي فتق الماء منهما وفتق النبات من الأرض، وهو أيضًا الذي فطر الخلق علىٰ ما يريد، ومنه: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ**»، وقوله تعالىٰ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

---

(١) ولم يورده أكثر العلماء في الأسماء الحسنىٰ.

(فالق الحب والنوى)

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥].

(فالق الإصباح)

قال تعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ [الأنعام: ٩٦].

(قابل التوب)

قال تعالىٰ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: ٣].

(كافٍ عبده)

لم يرد هذا الاسم في الكتاب العزيز إلا مقرونًا، قال تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

ومن معانيه: الذي يكفي عباده كلَّ ما يحتاجون إليه لحياتهم ولمعايشهم.

ومن معانيه الحافظ والمنتصر، ومنه: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي وسيحفظك منهم وينتقم لك منهم.

(مالك)

قال تعالىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦].

(ملك)[1]

قال تعالىٰ: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ [الناس: ٢].

تنبيه: ولم يُدخل كثير من العلماء (مخرج) وقد قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ۝٧٢﴾ [البقرة: ٧٢]. فلا يسمىٰ الله (بالمخرج)، وكذا لم يدخلوا (مخزي الكافرين) لكونه ليس من الأسماء الحسنىٰ إذ لم يرد الدعاء به عند كثيرين من العلماء، وكذا لم يورد كثيرون اسم (المنتقم) من الأسماء الحسنىٰ.

(نور السموات والأرض)

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور: ٣٥].

ومن معانيه: منوِّر السموات والأرض.

ومن معانيه: هادي أهل السموات والأرض، وقد قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، أي من ظلمات الكفر والغواية إلىٰ نور الإيمان والهداية، وهو الذي ينور القلوب بالإيمان.

(واسع المغفرة)

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾[2] [النجم: ٣٢].

---

(١) وقد تقدم قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر: ٢٣].

(٢) وقد تقدم اسم الله (الواسع).

رابعًا: مبحث في الأسماء الحسنى الواردة من سنة رسول الله ﷺ

وقد قال تعالى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤]، **وقال سبحانه:** ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، **وقال ﷺ:** «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَه**».

ويُلاحظ الآتي:

أولًا: من هذه الأسماء ما صحت به الأحاديث والأسانيد، ومنها ما لم يصح سنده وما لا يصح متنه، وقد بيَّنْت ذلك، وقدَّمْت الصحيح وأخَّرْتُ الضعيف.

ثانيًا: من المصنفين في الأسماء الحسنىٰ – خاصة المعاصرين – من اعتمد تصحيحات عالمٍ واحد فقط، وترك أهل العلم بالحديث من المتقدمين والمتأخرين، فأخطأ لذلك فليس ثمَّ عالم معصوم.

ثالثًا: بناءً علىٰ اختلافات بعض العلماء في الحكم علىٰ بعض الأحاديث نشأ من ثمَّ اختلاف في إحصاء الأسماء الحسنىٰ، فالذي صحَّح الحديث سيعتمد الاسم الذي تضمنه، والذي ضعَّف الحديث لن يعتمد هذا الاسم عند الإحصاء.

رابعًا: سبق ونبَّهْت علىٰ ضعف الرواية المطولة التي بيَّنَتْ أسماء الله التسعة والتسعين.

خامسًا: من الأسماء المذكورة أسماء أدْرَجَها عددٌ من العلماء في الصفات، وقالوا إنه لا يدعىٰ بها، كالطيب والجميل والوتر ونحو ذلك، فلم نكد نرَ من يدعو قائلًا: يا طيب يا جميل يا وتر... فالخلاف قائم بسبب هذا.

الباسط[١]

لم يرد هذا الاسم صراحة في الكتاب العزيز، وورد بإسنادٍ صحيح عن أنس رضي الله عنه قال: غلا السعر علىٰ عهد رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، لو سعَّرت؟ فقال: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الْخَالِقُ الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الرَّازِقُ، الْمُسَعِّرُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَىٰ اللهَ وَلَا يَطْلُبُنِي أَحَدٌ بِمَظْلَمَةٍ ظَلَمْتُهَا إِيَّاهُ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ**»[٢].

ومن معانيه: الذي يوسع الأرزاق فيعطي من شاء ما يشاء.

ومن معانيه: الذي ينشر رحمته علىٰ عموم العباد.

ومن معانيه: الذي ينفق كيف يشاء، وقد قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾.

ومن معانيه: الذي بسط الأرض ووسعها.

ومن معانيه: الذي يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل[٣].

الجميل[٤]

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ**»[٥].

---

(١) راجع اسم القابض.

(٢) **صحيح:** أخرجه أحمد (٣/ ١٥٦)، وأبو داود (٣٤٥١)، والترمذي (١٣١٤)، وابن ماجه (٢٢٠٠) وغيرهم.

(٣) مسلم (٢٧٥٩).

(٤) ومن أهل العلم من يجعل هذا من الصفات، ويقول: إننا لم نقف علىٰ شيء من الأدعية بهذا الاسم فلم نجد: يا جميل.

(٥) مسلم (٩١).

فهو سبحانه جميل، جميل الذات وجميل الصفات وجميل الأسماء، وشرعه جميل، وجميل الفعال، فأفعاله كلها حكمة وعدل ومصلحة ورحمة.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**».

فالجمال كله له سبحانه، وكذا فالجمال كله منه سبحانه.

الرازق

لم يأت هذا الاسم في الكتاب العزيز إلا مضافًا قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ: ٣٩].

وفي بعض طرق الحديث السابق: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الْخَالِقُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الرَّازِقُ**»(١).

وقال عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة: ١١٤].

ومن معانيه الذي تكفل بأرزاق الخلق وأوصلها إليهم، والذي كتب أرزاقهم قبل خلقهم.

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

(١) فثمَّ اختلاف في بعض الروايات، ففي بعضها «الرازق» وفي بعضها «الرزاق»، وانظر مسند أحمد (٣/ ٣٨٦) وأبو داود (٣٤٥١) وقد تقدم.

الرفيق[١]

قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ**»[٢].

ومن معانيه: كثير الترفق بالعباد، المتلطف بهم، والرفيق يطلق أيضًا علىٰ الصاحب، وفي الحديث: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ**»[٣].

ومن معانيه: الذي يُعامل خلقه بلطف ورحمة وإحسان وعفو.

السبوح

ولم يرد هذا الاسم صريحًا في الكتاب العزيز، إنما ورد عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول في ركوعه وسجوده: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ**»[٤].

ومن معانيه: المُنزه عن الشريك والمثيل والندِّ والصاحبة والولد.

ومن معانيه: الذي يُنزه نفسه عن كل ما لا يليق به.

ومن معانيه: الذي تُسبحه مخلوقاته، أي تنزهه عن كلِّ ما لا يليق به.

ومن معانيه: الذي يُسَبِّح الخلق بحمده.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

---

(١) ومن العلماء من يدخله في الأوصاف، ويقول: هو إلىٰ ذلك أقرب فإننا لا نقول: يا رفيق.

(٢) البخاري (٦٩٢٧)، مسلم (٢٥٩٣).

(٣) مسلم (١٣٤٢).

(٤) صحيح مسلم (٤٨٧).

السيد

أخرج أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن الشخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: انطلقت في وفد بني عامر إلىٰ رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا. فقال: «**السَّيِّدُ اللهُ**»(١).

ومن معانيه: الذي يسود الخلق، فهو ملكهم وربهم وإلههم»، يأمرهم وينهاهم ويفيض عليهم نعمه، ويكرم من استحق الإكرام، ويعاقب – إن شاء – من يستحق العقاب، ونواصيهم بيده.

الشافي

ولم يرد صريحًا في الكتاب العزيز، إنما الذي ورد قول الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٨٠]، وورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا أتىٰ مريضًا أو أُتي به إليه قال: «**أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءًا لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**»(٢).

ومن معانيه: الذي يشفي الأبدان من الأمراض أي يعافي منها ويُسلِّم المريض من الهلكة ويُذهبها، ومن معانيه الذي يشفي الصدور ويذهب ما فيها من الشكوك والرِّيَب، ويذهب الهموم والأحزان، ومن معانيه الذي يشفي من الحسد ومن العين والغلِّ وسائر الآفات.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧٥)، ومسلم (٢١٩١).

الطيب[١]

وفي الحديث: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا»[٢].

ومن معانيه: أنه سبحانه طيب وصفاته طيبة وكلماته طيبة وشرعه طيب.

ولا يصدر منه إلا الطيب، ولا يصعد إليه إلا الطيب من القول والعمل.

والطيبات كلها لله فهو أولىٰ بها سبحانه، وأسماؤه طيبة، وما أحله الله فهو طيب، وما حرمه فهو خبيث، ومن زكَّاه الله فهو الطيب، ومن ذمَّه الله فهو الخبيث، وما شرعه الله فهو الطيب، وما نهىٰ عنه فهو الخبيث.

القابض

ولم يرد صريحًا في الكتاب العزيز.

أما من السنة فقد تقدم الحديث: «إِنَّ اللهَ هُوَ الْخَالِقُ، الْقَابِضُ».

ومن معانيه: الذي يقبض الأرزاق[٣] فيمنعها عمن يشاء، والذي يقبض الملك والمناصب فيمنع من يشاء من أن يكون ملكًا أو ذا منصب.

ومن معانيه: الذي يقبض الأرواح والذي يقبض الأرض.

---

(١) وكذا من العلماء من يجعل هذا من الصفات، ويقول: إننا لا ندعو الله فنقول: يا طيب.

(٢) مسلم (٨٣٣٠) وفي سنده فضيل بن مرزوق، وقد تكلم فيه كثيرون من أهل العلم وضعفوه (أعني ضعفوا فضيلًا) ومدار الحديث عليه، فالله أعلم.

(٣) ذهب بعض العلماء إلىٰ أنه يستحب اقتران القابض مع الباسط؛ لأن الشخص لو اقتصر علىٰ ذكر القابض لدلَّ ذلك علىٰ المنع والحرمان، لكن إذا قرنت بين الاسمين لنبأك ذلك عن حكمته في المنع والإعطاء.

المُقدِّم

لم يرد هذا الاسم صريحًا في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

أما في سنة رسول الله ﷺ فقد ورد عنه أنه كان يقول: «... **فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ** أو: **لَا إِلَهَ غَيْرُكَ**»(١)، ونحوه في حديث علي بن أبي طالب أيضًا عند مسلم وفيه: ثم يكون من آخر ما يقول بعد التشهد والتسليم: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»(٢).

ومن معانيه: أنه يقدم من يشاء إلىٰ ما يشاء فيقدم المطيع إلىٰ طاعته، ويقدم من يشاء إلىٰ الجنة ويقدم المصلي إلىٰ الصلاة، يقدم هذا في الامتحان ويؤخر ذاك، يقدم هذا فيجعله رئيسًا، يقدم ذاك، ويقدم بعض الخلق علىٰ بعض، فيفضل بعضهم علىٰ بعض، فليس هناك متقدِّمٌ إلا وتَقَدُّمُه بإذن الله، وقدَّم أولياءه علىٰ غيرهم.

المؤخِّر(٣)

ودليله ما تقدم من قول رسول الله ﷺ إذ قال: «**أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ**»(٤).

---

(١) البخاري (١١٢٠).

(٢) مسلم (٧٧١).

(٣) ويُدعىٰ ربنا بالاسمين معًا: «أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ».

(٤) **صحيح**، وقد تقدم.

ومن معانيه: أنه يؤخر ما يشاء عما يشاء، فيؤخر العصاة عن الطاعة، ويؤخر الكفار عن الجنة، ويؤخر المريض حتىٰ ينقضي أجله، ويؤخر بعض الخلق عن المناصب، ويؤخر من يشاء عن الإنجاب وعن الزواج، ويؤخر من شاء عن الإسلام.

الوتر[١]

وفي الحديث: «**وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**»[٢] وفي لفظ: «**إِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**»[٣].

ومن معانيه: الفرد، فالشفع العدد الزوجي والوتر الفردي.

فالله سبحانه تفرَّد بصفات الكمال التي لا يشاركه فيها أحد، وكذا فهو الفرد الذي لا شريك له، ولا مثيل له، ولا نظير له، ومن معاني الوتر الواحد.

(١) ومن العلماء من يجعله صفة، ويقول: إننا لا ندعو بقولنا: يا وتر.

(٢) البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٣) سنن أبي داود (١٤١٦).

٥٢٧


الحَيي

لم يرد هذا الاسم في كتاب الله ﷻ، وقد ورد عن رسول الله ﷺ بسندٍ معلول، أنه قال: «**إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِّيٌ كَرِيمٌ، يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**»(١)، وهو حديث سلمان رضي الله عنه مرفوعًا لكنه معلول بالوقف.

ومن معاني الحيي المتصف بعظيم الحياء، فهو الذي يستر علىٰ عباده ولا يفضحهم، وهو الذي يستحي أن يرد السائل(٢).

وسيأتي حديث: «**إِنَّ اللهَ حَيِّيٌ سِتِّيرٌ**»، وهو معلول بالإرسال.

وورد أيضًا من حديث أنس بن مالك عن عبد الرزاق(٣) في المصنف، وفي سنده أبان بن أبي عباس وهو متروك.

الدَّيان

لم يرد هذا الاسم صراحة في كتاب الله ﷻ، وقد ورد في سنة رسول الله ﷺ بسندٍ فيه ضعف عن عبد الله بن أنيس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، أو قال: «**الْعِبَادُ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا**»، قال قلنا: وما بُهمًا؟ قال: «**لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّىٰ أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ**

---

(١) أبو داود (١٤٨٨) والترمذي (٣٨٥٦) وأشار إلىٰ إعلاله بالوقف، وانظر العلل لابن أبي حاتم وغيرها، وفي السند أيضًا جعفر بن ميمون، وفيه بعض الكلام.

(٢) وصور إجابة السائلين تتنوع وتتعدد.

(٣) المصنف لعبد الرزاق (٣٢٥٠).

يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّىٰ أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّىٰ اللَّطْمَةُ»، قلنا: يا رسول الله، كيف وإنا إنما نأتي الله عَزَّوَجَلَّ عُراةً غرلًا بُهمًا؟ قال: «**بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**»(١).

ومن معاني هذا الاسم: المُجازي، ومنه قولهم: كما تدين تُدان.

وقوله تعالىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤] أي يوم الجزاء.

وقولهم: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣﴾ [الصافات: ٥٣] أي لمحاسبون ومجزيون.

ومن معانيه القاهر، الذي خضع له الخلق كلهم، ومنه: فلان دانت له العرب.

ومنه قوله: ﴿فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٨٧﴾ [الواقعة: ٨٦، ٨٧]، أي غير مقهورين ومغلوبين ومقضيٌّ عليكم.

السِّتِّير

لم يرد هذا الاسم صريحًا في الكتاب العزيز، ولكن ورد بسندٍ ضعيف أن رسول الله ﷺ رأىٰ رجلًا يغتسل بالبراز بلا إزار، فصعد المنبر فحمد الله

---

(١) مسند أحمد (١٦٠٤٢)، والحاكم (٢/ ٤٣٧) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. والخطيب البغدادي في «الرحلة» رقم (٣١) وغيرهم من طريق القاسم بن عبد الواحد المكي عن عبد الله بن محمد بن عقيل أنه سمع جابرًا.

وهذا سندٌ ضعيف، عبد الله بن محمد بن عقيل فيه ضعف، وتكلم فيه كثيرون من العلماء والراوي عنه (وهو القاسم) لا يحتج بمثله خاصة في أبواب العقائد.

وللحديث طرقٌ أخر لا تخلو من مقال شديد فالخبر لا يصح.

وقد ورد اسم الديَّان في روايات أخر لا يصح منها شيءٌ فيما وقفت عليه، والله أعلم.

وأثنىٰ عليه ثم قال: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ**»(١).

ومن معانيه كثير الستر علىٰ عباده، فهو يسترهم ويستر عيوبهم في الدنيا والآخرة، وكذلك فإنه أمر بالتستر وعدم التكشف، وأمر بالستر علىٰ العباد.

المُحسن

لم يرد هذا الاسم صريحًا في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وقد ورد بسند ضعيف عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا حَكَمْتُمْ فَاعْدِلُوا، وَإِذَا قُلْتُمْ فَأَحْسِنُوا، فَإِنَّ اللهَ مُحْسِنٌ يُحِبُّ الإِحْسَانَ**»(٢).

وحديث آخر فيه ضعف أيضًا من حديث شداد ابن أوس(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

---

(١) في سنده علةٌ، أبو داود (٤٠١٢)، والنسائي في السنن الصغرىٰ (١/ ٢٠٠)، والبيهقي (١/ ١٩٨) من طريق عطاء عن يعلىٰ بن أمية، وهذا سند معلول بالانقطاع.
وأخرجه أحمد (١٧٩٧٠)، وأبو داود (٤٠١٣)، والنسائي (١/ ٢٠٠)، والبيهقي (١/ ١٩٨) وغيرهم من طريق عطاء عن صفوان بن يعلىٰ عن أبيه، فأثبت صفوان بين عطاء ويعلىٰ.
ولكن الذي رواه بدون ذِكر صفوان هو زهير بن معاوية، والذي أثبت صفوان هو أبو بكر بن عباس عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء، وأبو بكر بن عباس لا يحتمل هذا، وروي الحديث من وجه آخر أراه أرجح وهو عن عبد الرزاق (١١١١١) من طريق ابن جريج عن عطاء مرسلًا، والمرسل أصح، وانظر علل ابن أبي حاتم (١/ ١٩) والله أعلم.

(٢) ابن عدي في الكامل (٦/ ٢١٤٥)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٤٧٠)، وسنده ضعيف جدًّا.

(٣) ضعيف شاذ، فقد رواه عبد الرزاق (٨٦٠٣) من طريق معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني عن شداد بن أوس قال: حفظت من رسول الله ﷺ اثنتين، قال: «**إِنَّ اللهَ مُحْسِنٌ يُحِبُّ الْإِحْسَانَ إِلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ...**» فذكر الحديث.
=

حفظت من رسول الله ﷺ اثنتين أنه قال: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ مُحْسِنٌ يُحِبُّ الإِحْسَانَ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، ثُمَّ لْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**»(١).

ومن معانيه: المتفضل علىٰ عباده بالأرزاق، والمعطي أكثر مما يُسأل، والمعطي بغير حساب.

ومن معانيه: الذي يعفو عن الناس.

ومن معانيه: الذي أحسن كل شيء خلقه.

المعطي

هذا الاسم قد ورد في حديث أخرجه البخاري في صحيحه من طريق حبان بن موسىٰ أخبرنا عبد الله عن يونس عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَاللهُ المُعْطِي وَأَنَا القَاسِمُ...**» فذكر الحديث.

= ورواية معمر عن أيوب ضعيفة، وأيضًا فقد رواه أحمد في المسند (١٧١١٦) من طريق عبد الرزاق بدون ذكر: «**إِنَّ اللهَ مُحْسِنٌ يُحِبُّ الإِحْسَانَ**»، ورواه خالد الحذَّاء عن أبي قلابة عن أبي الأشعث عن شداد عن رسول الله ﷺ بدون لفظة: «**إِنَّ اللهَ مُحْسِنٌ**»، بل لفظه: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ...**» وانظر لذلك صحيح مسلم (١٩٥٥)، وأحمد (١٧١١٣)، وابن أبي شيبة (٢٧٩٣١) وغيرهم، فالحاصل أن لفظة «**إِنَّ اللهَ مُحْسِنٌ**» ضعيفة وشاذة والله أعلم.

(١) مطلع هذا الحديث ضعيف، وقد أخرجه عبد الرزاق (٨٦٠٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٧١٢١).

ولكن أخرجه البخاري(١) ومسلم(٢) من ثلاث طرق عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال: قال حميد بن عبد الرحمن: سمعت معاوية خطيبًا يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي...**» فجعل بدلًا من المعطي: يعطي في بعض الروايات، وفي أخرىٰ: ويعطي الله.

المنان

لم يرد هذا الاسم صريحًا في كتاب الله عزوجل، وقد ورد في سنة رسول الله ﷺ ما يفيد إقراره، لكنَّ الأسانيدَ بها ضعفٌ، ففي سنن أبي داود من حديث أنس رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ جالسًا ورجل يصلي، ثم دعا: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم. فقال النبي ﷺ: «**لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ**»(٣).

---

(١) البخاري (٣١١٦).

(٢) البخاري (٧١) بلفظ: «**اللهُ يُعْطِي**» و (٧٣١٢) ولفظه: «**وَيُعْطِي اللهُ**»، ومسلم (١٠٣٧) بلفظ: «**وَيُعْطِي اللهُ**» ليس فيها: «**واللهُ مُعْطِي**» وبتتبع أكثر، وجدت أن أكثر الروايات بلفظ: «**وَاللهُ يُعْطِي**» ليس بلفظ «**وَاللهُ الْمُعْطِي**» وعليه فأرىٰ أن رواية من روىٰ «**الله المعطي**» شاذة.
وانظر للمزيد مسند أحمد (٧١٩٣)، وابن حبان (٣٤٠١)، (٥٨١٥)، (٥٨١٧)، والنسائي (٥٨٣٩)، وأحمد (١٦٩٣١) وغير ذلك، ولم أقف لاسم المعطي علىٰ دليل غير ما ذكرت والله أعلم.

(٣) **في أسانيده ضعف**، أخرجه بهذا اللفظ أبو داود (١٤٩٧)، والنسائي (١٣٠٠)، وأحمد (٣/ ٢٤٥)، والبيهقي في الصفات (٢٨) وغيرهم من طريق خلف بن خليفة عن حفص بن أخي أنس عن أنس، ورواه عن خلف جماعة، وفي خلف وحفص بعض الكلام ولا أراهما يتحملان =

ومن معانيه: عظيم الهبات والعطايا.

ومن معانيه: المتفضل علىٰ العباد بالهداية والمِنَح والعطايا المستحق أن يُشكر.

ومن معانيه: الذي يُعطي قبل السؤال.

= مثل هذا المتن، وأخرجه أحمد (٣/ ١٥٨)، وابن حبان (٨٩٣) من نفس الطريق بزيادة في سندها ضعف أيضًا: وهي لفظة: «الحنان»، وقد ورد هذا الحديث من طرق أخر عن أنس كلها ضعيفة «أعني بذكر المنان».

من هذه الطرق طريق أبي خزيمة عن أنس بن سيرين عن أنس بن مالك، عند أحمد (١٢٢٠٥)، وابن ماجه (٣٣٥٨)، وغيرهما، وأبو خزيمة ضعيف منكر الحديث.

وعند الترمذي (٣٥٤٤) من طريق سعيد بن زربىٰ، وهو منكر الحديث.

وعند الحارث بن أبي أسامة (في مسنده ١٠٦٠) من طريق أبان عن عياش وهو منكر الحديث، وعند أحمد (١٣٧٩٨) وفي سنده سلمة بن الفضل وهو ضعيف.

وفي الجملة: فإني لم أقف للفظة «المنان» علىٰ سند ثابت تطمئن إليه النفس لإثبات هذا الاسم، والله أعلم.

بعض الأسماء المضافة الواردة في السنة

(أهل الثناء والمجد)

ففي الدعاء بعد القيام من الركوع: «... **أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ**»(١).

(قيم السموات والأرض ومن فيهن)

ففي الحديث: «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ**»(٢).

(مصرِّف القلوب)

ففي الحديث: «**اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ**»(٣).

(مقلب القلوب)

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ**»(٤).

وكانت يمين النبي ﷺ: «**لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ**»(٥).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم مع النووي (٤/ ١٩٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٣١٧)، ومسلم (٧٦٩).

(٣) مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٤) **رجاله ثقات**، أخرجه أحمد (٤/ ١٨٢) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٦٢٨).

وأدخل بعضهم (ركن شديد)

لقول لوط عليه السلام: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠﴾ [هود: ٨٠].

وقال ﷺ: «**يَرْحَمُ اللهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ**»(١).

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٧٢) ومسلم (١٥١).

فصل في أسماء متفرقة
وفي اعتبارها أسماء حسنى نزاع، وشيء من الحديث عنها

الحافظ

لم يأت هذا الاسم صريحًا مفردًا، وإنما قال تعالىٰ: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٢]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف: ٦٤].

ومن معانيه: الذي يحفظ الأشياء من الهلكة والتلف، ويحفظ الإنسان من المرض والأعداء والعصيان، ويحفظ علىٰ الخلق أقوالهم وأعمالهم فيحصيها ولا ينساها، ويحفظ السموات والأرض من الزوال، ويحفظ السماء من الشيطان.

الحسيب

قال تعالىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب: ٣٩][1].

الحاسب

قال تعالىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧][2].

---

(١) ولم يدخله عددٌ من العلماء في الأسماء الحسنىٰ، أعني الحسيب.

(٢) ولم يدخله أكثر العلماء في الأسماء الحسنىٰ أعني الحاسب.

فصل في أسماء توقف فيها الكثيرون ولم يعتمدوها

الزارع

وأدخل بعضهم اسم الزارع لقوله تعالىٰ: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الواقعة: ٦٤].

الصادق

أخذه بعضهم من قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام: ١٤٦].

الكاتب

أخذه بعضهم من قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ۖ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنبياء: ٩٤].

الماهد

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الذاريات: ٤٨].

المبتلي

قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المؤمنون: ٣٠].

الموسع

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧﴾ [الذاريات: ٤٧].

المنذر

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ كُنَّا مُنذِرِينَ ٣﴾ [الدخان: ٣].

المرسل

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٥﴾ [الدخان: ٥].

المنتقم

قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ٤١﴾ [الزخرف: ٤١].

المبرم

قال تعالىٰ: ﴿أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ أَمۡرٗا فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ ٧٩﴾ [الزخرف: ٧٩].

المنشئ

قال تعالىٰ: ﴿ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ٧٢﴾ [الواقعة: ٧٢].

هو

قال تعالىٰ: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وأكثر أهل العلم لم يوردوا هذا الاسم في أسماء الله الحسنىٰ؛ وذلك لأنه لا يدل علىٰ معنىٰ حسن ولا وصف حسن، ولغير ذلك أيضًا.

الوارث

لم يرد هذا الاسم مفردًا في الكتاب العزيز ولا في السنة الثابتة الصحيحة فيما علمتُ.

وورد قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحجر: ٢٣]، وقال زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم: ٤٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١٠].

ومن معانيه: الذي يبقىٰ بعد فناء خلقه، وترجع إليه الأشياء التي وهبهم إياها، فهو الذي يرث الخلق بعد فنائهم، ويرث السموات والأرض بعد فناء الخلق.

كيفية التعبد ببعض الأسماء الحسنى

والأمر هنا ليس علىٰ سبيل الاستقصاء للأسماء الحسنىٰ ولا الاستقصاء لصور التعبد بها، إنما أشير فقط بعضَ الإشارات إلىٰ كيفية التعبد ببعض الأسماء، وليس هذا علىٰ سبيل الاستقصاء، فالاستقصاء له مقام آخر أوسع من هذا الباب المختصر.

وإجمالًا فمن أراد أن يستقصي فالباب أمامه واسع، ومن سبل الاستقصاء أن تجمع الآيات التي ورد فيها اسم الله الذي تريد أن تقف علىٰ معانيه وطريقة التعبد به، تجمع الآيات وتمعن النظر فيها وتدقق، وتقرأ أقوال المفسرين من أهل العلم المعتبرين من أهل السنة والجماعة، وإن كان في الآية حديث عن رسول الله ﷺ فاستحضره أيضًا مدققًا النظر فيه.

وكذا تجمع الأحاديث الواردة في اسم الله الذي تريد بحث كيفية التعبد به، وتقرأ شروحات العلماء المتعلقة بالقدر الذي تريده، وكذا تراجع الكتب المصنَّفة في الأسماء الحسنىٰ وتستنبط من الفوائد، كل هذا مع سؤال الله التوفيق ولزوم تقوىٰ الله وطاعته.

وعن التعبد باسم (الله) والدعاء به

فطرائق ذلك لا تُحصىٰ، فهذا الاسم أكثر الأسماء ذِكرًا في كتاب الله عزوجل، وقد ورد في الكتاب العزيز أكثر من ألفي مرة، ولا يكاد يُحصىٰ وروده في سنة رسول الله ﷺ الثابتة الصحيحة.

ولا ينعقد لأحدٍ إسلامٌ إلا بالشهادة لله بالوحدانية.

وهو الذي تضاف إليه سائر الأسماء، والقلوب تطمئن بذكر هذا الاسم.

ونسبح ربنا بذكر هذا الاسم ونحمده ونكبرهُ ونهلل فنقول: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا إله إلا الله.

وندعو الله بهذا الاسم:

فدومًا نقول: (اللهم) فنقول: (اللهم ارزقنا) (اللهم اغفر لنا) (اللهم انصرنا)... ومعنىٰ ذلك يا الله.

واسم (الله) لم يتسمَّ به أحدٌ من الخلق، فليس هناك أحد أطلق عليه هذا الاسم إلا الله تبارك وتعالىٰ، وهذا أحد الوجوه في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم: ٦٥] أي هل تعلم أحدًا تسمىٰ (الله).

والوجه الآخر هل تعلم له شبيهًا أو نظيرًا أو مثيلًا أو كفؤًا...

وإذا جاز أن نطلق علىٰ بعض البشر بعض أسماء الله عَزَّوَجَلَّ مع اعتقادنا أن الفرق بين الاسم والمسمىٰ كالفرق بين المخلوق والخالق فمثلًا من البشر من أطلق عليه العزيز، والله هو العزيز، لكن لا يجوز لنا بحال أن نُطلق علىٰ أي مخلوق اسم (الله).

والله يُرجىٰ ويوصف ويُرهب ويُخشىٰ ويُتقىٰ... فتقول: اتق الله. وتقول: الله الرحمن الرحيم، الله هو السميع العليم، الله الملك القدوس السلام.

ودخول الشخص في الإسلام لا يتأتَّىٰ إلا بقول: (لا إله إلا الله)، والأذان ينعقد بذكر الله... الله أكبر الله أكبر.

والتسمية تكون بهذا الاسم عند ابتداء الأعمال، وعند الطعام، وعند الشراب، وعند الذبح، وعند الركوب، وعند الدخول، وعند الخروج، وعند الوضوء، وعند الجماع، وعند الرقية، وفي صدور الرسائل والاتفاقيات، وفي أوائل سور القرآن...

والله يُحمد فنقول: الحمد لله.

ويُنزَّه فنقول: سبحان الله.

ويكبر فنقول: الله أكبر.

ويُوحد فنقول: لا إله إلا الله.

فالحاصل أن صور التعبد بهذا الاسم فوق الحصر، وأصولها مأخوذة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ومن سنة رسوله ﷺ.

وعن التعبد باسم (الرب)

إذا علمنا أن الرب هو الذي يُربي الخلق بنعمه ويُدبر لهم أمورهم ويعطيهم ويصلح شئونهم، وأنه يوفق للإيمان ويشرح الصدور له؛ سألنا ربنا أن يرزقنا وأن يعلمنا وأن يهدينا وأن يحفظنا وأن يُنقذنا...

قال موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤]، وقال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣]، وقال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٧]، وقال آدم وحواء عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

وعن اسمي (الرحمن الرحيم)

فإننا نثني علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بهما، فإذا قال العبد: (الرحمن الرحيم) قال الله عَزَّوَجَلَّ: «**أثنىٰ عليَّ عبدي**»(١).

ثم إننا نفعل ما به نستجلب رحمةَ ربنا عَزَّوَجَلَّ، فنحسن إلىٰ الخلق كي نُرحم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٦].

ونتقي الله لعلنا نُرحم، ونستمع إلىٰ القرآن وننصت لعلنا نرحم، وكذا فإننا لا نيأس من رحمة الله، ولا نُقَنِّط أحدًا من رحمة الله إلىٰ غير ذلك مما هو وارد في هذا الباب.

واسم الخالق يحملنا علىٰ توحيد ربنا وإفراده بالعبادة، قال تعالىٰ: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [الأعراف: ١٩١]، ويُذكرنا بقدرته والرضا بقدره وقضائه.

ومن توابع إيماننا باسم الواحد ولوازم ذلك أننا نعتقد أنه لا شريك له ولا ندَّ له ولا مثيل له ولا شبيه ولا نظير.

فمن ثمَّ نعبده وحده لا شريك له، ونسأله وحده لا شريك له، ونتبرأ من كل إله عُبد معه.

ومن إيماننا باسم (الصمد) أننا نصمد إليه – نلجأ إليه – لقضاء حوائجنا، وإليه المفزع عند الشدائد، ونرضىٰ بقدره فإنه العليم الذي لا أعلمَ منه، ونسعىٰ لطلب الرزق منه، فهو الرزاق الذي لا رزق عند غيره، ولا نرهب أحدًا سواه،

---

(١) **صحيح**، وقد تقدم.

فهو العزيز الغالب، وهو الواحد القهار، وهو الغني الذي قد كمل في غناه، وهو الذي يُهاب ويُخشىٰ، فهو السيد العظيم.

ومن إيماننا باسمه العلي والأعلىٰ اعتقادنا تعظيمه، فهو فوقنا قد استوىٰ علىٰ العرش، وهو القاهر فوق عباده، فمن ثمَّ نمد أيدينا إلىٰ السماء نسأله، ومن ثمَّ نخشىٰ عذابه ونستهديه (نطلب هدايته وتوفيقه).

وعن إيماننا باسمه (السميع) وتعبدنا به نعتقد أن الله يسمع ويرىٰ، فالذي لا يسمع ولا يرىٰ ليس بإله ولا يستحق أن يُعبد، قال تعالىٰ لموسىٰ وهارون عليهما السلام: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [طه: ٤٦]، وقال الخليل لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢﴾ [مريم: ٤٢].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥﴾ [الأعراف: ١٩٤، ١٩٥].

وإيماننا بأنه سميع يورثنا حفظًا للسان، وصيانة للكلام، وإعراضًا عن اللغو، ومحافظة علىٰ الذِّكر، ومواظبةً عليه، ويحملنا علىٰ الدعاء والرجاء، ثم إننا نتوسل إلىٰ الله باسمه السميع: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾.

وهذا الاسم يحمل التهديد والوعيد لأهل الكفر والعصاة، قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ١٨١﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقال تعالىٰ: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ٨٠﴾ [الزخرف: ٨٠]

ويحمل هذا الاسم علىٰ التبشير والاستبشار والطمأنينة، قال تعالىٰ لموسىٰ وهارون عليهما السلام: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [طه: ٤٦]، وقال تعالىٰ: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ [المجادلة: ١] أي قد سمعها وأجابها.

ونتعبد الله عز وجل باسمه (الملك) معتقدين أن له التصرفَ الكامل والملك الكامل للسموات والأرض وما بينهما، فالملك يشرع الشرائع، ويقدر المقادير، ويُولي هذا ويعزل ذاك، ويعطي هذا ويمنع ذاك، ويثيب أقوامًا ويعاقب آخرين، ويداول الأيام بين الناس، فيرفع أقوامًا ويخفض آخرين، ولو شاء لرفعهم أجمعين، ولو شاء لعاقبهم وخفضهم أجمعين، وهو الذي يحكم بين الناس... إلىٰ غير ذلك من متبوعات كونه ملكًا.

ثم إن ملك الله دائم ليس بزائل كملوك الدنيا وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ﴾ [النحل: ٥٢]، أي دائمًا، والملك له في الدنيا والآخرة، وهو الذي يذهب بملوك الدنيا، وهو الذي بيده الخزائن كلها، وهو الذي يكشف الضرَّ ويجيب المضطر ويبتلي ويعافي.

فإذا دعونا الله باسمه اللطيف تضمن دعاؤنا طلبَ الرفق بنا، وإيصال الرزق إلينا براحةٍ وهدوء بالٍ وكان رزقًا حلالًا.

وتضمن أيضًا حفظنا من المعاصي وعدم الوقوع فيها، وتضمن دعاؤنا أيضًا إنقاذنا مما كنا سنقع فيه مما به مشقةٌ علينا.

وإذا رأىٰ العبد بوادر المصائب ومقدماتها سأل الله أن تمرَّ الأحداث بخيرٍ وعلىٰ خيرٍ.

وإذا تأملت الآيات التي ذُكر فيها اسمه تبارك وتعالىٰ (اللطيف) تبين لك ما سبق.

فإذا قرأت قول الصديق عليه السلام بعد أن حكىٰ قصته وما حدث له تراه يقول: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وإذا قرأت قوله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾ [الشورىٰ: ١٩]، تبين لك أيضًا شيءٌ مما ذُكر من معنىٰ اللطيف.

ومن التعبد باسمه الرزاق اعتقادنا بأن النعم والأرزاق كلها منه سبحانه، فنسأله الرزق، ونسعىٰ في الأرض طالبين رزقه، كما قال: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك: ١٥]، ونتقيه؛ فإن تقواه سبب في الرزق إذ قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

ونحافظ علىٰ أولادنا وبناتنا، فلا نفعل فعل أهل الجاهلية؛ إذ كانوا يقتلون أولادهم خشية الإملاق (الفقر).

ونعمل صالحًا؛ فالعمل الصالح سبب في الرزق، قال تعالىٰ: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الحج: ٥٠].

وننفق مما آتانا فهو الذي يُخلف، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ: ٣٩].

وهو الذي يرزق الخلق كلهم، إنسهم وجنهم ودوابهم وطيورهم وحيتانهم... وهو الذي يرزق الأموال، ويرزق العلم، ويرزق الذرية، ويرزق المطر، ويرزق الإيمان، ويرزق الجنة يوم القيامة؛ فخزائن كل شيء بيديه، ومنتهىٰ الأمور كلها إليه.

ومن لوازم ما ذكر أننا لا ننشغل عن عبادته مع أخذنا بالأسباب، وقد قال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢].

ومن توابع إيماننا باسمه الهادي:

أن لا نتعالىٰ ولا نتكبر علىٰ الناس بإيماننا، فالذي هدانا هو الله، وهو قادر علىٰ تقليب القلوب، ونسأله دومًا أن يهدينا ويرشدنا إلىٰ الحق والصواب في كل شئونا واختلافاتنا، ونسأله أن يوفقنا لسلوك السبل التي ترضيه عنا.

وإيماننا باسمه الوهاب يحملنا علىٰ الرضا بقضائه وقدره، ويحملنا علىٰ سؤاله، ويحملنا علىٰ حمده وشكره، فهو الواهب لكل النعم، يهب الذرية، ويهب الرحمة، ويهب المال، ويهب الإيمان.

ومن إيماننا باسمه الغفار والتواب أننا لا نيأس أبدًا من رحمة الله، بل دومًا نسأله المغفرة، ونسأله العفو، ونعتقد أنه يفرح بتوبتنا ورجوعنا إليه، ولقد قال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢]، وقال رسوله ﷺ: «**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَىٰ شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ**»(١).

واسم الشكور، وكذا الشاكر يحملنا علىٰ شكره وكثرة الإكثار منه، وكذا يحملنا علىٰ فعل ما يشكرنا الله عَزَّوَجَلَّ به من الطاعات والنوايا الصالحة والأقوال الطيبة.

واسم المجيد يحملنا علىٰ تعظيمه وتمجيده.

والمقدم والمؤخر يحملانا علىٰ تقديم ما قدمه الله عَزَّوَجَلَّ، وتأخير ما أخره الله عَزَّوَجَلَّ، فنقدم قارئ القرآن في الصلاة وعند الدفن إذا كان هناك اجتماع في

(١) مسلم (٢٧٥٨) والبخاري (٧٥٠٧).

القبر، ونقدم الأتقياء ونوقرهم، ونؤخر من أخره الله، ونعتقد أن المتقدم من قدمه الله، وأن المتأخر من أخره الله.

واسم الودود يحملنا علىٰ محبته جل وعلا، ومحبة شرعه، ومحبة أسمائه وصفاته، وكذا يحملنا علىٰ سؤاله أن يحبنا ويقذف محبتنا في قلوب المؤمنين.

واسم العظيم يحملنا علىٰ إجلاله وتعظيمه وتسبيحه.

والجبار يحملنا علىٰ خشيته والرهبة منه وعلىٰ الاستنصار به.

واسم المتكبر مما اختص الله به فلا ننازعه فيه، بل نتواضع له ونذل ونخشع، وهكذا...

فكيف تعتقد أن الله هو الرزاق وأنه خير الرازقين ثم إنك تسأل غيره؟!!

وكيف تعتقد أنه الشافي وتسأل شخصًا الشفاء؟!

وكيف تعتقد أنه الغفار ثم تيأس من روحه وتقنط من رحمته؟!!

وكيف تعتقد أنه الوكيل ثم إنك تخشىٰ من سواه؟!!

تذكير وتحذير وتنبيهات

ويجدر أن أذكِّر ببعض الأمور وأُحذر من أمور أخر، فأقول مستعينًا بالله عَزَّوَجَلَّ:

أولًا: كما سبق فأسماء الله توقيفية، فلا يجوز أن نزيد فيها شيئًا من غير دليل، ولا يجوز أن نحذف منها شيئًا دلَّ عليه الدليل.

ثانيًا: من الناس من يتعبد بالأسماء الحسنىٰ بطريقة خاطئة ليس عليها دليل ولا برهان، فيقول قائلهم: الله الله الله... مكررًا ذلك ألف مرة أو أكثر أو أقل.

والتعبد بمثل هذا غير وارد عن رسول الله ﷺ، أما استدلال بعضهم بقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١﴾ [الأنعام: ٩١] فهو استدلال ليس في محله، فمطلع الآية يوضح معناها، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۚ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ﴾، فقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ جواب علىٰ سؤال قد تقدم.

وكذا قول فئامٍ من الناس: حي حي حي... مئات المرات؛ لم يرد عليه دليل كذلك، بل الذكر بهذه الطريقة أمر محدث، وكل محدثة بدعة...

وهكذا الذكر بسائر الأسماء علىٰ النحو المشار إليه.

ثالثًا: يدَّعي بعض الناس ممن وظفوا أنفسهم لعلاج بعض المرضىٰ من الممسوسين ونحوهم في هذه الأيام أن لكل اسم من أسماء الله خاصية، وأن

لكل اسم خُدامًا، فيتجرءون علىٰ الله وعلىٰ أسمائه، ويذكرون الله بطرائق مُحدثة لعلاج المرضىٰ الممسوسين والموسوسين ونحوهم.

وآخرون تطرقوا إلىٰ علاج الأمراض العضوية بالأسماء الحسنىٰ، فيعالجون نزيف الأنف باسم من الأسماء الحسنىٰ، ويعالجون فقار الظهر باسم آخر، ويعالجون الاستحاضة بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ [هود: ٤٤] ونحو ذلك.

وفاعل هذا ينبغي أن يؤدَّب، بل يجب أن يحبس ويعاقب لاستهزائه بآيات الله ولوضعها غير مواضعها.

رابعًا: أسرف كثيرٌ من الناس في كتابة الأسماء الحسنىٰ في لوحات وتزيينها وتعليقها علىٰ الحوائط، ولم تعد همة كثيرين منهم إلا أن تزين الحوائط ويُثنىٰ علىٰ اللوحة بغض النظر عن محتواها وتدبر معاني ما كتب فيها.

وهذا بلا شك أمرٌ لم يكن علىٰ عهد رسول الله ﷺ، ولا عُلم عن أصحابه رضي الله عنهم.

خامسًا: كثيرون من الناس يمتهنون أسماء الله من غير قصد؛ إذ يأتي أحدهم بورق الصحف والمجلات، وبكثير منها أسماء لله – ويضعونها علىٰ الأرض ويضعون عليها القدور والأطعمة، ويتساقط عليها الطعام والشراب، فليُحذر من ذلك، فأسماء الله يجب أن تُوقر وتُعظَّم.

سادسًا: ينبغي أن يُختار من أسماء الله الحسنىٰ ما يوافق المسألة التي يريدها الشخص، فإذا كان يريد الرزق سأل باسم الله الرزاق، وسأل باسم الله الوهاب، والكريم، وخير الرازقين ونحو ذلك.

وإذا أراد الشفاء سأل باسم الشافي وما في معناه، وهذا التذكير إنما ذكَّرت به لأنه الوارد في الكتاب والسنة أولًا، ثم إن هناك من يحيد عن النهج في هذا، فيقول كثيرون ممن يقنتون في الصلوات أذل الشرك والمشركين برحمتك يا أرحم الراحمين! فكيف يكون الإذلال بالرحمة؟

إنما: أَذِلَّ الشرك والمشركين بقوتك وقدرتك وعزتك ونحو ذلك، والله أعلم.



مزيدُ بيانٍ حول اسم الله الأعظم

أقول وباللّه التوفيق:

* لم يرد في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ نصٌّ صريحٌ ببيان اسم الله الأعظم.

* أما سنة رسول الله ﷺ فقد ورد حديث أنس في هذا، وهو الحديث المتقدم ذكره في اسم الله المنان (في الباب السابق)، وتقدَّم بيان ما فيه.

* وفي الباب حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: سمع النبي ﷺ رجلًا يقول: اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت، الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. فقال رسول الله ﷺ: «**لَقَدْ سَأَلْتَ اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»(١).

والحديث روي من طرق عن مالك بن مغول(٢) عن ابن بريدة عن أبيه، وهذا الحديث يُحسَّن سنده، ولكن به علةٌ، وهي أن الحديث روي من طريق عبد الوارث عن حسين المعلم عن حنظلة بن علي عن محجن بن الأدرع أن النبي ﷺ قال: «**قَدْ غُفِرَ لَهُ**»(٣) ولم يقل: «**لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ**».

ورجَّح أبو حاتم في «العلل»(٤) الأخير، أي أن الحديث من طريق محجن

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٩٤)، والترمذي (٣٤٧٥)، وابن ماجة (٣٨٥٧)، وأحمد (٥/ ٣٥٠)، والنسائي في الكبرىٰ (٤/ ٣٩٥)، وغيرهم.

(٢) وقد روي من طريق شريك عن أبي إسحاق ومالك بن مغول عن ابن بريدة عن أبيه، كلهم عن شريك، وهو النخعي، صدوق يخطئ كثيرًا.

(٣) أخرجه أبو داود (٩٨٧)، والنسائي (١٣٠١)، وأحمد (٤/ ٣٨٨)، وابن خزيمة (١/ ٣٥٨)، وغيرهم.

(٤) العلل (٥/ ٤١٧).

الأدرع، وليس فيه اسم الله الأعظم.

وأحرج الحاكم والطبراني والفريابي[(١)] وغيرهم من طريق الوليد بن مسلم ثنا عبد الله بن العلاء بن زبر عن القاسم عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «**اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ فِي ثَلَاثٍ: سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَطَهَ**».

وهذا السند معلول، وقد دلَّس الوليد بن مسلم في السند، فقد أخرجه ابن عساكر[(٢)] في تاريخ دمشق من طريق عمرو بن أبي سلمة، عن عبد الله بن العلاء، عن غيلان بن أنس، عن القاسم عن أبي أمامة، فهنا واسطة بين عبد الله بن العلاء والقاسم وهو غيلان بن أنس، وغيلان مجهول[(٣)].

وكل الأحاديث الواردة في هذا الباب لا تصح[(٤)].

هذا، وقد ذُكرت أقوالًا كثيرة في تعيين اسم الله الأعظم أشهرها أنه (الله عَزَّوَجَلَّ).

والثاني أنه (الحي القيوم)، وثَمَّ أقوال أُخر، فالله أعلم.

هذا، ولا يثبت حديث في أن الذي آتاه الله الآيات فانسلخ منها كان يعلم اسم الله الأعظم.

وكذا لم يثبت حديث في أن الذي عنده علم من الكتاب في زمن سليمان كان عنده علم باسم الله الأعظم، والله أعلم.

---

(١) الحاكم في المستدرك (١/ ٦٨٤، ٦٨٦)، الطبراني في الكبير (٨/ ٢٣٧)، والفريابي في فضائل القرآن (٤٧).

(٢) ابن عساكر (تاريخ دمشق ٤٨/ ١٢٧).

(٣) وقد أعلَّ بالإرسال أيضًا، انظر التاريخ لابن معين (٥٠٧٢)، وثَمَّ اختلافات طويلةٌ في الإسناد، ووجوه الضعف.

(٤) وذلك فيما وقفت عليه.

إطلاق بعض أسماء الله على بعض خلقه:

سابعًا: قد نرىٰ اسمًا من أسماء الله الحسنىٰ أطلق علىٰ بعض الخلق، وهذا وارد، ولكنَّ الفرق بين الاسم والمسمىٰ كالفرق بين الخالق والمخلوق.

فالله عَزَّوَجَلَّ سمىٰ نفسه (العزيز) إذ قال: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وقال إخوة يوسف ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ [يوسف: ٨٨]، وليس العزيز كالعزيز.

وسمىٰ ربنا نفسه بالمؤمن ﴿ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣] وسمىٰ عباده بالمؤمنين.

وقال ﷺ: «**إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً مَثَلُهَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِ**»(١)، وقال تعالىٰ في شأن شأن العباد: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ [الإنسان: ٢] والله هو السميع البصير.

وقال تعالىٰ لموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٦٨﴾ [طه: ٦٨].

وقال تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلىٰ: ١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤٦﴾ [الواقعة: ٤٦] أي الذنب العظيم، وهو الشرك والتكذيب. وربنا سبحانه هو العظيم.

وهذا باب واسع جدًّا فليتفطن لذلك، فلا يلزم من الاشتراك في الاسم أو الاتفاق فيه أن يُشَبَّه الخالق بالمخلوق وأن يماثل الخالق المخلوق.

---

(١) البخاري (٦١)، ومسلم (٢٨١١).

ثامنًا: هناك أسماء مختصَّة بالله عَزَّوَجَلَّ فلا يسمىٰ بها غيره، فلا يتسمىٰ أحدٌ باسم (الله) قد قال تعالىٰ: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم: ٦٥].

فمن معانيها هل تعلم أحدًا تسمىٰ (الله) غير الله عَزَّوَجَلَّ.

ولا يتسمىٰ أحدٌ بـ (الرحمن) ولا بـ (الخالق) ولا بـ (البارئ) ولا بـ (القيوم) وكذلك ملك الأملاك (شاهنشاه)، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّىٰ مَلِكَ الْأَمْلَاكِ**»(١).

تاسعًا: كثيرًا ما ترىٰ في بعض الدول محلات تطلق عليها أسماء اختصرت، فأخل الاختصار بالمقصود فمثلًا محلات آل عبد اللطيف، تراهم كتبوا عليها محلات العبد اللطيف، وكذا آل عبد الرحمن منهم من يكتب (العبد الرحمن)، والعبد الوهاب ونحو ذلك، فليُتَّقىٰ مثل ذلك.

عاشرًا: كثيرًا ما نرىٰ في اصطلاحات الأصوليين كلمة (الشارع) فيقولون مثلًا: الشارع الحكيم قضىٰ بكذا وبكذا، وكثيرٌ منهم يقصد بالشارع الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا مما لم نجد له مستندًا عن رسول الله ﷺ ولا في القرون المفضلة الثلاثة، والله أعلم.

(١) البخاري (٥٨٥٣)، ومسلم (٢١٤٣).

تفاضل أسماء الله الحسنى

فهل تتفاضل أسماء الله الحسنىٰ؟

أي هل هناك اسم أفضل من اسم؟

وجواب ذلك: نعم، هناك أسماء أفضل من أسماء، وقد نُقل الإجماع علىٰ ذلك، واستدل بعض العلماء أيضًا لذلك بما ورد عن رسول الله ﷺ في ذكر اسم الله الأعظم، وإن كان الحديث بذلك ضعيفًا كما تقدم، لكن قد اتفقوا علىٰ أن لله اسمًا أعظم وإن اختلفوا في تعيينه.

واسم (الله) أفضل الأسماء وأعظمها عند جماهير العلماء، بل قد قالوا إنه اسم الله الأعظم.

أسماء الله عَزَّوَجَلَّ لها دلالات:

*** إن دلَّت على وصفٍ متعدٍّ تضمنت ثلاثة أمور:**

الأول: ثبوت الاسم لله عَزَّوَجَلَّ.

الثاني: ثبوت الصفة.

الثالث: ثبوت الحكم.

كقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾ [المائدة: ٣٤] فغفور ورحيم تضمنت الثلاثة، فكل منها اسمٌ لله عَزَّوَجَلَّ، وأيضًا فهما صفتان لله، وأيضًا فالمستفاد من ختام الآية بهما أننا نغفر

ونتجاوز ونرحم من أتىٰ تائبًا قبل أن نقبض عليه.

*** أما إن دلَّت الأسماء على وصف غير متعدٍّ فإنها تدل على أمرين:**

أحدهما: ثبوت الاسم.

الثاني: ثبوت الصفة.

مثالٌ لذلك الحي فهو اسم لله عَزَّوَجَلَّ، وهو صفة لله أيضًا.

وقسَّم عددٌ من العلماء أسماء الله الحسنىٰ من حيث المعاني إلىٰ أقسام، فقالوا ما حاصله:

❋ إن منها أسماء تدل علىٰ صفةٍ ذاتية لله عَزَّوَجَلَّ منها علىٰ سبيل المثال: الحي والسميع والبصير والعليم والقدير ونحو ذلك، فإنه سبحانه حيٌّ وسميعٌ وبصير وعليم وقديرٌ علىٰ الدوام، ولا تعلَّق لمثل هذه الأسماء بالمشيئة.

❋ وأسماء أُخَر تدل علىٰ صفات فعلية متعلقة بالمشيئة كالغفار والرزاق والتواب، فإنه سبحانه غفار لكن يغفر لمن يشاء، ورزاق يرزق من يشاء، وتواب يتوب علىٰ من يشاء.

❋ وأسماء تدل علىٰ التنزيه والتقديس كاسم القدوس، والسلام، والسبوح، فالقدوس يدل علىٰ التنزيه، والسلام يدل علىٰ السلامة من النقائص والعيوب.

❋ وأسماء تدل علىٰ عدة معان من معاني الكمال والتعظيم، كالمجيد والصمد ونحو ذلك.

❋ ومن ثم فقد رأىٰ هؤلاء – بناءً علىٰ ما ذكروه من أن الأسماء كلها تدل علىٰ صفات– أن الاسم الذي لا يدل علىٰ صفة لا يدخل في أسماء الله الحسنىٰ،

كاسم الدهر علىٰ سبيل المثال، فلم يُدخله الأكثرون في أسماء الله الحسنىٰ؛ لأنه لا يدل علىٰ وصف، ثم إنه اسم جامدٌ ليس بالمشتق، والله أعلم.

اقتران بعض الأسماء ببعض

كثيرًا ما يرد في الكتاب العزيز اقتران اسمين معًا في ختام الآيات، مثل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود: ٦٦] فجمع هنا بين القوة والعزة.

فالقوي أفاد أمرًا والعزيز أفاد أمرًا، واجتماعهما أفاد أمرًا ثالثًا.

فالأول أفاد أن الله قوي، والثاني أفاد أنه غالب، واجتماعهما أفاد أنه سبحانه قوي غالب أن غلب بقوته.

وذلك أن شخصًا ما قد يغلب آخر، وهو ضعيف، وأيضًا فإن شخصًا ما قد يكون قويًا ولكنه يُغلب، ولكن الله قويٌّ وغالبٌ في نفس الوقت.

وكذا العزيز الحكيم

فإن العزيز الغالب النافذ أمره في خلقه، والحكيم الذي يصنع كلَّ شيء بحكمة، واجتماعهما يقتضي معنًىٰ ثالثًا، وهو أن الله عزيز وفي ذات الوقت حكيم، فهو يغلب غيره ويغلب علىٰ أمر نفسه، ومع ذلك فإنه يفعل ما يفعله بحكمة.

فقد يكون هناك شخص من البشر غالب لكنه جائر ظالم متهور، فتعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وهكذا فالاقتران يضيف معنىٰ إلىٰ المعنىٰ الذي انفرد به كل اسم، والله أعلم.

ملخص القول
فيما ذُكر من الأسماء الحسنى

أولًا: الأسماء التي وردت مفردةً في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ:(١)

الله – الرحمن– الرحيم– الأحد – الواحد – الصمد – الحي – القيوم – الملك – القدوس – السلام – المؤمن – المهيمن – العزيز – الجبار – المتكبر – الخالق – البارئ – المصور – الأول – الآخر – الظاهر – الباطن – السميع – البصير – الفتاح – العليم – الحكيم – اللطيف – الخبير – الغفور – الودود – الغفار – الوهاب – الرزاق – التواب – البر – الوليُّ – الحميد – المجيد – الخلاق – القهار – الحليم – العلي – العظيم – الأعلىٰ – المتعال – الشكور – الشاكر – الكريم – الأكرم – الواسع – الحق – المبين – القوي – المتين – القدير – المليك – المقتدر – الرب – الإله – العفوُّ – الرءوف – القريب

ثانيًا: طائفة من الأسماء التي وردت متعدية إلىٰ غيرها بلفظ (علىٰ) أو (فوق) ونحو ذلك:

الحسيب – الحفيظ – الحفي – الحكم – الرقيب – الشهيد – العالم – الغالب – فعال – القادر – القاهر – القائم – الكفيل – المحيط – المستعان – المقيت – المولىٰ – النصير – الهادي – الوكيل.

---

(١) وستأتي مفصلةً ومبينًا معناها، ومدللًا عليها بالأدلة إن شاء الله، وثَمَّ أسماء متفق عليها وأسماء مختلف فيها، وأسماء لا تنطبق عليها القواعد التي قعَّدها العلماء لاعتبار الأسماء.



ثالثًا: طائفة من الأسماء المضافة الواردة في الكتاب العزيز وتوابع لها:

أهل التقوىٰ – أهل المغفرة – أحسن الخالقين – أحكم الحاكمين – أرحم الراحمين – أسرع الحاسبين – بديع السموات والأرض – جامع الناس

ومنها الأسماء المصدرة بـ (خير)، ومنها: خير الحاكمين– خير الراحمين– خير الرازقين – خير الغافرين – خير الفاتحين – خير الفاصلين – خير المنزلين – خير الناصرين – خير الوارثين – خيرٌ حافظًا.

والأسماء المصدرة بـ (ذو)، ومنها: ذو الجلال والإكرام – ذو انتقام – ذو الطول – ذو العرش – ذو الفضل – ذو المعارج – ذو مغفرة.

ومن المضاف أيضًا: رفيع الدرجات – سريع العقاب – شديد العقاب – شديد المحال.

ومنها: علام الغيوب – عالم الغيب والشهادة – عدو للكافرين – غافر الذنب – فاطر السموات والأرض – فالق الحَبِّ والنوىٰ – فالق الإصباح – قابل التوْب – كافٍ عبده – مالك يوم الدين – مالك الملك – ملك الناس – نور السموات والأرض – واسع المغفرة.

رابعًا: طائفة من الأسماء التي وردت في السنة، منها:

الباسط – الجميل[1] – الرزاق – الرفيق – السبوح – السيد – الشافي – القابض – المقدِّم – المؤخر – الوتر.

خامسًا: وثَمَّ أسماء وردت بها أحاديث في سندها ضعف أو في صحتها نزاع، مثل: الطيب[2] – الجواد – الحيِّي – الديَّان – السِّتِّير – المحسن – المعطي – المنان.

---

(١) وقد اختلف في هذا، هل هذا وصف أو اسم.

(٢) في سنده فضيل بن مرزوق.

سادسًا: هذه بعض الأسماء المضافة الواردة في السنة بأسانيد صحيحة:

أهل الثناء والمجد – قيم السموات والأرض ومن فيهن – مُصَرِّف القلوب – مقلب القلوب – ركن شديد[(١)].

سابعًا: وهذه أسماء توقَّف فيها كثيرٌ من العلماء ولم يعتمدوها من الأسماء الحسنىٰ:

الحافظ – الحسيب – الحاسب – الزارع – الصادق – الكاتب – الماهد – المبكي – الواسع – المنذر – المرسل – المنتقم – المُبرم – المنشئ – هو – الوارث[(٢)].

بعض الوارد في (النفس)

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقال ﷻ لموسىٰ عليه السلام: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه: ٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: ٣٠]

وقال عيسىٰ عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

وفي الصحيحين[(٣)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: يقول الله تعالىٰ: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي،**

(١) ولم يعتبرْها عددٌ من العلماء أسماءً.

(٢) واعتمد (الوارث) عدد من العلماء، والله أعلم.

(٣) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُم...».

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ وَهُوَ يَكْتُبُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَهُوَ وَضْعٌ عِنْدَهُ عَلَىٰ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»(١).

وأخرج مسلم من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ فيما روىٰ عن الله تبارك وتعالىٰ أن قال: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَّالَمُوا...» الحديث(٢).

وأخرج مسلم من حديث أم المؤمنين جويرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ خرج من عندها بُكرةً حين صلَّىٰ الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحىٰ وهي جالسة فقال: «مَا زِلْتِ عَلَىٰ الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قالت: نعم. قال النبي ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»(٣).

ما جاء في الذات

قال رسول الله ﷺ: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ ﷺ قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ: ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللهِ...» فذكر الحديث(٤).

---

(١) البخاري (٧٤٠٤)، وانظر مسلمًا في طرق حديث (٢٧٥١)، وابن خزيمة (حديث رقم ٩).

(٢) مسلم (٢٥٧٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٢٦).

(٤) لفظ مسلم (٢٣٧١).

وقال خبيب[١] لما قُدِّم للقتل:

فلست أبالي حين أقتل مسلمًا ... على أي جنب كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يُبارك على أوصال شِلوٍ مُمَزَّع

أبواب في صفات ربنا جلَّ وعلا

لقد وصف لنا ربُّنا عَزَّوَجَلَّ نفسه في الكتاب الكريم[٢] وجاءت عن رسولنا محمد ﷺ بذلك جملة من الأحاديث الصحيحة.

وقد قال تعالىٰ ذكره: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١]، فنفىٰ أن يماثله شيء، وأثبت أنه السميع البصير، فنُثبت لله عَزَّوَجَلَّ ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ مع نفي المماثلة.

وقد نزَّه الله سبحانه نفسه عن الأوصاف التي يصفه بها أقوامٌ بغير برهان، فقال سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات: ١٨٠]، وبيَّن الله سبحانه ندم أهل الكفر -يوم القيامة- علىٰ ما كانوا يصنعون في الدنيا من تسويتهم بين الخالق جلَّ وعلا وبين آلهتهم التي عبدوها: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الشعراء: ٩٦- ٩٩].

فعلينا أن نسلك في هذا الباب مسلك العدل والإنصاف وعدم التقوُّل علىٰ الله بغير علمٍ.

---

(١) البخاري (٣٩٨٩).

(٢) ذكر الله عَزَّوَجَلَّ بعض صفاته العلىٰ في الكتاب العزيز، كما ذكر بعض أسمائه الحسنىٰ، ولا نحيط بربِّنا علمًا، فقد قال جل وعلا: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠].

علينا أن نثبت لله عَزَّوَجَلَّ ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ، كما أن علينا أن نعتقد تمام الاعتقاد أن الله ليس كمثله شيء، فقد أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ بذلك، كما أنه يلزمنا أيضًا أن ننفي عن الله عَزَّوَجَلَّ ما نفاه عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام.

ومن صفات[1] ربنا عَزَّوَجَلَّ الواردة في الكتاب العزيز وسنة رسوله ﷺ الثابتة الصحيحة ما يلي:

أولًا: صفات الذات: وهي صفات ذاتية لله عَزَّوَجَلَّ موصوف بها علىٰ الدوام، ومنها: صفة الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والرؤيا، والعظمة، والعزة، والكبرياء، والقوة، والغنىٰ، والجبرياء، والكلام، والجلال والإكرام، وكذا فإنه العلي الأعلىٰ.

ومن ذلك أيضًا: الوجه، وسبُحات الوجه، والعين، والصورة، واليد، والكف، والأصابع، واليمين، والساعد، والقدم (الرِّجْل).

ووردت الساق في حديث[2]، وكذا الحقو، إلىٰ غير ذلك من الوارد في الكتاب وصحيح السنة.

وكل ذلك علىٰ الوجه اللائق به عَزَّوَجَلَّ كما سيأتي بيانه بتفصيل إن شاء الله.

---

(١) قلت: (ومن) لأننا لا نحيط بربنا جل وعلا علمًا، فقد قال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠].
ويجدر التنبيه علىٰ أن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ تدل علىٰ أوصافه جلَّ و علا.
ويجدر التنبيه كذلك علىٰ أن هذه الصفات المذكورة منها ما هو وارد في الكتاب العزيز والسنة المباركة، ومنها ما هو وارد في الكتاب العزيز فقط، ومنها ما هو وارد في السنة فقط.
(٢) وسيأتي في الحديث بحثٌ إن شاء الله.

ثانيًا: الصفات الفعلية: وهي المتعلقة بالمشيئة والإرادة كصفة النزول، والمجيء، والإتيان، والتقرب، والمشي، والهرولة، والحب، والكُره، والبغض، والخَلْق، والتقدير، والفرح، والضحك، والتعجب (العجب)، والغيرة، والمدح، والفعل، والصبر، والحياء، والغضب، والرضا، والسخط، والحياء، والنفخ، والرحمة[1]، والنظر، إلىٰ غير ذلك من الوارد في الكتاب والسنة، وسيأتي كلُّ ذلك إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ بأدلته.

تذكير ذو أهمية (لا يلزم من إثبات الصفة إثبات المماثلة)[2]، وأكرر التذكير بأن كلَّ ذلك علىٰ الوجه اللائق بربِّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنه عَزَّوَجَلَّ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فلله عَزَّوَجَلَّ وجه لكن ليس كوجوه خلقه، ولله عَزَّوَجَلَّ يدٌ ولكن ليست كيد خلقه، وهكذا سائر الصفات، كالشأن في الأسماء الحسنىٰ.

فقد سمىٰ الله نفسه بالعزيز إذ قال: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقال إخوة يوسف ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ [يوسف: ٨٨]، ولم يقل أحد إن الاشتراك في الاسم يجعل يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كربِّ العباد جلَّ وعلا.

فليست عزة يوسف كعزة الله عَزَّوَجَلَّ، بل العزة لله جميعًا.

وليس معنىٰ إطلاقنا الكبير علىٰ بعض البشر أننا نشبهه برب العباد عَزَّوَجَلَّ، وقد قال تعالىٰ عن نفسه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾ [الرعد: ٩]، وقالت المرأتان اللتان أتتا موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝٢٣﴾ [القصص: ٢٣]، وليس معنىٰ ذلك أنهما شبهتا والدهما بربِّ العباد جلَّ وعلا.

---

(١) والرحمة يمكن إدخالها في صفات الذات، وكذا صفات الفعل، وكل ذلك باعتبارت.

(٢) وسيأتي لذلك مزيدٌ في عدد من الأبواب المتعلقة بكل صفةٍ إن شاء الله.

وقال تعالىٰ لموسىٰ عليه السلام: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ [طه: ٦٨]، وقال عز وجل عن نفسه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلىٰ: ١]، ولم يقل أحدٌ إن علو موسىٰ عليه السلام كعلو الله تبارك وتعالىٰ.

ووصف الله نفسه بأنه شكور، إذ قال: {إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾} [فاطر: ٣٠] وقال عن نوح عليه السلام: ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء: ٣]، ولم يقل أحد إننا قد شبَّهنا نوحًا عليه السلام بربِّ العباد لو وصفناه بأنه شكور.

ووصف الله نبيَّه محمدًا ﷺ بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]، فوصف رسوله بأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، وقال عن نفسه سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧]، ولم يقل أحدٌ إننا شبهنا الله عز وجل برسوله ﷺ.

وكذا الاستواء، فقد قال الله عز وجل عن نفسه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، وقال عن سفينة نوح: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ [هود: ٤٤]، وليس استواء الله عز وجل كاستواء السفينة، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

شيءٌ من البيان والتفصيل لصفات ربنا جلَّ وعلا

أقول أولًا: سبق التنبيه علىٰ أن أسماء الله ﷻ تدل علىٰ صفاته جل وعلا.

فاسم الحي يدل علىٰ الحياة، والعليم يدل علىٰ العلم، والقدير يدل علىٰ القدرة، وكذا السميع، والبصير، والعظيم، والعزيز، والمتكبر، والقوي، والغني، إلىٰ غير ذلك.

وها هي بعض صفات ربِّنا جلَّ وعلا والأدلة عليها، أستعين بالله وأوردها، فأقول وبالله التوفيق.

صفة الحياة(١)

قال تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقال ﷻ: ﴿* وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال رسول الله ﷺ: «... **أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ**»(٢).

---

(١) الأدلة علىٰ ذلك كثيرة جدًّا، ولكني اجتزأت بما يؤدي الغرض ويُستدل به علىٰ الصفة.

(٢) البخاري (٧٣٨٣)، ومسلم (٢٧١٧).

العلم

شيء من الوارد في إثبات العلم لله جلَّ وعلا[١]:

قال تعالىٰ: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾ [النساء: ١٦٦]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ١٤].

ومن الأدلة علىٰ علم الله أيضًا:

قول حملة العرش: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ [غافر: ٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الملك: ٢٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ٧﴾ [الأعراف: ٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ٩٨﴾ [طه: ٩٨].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك: ١٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦].

وفي حديث الاستخارة: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ**»[٢].

وقال الخضر لموسىٰ عليه السلام: «**إِنَّكَ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنَ اللهِ عَلَّمَكَهُ اللهُ لَا أَعْلَمُهُ،**

---

(١) وسبق البيان عن أن أسماء الله الحسنىٰ تدل علىٰ صفاته، فالعليم يدل علىٰ العلم، وكذا علام الغيوب، وعالم الغيب والشهادة، والعليم بذات الصدور، ويعلم السر وأخفىٰ، إلىٰ غير ذلك.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٦٦).

وَأَنَا عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ اللهُ لَا تَعْلَمُهُ...» فذكر الحديث، وفيه: «وَجَاءَ عُصْفُورٌ حَتَّىٰ وَقَعَ عَلَىٰ حَرْفِ السَّفِينَةِ ثُمَّ نَقَرَ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ الْخَضِرُ: مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورِ مِنَ الْبَحْرِ»(١).

وفي حديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢) عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذه الدعوات: «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَىٰ الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي مَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي...».

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد: ٣١]

قال البيهقي(٣) رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الصفات: «قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١] وهو يعلم المجاهدين والصابرين بغير ابتلاء، ففيه وجهان:

أحدهما: أن العرب تشترط للجاهل إذا كلَّمته شبه هذا شرطًا تسنده إلىٰ أنفسها وهي عالمة، ومخرج الكلام كأنه لمن لا يعلم، من ذلك أن يقول القائل: النار تحرق الحطب. فيقول الجاهل: بل الحطب يحرق النار. فيقول العالم: سنأتي بحطب ونار لنعلم أيهما يأكل صاحبه. أو قال: أيهما يحرق صاحبه، وهو عالم، فهذا وجه بيِّن.

والوجه الآخر: أن يقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ﴾ معناه حتىٰ نعلم عندكم، فكأن الفعل لهم في الأصل، ومثله مما يدلك عليه قوله:

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٢) **صحيح:** أخرجه النسائي (٣/ ٥٤، ٥٥)، وابن خزيمة في التوحيد (ص١٢)، والبيهقي في الصفات (٢٢٧)، وغيرهم.

(٣) أُنبِّه علىٰ أن البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ وعفا الله عنه له بعض تأويلات غير محمودة في الصفات، فَلْيُتَنَبَّهْ لذلك.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] عندكم يا كفرة، ولم يقل عندكم، وذلك معناه ومثله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩] أي عند نفسك، إذا كنت تقوله في دنياك، ومثله قال الله لعيسىٰ: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦] وهو يعلم ما يقول وما يجيبه، فرد عليه عيسىٰ، وعيسىٰ يعلم أن الله لا يحتاج إلىٰ إجابته، فكما صلح أن يسأل عما يعلم ويلتمس من عبده ونبيه الجواب، فكذلك يشترط ما يعلم من فعل نفسه حتىٰ كأنه عند الجاهل لا يعلم.

وحكىٰ المزني عن الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ [البقرة: ١٤٣] يقول: إلا لنعلم أن قد علمتم من يتبع الرسول، وعلم الله تعالىٰ كان قبل اتباعهم وبعده سواء. وقال غيره: إلا لنعلم من يتبع الرسول بوقوع الاتباع منه كما علمناه قبل ذلك أنه يتبعه.

القدرة

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَـٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [المؤمنون: ٩٥].

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة: ٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾ [القيامة: ٤].

وقد تقدم في حديث الاستخارة: «**وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ**».

وفي صحيح مسلم(١) من حديث عثمان بن أبي العاصي الثقفي أنه شكا إلىٰ رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم، فقال رسول الله ﷺ: «ضَعْ يَدَكَ عَلَىٰ الَّذِي تَأْلَمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِسْمِ اللهِ. ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ».

القوة

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

العزة

قال تعالىٰ: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٤].

وأخرج البخاري ومسلم(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا خَرَّتْ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ

(١) مسلم (٢٢٠٢).

(٢) البخاري (٧٣٨٣)، ومسلم (٢٧١٧).

أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَىٰ؟ قَالَ: بَلَىٰ وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لَا غِنًى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ»[١].

وأخرج الترمذي وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ قال: «دَعَا اللهُ عز وجل جِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَأَرْسَلَهُ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَمَا أَعْدَدْتُ لَهَا. فَرَجَعَ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا...» الحديث[٢].

الكبرياء

قال تعالىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٧].

وقد أقسم الله عز وجل بكبريائه[٣].

العزّة والكبرياء

وفي صحيح مسلم[٤] أن رسول الله ﷺ قال: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ».

---

(١) صحيح، البيهقي في الصفات (٢٥٩).

(٢) هذا لفظ البيهقي في الصفات (٢٦٢)، وأخرجه الترمذي (٢٥٦٠)، وأبو داود (٤٧٤٤) وغيرهم.

(٣) وانظر ما تقدم قريبًا.

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٢٠) من طريق عمرو بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش حدثنا أبو إسحاق عن أبي مسلم الأغر، أنه حدثه عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ، فذكره.
ورواه البيهقي في الصفات (٢٦٣)، ولفظه: «الْعَزُّ إِزَارِي وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي فِيهِمَا عَذَّبْتُهُ»، وفي رواية حفص بعض الكلام.

العزة والكبرياء والعظمة والجبرياء

وفي صحيح مسلم من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ في حديث الشفاعة الطويل أن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: «... **وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي وَجِبْرِيَائِي، لَأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»(١).

وقد صحَّ أيضًا أن آخر أهل الجنة دخولًا يُعطي ربَّه من العهود والمواثيق ألا يسأل شيئًا غيره فيقول: «**وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ شَيْئًا غَيْرَهُ**».

الجلال والإكرام

قال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن: ٧٨]، وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

وكان النبي ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا وقال: «**اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**»(٢).

وفي رواية: «**يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**»(٣).

بعض ما جاء في إثبات الوجه لله جلّ وعلا

قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

---

(١) مسلم في طرق حديث (١٩٣).

(٢) مسلم (٥٩١).

(٣) طرق حديث (٥٩٢).

وقال تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم: ٣٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل: ١٩، ٢٠].

وقال أهل الإيمان: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢].

وأخرج البخاري[1] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما نزل علىٰ رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**» ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**»، فلما نزلت: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: «**هَاتَانِ أَهْوَن** أو: **أَيْسَرُ**».

وأخرج النسائي وابن خزيمة وغيرهما بسند حسنٍ عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء: «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَىٰ الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي مَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي...**» فذكر الحديث، وفيه: «**وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ، وَأَسْأَلُكَ الشوقَ إِلَىٰ لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ**

(١) البخاري (٧٣١٣).

زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»[١].

وأخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ[٣] عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ».

وأخرج البخاري ومسلم[٤]من حديث خبابٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: هاجرنا مع النبي ﷺ نريد وجه الله، فوقع أجرنا علىٰ الله، فمنَّا من مضىٰ لم يأخذ من أجره شيئًا منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد وترك غرة، فكنَّا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطِّيَ رأسه ونجعل علىٰ رجليه شيئًا من إذخرٍ، ومنَّا من أينعت له ثمرته فهو يهذبها.

وفي الصحيح[٥] أن النبي ﷺ قال لسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «... وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا حَتَّىٰ اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ»، وقال له أيضًا: «إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتَعْمَلَ عَمَلًا تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً».

وفي صحيح مسلم[٦] من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام فينا

(١) النسائي (٣/ ٥٤)، وابن خزيمة (١٥).
(٢) البخاري (٤٨٧٨، ٤٨٨، ٧٤٤٤)، ومسلم (١٨٠) واللفظ له.
(٣) في رواية البخاري: «رِدَاءُ الْكِبْرِ».
(٤) البخاري (٣٨٩٧)، ومسلم (٩٤٠).
(٥) البخاري (٤٤٠٩).
(٦) مسلم حديث (١٧٩).

رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ**[(١)]**، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**».

ولا يفهم من كوننا نثبت الوجه لله تبارك وتعالىٰ أننا نمثِّل الله عَزَّوَجَلَّ بخلقه، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، فقد قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١].

ثم إن ربنا وصف وجهه الكريم بأنه ذو الجلال والإكرام إذ قد قال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

ثم إن وجوه بني آدم تفنىٰ ووجه الله عَزَّوَجَلَّ لا يفنىٰ.

ثم إن الحجاب لو كشف عن وجه ربِّنا تبارك وتعالىٰ لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه[(٢)]، ووجوه بني آدم ليست كذلك.

ثُمَّ إن وجوه بني آدم مخلوقة، ووجه الله ليس كذلك، ووجوه بني آدم يعتريها النصَب والتعب والإرهاق ويصيبها المرض، ويصيبها الأذىٰ.

فلا يلزم من إثباتنا الوجه لله أن نشبه الله بخلقه، وأقول: إن بني آدم لهم وجوه، والدواب لها وجوه، ولكن إن شبهت ابن آدم بالحمار وقلت له: وجهك وجه حمار. لا يرضىٰ منك بهذا أبدًا، ولَعَلِمَ أنك تسبُّه وتشتمه، مع إقراره أن الحمار له وجه، إلا أن وجوه بني آدم ليست كوجوه الحمير.

---

(١) في بعض الروايات (عند مسلم أيضًا): «**حِجَابُهُ النَّارُ**».

(٢) ولا تنافي بين هذا وبين رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة.

إثبات السمع والبصر والرؤية لله عَزَّوَجَلَّ

قال تعالىٰ لموسىٰ وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [طه: ٤٦].

وقال تعالىٰ: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨﴾ [الشعراء: ٢١٧، ٢١٨].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ٨٠﴾ [الزخرف: ٨٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ [التوبة: ١٠٥]

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ [الإسراء: ١].

ودومًا نقول في صلاتنا: «سمع الله لمن حمده».

ولا يجوز أن نعبد إلهًا لا يسمع ولا يبصر، ولا يُتصور هذا، قال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢﴾ [مريم: ٤٢].

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ

عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ اللهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ. فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ». فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»(١).

وأخرج البخاري ومسلم(٢) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: كنَّا مَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَىٰ وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبِعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ، وَتَعَالَىٰ جَدُّهُ».

وأخرج ابن خزيمة وأبو داود(٣) وغيرهما من طريق أبي يونس سليم بن جبير قال: سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ قرأ إلىٰ قوله: ﴿سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ٥٨]، فيضع إبهامه علىٰ أذنه والتي تليها علىٰ عينه، ويقول: هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقرؤها ويضع أُصْبُعَيْهِ.

وأقول وبالله التوفيق:

إن ابن آدم يسمع، ولكن يسمع إذا نودي عن قُربٍ، أما إذا نادىٰ المنادي عن بُعدٍ فإنه لا يسمع(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٢) البخاري (٢٩٩٢)، وفي غير موضع، ومسلم (٢٧٠٤).

(٣) ابن خزيمة (حديث ٧٢)، وأبو داود (٤٧٢٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٩٠)، وغيرهم.

(٤) إلا بواسطة (أداة هاتف ونحو ذلك).

وكذا فإنه يسمع ويُميز إذا كان من يخاطبه واحدٌ، أما إذا خاطبه اثنان في وقت واحد التبست عليه الأمور؛ فكيف إذا خاطبه عشرة في وقتٍ واحدٍ؟!

فكيف بمن يخاطبه ألف شخص في وقت واحد، وكيف إذا خاطبه مليون شخص في وقت واحد، إنه لا يفهم مراد أي واحدٍ منهم، فالأصوات تلتبس عليه التباسًا عظيمًا.

لكن الله يسمع الخلق كلهم، ويعلم مرادهم، ولو تكلموا جميعًا في وقت واحد إنسهم وجنهم وملائكتهم ودوابهم، والحيتان في البحار، والطيور في الهواء، والوحوش في الغابات، يسمع الله كلامهم، ويعلم مرادهم، ولا تختلط عليه الأصوات، ولا تلتبس عليه الكلمات، فسمع الله ليس كسمع خلقه.

وكذلك فإن بني آدم يرون، لكن يرون لمسافات قصيرة، وإذا نظر أحدهم إلىٰ من أمامه لا يرىٰ من خلفه، وإذا نظر إلىٰ الخلف لا يرىٰ من أمامه، ولا يرىٰ من عن يمينه، ولا من عن يساره، ولا من فوقه ولا من تحته، وإن رأىٰ من علىٰ وجه الأرض لا يرىٰ ما أسفل الأرض.

وهكذا، فإن قدرة بني آدم علىٰ الرؤية والإبصار محدودة، لكن الله يرىٰ الجميع، جميع الخلق أينما يكونون، وحيثما يكونون، يرىٰ مثاقيل الذر، وما هو أدنىٰ، يرىٰ كلَّ شيء، ولا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

فليس معنىٰ قولنا عن بني آدم: إنهم يسمعون أو يرون أننا نشبههم بالله ﷻ.

فكما تقدم، قد قال ﷻ عن نفسه: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١]، وقال عن الإنسان: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان: ٢].

ولكن شتان ما بين سمع الله ﷻ ورؤيته وبصره؛ وبين سمع ابن آدم ورؤيته وبصره.

ما جاء في النظر

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأعراف: ١٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران: ٧٧].

وأخرج مسلم(١) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**».

وأخرج مسلم(٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**».

وفي رواية عند مسلم: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَىٰ صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ**» وأشار بأصابعه إلىٰ صدره.

وأخرج مسلم(٣) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**»، قالوا: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «**الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**».

---

(١) مسلم (٢٧٤٢).

(٢) مسلم حديث (٢٥٦٤).

(٣) مسلم حديث (١٠٦).

وأخرج البخاري ومسلم[١] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَىٰ مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ**».

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

ما جاء في إثبات صفة العين لله عز وجل

قال تعالىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه: ٣٩].

قال تعالىٰ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤][٢].

قال تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

ولله عز وجل عينان:

أخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ذكر النبيُّ ﷺ يومًا بين ظهري الناس المسيحَ الدجال، فقال: «**إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَىٰ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ**».

قال ابن خزيمة رحمه الله تعالىٰ في كتابه التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل:

«**نحن نقول**: لربنا الخالق عينان يبصر بهما ما تحت الثرىٰ، وتحت الأرض

---

(١) أخرجه مسلم واللفظ له (٢٠٨٥)، والبخاري (١٠/ ٢٥٢).

(٢) وقد يأتي لفظ الجمع ويراد به التثنية، قال تعالىٰ: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، وهما قلبان، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، وهما يدان.

(٣) البخاري (٣٤٣٩)، ومسلم (في طرق حديث ١٦٩).

السابعة السفلىٰ، وما في السماوات العلىٰ، وما بينهما من صغير وكبير، لا يخفىٰ علىٰ خالقنا خافية في السماوات السبع والأرضين السبع، ولا مما بينهم ولا فوقهم، ولا أسفل منهن، لا يغيب عن بصره من ذلك شيء، يرىٰ ما في جوف البحار ولججها، كما يرىٰ عرشه الذي هو مستو عليه، وبنو آدم وإن كانت لهم عيون يبصرون بها فإنهم إنما يرون ما قرب من أبصارهم، مما لا حجاب ولا ستر بين المرئي وبين أبصارهم، وما يبعد منهم، إن كان يقع اسم القرب عليه في بعض الأحوال؛ لأن العرب التي خوطبنا بلغتها قد تقول: قرية كذا منا قريبة، وبلدة كذا قريبة منا، ومن بلدنا، ومنزل فلان قريب منا، وإن كان بين البلدين وبين القريتين وبين المنزلين فراسخ.

والبصير من بني آدم لا يدرك ببصره شخصَ أحد من بني آدم، وبينهما فرسخان فأكثر، وكذلك لا يرىٰ أحد من الآدميين ما تحت الأرض إذا كان فوق المرئي من الأرض والتراب قدر أنملة، أو أقل منها بقدر ما يغطي ويواري الشيء، وكذلك لا يدرك بصره إذا كان بينهما حجاب من حائط، أو ثوب صفيق، أو غيرهما مما يستر الشيء عن عين الناظر، فكيف يكون يا ذوي الحجا مشبهًا من يصف عين الله بما ذكرنا، وأعين بني آدم بما وصفنا.

ونزيد شرحًا وبيانًا نقول: عين الله عَزَّوَجَلَّ قديمة[1]، لم تزل باقية، ولا يزال محكوم لها بالبقاء، منفي عنها الهلاك والفناء، وعيون بني آدم محدثة مخلوقة، كانت عدمًا غير مكونة، فكونها الله، وخلقها بكلامه الذي هو صفة من صفات

(١) قلت: وَوَصْفُه (عين الله) بأنها قديمة لا مستند له علىٰ هذا اللفظ، وكذا من وصفوا ربهم بالقديم، وإنما نقول: (هو الأول والآخر والظاهر والباطن)، ونقول: (اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء).

ذاته، وقد قضىٰ الله وقدر أن عيون بنىٰ آدم تصير إلىٰ بلاء عن قليل، والله نسأل خير ذلك المصير، وقد يعمي الله عيون كثيرٍ من الآدميين فيذهب بأبصارها قبل نزول المنايا بهم، ولعل كثيرًا من أبصار الآدميين قد سلَّط خالقنا عليها ديدانَ الأرض حتىٰ تأكلها، وتفنيها بعد نزول المنية بهم، ثم ينشئها الله بعد فنائها، فيصيبها ما قد ذكرنا قبلُ في ذكر الوجه، فما الذي يشبه - يا ذوي الحجا - عين الله التي هي موصوفة بما ذكرنا عيون بني آدم التي وصفناها بعد؟!

ولست أحسب: لو قيل لبصير لا آفة ببصره، ولا علة بعينه، ولا نقص، بل هو أعين، أكحل، أسود الحدق، شديد بياض العينين، أهدب الأشفار: عينك كعين فلان الذي هو صغير العين، أزرق، أحمر بياض العينين، قد تناثرت أشفاره، وسقطت، أو كان أخفش العين، أزرق، أحمر بياض شحمها، يرىٰ الموصوف الأول: الشخص من بعيد، ولا يرىٰ الثاني مثل ذلك الشخص من قدر عُشْرِ ما يرىٰ الأول، لعلَّةٍ في بصره، أو نقص في عينه، إلا غَضِبَ من هذا وَأَنِفَ منه، فلعله يخرج إلىٰ القائل له ذلك إلىٰ المكروه من الشتم والأذىٰ.

ولست أحسب عاقلًا يسمع هذا المشبه عيني أحدهما بعيني الآخر، إلا وهو يكذِّب هذا المُشبِّه عين أحدهما بعين الآخر، ويرميه بالعَتَهِ، والخبل والجنون، ويقول له: لو كنت عاقلًا يجري عليك القلم: لم تشبه عيني أحدهما بعيني الآخر، وإن كانا جميعًا يسميان بصيرين، إذ ليسا بأعميين، ويقال: لكل واحد منهما عينان يبصر بهما، فكيف لو قيل له: عينك كعين الخنزير، والقرد، والدب، والكلب، أو غيرها من السباع، أو هوام الأرض، والبهائم!

فتدبروا يا ذوي الألباب، أبين عيني خالقنا الأزلي الدائم الباقي، الذي لم يزل ولا يزال، وبين عيني الإنسان من الفرقان أكثر، أو مما بين أعين بني آدم وبين عيون ما ذكرنا؟

تعلموا وتستيقنوا أن مَن سمىٰ علماءنا مشبهة غيرُ عالم بلغة العرب، ولا يفهم العلم، إذ لم يجز تشبيه أعين بني آدم بعيون المخلوقين، من السباع والبهائم، والهوام، وكلها لها عيون يبصرون بها، وعيون جميعهم محدثة مخلوقة، خلقها الله بعد أن كانت عدمًا، وكلها تصير إلىٰ فناء وبلىٰ، وغير جائز إسقاط اسم العيون والأبصار عن شيء منها، فكيف يحل لمسلم - لو كانت الجَهمِيَّة من المسلمين - أن يرموا من يثبت لله عينًا بالتشبيه.

ولو كان كل ما وقع عليه الاسم كان مشبهًا لما يقع عليه ذلك الاسم، لم يجز قراءة كتاب الله، ووجب محو كل آية بين الدفتين فيها ذكر نفس الله، أو عينه، أو يده، ولوجب الكفر بكُلِّ ما في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ من ذكر صفات الرب، كما يجب الكفر بتشبيه الخالق بالمخلوق، إلا أن القوم جهلة، لا يفهمون العلم، ولا يحسنون لغة العرب، فيَضلون ويُضلون.

واللهَ نسأل العصمة والتوفيق والرشاد في كل ما نقول وندعو إليه.

بعض الوارد في الصورة (صورة ربنا جلّ وعلا)

أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَىٰ أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنَ المَلَائِكَةِ، جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ. فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ. فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ. فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ**

(١) البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١)، وأخرجه البخاري (٣٣٢٦) وليس فيه ذكر الصورة، وإنما لفظه: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا**» ليس فيه: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ**».

الخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّىٰ الآنَ».

وقال الإمام مسلم في صحيحه[1]:

«حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ (يَعْنِي الْحِزَامِيَّ)، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ**».

(...) حَدَّثَنَاهُ عَمْرٌو النَّاقِدُ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَقَالَ: «**إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ**».

١١٣- (...) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيَتَّقِ الْوَجْهَ**».

١١٤- (...) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، سَمِعَ أَبَا أَيُّوبَ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلَا يَلْطِمَنَّ الْوَجْهَ**».

١١٥- (...) حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا الْمُثَنَّىٰ، ح، وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنِ الْمُثَنَّىٰ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَفِي حَدِيثِ ابْنِ حَاتِمٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ**».

١١٦- (...) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ،

---

(١) مسلم (٢٦١٢).

حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ مَالِكٍ الْمَرَاغِيِّ (وَهُوَ أَبُو أَيُّوبَ)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ**».

فكما ترىٰ، فالإمام مسلمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ أورد طرق هذا الحديث وبالنظر فيها تجد أن الأكثرين لم يذكروا لفظة: «**فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ**» في هذا الحديث، وإنما ذكرت من أحد الوجوه عن قتادة، والأكثرون عنه بدونها، وكذا الأكثرون من أصحاب أبي هريرة بدونها، فيبدو لي –والله أعلم– أنها شاذة من هذا الوجه.

وقد أخرج البخاري الحديث بدونها كذلك[1]، فقال: «حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، قَالَ: وَأَخْبَرَنِي ابْنُ فُلَانٍ، عَنْ سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، ح وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الوَجْهَ**».

وفي الباب الحديث الذي رواه الإمام أحمد[2]، حيث قال: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ مَوْلَىٰ بَنِي هَاشِمٍ، حَدَّثَنَا جَهْضَمٌ يَعْنِي الْيَمَامِيَّ، عن يَحْيَىٰ بْنَ أَبِي كَثِيرٍ، عن زَيْدُ بْنَ أَبِي سَلَّامٍ، عَنْ أَبِي سَلَّامٍ، عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَائِشٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ يَخَامِرَ، عَنْ مُعَاذَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: احْتَبَسَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّىٰ كِدْنَا نَتَرَاءَىٰ قَرْنَ الشَّمْسِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيعًا، فَثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ وَصَلَّىٰ وَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ فَلَمَّا سَلَّمَ. قَالَ: «**كَمَا أَنْتُمْ عَلَىٰ مَصَافِّكُمْ**». ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْنَا. فَقَالَ: «**إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمُ الْغَدَاةَ، إِنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي،**

(١) انظر البخاري (٢٥٥٩)، وانظر مسلم (٢٦١٢).

(٢) المسند (٥/ ٢٤٣)، وأخرجه الترمذي في تفسير القرآن، باب: ومن سورة (ص) حديث (٣٢٣٥) عن محمد بن بشار عن معاذ بن هانئ عن جهضم به.

فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي حَتَّىٰ اسْتَيْقَظْتُ، إِذَا أَنَا بِرَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَىٰ؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي يَا رَبِّ – أَعَادَهَا ثَلَاثًا- فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّىٰ وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ صَدْرِي فَتَجَلَّىٰ لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَىٰ؟» فذكر الحديث.

قلت (مصطفىٰ): وهذا الحديث، وإن صحت له بعض الأسانيد لكنها أسانيد معلولة، والذي ظهر لي بعد البحث في أسانيده أنه معلول ولا يثبت عن رسول الله ﷺ، مع علمي بأنه قد أُلِّفت فيه كتبٌ، وصنفت فيه تصانيف، والله أعلم.

وأخرج البخاري ومسلم[1] حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو حديث طويل، مَطلعُهُ أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟...» فذكر الحديث، وفيه: «فَيَأْتِيهِمْ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. فَيَتَّبِعُونَهُ».

ونحوه عند البخاري[2] من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا، وفيه: «فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا».

بعض أقوال أهل العلم في تفسير (على صورته):

* من هذه الأقوال قول من جعل «عَلَىٰ صُورَتِهِ» أي علىٰ صورة آدم عليه السلام، فقال: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ، طُولُهُ فِي السَّمَاءِ سِتُّونَ ذِرَاعًا»، أي أن آدم لم يخلق طفلًا في المهد، ثم اشتدَّ شيئًا فشيئًا حتىٰ أصبح شابًّا وهكذا، ولكن خلق وطوله ستون ذراعًا.

---

(١) البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٣).

(٢) البخاري (٧٤٣٩).

* ومن هذه الأقوال قول من قال: إن الهاء في قوله: «**عَلَىٰ صُورَتِهِ**» عائدة علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن ليس المراد التشبيه، فإن الله ليس كمثله شيءٌ، وإنما علىٰ نحو ما ثبت في سائر الصفات، فالله له يد وله قدم، وهو السميع البصير يسمع ويرىٰ.

* **وقال ابن القيم رحمه الله تعالىٰ**[1]: «لم يُرِد ﷺ به تشبيه الرب وتمثيله بالمخلوق، وإنما أراد به تحقيق الوجه وإثبات السمع والبصر، والكلام صفةً ومحلًّا. والله أعلم».

* ومن العلماء من قال: نصدق بهذه الأحاديث ونُمرُّها كما جاءت من غير تعطيل ولا تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل مع اعتقادنا ما تضمنته.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ في التمهيد[2]:

«قال سحنون بن منصور: قلت لأحمد بن حنبل: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ، حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا**»، أليس تقول بهذه الأحاديث؟ وَ«**يَرَىٰ أَهْلُ الْجَنَّةِ رَبَّهُمْ**»، وبحديث: «**لَا تُقَبِّحُوا الْوُجُوهَ فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ...**»».

قال أحمد: كل هذا صحيح. وقال إسحاق: كل هذا صحيح، ولا يدعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي. قال أبو عمر: **الذي عليه أهل السنة وأئمة الفقه والأثر** في هذه المسألة وما أشبهها الإيمان بما جاء عن النبي ﷺ فيها والتصديق بذلك وترك التحديد والكيفية في شيء منه...

قال عباس بن محمد الدوري: وسمعت أبا عبيد القاسم بن سلام وذكر له عن رجل من أهل السنة أنه كان يقول: هذه الأحاديث التي تروىٰ في الرؤية، والكرسي

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ٣٤٤).

(٢) التمهيد (٧/ ١٤٧، ١٥٠).

موضع القدمين، وضحك ربنا من قنوط عباده، وأن جهنم لتمتلئ، وأشباه هذه الأحاديث؛ وقالوا: إن فلانًا يقول: يقع في قلوبنا أن هذه الأحاديث حق. فقال: ضعفتم عندي أمره، هذه الأحاديث حق لا شك فيها رواها الثقات بعضهم عن بعض، إلا أنا إذا سئلنا عن تفسير هذه الأحاديث لم نفسرها ولم نذكر أحدًا يفسرها.

وقد كان مالك ينكر علىٰ من حدث بمثل هذه الأحاديث، ذكره أصبغ وعيسىٰ **عن ابن القاسم قال: سألت** مالكًا عمن يحدث الحديث: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ**»، والحديث: «**إِنَّ اللهَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، و«**إِنَّهُ يُدْخِلُ فِي النَّارِ يَدَهُ حَتَّىٰ يُخْرِجَ مَنْ أَرَادَ**»، فأنكر ذلك إنكارًا شديدًا ونهىٰ أن يحدث به أحدًا، وإنما كره ذلك مالك خشية الخوض في التشبيه بكيف هاهنا.

قال الشاطبي في الاعتصام[١]:

«فالحاصل من مجموع ما تقدم أن الصحابة ومن بعدهم لم يعارضوا ما جاء في السنن بآرائهم... وقال الأوزاعي: كان مكحول والزهري يقولان: أَمْرِر هذه الأحاديث كما جاءت ولا تتناظروا فيها. ومثله عن مالك، والأوزاعي، وسفيان بن سعيد، وسفيان بن عيينة، ومعمر بن راشد، في الأحاديث في الصفات أنهم أمروها كما جاءت، نحو حديث التنزيل، وخلق آدم علىٰ صورته، وشبهها».

قال الآجري[٢] بعد أن ذكر الخبر بطرقه:

«هذه من السنن التي يجب علىٰ المسلمين الإيمان بها، ولا يقال فيها: كيف؟ ولم؟ بل تستقبل بالتسليم والتصديق، وترك النظر، كما قال من تقدم من أئمة المسلمين».

---

(١) الاعتصام (٢/ ٣٣٦).

(٢) الشريعة (٧٢٠).

وقال أبو يعلىٰ[١] رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ويطلق القول في صورة آدم علىٰ صورته سبحانه لا علىٰ طريق التشبيه في الجسم والنوع والشكل والطول؛ لأن ذلك مستحيل في صفاته، وإنما أطلقنا حمل إحدىٰ الصورتين علىٰ الأخرىٰ تسمية لورود الشرع بذلك».

وثمت أقوال أُخر في هذا الصدد، اجتزأت بما سقته مُلخصًا.

التنبيه على ضعف رواية: «خَلق آدَم عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ»

أقول وبالله التوفيق:

أخرج ابن خزيمة[٢] وغيره من طريق جرير عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ، فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَىٰ صُورَةِ الرَّحْمَنِ**».

قلت: وهذا الإسناد لا يصح بحالٍ؛ لعدة أمور، وقد ضعَّفه ابن خزيمة نفسه رَحِمَهُ اللَّهُ، وأورد بعض العلل لتضعيفه، فأقول مستعينًا بالله:

أولًا: هذا الإسناد معلول بالإرسال، فقد خالف سفيان الثوري الأعمش، فرواه عن عطاء قال: قال رسول الله ﷺ، بدون ذكر ابن عمر.

وقد أخرج هذه الرواية المرسلة ابن خزيمة[٣] وغيره.

ثانيًا: الأعمش مدلس، وقد عنعن، وفي روايته لهذا عن حبيب كلام.

---

(١) إبطال التأويلات (١/ ٨١).

(٢) ابن خزيمة في صحيحه (٦٦).

(٣) ابن خزيمة (٦٧).

ثالثًا: حبيب بن أبي ثابت مدلس، وقد عنعن، وفي روايته لهذا الحديث عن عطاء كلام.

رابعًا: هل خلاف في سماع عطاء بن أبي رباح من ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

خامسًا: هناك اختلافات في رواية جرير نفسها، ففي بعض الروايات: «**عَلَىٰ صُورَةِ الرَّحْمَنِ**»، وفي بعض الروايات: «**عَلَىٰ صُورَتِهِ**»[(١)].

وقد ضعَّف ابن خزيمة نفسه هذا الخبر كما أشرت.

وملخص الأمر ففي مسألة الصورة أقول وبالله التوفيق:

قد ورد في الصورة كما تقدم ما يلي:

* حديث أبي هريرة وأبي سعيد، وفيهما: «**فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ**».
* حديث: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ**» وفي زيادة -أراها شاذة-: «**فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ**».
* حديث: «**خَلَقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ، طُولُهُ فِي السَّمَاءِ سِتُّونَ ذِرَاعًا...**».
* حديث الرؤيا المنامية التي رآها رسول الله ﷺ: «**أَتَانِي رَبِّي اللَّيْلَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ**» وكما أسلفت ففي صحته نظر، وأراه ضعيفًا معلولًا.

فأثبت العلماء بهذه الأدلة الصورة.

وقد تنازع العلماء في عود الضمير في قوله ﷺ: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ، طُولُهُ فِي السَّمَاءِ سِتُّونَ ذِرَاعًا**» علىٰ هذه الوجوه:

منهم من قال: نُمِرُّ الأحاديث كما وردت دون تعرُّض لتأويلها.

---

(١) انظر السنة لابن أبي عاصم (٥١٨)، والدارقطني في الصفات (٤٥).

ومنهم من قال: إن الهاء في قوله: «عَلَىٰ صُورَتِهِ» تعود على الله عَزَّوَجَلَّ مع نفي المماثلة، إذ الله قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وأكثر من قرأت لهم من أهل العلم يذهبون إلى هذا.

ومنهم من قال: «عَلَىٰ صُورَتِهِ» أي على صورة آدم التي هي ستون ذراعًا، أي أنه لم يكن طفلًا ثم شابًّا ثم كهلًا.

وثَمَّ أقوال أُخر.

هذا، وقد تقدم التنبيه على أن لفظة: «عَلَىٰ صُورَةِ الرَّحْمَنِ» لا تصح سندًا.

وأضيف إلى ذلك أمرًا آخر، وهو أنني لم أقف على أثر عن صحابي أو تابعي أو تابع تابعي في هذا الصدد، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم بوجوه الحق والصواب، وإذا ثبت أي خبر عن رسول الله قلنا به، والله أعلم.

صفة اليد

بعض الأدلة على إثبات صفة اليدين لله عَزَّوَجَلَّ:

* قال الله عَزَّوَجَلَّ لإبليس اللعين: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥].
* وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة: ٦٤].
* وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك: ١].
* وقال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ﴾ [الزمر: ٦٧].

والأدلة في هذا الباب كثيرةٌ جدًّا.

ومن سنة رسول الله ﷺ الثابتة الصحيحة:

* ما أخرجه مسلم(١) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ عزوجل يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**».

* وفي حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه البخاري ومسلم(٢) من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يَجْتَمِعُ المُؤْمِنُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَىٰ رَبِّنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ...**» فذكر الحديث.

قلت: والشاهد منه قولهم: «**خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ**».

* وفي الصحيحين(٣) من طريق ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاووس قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ، فَقَالَ مُوسَىٰ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُونَا، خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَىٰ اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ...**» فذكر الحديث.

قلت (مصطفىٰ): والشاهد منه قوله: «**لَكَ بِيَدِهِ**».

* وأخرج البخاري ومسلم(٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الجَنَّةِ...**».

---

(١) **صحيح:** أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧٥٩).

(٢) **صحيح:** أخرجه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

(٤) البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢).

وكم من حديث قال فيه رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ».

* أخرج البخاري ومسلم(١) من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج حين زاغت الشمس... فذكر الحديث، وفيه: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ آنِفًا فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ وَأَنَا أُصَلِّي...**».
* وفي الصحيحين(٢) أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّىٰ لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**».
* وفي «الصحيحين» أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا هَلَكَ كِسْرَىٰ، فَلَا كِسْرَىٰ بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ، فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ**»(٣).
* وتقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ عز وجل: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِيَ الْأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»(٤).
* وأخرج مسلمٌ(٥) في «صحيحه» حديث عليٍّ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلىٰ الصلاة قال: «**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ...**» فذكر الحديث، وفيه: «**لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ...**».
* وفي «صحيح مسلم» من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٣/ ٢٦٥)، ومسلم (مع النووي ١٥/ ١١٢).
(٢) البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (٢٤٢).
(٣) البخاري (مع الفتح ١١/ ٥٢٣)، ومسلم (مع النووي ١٨/ ٤٢).
(٤) البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).
(٥) مسلم (٧٧١).

«إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»[١].

* وأخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يَمِينُ اللهِ[٣] مَلْأَىٰ لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَىٰ الفَيْضُ -أَوِ: القَبْضُ- يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ».

* وأخرج البخاري ومسلم[٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟».

وشتان ما بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ ويدي خلقه، قد قال الله تعالىٰ عن يديه: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وأيدي بني آدم ليست كذلك.

فانظر إلىٰ عظمة يد الله عَزَّوَجَلَّ إذ قال ربُّنا: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾، فهل يد الخلق كذلك!

تنبيه على رواية ضعيفة الإسناد فيها ذكر الشمال لله عَزَّوَجَلَّ

أخرجها مسلم[٥] في «صحيحه» من طريق عمر بن حمزة عن سالم بن

---

(١) مسلم (حديث ١٨٢٧).

(٢) البخاري (٧٤١٩)، ومسلم (٩٩٣).

(٣) وفي رواية البخاري (٧٤١١): «يدي الله ملأىٰ».

(٤) أخرجه البخاري (٧٣٨٢)، ومسلم (٢٧٨٧).

(٥) أخرجها مسلم (٢٧٨٨).

عبد الله، أخبرني عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَطْوِي اللهُ عَزَّوَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَىٰ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟**».

قلت (مصطفىٰ): وفي سندها عمر بن حمزة، وهو ضعيف.

وقد عقَّبها مسلمٌ برواية من طريق عبيد الله بن مقسم أنه نظر إلىٰ ابن عمر كيف يحكي رسول الله ﷺ، قال: «**يَأْخُذُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَنَا اللهُ...**»، فذكر الحديث[1].

ما جاء في صفة الكف

وأخرج مسلم[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ- إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّىٰ تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّه أَوْ فَصِيلَهُ**».

ما جاء في الأصابع

وأخرج الإمام أحمد في «مسنده»[3]، وابن خزيمة في «صحيحه»، وابن

---

(١) والشاهد منه أنه لم يذكر الشمال.

(٢) مسلم (١٠١٤).

(٣) **صحيح:** أخرجه أحمد (٤/ ١٨٢)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (١٥٥)، وابن ماجة (١٩٩)، وغيرهم.

ماجه في «سننه» وغيرهم، من حديث النواس بن سمعان الكلابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ تَعَالَىٰ، إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ**»، وكان رسول الله ﷺ يقول: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ، وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**».

وأخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يهوديًّا جاء إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا محمد، إن الله يمسك السموات علىٰ إصبع، والأرضين علىٰ إصبع، والجبال علىٰ إصبع، والشجر علىٰ إصبع، والخلائق[(٢)] علىٰ إصبع، ثم يقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتىٰ بدت نواجذه ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾.

قال البخاري: قال يحيىٰ بن سعيد: وزاد فيه فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله: فضحك رسول الله ﷺ تعجبًا وتصديقًا له.

وأقول، وبالله التوفيق:

إذا كان الله يمسك السموات، فهل إصبع ربنا تشابه إصبع خلقه؟

كلا، فشتان ما بين هذا وذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٤)، ومسلم (٢٧٨٦).

(٢) في بعض الروايات: «الثرىٰ» بدلًا من: «الخلائق»، وفي بعض الروايات: «والشجر والثرىٰ علىٰ إصبع، والخلائق علىٰ إصبع...»، وليس فيها ذكر الجبال.
وانظر هذه الروايات في «صحيح مسلم»، وابن خزيمة (١٤٥) فما بعده، وغيرهما.

حديث: «سَاعِدُ اللّهِ أَشَدُّ مِنْ سَاعِدِكَ، وَمُوسَاهُ أَحَدُّ مِنْ مُوسَاكَ»

أخرج الإمام أحمد(١) بسند صحيح إلىٰ أبي الأحوص(٢) عن أبيه، قال: أتيت رسول الله ﷺ وأنا قشف الهيئة، فقال: «**هَلْ لَكَ مَالٌ؟**». قال: قلت: نعم. قال: «**مِنْ أَيِّ الْمَالِ؟**». قال: قلت: من كل المال، من الإبل والرقيق والخيل والغنم. فقال: «**إِذَا آتَاكَ اللهُ مَالًا، فَلْيُرَ عَلَيْكَ**»، ثم قال: «**هَلْ تُنْتِجُ إِبِلُ قَوْمِكَ صِحَاحًا آذَانُهَا، فَتَعْمَدُ إِلَىٰ مُوسَىٰ فَتَقْطَعُ آذَانَهَا، فَتَقُولُ: هَذِهِ بُحُرٌ، وَتَشُقُّهَا، أَوْ تَشُقُّ جُلُودَهَا، وَتَقُولُ: هَذِهِ صُرُمٌ وَتُحَرِّمُهَا عَلَيْكَ، وَعَلَىٰ أَهْلِكَ؟**». قال: نعم. قال: «**فَإِنَّ مَا آتَاكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَكَ، وَسَاعِدُ اللهِ أَشَدُّ، وَمُوسَىٰ اللهِ أَحَدُّ**» -وربما قال: «**سَاعِدُ اللهِ أَشَدُّ مِنْ سَاعِدِكَ، وَمُوسَىٰ اللهِ أَحَدُّ مِنْ مُوسَاكَ**» - قال: فقلت: يا رسول الله، أرأيت رجلًا نزلت به، فلم يكرمني، ولم يقرني، ثم نزل بي أجزيه بما صنع، أم أقريه؟ قال: «**اقْرِهِ**».

صفة القدم (والرِّجْل)

أخرج البخاري ومسلم(٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «**لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّىٰ يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ، وَيُزْوَىٰ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ**».

وأخرج البخاري ومسلم(٤) من طريق معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) أحمد (٣/ ٤٧٣)، والحاكم (١/ ٢٥) وغيرهما.

(٢) أبو الأحوص مالك بن نقلة.

(٣) البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨)، وابن خزيمة (١٧٥) فما بعده.

(٤) البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم في طرق حديث (٢٨٤٦).

قال: قال النبي ﷺ: «تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ: مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، قَالَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا[١] مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ: فَلاَ تَمْتَلِئُ حَتَّىٰ يَضَعَ[٢] رِجْلَهُ[٣] فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَىٰ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ، وَلاَ يَظْلِمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الجَنَّةُ: فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا».

ما ذكر في (الحقو) وبيان ما فيها من الخلاف

أخرج البخاري[٤] من طريق خَالِدِ بْنِ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي مُزَرِّدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهَا: مَهْ. قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ. قَالَ: أَلَا تَرْضِينَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَىٰ يَا رَبِّ. قَالَ: فَذَاكَ لَكِ».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد: ٢٢].

وفي ذِكر الحَقْو (حَقْو الرَّحمن) في هذا الطريق إشكالٌ حاصلُهُ أنَّ رواةً آخرين

---

(١) في بعض الروايات: «منكما».

(٢) في بعض الروايات: «حتىٰ يضع الله تبارك وتعالىٰ».

(٣) في بعض الروايات: «قدمه» وهي أكثر الروايات، وانظر كل ما سبق في «الصحيحين».

(٤) البخاري (٤٨٣٠)، والبيهقي في الصفات (٧٨٦).

رووا الحديث عن معاوية ابن أبي مزرد عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة مرفوعًا بدون ذكر الحقو، أعني بدون ذِكر لفظة: (فأخذت بحقو الرحمن) أخرج ذلك (أعني: بدون ذِكْرِ الحقو) البخاري ومسلم في «صحيحهما»(١).

وأخرج مسلمٌ من طريق معاوية بن أبي مزرد أيضًا لكن عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ**»(٢).

وأخرجه أيضًا البخاري(٣) من هذا الوجه دون ذكر (حقو الرحمن)، فهذا اختلافٌ علىٰ معاوية بن أبي مزرد في سند الحديث.

وبتتبع طرق هذا الحديث وجدت أن أكثر الطرق ليس فيه ذكر (حقو الرحمن)، فالله تعالىٰ أعلم.

ما جاء في الساق

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [القلم: ٤٢].

لأهل العلم في تأويل هذه الآية الكريمة وجهان:

أحدهما: المبين في الحديث الآتي، وأن الذي يكشف عن ساقه هو ربُّنا - جلَّ وعلا- علىٰ ما وَرَد في الحديث.

---

(١) البخاري (حديث ٥٩٨٧)، ومسلم (٢٥٥٤).

(٢) مسلم (٢٥٥٥).

(٣) البخاري (٥٩٨٩).

الثَّاني: ما ورد من عدَّة طرق عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تصح بمجموعها، مَفَادها أنَّ المراد بقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ أنه الأمر الشديد، وإن اختلفت الألفاظ عنه بذلك، وأورد الطبري جملةً من الآثار عنه تصح بمجموعها مفادها: أن المراد بقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ أنه الأمر الشديد، وإن اختلفت الألفاظ عنه بذلك، وأورد جملة من الآثار عنه بذلك الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره»، ففي بعضها: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: هو يوم حرب وشدة(١)، وفي بعضها: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: عن أمر عظيم(٢)، كقول الشاعر:

وقامت الحرب بنا علىٰ ساق

وفي أخرىٰ(٣): هو الأمر الشديد المفظع من الهول يوم القيامة.

وفي بعضها: هو شدة الأمر(٤) وجده، وفي بعضها: هي أول ساعة تكون في يوم القيامة(٥).

وفي بعضها: هي أشد ساعة تكون في يوم القيامة(٦).

وعند البيهقي في «الأسماء والصفات»: عن ابن عباس أيضًا أنه قرأ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يريد: القيامة والساعة لشدتها(٧).

---

(١) الطبري (٣٤٦٦٩) وهو صحيح لشواهده، وانظر الشواهد المشار إليها.
(٢) الطبري (٣٤٦٧٠).
(٣) الطبري (٣٤٦٧٣).
(٤) الطبري (٣٤٦٧٤).
(٥) الطبري (٣٤٦٧٥).
(٦) الطبري (٣٤٦٧٥).
(٧) البيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٤٨)، وانظر ما حولها من أسانيد هنالك.

وصحَّ عن قتادة[١] أنه قال: عن أمرٍ فظيعٍ جليلٍ.

أما الأحاديث:

فقد أخرج البخاري[٢] من طريق سعيد بن أبي هلال عن زيد عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا: يا رسول الله، هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوًا؟**». قلنا: لا. قال: «**فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذٍ إلا كما تضارون في رؤيتهما...**»، فذكر الحديث، وفيه: «**قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ...**». الحديث.

وأخرج مسلم الحديث المذكور من طريق حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري... فذكر الحديث، ولكنه قال فيه: «... **فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**»[٣]، وليس عنده: «**فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ**».

وأخرج البخاري ومسلم نحو هذا الحديث[٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأبو سعيد الخدري معه مرفوعًا، وليس فيه ذكر الساق، ولا ذِكر ساقه، بل فيه: «**فَيَأْتِيهِمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. فَيَتَّبِعُونَهُ...**».

---

(١) الطبري (٣٤٦٧٧).

(٢) البخاري (٧٤٣٩).

(٣) مسلم حديث (١٨٣).

وأخرجه ابن خزيمة (٣٨٦) بلفظ: «**فيكشف عن ساقٍ**»، وكذا عنده أيضًا (٣٨٧).

(٤) البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٣).

قلت: فالخلاف في الروايات قائم:

هل الأصوب: «فيكشف عن ساقه»، أم الأصوب: «فيُكشف عن ساقٍ»؟

والأكثر من هذا الوجه علىٰ رواية: «**فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**».

وفي الموافقة لظاهر الكتاب العزيز، إذ الله قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾.

وثَمَّ روايات -كَمَا أسلفتُ- ليس فيها ذكر هذا القدر من الحديث، ليس فيها ذكر الساق ولا ساقه، وهي أكثر روايات الحديث من حديث أبي سعيد وغيره، وكذا ليس فيها ذكر الواقعة (واقعة مجيء الربِّ سبحانه).

وختامًا أقول وباللّه تعالى التوفيق:

لو سلم الخبر عن رسول الله ﷺ لقلنا به قطعًا، ولأثبتنا الصفة لله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الوجه اللائق به سبحانه كغيرها من الصفات، فلا يقدم علىٰ قول رسول الله ﷺ قول أحد.

وكنَّا سنحاول الجمع ما دام الجمع ممكنًا، وهو ممكن بفضل الله بأن يقال -فِي حال صحَّة الخبر- يوم يكشف ربُّنا عَزَّوَجَلَّ عن ساقه، فإنَّ الأمر سيكون شديدًا غاية الشِّدَّة، وذلك لأنه سيتبين نفاق المنافق، وإيمان المؤمن، فالمنافق لَنْ يستطيع السجود، والمؤمن يستطيعه، لكن العبرة بثُبُوت اللَّفظة أولًا عن رسول الله ﷺ، أعني لفظة (ساقه)، والله تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

المشيئة

والأدلة في هذا الباب كثيرة جدًّا، أجتزئ ببعضها:

* قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ

وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ١٠٥].
* وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩].
* وقال تعالىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].
* وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩].
* وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢].
* وأخرج البخاري(١) في كتاب التوحيد من «صحيحه» عددًا كبيرًا من الأحاديث في هذا الباب، منها قوله ﷺ: «**اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا، وَلْيَقْضِ اللهُ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ مَا شَاء**»(٢).
* وأخرج حديث عبادة بن الصامت(٣) رضي الله عنه، بَايَعْتُ رسول الله ﷺ في رهطٍ فقال: «**أُبَايِعُكُمْ عَلَىٰ أَلَّا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا اَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَىٰ مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأُخِذَ بِهِ فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ وَطَهُورٌ، وَمَنْ سَتَرَهُ اللهُ، فَذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ؛ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَه**».
* وحديث ابن عباس رضي الله عنهما(٤) أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَىٰ أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ فَقَالَ:

---

(١) في باب المشيئة والإرادة (مع الفتح ١٣/ ٤٥٦).
(٢) البخاري (٧٤٧٦).
(٣) البخاري (٧٤٦٨)، ومسلم (١٧٠٩).
(٤) البخاري (٧٤٧٠)، ومسلم (٦٨١).

«لَا بَأْسَ عَلَيْكَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ»، قَالَ: قَالَ الأَعْرَابِيُّ: طَهُورٌ، بَلْ هِيَ حُمَّىٰ تَفُورُ، عَلَىٰ شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ القُبُورَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَنَعَمْ إِذًا».

* وحديث أبي قتادة[١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين ناموا عن الصلاة، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ، وَرَدَّهَا حِينَ شَاءَ»، فَقَضَوْا حَوَائِجَهُمْ، وَتَوَضَّئُوا إِلَىٰ أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَابْيَضَّتْ، فَقَامَ فَصَلَّىٰ.

* وحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢]: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «المَدِينَةُ يَأْتِيهَا الدَّجَّالُ، فَيَجِدُ المَلَائِكَةَ يَحْرُسُونَهَا فَلَا يَقْرَبُهَا الدَّجَّالُ، وَلَا الطَّاعُونُ إِنْ شَاءَ اللهُ».

* وحديث أبي هريرة[٣] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ، فَأُرِيدُ -إِنْ شَاءَ اللهُ- أَنْ أَخْتَبِيَ دَعْوَتِي، شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ».

وثَمَّ أحاديث كثيرةٌ جدًّا في هذا الباب.

الإرادة

والآيات كثيرة جدًّا في هذا الصدد، منها:

* قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل: ٤٠].

* وقوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

* وقال تعالىٰ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾ [البروج: ١٦].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [المائدة: ٤١].

---

(١) البخاري (٧٤٧١).

(٢) البخاري (٧٤٧٣)، ومسلم (٣١٤٣).

(٣) البخاري (٧٤٧٤) ومسلم (١٩٨).

* وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [الحج: ١٦].

* وقال نوح عليه السلام لقومه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۖ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود: ٣٤].

* وقال الرجل الصالح المذكور في سورة يس: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [يس: ٢٣].

والأحاديث كثيرةٌ جدًّا في هذا الباب أيضًا:

* قال ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(١).

* وفي الصحيح(٢): «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**».

* وعند أحمد والترمذي والبيهقي في الصفات وغيرهم أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ** -وفي بعض الروايات: **عَسَّلَهُ**». قالوا: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: «**يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ**»(٣).

* وأخرج مسلم(٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا، أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ**».

* وفي الصحيح: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ**»(٥).

---

(١) البخاري (٣٠٩)، ومسلم (١٠٣٧).

(٢) البخاري (١٠/ ١٠٣)، والبيهقي في الصفات واللفظ له (٣١١).

(٣) **سنده صحيح**، وأخرجه أحمد (٣/ ١٠٦، ١٤٠، ٢٣٠)، والترمذي (٢١٤٢)، والبيهقي في الصفات (٣١٢)، وغيرهم.

(٤) مسلم (٢٨٧٩).

(٥) أحمد (٢٤٤٧١).

ما جاء في الكلام

وبداية فالقرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

ثم هذا مزيد من الاستدلالات:

* قال تعالىٰ: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورىٰ: ٥١].

* وقال تعالىٰ: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

* قال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤].

* وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

* وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

* وقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَإِنَّا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ...﴾ [طه: ١١-١٤]. الآيات، وهي كثيرة في هذا الصدد.

* وقال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الأعراف: ١٣٧]، فدلَّ ذلك علىٰ أن الله تكلم بكلمه.

* وقال تعالىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ [الفتح: ١٥].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الأنعام: ٣٤].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾ [طه: ١٢٩].

* وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ﴾ [لقمان: ٢٧].

* وأخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ، فَقَالَ لَهُ مُوسَىٰ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ. قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَىٰ، اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلاَمِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِه...**»، فذكر الحديث.

* وفي حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه البخاري ومسلم[(٢)] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...**»، فذكر الحديث، وفيه: «**فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَىٰ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَىٰ النَّاسِ، اشْفَعْ لنا إِلَىٰ رَبِّكَ...**».

---

(١) البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

(٢) البخاري (٤٧٢١)، ومسلم (١٩٤).

* وفي حديث حذيفة[١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يَجْمَعُ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - النَّاسَ...**»، فذكر الحديث، وفيه أن إبراهيم عليه السلام يقول: «**اعمدُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا...**».

* وأخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ العَصْرِ وَصَلَاةِ الفَجْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**».

* وفي حديث الإفك قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «... ولكن والله ما كنت أظن أن الله يُنزل براءتي وَحْيًا يُتلىٰ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمرٍ يُتلىٰ...» الحديث[٣].

* وأخرج البخاري ومسلم[٤] من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ فَلَا يَرَىٰ شَيْئًا قُدَّامَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**».

* وقال النبي ﷺ لجويرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**قَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِهِنَّ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**»[٥].

---

(١) مسلم (حديث ١٩٥).

(٢) البخاري (٧٤٨٦)، ومسلم (٦٣٢).

(٣) لفظ البخاري (٧٥٠٠).

(٤) البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦).

(٥) مسلم (٢٧٢٦)، وفي بعض رواياته: «سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ»، وثَم ألفاظ أُخر قريبة.

* وقال رسول الله ﷺ[١]: «إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلًا فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ مِنْهُ»[٢].

* وأخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله -صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم- قال: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ». (حديث صحيح).

القول[٤]

* قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

* وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل: ٤٠].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢﴾ [النساء: ١٢٢].

* وقال تعالىٰ: ﴿فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤﴾ [ص: ٨٤].

* وقال تعالىٰ: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۝١١٢ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ۝١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١٤﴾ [المؤمنون: ١١٢ - ١١٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٩).

(٢) وقد استدل علىٰ أن كلام الله عز وجل ليس بمخلوق، وذلك لأنه لا يستعاذ بمخلوق من شرِّ عموم الخلق.

(٣) البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

(٤) وما تقدم في الكلام يحمل نفس المعنىٰ، وكذا الوارد في النداء.

* وتقدَّم حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا المرفوع، وفيه: «**وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ..**».

* وتقدم حديث النزول[1] وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**».

* وقال البخاري في «صحيحه»[2]: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَىٰ بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَىٰ النَّارِ**».

* وكذا تقدَّم قول رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ...**» الحديث، وفيه: «**أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ**»[3].

* وأخرج البخاري ومسلم[4] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُدْنَىٰ الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ -وَقَالَ هِشَامٌ: يَدْنُو الْمُؤْمِنُ- حَتَّىٰ يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ يَقُولُ: أَعْرِفُ، يَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ مَرَّتَيْنِ، فَيَقُولُ: سَتَرْتُهَا فِي الدُّنْيَا، وَأَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، ثُمَّ تُطْوَىٰ**

---

(١) لفظ البخاري (٧٤٩٤).

(٢) البخاري (٧٤٨٣).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ (١٣/ ٣٦٢): وقد طعن أبو الحسن بن الفضل في صحة هذه الطريق، وذكر كلامهم في حفص بن غياث، وأنه انفرد بهذا اللفظ عن الأعمش، وليس كما قال، فقد وافقه عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن الأعمش، أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب السُّنَّة له عن أبيه عن المحاربي.

(٣) لفظ البخاري (٧٤٩٩).

(٤) البخاري (٤٦٨٥)، ومسلم (٢٧٦٨).

صَحِيفَةُ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الآخَرُونَ -أَوِ: الكُفَّارُ- فَيُنَادَىٰ عَلَىٰ رُءُوسِ الأَشْهَادِ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ».

ومن الأدلة علىٰ كلام ﷻ الأحاديث القدسية، ففيها يقول رسول الله ﷺ: «قَالَ اللهُ ﷻ، أَوْ: يَقُولُ اللهُ ﷻ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وها هي طائفة منها، وليس علىٰ سبيل الاستقصاء[١]، إنما هي مقتطفات فقط للتدليل علىٰ المراد، فمنها ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم: «**قَالَ اللهُ ﷻ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**».

وما أخرجه البخاري[٣] أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي -صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم- قال: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ؛ فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ، وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ**».

وما أخرجه مسلم من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه[٤] عن النبي ﷺ فيما روىٰ عن الله -تبارك وتعالىٰ- أنه قال: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ.**

---

(١) ولي كتاب مصنف جامع فيها، وهو «الصحيح المسند من الأحاديث القدسية».

(٢) البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

(٣) البخاري مع الفتح (٨/ ٧٣٩).

(٤) مسلم حديث (٢٥٧٧).

يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ.

يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ.

يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ.

يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي.

يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَتْقَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ.

يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ».

وما أخرجه مسلم[1] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: حَمِدَنِي عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ

(١) مسلم (٣٩٥).

عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، **قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ **قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ».**

وأخرج البخاري ومسلم(١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ**». قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

وما أخرجه مسلم(٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟**

يَابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي.

يَابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ

---

(١) البخاري (مع الفتح ٨/ ٥١٥)، ومسلم (٢٨٢٤).

(٢) مسلم (٢٥٦٩).

الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي».

وأخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا، وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَلَّا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي**».

وأخرج البخاري ومسلم[(٢)] من حديث زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلىٰ لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية علىٰ إثر سماء[(٣)] كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل علىٰ الناس فقال: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ[(٤)] كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ**».

وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[(٥)].

---

(١) البخاري (٦٥٥٧)، ومسلم (٢٨٠٥).

(٢) البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

(٣) أي: بعد مطر نزل من السماء.

(٤) **النوء**: النجم إذا مال للمغيب.

(٥) مسلم (٢٩٨٥).

وأخرج البخاري[١] من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَهُ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا يَشْكُو العَيْلَةَ، وَالآخَرُ يَشْكُو قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا قَطْعُ السَّبِيلِ: فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكَ إِلَّا قَلِيلٌ، حَتَّىٰ تَخْرُجَ العِيرُ مِنْ مَكَّةَ بِغَيْرِ خَفِيرٍ، وَأَمَّا العَيْلَةُ: فَإِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّىٰ يَطُوفَ أَحَدُكُمْ بِصَدَقَتِهِ، لَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا مِنْهُ، ثُمَّ لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ، وَلَا تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَىٰ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَىٰ، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا النَّارَ، ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا النَّارَ، فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**».

وهذا بابٌ واسعٌ جدًّا، والأحاديث القدسية التي صحَّت كثيرةٌ جدًّا.

النداء

قال تعالىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦﴾ [النازعات: ١٥، ١٦]

وأخرج مسلم[٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ**»، قَالَ: «**ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ**

(١) البخاري (١٤١٣).

(٢) مسلم (٢٦٣٧)، وأخرج البخاري بعضه (٦٠٤٠).

فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ»، قَالَ: «فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ»، قَالَ: «فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ».

باب في الكتابة

* قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [الحشر: ٣].
* وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ [النساء: ٨١].
* وقال تعالىٰ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١].

صلاة الله عَزَّوَجَلَّ على نبيه وعلى بعض الخلق

* قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وصلاته -تبارك وتعالىٰ- علىٰ نبيه ﷺ: ثناؤه عليه.
* وفي الباب قول رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ آلِ أَبِي أَوْفَىٰ»، والمراد الدعاء لهم بالرحمة، والثناء عليهم وإكرامهم.

قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[1] [طه: ٥]

قول الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ في هذا الباب

* أخرج البيهقي في «الأسماء والصفات» بسندٍ صحيحٍ[2] إلىٰ يحيىٰ بن يحيىٰ[3] يقول: كنَّا عند مالك بن أنس فجاء رجلٌ، فقال: يا أبا عبد الله، الرحمن علىٰ

(١) وقد تقدم كثيرٌ جدًّا مما يتعلق بهذا الباب في (باب: أين الله).
(٢) البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٧).
(٣) يحيىٰ بن يحيىٰ التميمي النيسابوري ثقةٌ.

العرش استوىٰ، فكيف استوىٰ؟ قال: فأطرق مالكٌ رأسه حتىٰ علاه الرُّحَضاء، ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا، فأمر به أن يخرج.

* **قال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** ورُوِيَ في ذلك أيضًا عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أستاذ مالك بن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

* وأورد البيهقي[1] بسندٍ صحيحٍ إلىٰ عبد الله بن صالح بن مسلم قال: سُئِلَ ربيعة الرأي عن قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ كيف استوىٰ؟ قال: الكيفُ مجهولٌ، والاستواءُ غير معقول، ويجب عليَّ وعليكم الإيمان بذلك كله.

* **وقال الحافظ الذهبي في العلو**[2]: وروىٰ يحيىٰ بن يحيىٰ التميمي وجعفر بن عبد الله وطائفة قالوا: جاء رجلٌ إلىٰ مالك... فذكره، ثم قال: هذا ثابتٌ عن مالك، وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك، وهو قول أهل السنة قاطبة. اهـ.

الإحياء والإماتة والتوفي

قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [آل عمران: ١٥٦]، وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وقال تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]، وهذه الآية الكريمة مفسَّرة بقوله تعالىٰ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٨﴾ [البقرة: ٢٨].

---

(١) البيهقي (٨٦٨).

(٢) «العلو» (ص ١٠٤).

فالموتة الأولىٰ كانت قبل وجود الإنسان علىٰ وجه الأرض، ثم الحياة الأولىٰ بخروجه من بطن أمه بعد نفخ الروح فيه وحياته علىٰ الأرض.

والموتة الثانية بقبض روحه إذا انتهىٰ أجله، والحياة الثانية ببعثه يوم القيامة من قبره، وهذا غالب حال الخلق.

ولكن هل هناك من يميته الله ويُحييه أكثر من مرتين؟

أقول وبالله التوفيق: إن الآية الكريمة: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ لا تنفي أن يكون هناك من أماتهم الله عَزَّوَجَلَّ أكثر من اثنتين، وأحياهم أكثر من اثنتين، فمن ذلك ما يلي:

* قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

فهذا الشخص مات كما يموت الناس، وإضافة إلىٰ ذلك فإن الله عَزَّوَجَلَّ أماته في الدنيا مائة عام ثم بعثه.

* وقال تعالىٰ: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

فهؤلاء أيضًا أماتهم الله في الدنيا ثم أحياهم.

* وقال تعالىٰ في شأن قتيل بني إسرائيل الذي ضُرب ببعض البقرة فأحياه الله: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: ٧٣].

* وقد كان المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ يُحيي بعض الموتىٰ بإذن الله، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠].

* وقال تعالىٰ في كتابه الكريم لبني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٦﴾ [البقرة: ٥٥، ٥٦].

* وأخرج مسلم في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَرَرْتُ عَلَىٰ مُوسَىٰ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**»(١).

وقد صلَّىٰ النبي ﷺ ليلة الإسراء بالأنبياء عليهم السلام في المسجد الأقصىٰ، وقد رأىٰ النبي ﷺ بعضهم في رحلة المعراج(٢).

صفة النفخ

قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩﴾ [الحجر: ٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ(٣) مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢].

---

(١) مسلم (١٣٧٥).

(٢) والأحاديث في رحلتي الإسراء والمعراج -وفيها ما ذُكر- كثيرة جدًّا، راجع كتابي: «التسهيل لتأويل التنزيل» تفسير سورة الإسراء.

(٣) وعلىٰ ما يبدو أن النافخ في هذه الآية جبريل عليه السلام، وفعل ذلك بإذن ربه تبارك وتعالىٰ، والله أعلم.

الضحك

أخرج مسلم(١) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: يَابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنَّ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَلَّا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَىٰ مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَىٰ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَلَّا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا، فَيُعَاهِدُهُ أَلَّا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَىٰ مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَلَّا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، قَالَ: بَلَىٰ يَا رَبِّ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَىٰ مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يَابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟».

---

(١) مسلم (حديث ١٨٧)، وهو ضحك علىٰ الوجه اللائق بربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ. فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَىٰ مَا أَشَاءُ قَادِرٌ**».

وأخرج البخاري ومسلم(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يَضْحَكُ اللهُ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ، يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ**»، فَقَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ عز وجل فَيُسْتَشْهَدُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَىٰ الْقَاتِلِ، فَيُسْلِمُ، فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ عز وجل فَيُسْتَشْهَدُ**».

التعجب

قال تعالىٰ: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الصافات: ١٢]، فيها قراءتان: «عجبتَ»، و«عجبتُ».

وصحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ**»(٢).

ما جاء في الفرح

أخرج البخاري ومسلم(٣) من حديث أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ إِذَا اسْتَيْقَظَ عَلَىٰ بَعِيرِهِ قَدْ أَضَلَّهُ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ**».

---

(١) البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠)، والسياق لمسلم.

(٢) البخاري (٣٠١٠)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٣) البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧).

وفي رواية لمسلم: «يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَىٰ شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ».

وأخرج البخاري ومسلم[١] من طريق الحارث بن سُوَيد، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، حَدِيثَيْنِ: أَحَدُهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالآخَرُ عَنْ نَفْسِهِ، قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَىٰ أَنْفِهِ، فَقَالَ بِهِ هَكَذَا» -قَالَ أَبُو شِهَابٍ بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ- ثُمَّ قَالَ: «لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ العَبْدِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّىٰ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الحَرُّ وَالعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللهُ، قَالَ: أَرْجِعُ إِلَىٰ مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ».

وأخرج مسلم[٢] من حديث البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «كَيْفَ تَقُولُونَ بِفَرَحِ رَجُلٍ انْفَلَتَتْ مِنْهُ رَاحِلَتُهُ، تَجُرُّ زِمَامَهَا بِأَرْضٍ قَفْرٍ لَيْسَ بِهَا طَعَامٌ، وَلَا شَرَابٌ، وَعَلَيْهَا لَهُ طَعَامٌ وَشَرَابٌ، فَطَلَبَهَا حَتَّىٰ شَقَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ مَرَّتْ بِجِذْلِ شَجَرَةٍ فَتَعَلَّقَ زِمَامُهَا، فَوَجَدَهَا مُتَعَلِّقَةً بِهِ؟»، قُلْنَا: شَدِيدًا[٣] يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا وَاللهِ لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ».

---

(١) البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤).

(٢) مسلم (٢٧٤٦).

(٣) أي: يفرح فرحًا شديدًا.

وعند مسلم(١) أيضًا من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَىٰ شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ».

الرحمة

قال تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨].

وقال تعالىٰ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْأَسْ مِنَ الجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ المُسْلِم بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ العَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ»، أخرجه البخاري ومسلم(٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعند مسلم من حديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إِنَّ للهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَمِنْهَا رَحْمَةٌ بِهَا يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ بَيْنَهُمْ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ».

---

(١) مسلم (٢٧٤٧).

(٢) البخاري (٦٤٦٩)، ومسلم (٢٧٥٢).

وأخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ**». قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا**».

وعند البخاري ومسلم[٢] أيضًا من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**».

وأخرج مسلم[٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ**».

وأخرج البخاري ومسلم[٤] من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قدم علىٰ النبي ﷺ سبيٌ، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبيًّا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ: «**أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟**». قلنا: لا، وهي تقدر علىٰ ألَّا تطرحه. فقال: «**اللهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**».

وأخرج البخاري ومسلم[٥] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمعتُ

---

(١) البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦).

(٢) البخاري (٦٤٦٤)، ومسلم (٢٨١٨).

(٣) مسلم (٢٧٥٥).

(٤) البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

(٥) البخاري (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢)، واللفظ له.

رَسُولَ الله ﷺ يقول: «**جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الْخَلَائِقُ، حَتَّىٰ تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ**».

المغفرة والعقاب

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦].

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ [المدثر: ٥٦].

الرضا(١)

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ يَأْكُلُ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَأَنْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا**».

(١) والأدلة في هذا الباب كثيرة جدًّا، وإنما اجتزأت بما يؤدي الغرض.

الغضب

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقال تعالىٰ في شأن الملاعنة وأيمانها: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩﴾ [النور: ٩].

وقال تعالىٰ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٧].

وفي الحديث: «... **إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَه**»(١).

ما جاء في الأسف

قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥].

الحب

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤﴾ [التوبة: ٤].

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ [الصف: ٤].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

---

(١) وقد تقدَّم في أبواب الشفاعة بطوله.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨﴾ [لقمان: ١٨].

وقال تعالىٰ: ﴿۞لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾ [النساء: ١٤٨].

وأخرج البخاري ومسلم(١) من حديث سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تخلف عن النبي ﷺ في خيبر، وكان به رمدٌ، فقال: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا فِي صَبَاحِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ** -أَوْ قال: لَيَأْخُذَنَّ- **غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ** -أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ- **يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ**»، فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ، وَمَا نَرْجُوهُ. فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّايَةَ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ.

وقال النَّبيُّ ﷺ لأشج عبد القيس: «**إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ**»(٢).

وأخرج البخاري ومسلم(٣) من حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**».

وأخرج البخاري ومسلم(٤) من طريق همام، حدثنا قتادة عن أنس عن عُبَادة بن الصَّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**»، قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ. قَالَ: «**لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ، بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ**

---

(١) البخاري (٢٩٧٥)، ومسلم (٢٤٠٧).

(٢) مسلم (١٨).

(٣) البخاري (٦٥٠٨)، ومسلم (٢٦٨٦).

(٤) البخاري (٦٥٠٧)، ومسلم في طرق حديث (٢٦٨٣).

وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ».

وأخرجه البخاري ومسلم[١] من طريق سعيد عن قتادة عن زُرَارة عن سعد عن عائشة عن النبي ﷺ.

ما جاء في البغض

أخرج مسلم[٢] من حديث أبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ.

وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ».

وأخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ، أو قال: قال النبي ﷺ: «الأَنْصَارُ لاَ يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ».

---

(١) البخاري (عقب حديث ٦٥٠٧)، ومسلم (٢٦٨٤).

(٢) مسلم (٢٦٣٧).

(٣) البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥).

بعض ما جاء في المقت

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾ [النساء: ٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾ [فاطر: ٣٩].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [غافر: ١٠].

وقال رسول الله ﷺ ذات يوم في خطبة: «**أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...**»[(١)].

ما جاء في سخط الله علىٰ أقوام

قال تعالىٰ: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠].

وأخرج البخاري ومسلم[(٢)] من حديث أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ. فَيَقُولُونَ:**

---

(١) مسلم (٢٨٦٥).

(٢) البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَىٰ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا».

الكره

قال تعالىٰ: ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].

وأخرج البخاري ومسلم[١] من حديث المغيرة بن شُعْبَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ».

وتَقدَّمت قريبًا أحاديثُ، منها: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءهُ».

ما جاء في المدح والغيرة

أخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ».

---

(١) البخاري (٢٤٠٨)، ومسلم (٥٩٣).

(٢) مسلم (٢٧٦٠)، والبخاري (٨/ ٢٩٥)، واللفظ لمسلم.

وأخرج مسلم[١] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ**».

وأخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَا شَيْءَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ**».

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: «**يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللهِ مَا أَحَدٌ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ، أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ**».

ما جاء في الاستحياء

قال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وأخرج مسلم[٣] من حديث أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ بينما هو جالسٌ في المسجد، والناس معه، إذْ أقبل نفر ثلاثة، فأقبل اثنان إلىٰ رسول الله ﷺ، وذهب واحدٌ. قال: فوقفا علىٰ رسول الله ﷺ. فأَمَّا أحدهما فرأىٰ فرجةً في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ، أَمَّا أَحَدُهُمْ،**

(١) مسلم (٢٧٦١)، والبخاري (٩/ ٣١٩).

(٢) مسلم (٢٧٦١)، والبخاري (٩/ ٣١٩)، والبيهقي في «الصفات» (١٠٠٨).

(٣) مسلم (٢١٧٦).

فَآوَىٰ إِلَىٰ اللهِ، فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ».

وحديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**»(١)، أخرجه أبو داود وغيره من طريق جعفر بن ميمون حدثني أبو عثمان عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ... فذكره.

وقد اختلف فيه علىٰ أبي عثمان النهدي عن سلمان في الوقف والرفع، والذين أوقفوه فجعلوه من قول سلمان أثبت فيما أرىٰ، والله أعلم.

وله طرقٌ أُخر عن رسول الله ﷺ كلها ضعيفة ضعفًا شديدًا، فلا أراه يصح مرفوعًا، والله أعلم.

وأخرج البخاري ومسلم(٢) من حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**لَيْسَ أَحَدٌ -أَوْ: لَيْسَ شَيْءٌ- أَصْبَرَ عَلَىٰ أَذًىٰ سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ**».

ما جاء في المكر

قال تعالىٰ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩].

---

(١) أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥١)، وابن ماجة (٣٨٦٥)، وغيرهم.

(٢) البخاري (٦٠٩٩)، ومسلم (٢٨٠٤).

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠﴾ [النمل: ٥٠].

ما جاء في الكيد

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾ [الطارق: ١٥، ١٦].

ما جاء في الاستهزاء بأقوام

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥﴾ [البقرة: ١٤، ١٥].

ما جاء في السخرية بأقوام

قال تعالىٰ: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩].

ما جاء في الاستدراج

قال تعالىٰ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٤﴾ [القلم: ٤٤].

ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

ما جاء في النسيان (بمعنى الترك)

قال تعالىٰ: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقال موسىٰ عليه السلام: ﴿فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه: ٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ [الأعراف: ٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦﴾ [طه: ١٢٦].

والنسيان، قال عددٌ من العلماء هنا بمعنىٰ الترك في العذاب، والله أعلم.

التجلي

قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

أخرج الإمام أحمد وعدد من أهل العلم من طرق كثيرة عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] قال: «**أَخْرَجَ خِنْصَرَهُ فَضَرَبَ عَلَىٰ إِبْهَامِهِ فَسَاخَ فِي الْجَبَلِ**». قال حميد لثابت: تحدث بمثل هذا؟ فضرب بيده في صدره وقال: يقوله أنس ويقوله رسول الله ﷺ وأكتمه؟!![1].

---

(١) أحمد في «المسند» (٣/ ٢٠٩) (١٢٥) والترمذي (٣٠٨٥) والحاكم (١/ ٢٥) والطبري عند تفسير الآية الكريمة.

ولمزيد انظر «القول المسدد في الذب عن مسند أحمد».

وسند الحديث علىٰ شرط مسلم، لكن أورده ابن الجوزي في «الموضوعات»، ونقل كلام ابن عدي قال: كان ابن أبي العوجاء ربيب حماد بن سلمة، فكان يدس في كتبه هذه =

ما جاء في التقرب والهرولة

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة[(١)]: قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَة»**.

ما جاء في أن الله يدني بعض العباد، وأن المؤمن في بعض الأحوال أقرب إلى الله

أخرج البخاري ومسلم[(٢)] في «صحيحهما»، واللفظ للبخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّىٰ إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَىٰ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَىٰ كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُ فَيَقُولُ الأَشْهَادُ:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود: ١٨]».

= الأحاديث، لكن تَعقَّب غير واحد من أهل العلم هذا القولَ بما حاصله أن السند الذي فيه أن ابن أبي العوجاء كان يدسُّ هذه الأحاديثَ سندٌ ضعيفٌ، وإذا سلمنا به، رددنا كمًّا كبيرًا من أحاديث مسلم، والله أعلم.

(١) البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) البخاري (٢٤٤١) ومسلم (٢٧٦٨)، وفي لفظ للبخاري (٧٥١٤): «**يدنو أحدكم من ربِّه**». وفي لفظ مسلم (٢٧٦٨): «**يُدنىٰ المؤمن يوم القيامة من ربِّه**».

وفي الباب قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]

وقوله ﷺ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**»(١).

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الواقعة: ١٠، ١١].

والفردوس فوقه عرش الرحمن فأهله أقرب من غيرهم.

في الباب نزول ربنا إلىٰ سماء الدنيا إذا كان الثلث الأخير من الليل.

الإتيان

ونؤمن بقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٢١٠﴾ [البقرة: ٢١٠]، وذلك علىٰ الوجه اللائق به ﷻ.

المجيء

وكذا نؤمن بقوله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ [الفجر: ٢٢] علىٰ الوجه الذي يليق به ﷻ.

---

(١) مسلم (٤٨٢)، وحسن بعض العلماء حديث: «**وأقرب ما تكون المرأة من ربها وهي في قعر بيتها**». أخرجه ابن خزيمة في صحيحه وغيره من أهل العلم، وراجع كتابي جامع أحكام النساء.

حديث النزول

ونؤمن بما صح عن رسول الله ﷺ، فقد قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»(١).

الحديث القدسي: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ...»
وفيه: «وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ...»

أخرج البخاري(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ عز وجل قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا(٣) فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي

---

(١) البخاري (١١٤٥) وفي عدة مواضع من صحيحه، ومسلم (٧٥٨) ولهذا الحديث عدة طرق عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ، وعدة طرق عن رسول الله ﷺ أيضًا.

(٢) البخاري (٦٥٠٢) مع الفتح (١١/ ٣٤١) هذا الحديث أخرجه البخاري كما رأيت ولكنه قد تكلم بعض أهل العلم عن بعض رجال إسناده ففي إسناده خالد بن مخلد له مناكير، وقال الذهبي في ترجمة خالد بن مخلد في الميزان – بعد أن نقل جملة من أقوال أهل العلم فيه – : هذا حديث غريب جدًّا لولا هيبة الجامع الصحيح لعدوه في منكرات خالد بن مخلد، وذلك لغرابة لفظه، ولأنه مما ينفرد به شريك، وليس بالحافظ، ولم يرد هذا المتن إلا بهذا الإسناد ولا خرجه من عدا البخاري، ولا أظنه في مسند أحمد، وقد اختلف في عطاء فقيل هو ابن أبي رباح والصحيح أنه عطاء بن يسار. ولمزيد انظر فتح الباري (١١/ ٣٤١).

(٣) ومن خير ما يفسر به الولي هو قول الله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

وقول النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم الذي أخرجه البخاري (٥٩٩٠) ومسلم (٢١٥) من حديث عمرو بن العاص قال: سمعت النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم جهارًا غير سرٍّ =

بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ

= يقول: «إِنَّ آلَ أَبِي فُلَانٍ لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِي، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ».

ويدخل فيهم بل ومنهم المجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، ويدخل فيهم الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله، ويدخل فيهم المتصدقون والمتصدقات، والخاشعون والخاشعات، والصائمون والصائمات، والحافظون فروجهم والحافظات، والذاكرون الله كثيرًا والذاكرات، والقانتون والقانتات، ويدخل فيهم الذين يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون، ويدخل فيهم العلماء العاملون القائلون بالحق لا يخشون في الله لومة لائم، الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله، وغير ذلك ممن ذكرهم الله في كتابه وذكرهم نبيه ﷺ.

قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٣٤٢): والمراد بوليِّ الله العالم بالله المواظب علىٰ طاعته المخلص في عبادته.

قلت: أما الجاهل بأمر الله وسنن نبيه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم كمن يترك الصلاة أو يصلي إلىٰ غير القبلة ويلبس الخيش ويبول علىٰ ثيابه، ويمشي هائمًا علىٰ وجهه في البرية فليس من أولياء الله في شيء، وقد عمت بهم البلوىٰ، وخاصة في بلادنا مصر فإلىٰ الله المشتكىٰ، نسأل الله أن يرد المسلمين إلىٰ دينهم ردًّا جميلًا، ومن آذىٰ أولياء الله – الذين ذكرنا بعض صفاتهم قريبًا – فقد أعلمه الله بأنه محارب له، إذ الأذان معناه الإعلام أي: قد أعلمته أني محارب له، وقد جاء الوعيد الشديد لمن آذىٰ المؤمنين، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [آل عمران: ٢١، ٢٢].

وأخرج البخاري (٦٨٨٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم قال: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَىٰ اللهِ ثَلَاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ».

أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَ بِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ».

قوله ﷺ: «فَوَاللهِ لَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا»

وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي امرأة فقال: «مَنْ هَذِهِ؟»، فقلت: امرأة لا تنام، تصلي. قال: «عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّىٰ تَمَلُّوا».

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ [النساء: ١٢٥]

أخرج البخاري ومسلم[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، من أكرم الناس؟ قال: «أَتْقَاهُمْ». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللهِ...»، فذكر الحديث.

وفي الصحيحين[3] في حديث الشفاعة الطويل: «... وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ».

والله سبحانه وتعالى **لا تأخذه سنة ولا نوم، والسِّنةُ هي النعاس**، في قول أكثر العلماء، **والنوم هو المستثقل** الذي يزول معه الذهن في حق البشر.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣) ومسلم (٧٨٥).

(٢) البخاري (٣٣٥٣) ومسلم (٢٣٧٨).

(٣) البخاري (٧٥١٠) ومسلم (١٩٣).

* قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

* وأخرج مسلم[1] في صحيحه من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّور- وفي رواية: النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**».

قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

من معاني الآية الكريمة: لا تشبهوا الله بخلقه، ولا تجعلوا له أندادًا، ولا أمثالًا، ولا أشباهًا.

أما قوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾.

فمن معانيه شبهنا بخلقنا، فلما رأىٰ أن الخلق لا يستطيعون إحياء العظام وهي رميم، ظن أن الله لا يستطيع إحياء العظام وهي رميم ﴿وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ﴾ فلو تفكر في خلقه لوجد الفارق بين الخالق والمخلوق، فقد خُلق هذا الذي شبهنا بخلقنا من نطفةٍ من منيٍّ يمنىٰ.

---

(١) مسلم (١٧٩).

هل صفات الله بينها تفاضل؟

نعم بينها تفاضل، فقد قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**»(١)، وفي الحديث: «**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ**».

ثم إن القرآن وهو كلام الله عَزَّوَجَلَّ بعضه أعظم من بعض، فآية الكرسي هي أعظم آيةٍ في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وفاتحة الكتاب هي السبع المثاني والقرآن العظيم.

ثم إن الصفة الواحدة درجات:

فالله عَزَّوَجَلَّ يرضىٰ، ورضاه عن رسله الكرام وملائكته المقربين أعظم من رضاه عن غيرهم، وغضبه كذلك علىٰ الخلق يتفاوت، ومحبته لبعض الخلق أعظم من محبته لآخرين، وغضبه يوم القيامة أشد من غضبه في الدنيا، وكلٌّ من آدم ونوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ عليهم السلام يقول يوم القيامة: «**إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**»(٢).

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ قَوْمٍ فَعَلُوا هَذَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ**» وهو حينئذٍ يشير إلىٰ رباعيته، وقال رسول الله ﷺ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ**»(٣).

---

(١) البخاري كتاب بدء الخلق باب (٦/ ٢٨٧) مع الفتح، وفي رواية عند البخاري (١٣/ ٥٢٢): «**إِنَّ رَحْمَتِي تَسْبِقُ غَضَبِي**».

(٢) وذلك في حديث الشفاعة الطويل.

(٣) البخاري (٤٠٧٣)، ومسلم (١٧٩٣)، واللفظ له.

من الفروق بين الأسماء والصفات:

أولًا: الاسم علمٌ علىٰ الرب ﷻ، كما قال تعالىٰ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، فالرحمن علم علىٰ الله، فهو اسم من أسمائه، ونحوه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ..﴾، فالملك علمٌ علىٰ الرب ﷻ.

أما الصفة فتضاف إلىٰ الرب، فتقول: عزة الله، قدرة الله، علم الله، ونحو ذلك.

أي أنَّ الأسماء تدل علىٰ الذات، أما الصفات فتدل علىٰ معانٍ قائمةٍ بالذات.

ثانيًا: الاسم (تُشتقُّ) تؤخذ منه صفة كالرحمن، فتؤخذ منه صفة الرحمة.

أما الصفة فلا يؤخذ منها اسمٌ، فالله يحب (وهي صفة فعلية) لكن لا يؤخذ منها اسم المحب.

ثالثًا: تشرع التسمية بالتعبيد لأسماء الله، فتقول: عبد الحميد، عبد الرحمن، عبد المجيد، ولا يشرع التَّعبيد بالصفات، فلا تقول: عبد العلم، ولا عبد العزة، ولا عبد القدرة.

رابعًا: قال بعض أهل العلم: الاسم يُدْعىٰ به، لكن الصفة يُتوسَّل بها.

فتقول: يا رحمن ارحمني، تدعو الله باسمه الرحمن.

لكن تتوسل بصفة الرحمة.

ومن التوسل بالصفة حديث: «**اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك علىٰ الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي**»[(١)].

---

(١) **صحيح:** أخرجه النسائي (٣/ ٥٤، ٥٥) وأحمد (٤/ ٢٦٤)، وغيرهم.

ويجوز الحلف ببعض الصفات:

قال أيوب عليه السلام: «**وعزتك لا غنىٰ بي عن بركتك**»(١).

وقال الشيطان: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

وتجوز الاستعاذة ببعض صفات الله عز وجل:

فمن ذلك: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**» كما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ(٢).

وفي الحديث: «**أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**»(٣)، وفي الحديث كذلك: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**»(٤).

قوله ﷺ: «حِجَابُهُ النُّورُ»

أخرج الإمام مسلم(٥) في «صحيحه» من حديث أبي موسىٰ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: «**إِنَّ اللهَ عز وجل لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ**. - وفي رواية أبي بكر: النَّارُ- **لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**».

---

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) صحيح، وقد تقدم.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم.

(٤) صحيح مسلم (٢٧٠٨).

(٥) مسلم (١٧٩).

تنبيه: الألفاظ التي أحدثها بعض المتكلمين (أهل الكلام) في حق الله عَزَّوَجَلَّ كالجسم والجهة والحيِّز والجوهر ونحوها ينبغي اتقاؤها، والأولىٰ اتباع الوارد في الكتاب والسنة.

وعن أفعال ربنا عَزَّوَجَلَّ:

* فقد أخبرنا عَزَّوَجَلَّ أنه ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج: ١٦].

* أخبرنا أنه يدبر الأمر من السماء إلىٰ الأرض، ويخلق ما يشاء، ويشرع ويوحي.

* أخبرنا أنه يهدي ويوفِّق ويضل ويُغوي ويكرم ويهين ويخفض[(١)] ويرفع ويعز ويذل ويعذب ويرحم؟ ويأمر وينهىٰ!!

* لقد أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ أنه يبتلي ويعافي ويشفي ويعفو ويصفح ويتجاوز ويعطي ويمنع ويمنُّ ويأخذ ويؤاخذ وينتقم ويُغني ويُقني[(٢)] ويوسع ويرزق.

* إنه سبحانه يحيي ويميت ويُقدر ويكتب.

* إنه يجتبي ويحفظ ويختار ويمحو ويثبت ويُثَبِّت وينسخ ويمسخ وينزل ويريد ويشاء ويُبيِّن ويميز.

ويعدُ ويُوعد ويؤيد وينصر ويخذل ويمحق ويُربي ويحلُّ ويحرم ويمتحن ويختبر[(٣)] ويثبت ويقَدِّر.

إنه سبحانه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ويقبض ويجعل.

---

(١) دلت علىٰ ذلك السنة التي هي وحي يوحىٰ.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾﴾ [النجم: ٤٨] أي جعل للشخص قُنية يقتنيها.

(٣) دلت علىٰ ذلك السنة.

إنه سبحانه يعظ ويبشر وينذر ويحذر ويكيد كيدًا ويمكر بالماكرين ويلعن أقوامًا ويخدع المخادعين، ويصرف ويصيب، ويشهد، ويجزي ويُخزي ويبدئ ويعيد ويبعث.

ويتقبل ويطهر ويُطفئ ويولج ويفسح لأقوام ويطبع ويختم ويستر ويُهلك ويُقصُّ ويُفصِّل وينظر ويُزكِّي ويُنعم ويطفئ ويُسهِّل ويستر، ويُعرض عن أقوام ويفتح.

ويكفُّ –ويُركس ويمقت ويغضب ويشرح ويصطفي ويجتبي ويختار ويكلف، ويتولىٰ الصالحين ويبارك ويُيسر ويشق علىٰ أقوام ويرفق بآخرين، ويقطع ويمنع ويوصل ويفسح لأقوام.

إنه يكشف الضر ويجيب المضطر، ويُخفف عن أقوامٍ ويتوب علىٰ آخرين، ويذهب بأقوام ويأتي بآخرين.

إنه سبحانه يُرسل ويبعث، ويقاتل أقوامًا ويضرب الأمثال للناس، ويقذف بالحق.

وفي الجملة، فإنه سبحانه فعال لما يريد، وانظر للمزيد كتاب الله (القرآن الكريم) وسنة النبي الأمين عليه أفضل صلاة، وأتم تسليم.

قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ [الرحمن: ٢٩]

قال كثير من أهل العلم في تفسير هذه الآية الكريمة: أي: في تدبير شئون خلقه، يفرج كرب ذي الكرب، يرفع أقوامًا ويخفض آخرين، يفك عانيًا (أي:

أسيرًا وسجينًا) ويجيب داعيًا ومضطرًّا، يحيي ويميت -يعز ويذل، يرفع ويخفض- يهين ويكرم.

أورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: قوله: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن: ٢٩]، لا يستغني عنه أهل السماء، ولا أهل الأرض، يحيي حيًّا، ويميت ميتًا، ويربي صغيرًا، ويذل كبيرًا، وهو مسأل حاجات الصالحين، ومنتهىٰ شكواهم، وصريخ الأخيار.

وقد ورد في ذلك حديث ضعيف الإسناد جدًّا أخرجه الطبري[(١)] في «تفسيره» من طريق عن منيب بن عبد الله الأزدي، عن أبيه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾: فقلنا: يا رسول الله، وما ذلك الشأن؟ قال: «**يَغْفِرُ ذَنْبًا، وَيُفَرِّجُ كَرْبًا، وَيَرْفَعُ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ آخَرِينَ**»[(٢)].

وعن معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمن: ٣١].

فقد ورد بسند[(٣)] فيه ضعف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمن: ٣١] قال: وعيدٌ من الله للعباد، وليس بالله شغل، وهو فارغ.

أما الطبري -رحمه الله تعالىٰ- فقد قال:

وأما تأويله: فإنه وعيد من الله لعباده وتهدُّد، كقول القائل الذي يتهدَّد غيره ويتوعده، ولا شغل له يشغله عن عقابه: لأتفرغن لك، وسأتفرغ لك، بمعنىٰ:

---

(١) الطبري (٣٣٠١٢).

(٢) إسناده ضعيف جدًّا.

(٣) أخرجه الطبري (٣٣٠١٤) وفي سنده أبو صالح، وهو عبد الله بن صالح كاتب الليث، وهو ضعيف، وفيه أيضًا الخلاف في سماع علي بن أبي طلحة من ابن عباس.

سأجد في أمرك وأعاقبك، وقد يقول القائل الذي لا شغل له: قد فرغت لي، وقد فرغت لشتمي، أي: أخذت فيه وأقبلت عليه، وكذلك قوله جَلَّ ثناؤه: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ [الرحمن: ٣١] سنحاسبكم، ونأخذ في أمركم أيها الإنس والجن، فنعاقب أهل المعاصي، ونثيب أهل الطاعة.







فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات

المقدمة ٥

الله عَزَّوَجَلَّ رَبُّ النَّاس، مَلِكُ النَّاس، إِلَهُ النَّاس ١١

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلهٌ واحدٌ لا شريك له، ولم يتخذ صاحبة ولا ولدًا ١٨

إن العقل السليم والقلب السليم والفطرة السليمة كلها تأبىٰ أن تجعل لله شريكًا في الملك وتأبىٰ أن يكون لله ولد ٢٠

نفي الولد والصاحبة عن الله عَزَّوَجَلَّ ٢٠

لقد حكم الله علىٰ القائلين بأن له ولدًا بالكفر ٢٢

الدعوة إلىٰ التوحيد، وعبادة الله وحده أولًا ٢٤

فضل كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ٢٦

فضل سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وأن بها صفة الرحمن ٢٨

مزيدٌ من الوصايا بالتوحيد والنهي عن الشرك ٣٠

خطر الشرك وتحريمه والتحذير منه ٣١

إن المشرك ضال ومُفتر يفتري الكذب علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ٣٢

البراءة من الشرك وأهله ٣٥

وعن أقسام الشرك علىٰ وجه الإجمال ٣٧

الإخلاص وفضله وبيان شرطي قبول الأعمال ٤١

خطرُ الرياء (وهو الشرك الأصغر) ٥١

أمورٌ ليست من الرِّياء ٥٧

قوله ﷺ: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ» ٦١
تحريم الجدال في الله بغير علم..... ٦٢
قوله ﷺ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ» ٦٣
أين الله؟..... ٦٣
دفع اشتباه..... ٧٢
قوله ﷺ: «فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ»..... ٧٦
فصلٌ في رؤيةِ العباد ربهم عَزَّوَجَلَّ ٧٧
وهل يُرىٰ الله عَزَّوَجَلَّ في المنام ٧٨
دفع اشتباه..... ٨٠
وهل رأىٰ النبي ﷺ ربه ليلة المعراج ٨١
بعض ما جاء في العرش وحملته ٨٣
قوله تعالىٰ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]..... ٨٥
إقرار أهل الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ ربًّا وخالقًا ورازقًا، ومالكًا (توحيد الربوبية) ٨٦
فصل في توحيد الألوهية وبيان حق الله علىٰ العباد وحق العباد علىٰ الله وبيان صور العبادة وأنها لا تصرف لغير الله عز وجل..... ٨٩
قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]. ٩٠
بعض صور جعل الأنداد لله عَزَّوَجَلَّ..... ٩١
فصلٌ في الدعاء وبيان أنه عبادة لا تصرف لغير الله عَزَّوَجَلَّ، وأن مَنْ يدعو غير الله تعالىٰ فقد أشرك..... ٩٤
باب: في اللعن..... ١٠١
بابٌ في الاستعاذة وبيان أنها لا تكون إلا بالله عَزَّوَجَلَّ ١٠٧

وعن معنىٰ الاستعاذة ١٠٨
توجيه بعض الوارد في الاستعاذة بغير الله ١١٩
بابٌ: في التوكل علىٰ الله ١٢٤
بعض الوارد في الكيِّ ١٣٢
بابٌ في الخشية من الله عَزَّوَجَلَّ ومراقبته ١٣٤
بابٌ: في التوسل وبيان معنىٰ الوسيلة ١٣٨
مقدمات وأنواع من التوسلات بين يدي الدعاء ١٤٦
سؤال الله عَزَّوَجَلَّ والتوسل إليه بأسمائه الحسنىٰ ١٥٠
التوسل إلىٰ الله بفضله وسابق إحسانه ورحمته ١٥٤
الاستسقاء بدعاء الصالحين ١٦٠
بيان سبب الدعوة التي يدعىٰ بها ١٦٢
النهي عن الاستعجال في الدعاء ١٦٩
كلمة جامعة لابن القيم في صفة الدعاء المستجاب ١٦٩
حديث الأعمىٰ وتوجهه إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بالنبي محمد ﷺ ١٧٠
ذِكر بعض الزيادات الواردة في متن هذا الحديث وبيان حالها وحال بعض رواتها ١٧٢
أثرٌ عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في باب التوسل وفي سنده مقالٌ وفي متنه غرابة ... ١٧٥
فصلٌ في الشفاعة ١٧٦
أما عن أنواع الشفاعات وبيانها ١٨١
وهذه بعض الأسباب التي تجلب الشفاعات ٢٠١
فصلٌ في التبرك ٢٠٥
والقرآن الكريم مباركٌ ٢١٧

التبرك برسول الله ﷺ والبركة من عند الله عَزَّوَجَلَّ ٢١٨
حكم التبرك بذوات أصحاب النبي ﷺ، وآثارهم ٢٢٦
والمسجد الحرام مبارك وكذا المسجد النبوي والمسجد الأقصىٰ ٢٣٠
أمورٌ تمحق البركة ٢٣٧
فصلٌ ما جاء في الذبح والنحر لله عَزَّوَجَلَّ وبيان تحريم الذبح والنحر لغير الله عَزَّوَجَلَّ، وأن ذلك من الشرك ٢٣٩
ما العمل إذا نسي المسلم أن يسمي عند الذبح؟ ٢٤٥
حديث لا فرع ولا عتيرة ٢٥١
تحريم أكل ما ذُبح علىٰ النُّصب ٢٥٥
مزيدُ بيان لقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ وما العمل إذا ذبح كافرٌ، وذكر اسم الله عند الذبح؟ ٢٥٦
ما ورد في النهي عن معاقرة الأعراب ٢٥٧
فصلٌ في الأَيمان ولا يكون الحلف إلا بالله ٢٦١
حكم مَنْ حلف بملة غير الإسلام فقال: أكون يهوديًّا أو نصرانيًّا. ونحو ذلك ٢٦٤
مناقشة بعض الأدلة التي استدلَّ بها بعض أهل العلم القائلين: أن النهي عن الحلف بغير الله إنما هو للكراهة فقط ٢٦٥
بعض الأيمان الواردة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وبعض الوارد في ذلك عن رسول الله ﷺ ٢٦٨
باب في الحلف بأسماء الله وصفاته ٢٧٠
بابٌ في الحلف بالقرآن ٢٧١
بابٌ في الحلف بالتوارة والإنجيل والزبور ٢٧٢
الحلف بالنبي ﷺ ٢٧٢

بابٌ في النذر ٢٧٣
حكم النذر ٢٧٥
التأكيد علىٰ الوفاء بنذر الطاعة ٢٧٦
إثمُ مَن لا يفي بالنذر ٢٧٨
وهل تجب الكفارة في نذر المعصية..... ٢٨٣
قضاء النذر عن الميت..... ٢٨٥
بابٌ مختصرٌ في القدر ٢٨٦
والمهتدي من هداه الله ٢٨٩
قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]..... ٢٩٠
وكل شيءٍ في الكون مسخَّرٌ بتسخير الله عَزَّوَجَلَّ له فالشمس مسخرةٌ القمر مسخر والنجوم مسخرات بأمر الله عَزَّوَجَلَّ، وهو الذي خلقها ٢٩٢
تحريم الاستسقاء بالنجوم، وبيان أن ذلك من الشرك ٢٩٤
مزيدُ بيانٍ لكون الاستسقاء بالنجوم من أمر الجاهلية..... ٢٩٦
فصلٌ في الحكم بما أنزل الله تعالىٰ ووجوب ذلك..... ٢٩٨
فصلٌ في الهوىٰ المذموم..... ٣٠٦
وقوله تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان: ٤٣]..... ٣٠٦
الظن الحسن بالله عَزَّوَجَلَّ..... ٣١٢
ومن صور ظن أهل الجاهلية بربهم عَزَّوَجَلَّ ٣١٣
فصلٌ في بيان خطر الإلحاد وتذكير الملحدين..... ٣١٤
الإلحاد في الأمم السابقة..... ٣١٨

مناقشة الملحد الكنود الجحود القائل: إن الأشياء خلقت بلا خالق ٣٤٢
في النفس والإنسان آيات ٣٤٣
وفي القلب آية ودلالة علىٰ الخلاق العليم ٣٤٥
فصل في تقدير الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الإنسان ٣٤٩
واختلاف الألسنة والألوان من آيات الله عَزَّوَجَلَّ ٣٣١
وفي الذكورة والأنوثة آيات ٣٣٢
وفي السماء آيات ٣٣٣
وفي الأرض آيات للموقنين ٣٣٤
قوله تعالىٰ: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤]. ٣٣٥
وإن لكم في الأنعام لعبرة ٣٣٥
وفي البحر آية ٣٣٧
وكذا في الجبال الرواسي الشامخات آيات ٣٣٨
إن الغابات فيها آيات ٣٣٨
فصل في التنوعات والاختلافات مع أن الأصل واحد ٣٤٠
قوله تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] ٣٤٢
وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] ٣٤٢
فصل في الرد علىٰ الملحد القائل: لن أصدق إلا بالذي أراه. ٣٤٦
مناقشة الملاحدة في قولهم: (من خلق الله) ٣٤٨
قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] ٣٤٨
وبيان تفاوت العقول والأفهام ٣٤٨
أقدار الله عَزَّوَجَلَّ غالبة وتجري علىٰ الملحد رغم أنفه ٣٥١

عجز الملحد..... ٣٥٣
لفتة إلىٰ الشريعة وحُسنها ٣٥٥
لا يستوي المصلح والمفسد ٣٥٧
إجابة عن بعض تساؤلات الملحد..... ٣٥٨
نداءً وتذكير للملحد..... ٣٦٠
فصلٌ في السحر والتنفير عنه وبيان ضلال أهله ٣٦٥
والسحرة لا يملكون من الأمر شيئًا ولا يضرُّون أحدًا إلا بإذن الله ٣٦٦
الله الذي يكشف الضر ويجيب المضطر ٣٧٤
من أسباب حفظ الله للعبد..... ٣٧٤
إبطال دعوىٰ من يستخدمون الجن المسلم للعلاج ٣٧٥
حديث سحر النبي ﷺ ٣٧٦
فصلٌ والغيب لا يعلمه إلا الله ﷻ..... ٣٨٠
ورسولنا محمد ﷺ لا يعلم الغيب كذلك ولا يدري متىٰ الساعة..... ٣٨١
والنبي ﷺ لا يعلم أحوالنا بعد مماته دلَّ علىٰ ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم... ٣٨٢
تحريم الذهاب إلىٰ الكهان والمنجمين..... ٣٨٦
النجوم وما ذُكر من فوائدها من كتاب الله ﷻ ٣٨٨
بابٌ في التطير والتشاؤم..... ٣٩٢
قوله تعالىٰ: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ﴾ [المائدة: ٣]. وتفسير الأزلام..... ٣٩٧
أبواب في حماية حمىٰ التوحيد ٣٩٩
النهي عن الغلو..... ٣٩٩
النهي عن اتخاذ القبور مساجد ٤٠٢

ذمُّ من يُسمي ملك الأملاك ٤٠٦
الأدب مع الله عَزَّوَجَلَّ، وفي النقل عن الله عَزَّوَجَلَّ..... ٤٠٨
وكذا الاحتراز في الألفاظ عند تعامل العبد والأمة مع سيدهما وكذا السيد مع عبيده وإمائه ٤٠٩
ولا يُقال: السلام علىٰ الله ٤١٠
ولا يُقال: اللهم اغفر لي إن شئت..... ٤١١
تغيير بعض الأسماء لما قد تحدثه من تعاظم وتعالٍ في نفس من تسمىٰ بها..... ٤١٣
ما جاء في ذمة الله عَزَّوَجَلَّ وعهده ٤١٦
بابٌ: في السؤال بالله..... ٤١٨
توقير اليمين بالله عَزَّوَجَلَّ..... ٤٢٠
ما جاء في التصوير والمصورين..... ٤٢٠
ما جاء في التألي علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وقول رجل لآخر: (والله لا يغفر الله لك) ٤٢٨
فصلٌ في أسماء الله الحسنىٰ..... ٤٣٢
فضل العلم بأسماء الله الحسنىٰ..... ٤٣٢
صور الإلحاد في أسماء الله عَزَّوَجَلَّ..... ٤٣٨
عدد أسماء الله الحسنىٰ..... ٤٤٠
هل أسماء الله الحسنىٰ تنحصر في تسعة وتسعين أم أن لله عَزَّوَجَلَّ أسماءً حسنىٰ أكثر من ذلك؟..... ٤٤٠
تنبيه بشأن الزيادة الواردة في بيان أسماء الله الحسنىٰ وتعديدها..... ٤٤٢
بعض أسباب الاختلاف في تعيين الأسماء الحسنىٰ ٤٤٨
تفسير قوله ﷺ: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»..... ٤٥٠

ذكر بعض القواعد والملاحظات في باب إحصاء أسماء الله الحسنىٰ وإثباتها ٤٥١
وهذه بعض القواعد المختلف فيها ٤٥٦
جملةٌ من أسماء الله الحسنىٰ مع بيان بعض أدلتها وبعض معانيها ٤٦٠
أولًا: الأسماء التي وردت مفردةً ٤٦١
(الله) ٤٦١
(الرحمن) ٤٦٢
(الرحيم) ٤٦٢
(الأحد) ٤٦٣
(الواحد) ٤٦٤
(الصمد) ٤٦٥
(الحيُّ) ٤٦٦
(القيوم) ٤٦٧
(الملك) ٤٦٧
(القدوس) ٤٦٨
(السلام) ٤٦٨
(المؤمن) ٤٦٩
(المهيمن) ٤٦٩
(العزيز) ٤٦٩
(الجبار) ٤٧٠
(المتكبر) ٤٧٠
(الخالق) ٤٧٠

(البارئ) ٤٧١
(المصور) ٤٧٢
(الأول) ٤٧٢
(الآخر) ٤٧٣
(الظاهر) ٤٧٣
(الباطن) ٤٧٤
(السميع) ٤٧٤
(البصير) ٤٧٥
(الفتاح) ٤٧٦
(العليم) ٤٧٧
(الحكيم) ٤٧٨
(اللطيف) ٤٧٨
(الخبير) ٤٨٠
(الغفور) ٤٨٠
(الودود) ٤٨٠
(الغفار) ٤٨١
(الوهاب) ٤٨٢
(الرزاق) ٤٨٣
(التواب) ٤٨٣
(البَرُّ) ٤٨٤
(الولي) ٤٨٤

(الحميد) ٤٨٥
(المجيد) ٤٨٥
(الخلاق) ٤٨٦
(القهار) ٤٨٦
(الحليم) ٤٨٧
(العلي) ٤٨٧
(العظيم) ٤٨٨
(الأعلىٰ) ٤٨٨
(المتعال) ٤٨٩
(الشكور) ٤٨٩
(الشاكر) ٤٩٠
(الكريم) ٤٩٠
(الأكرم) ٤٩٠
(الواسع) ٤٩١
(الحق) ٤٩١
(المبين) ٤٩٢
(القويّ) ٤٩٣
(المتين) ٤٩٣
(القدير) ٤٩٣
(المليك) ٤٩٤
(المقتدر) ٤٩٤

(الرب) ٤٩٥
(الإله) ٤٩٦
(العفو) ٤٩٦
(الرءوف) ٤٩٧
(القريب) ٤٩٧
ثانيًا: فصلٌ في بعض الأسماء التي وردت متعديةً إلىٰ غيرها بلفظ (علىٰ) أو (فوق) ونحو ذلك ٤٩٩
(الحسيب) ٤٩٩
(الحفيظ) ٤٩٩
(الحفي) ٥٠٠
(الحَكَم) ٥٠٠
(الرقيب) ٥٠٠
(الشهيد) ٥٠١
(العالم) ٥٠٢
(الغالب) ٥٠٢
(فَعَّال) ٥٠٢
(القادر) ٥٠٢
(القاهر) ٥٠٣
(القائم) ٥٠٣
(الكفيل) ٥٠٣
(المحيط) ٥٠٤

(المستعان ٥٠٤
(المقيت) ٥٠٥
(المولىٰ) ٥٠٥
(النصير) ٥٠٥
(الهادي) ٥٠٦
(الوكيل) ٥٠٦
ثالثًا: فصلٌ طائفة من الأسماء المضافة الواردة في الكتاب العزيز وتوابع لها ٥٠٧
طائفة من هذه الأسماء ٥٠٩
(أهل التقوىٰ) ٥٠٩
(أهل المغفرة) ٥٠٩
(أحكم الحاكمين) ٥١٠
(أحسن الخالقين) ٥١٠
(أرحم الراحمين) ٥١٠
أسرع الحاسبين ٥١٠
(بديع السموات والأرض) ٥١٠
(جامع الناس) ٥١١
(ذو الجلال والإكرام) ٥١٢
(ذو انتقام) ٥١٣
(ذو الطول) ٥١٣
(ذو العرش) ٥١٣
(ذو الفضل) ٥١٤

(ذو المعارج) ٥١٤
(ذو مغفرة) ٥١٥
(رفيع الدرجات) ٥١٥
(سريع الحساب) ٥١٥
(سريع العقاب) ٥١٥
(شديد العقاب) ٥١٥
(شديد المحال) ٥١٥
(علام الغيوب) ٥١٦
(عالم الغيب والشهادة) ٥١٦
(عدوٌّ للكافرين)) ٥١٦
(غافر الذنب) ٥١٦
(فاطر السموات والأرض) ٥١٦
(فالق الحب والنوىٰ) ٥١٧
(فالق الإصباح) ٥١٧
(قابل التوب) ٥١٧
(كافٍ عبده) ٥١٧
(مالك) ٥١٧
(ملك) ٥١٨
(نور السموات والأرض) ٥١٨
(واسع المغفرة) ٥١٨
رابعًا: مبحث في الأسماء الحسنىٰ الواردة من سنة رسول الله ﷺ ٥١٩

الباسط ٥٢٠
الجميل ٥٢٠
الرازق ٥٢١
الرفيق ٥٢٢
السبوح ٥٢٢
السيد ٥٢٣
الشافي ٥٢٣
الطيب ٥٢٤
القابض ٥٢٤
المُقدِّم ٥٢٥
المؤخِّر ٥٢٥
الوتر ٥٢٦
بعض الأسماء التي وردت بها أحاديث ولكن في أسانيدها نزاعٌ أو ضعف أو بالإسناد علةٌ ٥٢٧
الجواد ٥٢٧
الحَيي ٥٢٨
الدَّيان ٥٢٨
السِّتِّير ٥٢٩
المُحسن ٥٣٠
المعطي ٥٣١
المنان ٥٣٢

بعض الأسماء المضافة الواردة في السنة ٥٣٤
(أهل الثناء والمجد) ٥٣٤
(قيم السموات والأرض ومن فيهن) ٥٣٤
(مصرِّف القلوب)..... ٥٣٤
(مقلب القلوب) ٥٣٤
وأدخل بعضهم (ركن شديد)..... ٥٣٥
فصل في أسماء متفرقة وفي اعتبارها أسماء حسنىٰ نزاع، وشيء من الحديث عنها . ٥٣٦
الحافظ ٥٣٦
الحسيب..... ٥٣٦
الحاسب..... ٥٣٦
فصل في أسماء توقف فيها الكثيرون ولم يعتمدوها ٥٣٧
الزارع..... ٥٣٧
الصادق..... ٥٣٧
الكاتب ٥٣٧
الماهد ٥٣٧
المبتلي ٥٣٧
الموسع ٥٣٨
المنذر ٥٣٨
المرسل..... ٥٣٨
المنتقم..... ٥٣٨
المبرم..... ٥٣٨

المنشئ ٥٣٨
هو ٥٣٩
الوارث ٥٣٩
كيفية التعبد ببعض الأسماء الحسنىٰ ٥٤٠
وعن التعبد باسم (الله) والدعاء به ٥٤٠
وعن التعبد باسم (الرب) ٥٤٢
وعن اسمي (الرحمن الرحيم) ٥٤٣
تذكير وتحذير وتنبيهات ٥٤٩
مزيدُ بيانٍ حول اسم الله الأعظم ٥٥٢
إطلاق بعض أسماء الله علىٰ بعض خلقه: ٥٥٤
تفاضل أسماء الله الحسنىٰ ٥٥٦
اقتران بعض الأسماء ببعض ٥٥٨
ملخص القول فيما ذُكر من الأسماء الحسنىٰ ٥٥٩
بعض الوارد في (النفس) ٥٦١
ما جاء في الذات ٥٦٢
أبواب في صفات ربنا جلَّ وعلا ٥٦٣
شيءٌ من البيان والتفصيل لصفات ربنا جلَّ وعلا ٥٦٧
صفة الحياة ٥٦٧
العلم ٥٦٨
القدرة ٥٧٠
القوة ٥٧١

العزة ٥٧١
الكبرياء ٥٧٢
العزَّة والكبرياء ٥٧٢
العزة والكبرياء والعظمة والجبرياء ٥٧٣
الجلال والإكرام ٥٧٣
بعض ما جاء في إثبات الوجه لله جلَّ وعلا ٥٧٣
إثبات السمع والبصر والرؤية لله عَزَّوَجَلَّ ٥٧٧
ما جاء في النظر ٥٨٠
ما جاء في إثبات صفة العين لله عَزَّوَجَلَّ ٥٨١
بعض الوارد في الصورة (صورة ربنا جلَّ وعلا) ٥٨٤
التنبيه علىٰ ضعف رواية: «خَلق آدَم عَلَىٰ صُورَةِ الرَّحْمَنِ» ٥٩٠
صفة اليد ٥٩٢
تنبيه علىٰ رواية ضعيفة الإسناد فيها ذكر الشمال لله عَزَّوَجَلَّ ٥٩٥
ما جاء في صفة الكف ٥٩٦
ما جاء في الأصابع ٥٩٦
حديث: «سَاعِدُ اللهِ أَشَدُّ مِنْ سَاعِدِكَ، وَمُوسَاهُ أَحَدُّ مِنْ مُوسَاكَ» ٥٩٨
صفة القدم (والرِّجْل) ٥٩٨
ما ذكر في (الحقو) وبيان ما فيها من الخلاف ٥٩٩
ما جاء في الساق ٦٠٠
المشيئة ٦٠٣
الإرادة ٦٠٥





ما جاء في الكلام ٦٠٧

القول ٦١٠

النداء ٦١٦

باب في الكتابة ٦١٧

صلاة الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ نبيه وعلىٰ بعض الخلق ٦١٧

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[طه: ٥] ٦١٧

قول الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الباب ٦١٧

الإحياء والإماتة والتوفي ٦١٨

صفة النفخ ٦٢٠

الضحك ٦٢١

التعجب ٦٢٢

ما جاء في الفرح ٦٢٢

الرحمة ٦٢٤

المغفرة والعقاب ٦٢٦

الرضا ٦٢٦

الغضب ٦٢٧

ما جاء في الأسف ٦٢٧

الحب ٦٢٧

ما جاء في البغض ٦٢٩

بعض ما جاء في المقت ٦٣٠

الكره ٦٣١

ما جاء في المدح والغيرة..... ٦٣١
ما جاء في الاستحياء..... ٦٣٢
ما جاء في المكر ٦٣٣
ما جاء في الكيد..... ٦٣٤
ما جاء في الاستهزاء بأقوام..... ٦٣٤
ما جاء في السخرية بأقوام..... ٦٣٤
ما جاء في الاستدراج ٦٣٤
ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢]..... ٦٣٤
ما جاء في النسيان (بمعنىٰ الترك) ٦٣٥
التجلي..... ٦٣٥
قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. ٦٣٥
ما جاء في التقرب والهرولة ٦٣٦
ما جاء في أن الله يدني بعض العباد، وأن المؤمن في بعض الأحوال أقرب إلىٰ الله . ٦٣٦
وفي الباب قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]..... ٦٣٧
الإتيان ٦٣٧
المجيء..... ٦٣٧
حديث النزول ٦٣٨
الحديث القدسي: «مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ...» وفيه: «وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ...»..... ٦٣٨
قوله ﷺ: «فَوَاللهِ لَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّىٰ تَمَلُّوا» ٦٤٠



قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ [النساء: ١٢٥] ٦٤٠
هل صفات الله بينها تفاضل؟ ٦٤٢
قوله ﷺ: «حِجَابُهُ النُّورُ» ٦٤٤
قوله تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ [الرحمن: ٢٩] ٦٤٦
فهرس الموضوعات ٦٤٩

